المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية الحضارة

الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

٤٩٢هـ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٩ م – ١٢٩١ م

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية

إعداد الطالب

ناصر بن محمد علي الحازمي

إشراف

أ.د / مريزن سعيد عسيري

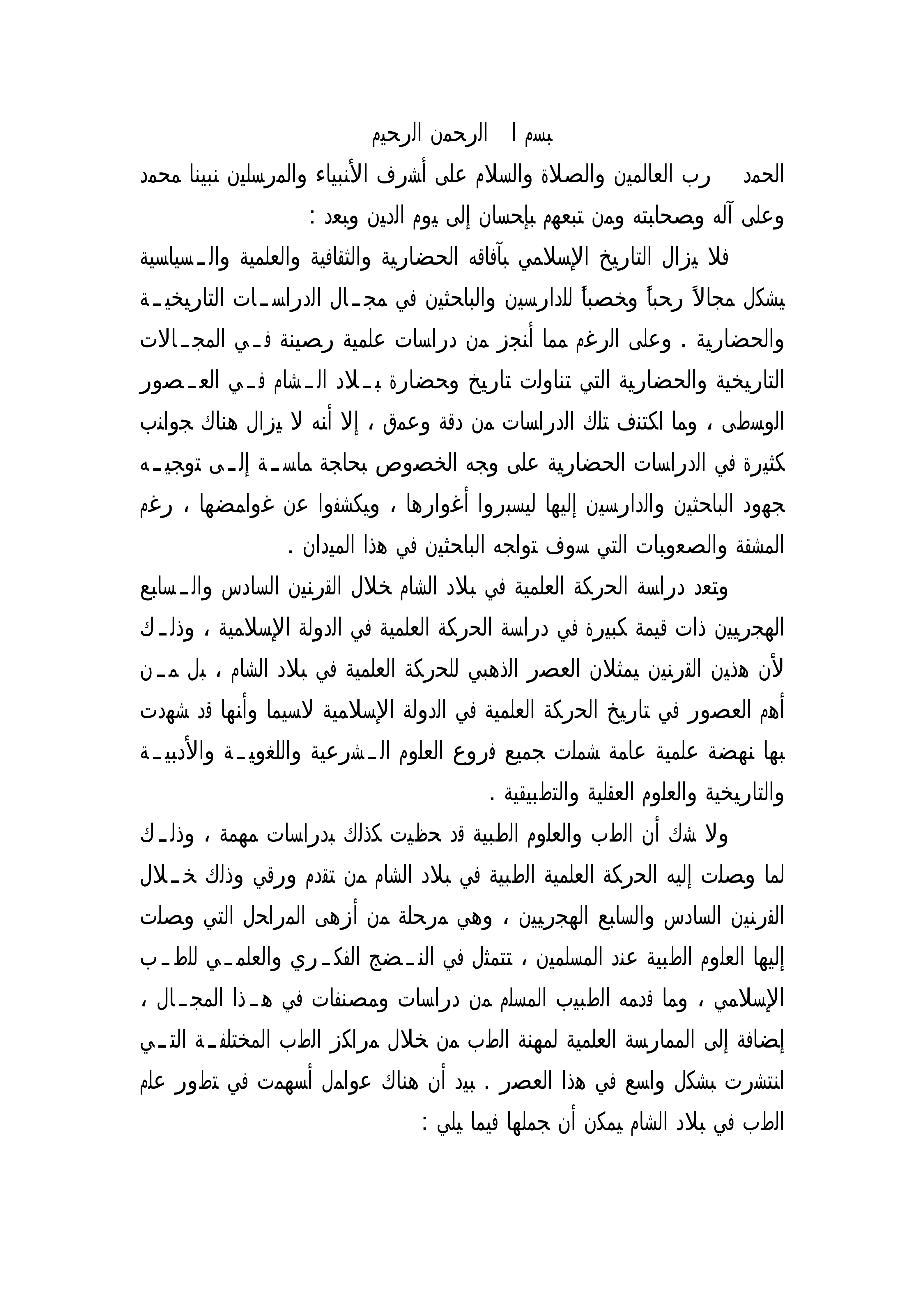
١٤٢٦ – ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م

قال ا   تعالى ...

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)

الإسراء آية رقم (٨٢)

المقدمة :



بسم ا الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فلا يزال التاريخ الإسلامي بآفاقه الحضارية والثقافية والعلمية والسياسية يشكل مجالاً رحباً وخصباً للدارسين والباحثين في مجال الدراسات التاريخية والحضارية . وعلى الرغم مما أنجز من دراسات علمية رصينة في المجالات التاريخية والحضارية التي تناولت تاريخ وحضارة بلاد الشام في العصور الوسطى ، وما اكتنف تلك الدراسات من دقة وعمق ، إلا أنه لا يزال هناك جوانب كثيرة في الدراسات الحضارية على وجه الخصوص بحاجة ماسة إلى توجيه جهود الباحثين والدارسين إليها ليسبروا أغوارها ، ويكشفوا عن غوامضها ، رغم المشقة والصعوبات التي سوف تواجه الباحثين في هذا الميدان .

وتعد دراسة الحركة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ذات قيمة كبيرة في دراسة الحركة العلمية في الدولة الإسلامية ، وذلك لأن هذين القرنين يمثلان العصر الذهبي للحركة العلمية في بلاد الشام ، بل من أهم العصور في تاريخ الحركة العلمية في الدولة الإسلامية لاسيما وأنها قد شهدت بها نهضة علمية عامة شملت جميع فروع العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية والعلوم العقلية والتطبيقية .

ولا شك أن الطب والعلوم الطبية قد حظيت كذلك بدراسات مهمة ، وذلك لما وصلت إليه الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام من تقدم ورقي وذلك خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهي مرحلة من أزهى المراحل التي وصلت إليها العلوم الطبية عند المسلمين ، تتمثل في النضج الفكري والعلمي للطب الإسلامي ، وما قدمه الطبيب المسلم من دراسات ومصنفات في هذا المجال ، إضافة إلى الممارسة العلمية لمهنة الطب من خلال مراكز الطب المختلفة التي انتشرت بشكل واسع في هذا العصر . بيد أن هناك عوامل أسهمت في تطور علم الطب في بلاد الشام يمكن أن جملها فيما يلي :

أولاً : هجرة عدد كبير من الأطباء إلى بلاد الشام من بلدان العالم الإسلامي سواء من العراق أو مصر أو من بلاد المغرب والأندلس وغيرها مـن أقطـار الدولـة الإسلامية ، والسبب يعود إلى توفر البيئة العلمية المزدهرة في الدراسات الطبيـة خلال ذلك العصر .

ثانياً : ما لقيته الحركة من عناية ورعاية كاملة من الحكام والسلاطين والأمـراء الذين تعاقبوا على حكم بلاد الشام خلال القرنين الـسادس والـسابع الهجـريين ، إضافة إلى ما أسهم به العلماء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية الطبية ، تتمثـل في العناية بأماكن تعليم الطب كالمدارس والمستشفيات والمكتبات وإنشائها .

ثالثاً : وفرة المراكز العلمية المتمثلة في نشوء المدارس ، وكثرة المستشفيات التي اتسع نشاطها وكانت من أبرز مظاهر التطور في الحركة العلمية الطبية في بـلاد الشام والتي أسهمت في تقدمه ، فكانت المساجد الجامعة في مدينة حلب ودمـشق وبيت المقدس أماكن لتعليم الطب نظرياً . كما لم تخل مدينة من مـدن الـشام إلا وأنشئ بها بيمارستان (مستشفى) – أو أكثر – لعلاج المرضى ومن ثـم كانـت أماكن مهمة في تعليم الطب بشكل عملي .

غير أن ما يميز الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام هو ظهور المدارس الطبيـة المختصة في تعليم الطب التي يمكن القول أنها مما سبقت به بلاد الشام غيرها من الأقاليم في الدولة الإسلامية حيث كانت أنشأت بها أول مدرسة طبية متخصـصة نظرياً أنشئت بعد ذلك مدارس ، وهذا بدون أدنى شك أدى إلى تقـدم الدراسـات الطبية في بلاد الشام خاصة ، وتعليم الطب عند المسلمين عموماً .

كما سلك الأطباء في هذا العصر طرقاً ووسائل متنوعة في تعلـيم الطـب شملت بذلك الجانب النظري والجانب العلمي ، فكانت طرق الملازمـة لأسـاتذة الطب أكثر الطرق انتشاراً في تعليم الطب في بلاد الشام إلـى جانـب المجـالس الطبية المتخصصة التي يعقدها الأطباء في المدارس والمستشفيات حيث كانت فيها المناقشات والمباحثات في المسائل الطبية ، ووصف الأمراض ، وطرق العـلاج من خلال قراءة الكتب الطبية والنظر فيها .

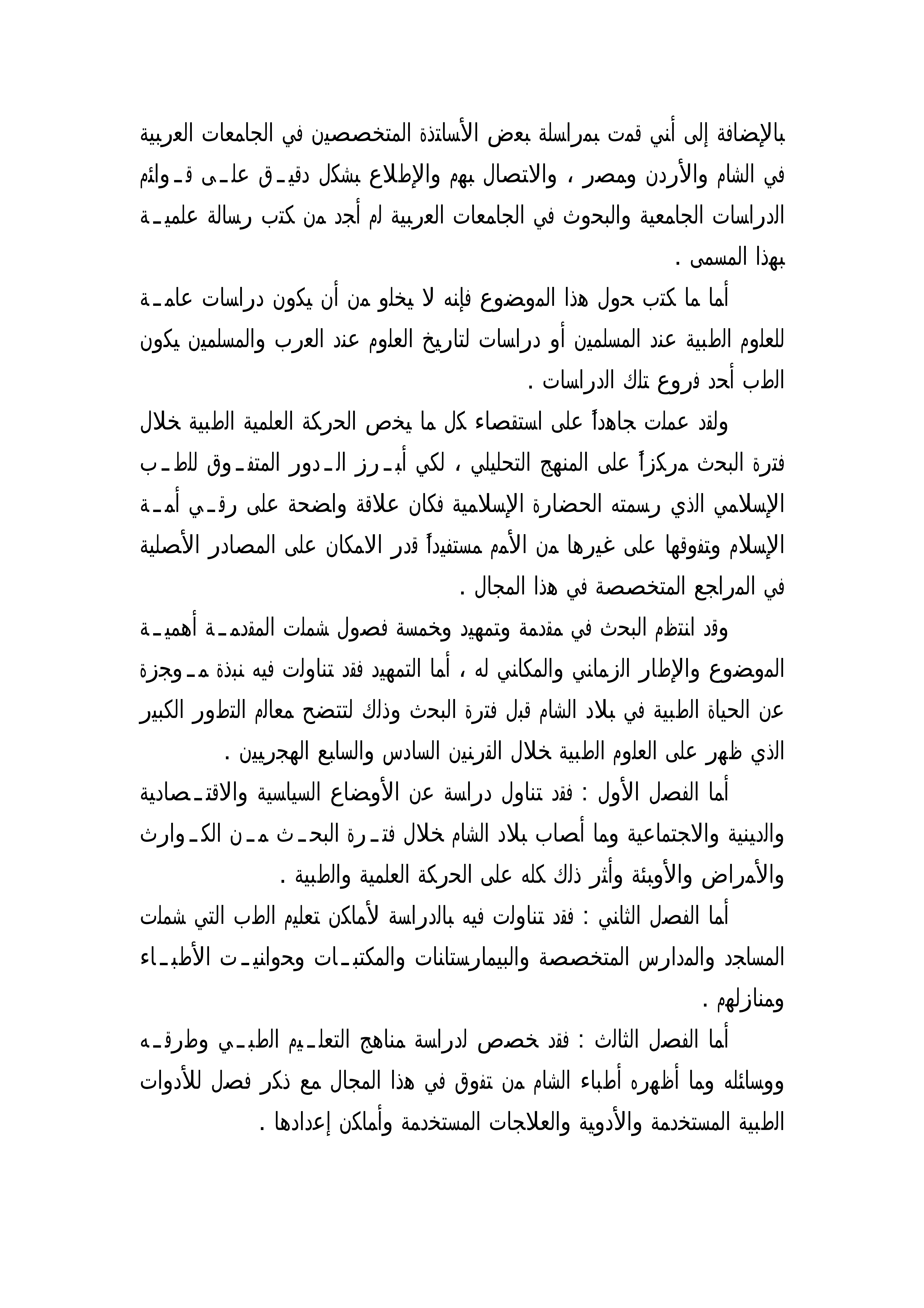
وقد كان الأطباء الشاميون يعتمدون في تعليم الطب على كتب أبقراط وجالينوس ، والكتب المعتمدة في المدرسة الإسكندرية حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، ومع بدايات القرن السادس الهجري بدأ الأطباء المسلمين بجعل كتب أبقراط وجالينوس الطبية وطرق أهل الإسكندرية في تعليم الطب ضمن الطرق المتبعة في تعليم الطب ، وذلك لظهور طرق ووسائل جديدة في تدريس الطب ، أثبتت تفوقاً علمياً وتنظيمياً ومنهجياً على ما كتبه القدماء ، وظهرت كتب طبية جديدة ذات قيمة علمية أصبحت هي المعتمدة في تعليم الطب في أكثر حواضر البلاد الإسلامية وأخذ بها الأطباء الشاميون في تدريسهم وهو ما قمت بالتنقيب عنه فيهذه الرسالة وكانت بلا ريب سبباً في تقدم علم الطب الذي أخذت به الحضارة الأوربية الحديثة .

كما كانت من مظاهر تقدم الحركة العلمية الطبية ظهور عدد كبير من الأطباء المشاهير الذين ذاعت شهرتهم في الطب في أرجاء الدولة الإسلامية ولقد أحصت عدد الأطباء الذين كانوا في بلاد الشام لاسيماً من برز منهم وأخذ شهرة بين الأطباء في هذا العصر حيث وصل عددهم إلى أكثر من سبعين طبيباً ممن ترجم لهم ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ، أما الذين عاشوا بعد وفاة ابن أبي أصيبعة فعدد غير قليل حيث يصلون إلى العشرين طبيباً إضافة إلى من دخل بلاد الشام من الأطباء وشارك في الحركة العلمية وأسهم في تنشيطها .

أما الإطار الزماني الذي عالجته هذه الدراسة فهو يبدأ من دخول الحملات الصليبية إلى بلاد الشام سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) إلى سقوط آخر معقلهم بها سنة (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) وقد شملت هذه المدة قرنين من الزمان تعاقب على حكمها عدد من الدول والإمارات كالدولة الزنكية والنورية والأيوبية والمملوكية بالإضافة إلى الأراضي التي كانت خاضعة للاحتلال الصليبي .

أما الإطار المكاني للبحث فهو محصور على بلاد الشام وحدودها الجغرافية المعتمدة عند العلماء زمن الحروب الصليبية .

وبعد التشاور مع أستاذي المشرف حول هذا الموضوع ، وعلمي أن أستاذي على دراية كاملة بأهميته ، وأنه لم يكتب فيه من قبل بهذا المنحى هذا



بالإضافة إلى أنني قمت بمراسلة بعض الأساتذة المتخصصين في الجامعات العربية في الشام والأردن ومصر ، والاتصال بهم والإطلاع بشكل دقيـق علـى قـوائم الدراسات الجامعية والبحوث في الجامعات العربية لم أجد من كتب رسالة علميـة بهذا المسمى .

أما ما كتب حول هذا الموضوع فإنه لا يخلو من أن يكون دراسات عامـة للعلوم الطبية عند المسلمين أو دراسات لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين يكون الطب أحد فروع تلك الدراسات .

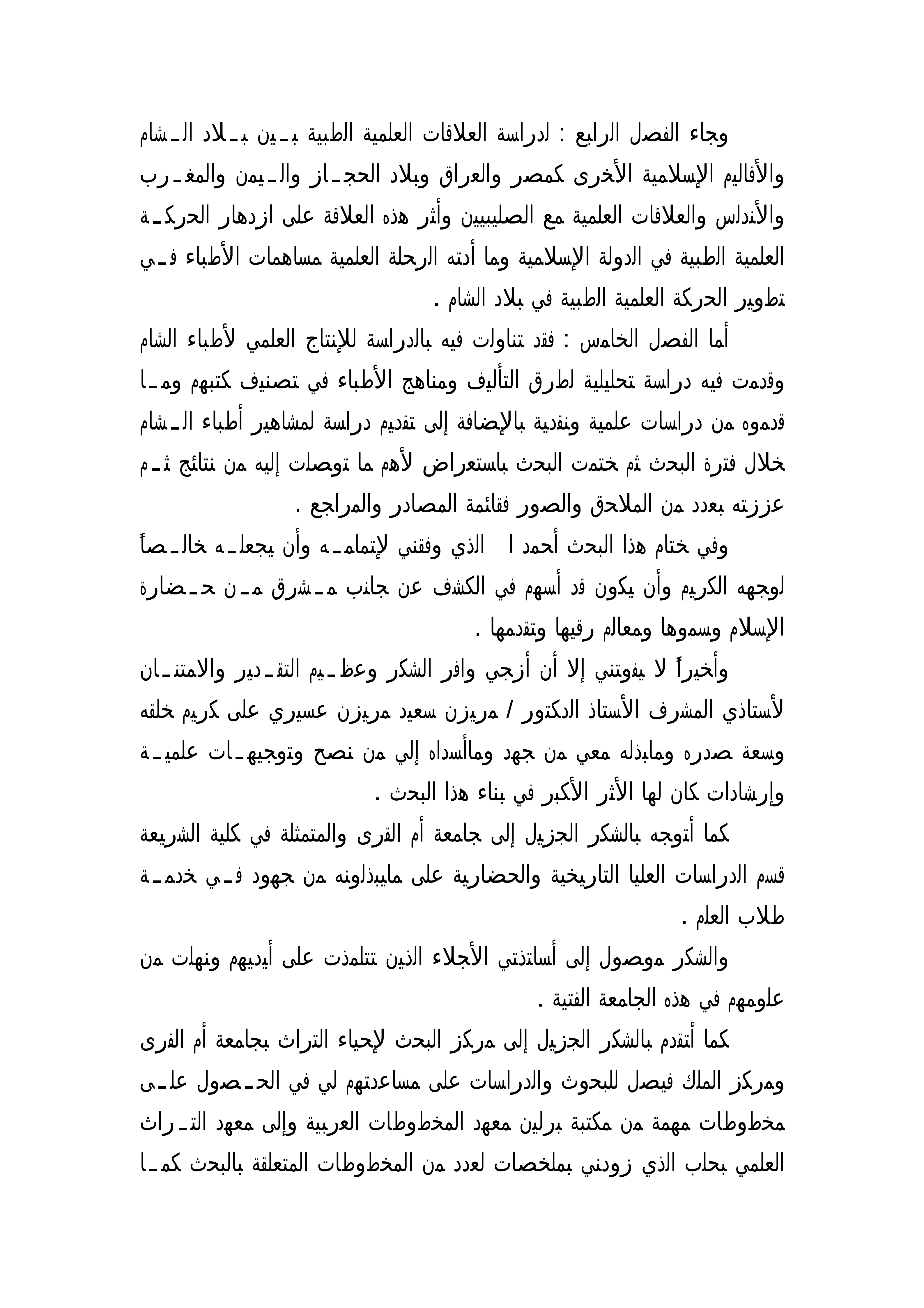
ولقد عملت جاهداً على استقصاء كل ما يخص الحركة العلمية الطبية خلال فترة البحث مركزاً على المنهج التحليلي ، لكي أبـرز الـدور المتفـوق للطـب الإسلامي الذي رسمته الحضارة الإسلامية فكان علاقة واضحة على رقـي أمـة الإسلام وتفوقها على غيرها من الأمم مستفيداً قدر الامكان على المصادر الأصلية في المراجع المتخصصة في هذا المجال .

وقد انتظم البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول شملت المقدمـة أهميـة الموضوع والإطار الزماني والمكاني له ، أما التمهيد فقد تناولت فيه نبذة مـوجزة عن الحياة الطبية في بلاد الشام قبل فترة البحث وذلك لتتضح معالم التطور الكبير الذي ظهر على العلوم الطبية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين .

أما الفصل الأول : فقد تناول دراسة عن الأوضاع السياسية والاقتـصادية والدينية والاجتماعية وما أصاب بلاد الشام خلال فتـرة البحـث مـن الكـوارث والأمراض والأوبئة وأثر ذلك كله على الحركة العلمية والطبية .

أما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه بالدراسة لأماكن تعليم الطب التي شملت المساجد والمدارس المتخصصة والبيمارستانات والمكتبـات وحوانيـت الأطبـاء ومنازلهم .

أما الفصل الثالث : فقد خصص لدراسة مناهج التعلـيم الطبـي وطرقـه ووسائله وما أظهره أطباء الشام من تفوق في هذا المجال مع ذكر فصل للأدوات الطبية المستخدمة والأدوية والعلاجات المستخدمة وأماكن إعدادها .



وجاء الفصل الرابع : لدراسة العلاقات العلمية الطبية بين بلاد الشام والأقاليم الإسلامية الأخرى كمصر والعراق وبلاد الحجاز واليمن والمغرب والأندلس والعلاقات العلمية مع الصليبيين وأثر هذه العلاقة على ازدهار الحركة العلمية الطبية في الدولة الإسلامية وما أدته الرحلة العلمية مساهمات الأطباء في تطوير الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام .

أما الفصل الخامس : فقد تناولت فيه بالدراسة للإنتاج العلمي لأطباء الشام وقدمت فيه دراسة تحليلية لطرق التأليف ومناهج الأطباء في تصنيف كتبهم وما قدموه من دراسات علمية ونقدية بالإضافة إلى تقديم دراسة لمشاهير أطباء الشام خلال فترة البحث ثم ختمت البحث باستعراض لأهم ما توصلت إليه من نتائج ثم عززته بعدد من الملاحق والصور فقائمة المصادر والمراجع .

وفي ختام هذا البحث أحمد ا الذي وفقني لإتمامه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون قد أسهم في الكشف عن جانب مشرق من حضارة الإسلام وسموها ومعالم رقيها وتقدمها .

وأخيراً لا يفوتني إلا أن أزجي وافر الشكر وعظيم التقدير والامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور / مريزن سعيد مريزن عسيري على كريم خلقه وسعة صدره ومابذله معي من جهد ومأأسداه إلي من نصح وتوجيهات علمية وإرشادات كان لها الأثر الأكبر في بناء هذا البحث .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة أم القرى والمتمثلة في كلية الشريعة قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية على مايبذلونه من جهود في خدمة طلاب العلم .

والشكر موصول إلى أساتذتي الأجلاء الذين تتلمذت على أيديهم ونهلت من علومهم في هذه الجامعة الفتية .

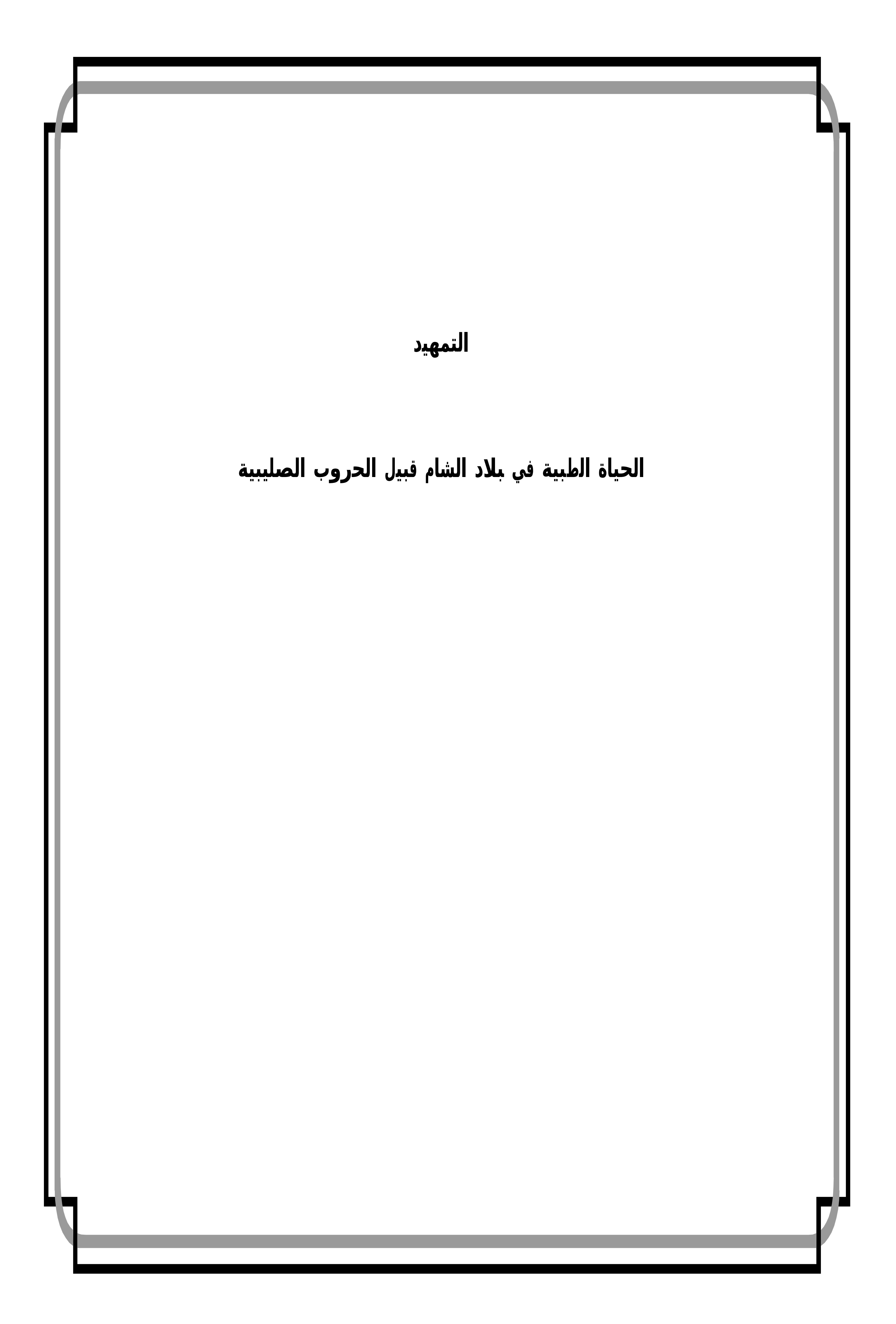
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى مركز البحث لإحياء التراث بجامعة أم القرى ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات على مساعدتهم لي في الحصول على مخطوطات مهمة من مكتبة برلين معهد المخطوطات العربية وإلى معهد التراث العلمي بحلب الذي زودني بملخصات لعدد من المخطوطات المتعلقة بالبحث كما



أتوجه بالشكر للأساتذة والزملاء والأصدقاء الذين مدو لي يد العون لإنجاز هـذه الرسالة أسأل ا أن يكتب للجميع أجرهم وأن يجعل هذه الأعمال فـي مـوازينهم يوم نلقاه وا الهادي إلى سواء السبيل هو حسبي ونعم الوكيل .

الباحث

ناصر بن محمد علي الحازمي



التمهيد

الحياة الطبية في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية

الحياة العلمية الطبية في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية :.

لكي تبدو الصورة واضحة لدراسة الحياة العلمية الطبية في بلاد الشام في عصرها الذهبي يحسن بنا أن نذكر حديثاً مجملاً عن الأوضاع الطبية في بلاد الشام خلال الفترة السابقة للحروب الصليبية وذلك طيلة أربعة قرون كانت الحركة الطبية فيها غير واضحة المعالم بحيث تتمثل في وجود بعض البيمارستانات التي لم تفصح المصادر عن مستوى الخدمات الطبية التي كانت تقدمها بشكل مفصل وإنما هي إشارات عن وجود أو إنشاء بيمارستانات جديدة في بعض المدن الشامية أو تراجم لبعض الأطباء الذين عرفوا بهذه المهنة وباشروا علاج المرضى .

ويبدو للباحث من خلال المعلومات الأولية أن المصادر لم تذكر من الأطباء الذين عاشوا في بلاد الشام خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين إلا عدد قليل جداً ، وبالمقارنة بين حالة الطب التي كانت عليها بلاد الشام خلال هذين القرنين وبلاد العراق يدرك الفرق الكبير بين الإقليمين فبغداد كانت خلال هذين القرنين حاضرة الطب في العالم الإسلامي وهو العصر الذهبي للطب في العراق [1] وفي المقابل كانت بلاد الشام تعيش حالة من الضعف في المجالات الطبية خلال هذه الفترة ، مما يؤكد أثر انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد .

ومن خلال هذا التمهيد سوف نتناول أهم ملامح الحياة الطبية في بلاد الشام قبل فترة البحث .

فقد كانت نشأة الطب عند المسلمين مرتبطة بما ورد عن النبي صلى ا عليه وسلم من أحاديث في تأصيل هذا الأمر المهم في حياة البشر وهو الصحة

---

(١) معتوق : رشاد عباس ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهيإصدار معهد لبحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ص٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، عسيري : مريزن سعيد ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ص٤٨٨ ، ٤٩١ .

والمرض والحض على الوقاية والتداوي منه فقد ورد عن النبي صـلى ا عليـه وسلم في أمر الطب والتداوي أحاديث كثيرة جداً [1] .

والأمر المهم في هذا الجانب هو تنظيم الإسلام لهذه المهنة سوء من جهـة المريض الذي يطلب الشفاء بنهيه عن التـداوي بـالأمور المحرمـة أو المهلكـة وترغيبه في طلب العلاج والتداوي بالأمور المعينة علـى ذلـك ووسـائل حفـظ الصحة[2] أو الطبيب الذي يداوي المرضى ويمارس المهنة وما يجب عليـه ومـا يلزمه فيها يقول النبي صلى ا عليه وسلم ((من طبب ولم يمهن الطب قبل ذلـك فهو ضامن)) [3] .

يقول أبو الحسن الحموي في معنى الحديث أي ((من تعاطى فعل الطـب ، ولم يتقدم له به اشتغال ، ومزاولة معالجة وتدرب مع الفضلاء فيه فقتل بطب فهو ضامن ؛ لأن غالب من هذه حال ، أن يكون قد تجهم بجهله على إتلاف الأنفس ، وأقدم بالتهور على ما لم يعلمه ، فيكون قد غرر بالمنهج ، فيلزمه الضمان لذاك ، فأما من سبق له اشتغال بصناعة الطب ، وكثرة تجارب ، وإجازة علماء الطـب ورؤساؤه ، فهو جدير بالصواب ، وإن أخطأ بعد بذل الاجتهاد الصناعي، أو عـن قصور الصناعة نفسها ، فعند ذلك لا يلزمه لومة لائم)) [4] يقول الخطابي لا أعلم خلافاً في أن المعالج إذا تعدى ، فتلف المريض ، كان ضامناً والمتعـاطي علمـاً وعملاً لا يعرفه متعد ، فإذا تولد من فعله التلف ، ضمن الدية ، وسقط عنه القود ، لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض وجناية المتطبب في قوله عامة الفقهاء على قتله [1] فهذا النص النبوي وغيره يدال على عظيم خطر هذه المهنة وشرفها ،

---

(١) انظر كتب الطب النبوي البغدادي عبد اللطيف : الكتب في الكتاب والسنة تحقيق عبد المعطـي قلعجـي دار المعرفة بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ابن القيم : محمد بن أبي بكر : الطب النبـوي تحقيـق عبـد المعطي قلعجي دار التراث القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م وغيرها .

(٢) كالتداوي بالسحر والكهانة والعرافة والتداوي بالنجاسات كالخمر والسم وغير ذلك انظـر البغـدادي : الطب في الكتاب والسنة ص١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه .

(٤) أبي الحسن علي بن طرفان : الأحكام النبوية في الصناعات الطبية ، تحقيق عبد ا المنشاوي ، مكتبة جزيرة الورود بالمنصورة ،الطبعة الأولى ص١٤.

(١) الأحكام النبوية في الصناعات الطبية ص١٥ .

وعلى ضوء ذلك اندفع المسلمون في طلب هذه المهنة وممارستها والبحـث فـي أصولها عندما يعرف علومها من العرب والعجم .

وبدأ ارتباط المسلمين بعلوم الطب بانطلاق حركة الترجمة في القرن الثاني الهجري [٢] وتطورها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين [٣] والذي كان مـن نتاجها ترجمة معظم التراث اليوناني في الطب وغيره من العلوم [٤] .

وخلال العصر الأموي ظهر عدد من الأطباء الذين شـاركوا فـي الحيـاة الطبية واستطبهم الخلفاء من بني أمية من أمثال أبو الحكم الدمشقي [٥] وابنه وابن آثال [٦] تياذوق [٧] وغيرهم .

وكان الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني شخصية مهمة في مجال التعلـيم الطبي خلال القرن الثاني الهجري فقد أسهم في نقل طب المدرسة الإسكندرية إلى الشام زمن الأمويين يقول ابن أبي أصيبعة في ترجمته له ((وكان في أول أمـره مقيماً في الإسكندرية لأنه كان المتولي في التدريس بها من بعد الإسـكندرانيين ، وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى ، ثم أن المـسلمين لمـا استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية [١]، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبـد

---

(٢) الجميلي رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجرية ، دار شؤون الثقافة ، جامعة قار يونس ص٢٩ ، ٣٠، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٤.

(٣) نفسه ص٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ .

(٤) نفسه ص٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ .

(٥) عاصر معاوية بن أبي سفيان وكانت له معرفة بالأدوية وتركيباتها خدم الخليفة عبد الملك بن مـروان وابنه الوليد بن عبد الملك ، وكان ابنه مثله في خلقه ومعرفته بالأدوية والأعمال الطبية كان مقيماً بدمشق وله ابن طبيب مشهور حاذق بالطب والعلاج اسمه عيسى عاش حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، ابـن أبي أصيبعة موفق الدين أحمد بن القاسم ،: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيـق نـزار رضـا ، دار مكتبة الحياة بيروت ص١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٦) كان ضمن الأطباء الذين عاشوا بدمشق في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي ا عنه ، كان خبيـراً بالأدوية المفردة والمركبة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٧) طبيب فاضل عاش في أوائل الدولة الأموية زمن الحجاج بن يوسف الثقفي مشهوراً بالطب عنـد بنـي أمية يخدمهم بالطب ، له كناش كبير ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ .

(١) هي إحدى المدن القديمة على البحر المتوسط في الديار المصرية تقع على البحر المتوسـط يقـال أن الذي بناها الإسكندر المقدني انظر تفاصيل ذلك ، الحموي ياقوت بن عبد ا الرومي : معجم البلـدان ، دار

العزيز ، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة ، وصحبه ، فلما أفضت الخلافة إلى عمر ، سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس إلى أنطاكية وحران ، وتفرق في البلاد ، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر ، ويعتمد عليه في صناعة الطب [٢] .

كما استعان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بطبيب يهودي يدعى ماسرجويه في تفسير كتاب أهرن بن أعين [٣] إلى العربية يقول ابن جلجل ((كان يهودي المذهب سريانياً ، وقد تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن ابن أعين القس إلى العربية ، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه ، فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعين صباحاً أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم)) [٤] .

وبرحيل عاصمة الخلافة إلى بغداد ضعف الطب في بلاد الشام خلال القرون الثلاثة التالية فالمصادر لم تمدنا بمعلومات مفصلة عن حركة التعليم الطبي وجهود الأطباء في ذلك إلا ما يمكن أن نستنبطه من خلال تراجم بعض الأطباء الذين عاشوا خلال هذه الفترة فمن هؤلاء الأطباء :.

الطبيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي التميمي (٣٧٠هـ / ٩٨٠م) قرأ الطب بالقدس ، على طبيب يقال له ابن زخريان توابه ، وكان يلازمه ويجتمع به واستفاد منه في علوم الطب [١] يذكر القفطي أنه كان من أسرة

الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٥م ج١ ص١٨٢ ، ١٨٣ ، القزويني زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت ص١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) سليمان بن حسن الأندلسي : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م ، ص٩٥ ، القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المثنى ببغداد ص٢١٣ .

(٣) أهرن بن أعين كان هذا الطبيب من تلامذة المدرسة الإسكندرية وعاش في سوريا قبل الفتح الإسلامي بقليل ، وله كناش في الطب في ثلاثين مقالة ، ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب : الفهرست ، دار الميسرة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م ص٣٥٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢٣٢ .

(٤) طبقات الأطباء والحكماء ص٩١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٤٧ .

لها معرفة بالطب ، وقد قام برحلة علمية إلى عدة أماكن خـارج الـشام لطلـب الطب[٢] .

وقد أفاد من رحلته إلى مصر في لقاء الأطباء المصريين وغيـرهم مـن القادمين إليها من بلاد المغرب فناظرهم وتباحث معهم في بعض المسائل الطبية[٣] وكان مغرماً بالصيدلة وصناعة الأدوية وتركيبها [٤] وله مصنفات تدل على تقدمه في علم الطب والصيدلة أشهرها : كتاب ((مادة البقاء بإصـلاح فـساد الهـواء والتحرز من ضرر الأوباء)) [٥] وكتاب ((المرشد إلى جواهر الأغذيـة وقـوى المفردات من الأدوية)) [٦] .

ومن هؤلاء الأطباء أبو لفرج جورجس بن يوحنا بن سـهل اليبـرودي [٧] (٤٤٩هـ / ١٠٠٩م) [٨]نصراني من أهل الشام ، كان في أول أمـره فلاحـاً ، يعمل على جمع الشيح [٩] من نواحي دمشق ويدخل ليبيعه بها حيث كـان النـاس يستخدمونه وقوداً للأفران [١٠].

وكان لبداية اشتغاله بالطب قصة غريبة فبينما هو داخل إلى دمشق كعادته يومياً في جمع الشيح وبيعه فإذا به يرى شيخاً من المتطببين وهو يفصد إنساناً قـد عرض له رعاف شديد من الجهة التي يفصد [١] فيها ، فوقف ينظر إليه وقد جرى الدم ، واحتار الفاصد في ذلك ، واجتمع إليه الناس ، فاقترح عليـه اليبـرودي أن

---

(٢) القفطي : إخبار العلماء ص٧٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٤٧ .

(٤) نفسه ص٥٤٧ .

(٥) طبع من قبل معهد المخطوطات العربية تحقيق يحيى شعار الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

(٦) منه نسخة خطية في باريس برقم (٢٨٧٠/١) المكتبة البريطانية برقم (٩٠١٠/شرقي) .

(٧) يبرود قرية من قرى دمشق ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ص

(٨) جاء ذكر تاريخ وفاته صريحاً في روضة الألباء في تاريخ الأطباء لداود بن ناصر الموصلي ورقة رقم (٧٩ / ب) .

(٩) هو نبت يكثر في الجبال وله منافع صحية كثيرة ابن البيطار ضياء الدين أحمـد الأندلـسي : الجـامع لمفردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ج٣ ص١٠٠ .

(١٠) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١١ ص٦٧ .

(١) هو استفراغ كلّي يستفرغ الكثرة ، والكثرة هي تزايد الأخلاط على تساويها في العروق جهامي جيرار : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ج٢ ص١١٣٢ .

يفصد له في الجهة الأخرى ، ويشد الفاصد الأول ، فشده ووضع عليه لازوقاً كان عنده ، فتوقف الدم ، وسأله الشيخ عن هذه المعرفة التي أشار بها فأجابه اليبرودي : أنا أرى عندما يسقى الكرم أنه إذا أنفتح شق من النهر وخرج الماء منه ، فتح فتحاً آخر ينقص به الماء الأول الواصل إلى ذلك الشق ، ثم يسده بعد ذلك ، فعرض عليه الشيخ أن يتعلم الطب ، فتاقت نفسه إلى ذلك وبدأ يتردد إلى الشيخ في طلب الطب حتى أتقن الكثير من فنون المداواة وقوانين الطب [٢] ثم عزم على الرحلة إلى بغداد والأخذ عن أطباءها (فسأل عمن هو إمام فيوقته بمعرفة صناعة الطب والمعرفة بها جيداً ، فذكر له أن ببغداد أبا الفرج ابن الطبيب [٣] كاتب الجاثوليق [٤] وأنه فيلسوف متفنن ، وله خبرة وفضل في صناعة الطب وفي غيرها من الصنائع الحكمية ، فتأهب السفر وأخذ سوار لأمه لنفقته ، وتوجه إلى بغداد وصار ينفق عليه ما يقوم بأوده ، ويشتغل على ابن الطبيب إلى أن مهر في صناعة الطب وصارت له مباحثات جيدة ودراية فاضلة في هذه الصناعة [٥] .

وكانت بينه وبين أطباء مصر مراسلات ومباحثات في مسائل طبية دقيقة من ذلك ما كان يرسله إلى علي بن رضوان المصري الطبيب وغيره

---

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء ص٦١٠ ، الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك : الوافي بالوفيات فرانز شتايز شتوتغارت ، ١٩٩٢م ، ج١١ ص٦٧ ، ذكر له ابن أبي أصيبعة .

(٣) أبو الفرج عبد ا بن الطبيب بغدادي أنصاري ، من الأطباء المشهورين بالطب وله فيه شأن ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣٢٣ .

(٤) هو رئيس الأساقفة عند الكلدانيين يكون تحت يد بطريق أنطاكية القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ج٦ ص٣٢٧ حاشية رقم (٣) .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١١ ص٦٧ .

من الأطباء[1] كما كان اليبرودي ينسخ كتـب الطـب لاسـيما كتـب جـالينوس وشروحها [2] يقول الصفدي أنه لما مات اليبرودي وجدوا في تركته ثلاثمائة مقطع رومي وخمسمائة قطعة فضية [3] مما قد يلح إلى أنـه كـان يمـارس الجراحـة لمرضاه [4]

ومنهم كذلك الطبيب أبو البركات محمد بن حيان بـن محمـد بـن نـصر البغدادي (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) كان طبيباً مشهوراً عارفاً بالهندسة وفنونها قـدم إلى دمشق في أوائل القرن الخامس الهجري وعمل بها طبيبـاً وحـدث بكتـاب الحماسة لأبي تمام [5]، ثم خرج منها إلى مصر وعلت منزلته هناك حتـى عـين وزيراً في الدولة العبيدية ومات بها مقتولاً [6] .

ومنهم أبو نعيم ابن ساوة الطبيب الواسطي (٤٩٧هـ / ١٠٩٤م) كان من حذاق الأطباء وله فيه إصابات [7] .

أما ما يتعلق بالبيمارستانات الشامية قبل الحروب الصليبية فإن المصادر قد أشارت إلى ثلاثة بيمارستانات ، الأول منها البيمارستان الذي يقع بـالقرب مـن الجامع الأموي بدمشق [8]وآخر في بيت المقدس أشار إليه الرحالة ناصر خسرو[9]

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١١ .

(٢) نفسه ص٦١١ .

(٣) الوافي بالوفيات ج١١ ص٦٨ .

(٤) محاسنة محمد حسين: تاريخ دمشق خلال العصر الفاطمي ، الأوائل للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولـى ٢٠٠١م ص٣١٤ .

(٥) الشاعر العباسي المشهور صاحب كتاب الحماسة انظر ترجمة ياقوت الحمـوي :معجـم الأدبـاء ج5 ص١١٩ .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٣٠ ، ٣١ .

(٧) ابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربـي بيـروت ، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ ج٨ ص٢٢٣ .

(٨) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني : الرحلة ، دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ ص255 ، ابـن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج١ ص٤٣١ ، سوف يأتي الحديث عنه مفصلاً في الفصل الثاني .

(٩) سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٣م ص٦٨ ، ٦٩ ، وسـوف يـأتي الحديث عنه مفصلاً في الفصل الثاني .

وبيمارستان أنطاكية الذي أنشأه الطبيب البغدادي المختار بن الحسن ابن بطلان لما استقر الحال به فيها [1] .

ومن خلال هذه النظرة السريعة عن حركة الطب قبيل فترة البحث يتـضح مدى الضعف الذي كانت عليه الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام وقلة الأطبـاء الذين ظهروا بها ، يمكن أن نرجع ذلك لعوامل منها انتقال عاصمة الخلافـة مـن دمشق إلى بغداد ورحيل أكثر العلماء والطلاب إليها ، إضافة إلى أن علم الطب لم يعطي العناية والرعاية الكافية من الدول والإمارات التي حكمت بلاد الشام خـلال تلك الحقبة رغم الحاجة الماسة لهذه المهنة الشريفة .

---

(١) بك أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، دار الرائـد العربـي بيـروت ، الطبعـة الثانيـة ١٤٠١هـ ص٢٢٩ ، وابن بطلان هو : أبو الحسن الطبيب البغدادي من نصارى بغداد ، تعلم الطب علـى علماء زمانه في الكرخ وتقدم في علم الطب ، وكان يعالج المرضى ويترزق به ، قـام برحلـة إلـى بـلاد الجزيرة والشام فأقام بحلب فلم تعجبه فخرج منهاإلى مصر ولقي بها الطبيب علي بن رضـوان المـصري واجتمع به وقع بينهما مناظرات كانت سبباً فيما وقع بينهما من خصومة طالت مدتها وأحدثت بينهما نفرة ، وصنف كل منهما في الرد على الآخر فيما يسقط رأيه واستقر في أنطاكية حتى توفي سـنة (٤٥٥هـ ـ / ١٠٦٣م) له من الكتب في الطب (تقويم الصحة) ومقالة في (شرح الدواء المسهل) وكتابه المـشهور (دعوة الأطباء) القفطي : إخبار العلماء ص١٩٢ ، ٢٠١ ، ابن أبي أصيبعه : عيون الأنبـاء ص٣٢٥ ، ٣٩١ .

قائمة المحتوى

الفهـــــــارس

ملخص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن دراسة الحركة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ذات قيمة كبيرة في دراسة الحركة العلمية في الدولة الإسلامية ، وذلك لأن هذين القرنين يمثلان العصر الذهبي للحركة العلمية في بلاد الشام بل من أهم العصور في تاريخ الحركة العلمية في الدولة الإسلامية لاسيما وأنها قد شهدت نهضة علمية عامة شملت جميع فروع العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية والعلوم العقلية والتطبيقية ،ولا شك أن الطب والعلوم الطبية قد حظيت بدراسات مهمة ، وذلك لما وصلت إليه الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام من تقدم ورقي ، وهي تمثل واحدة من أزهى المراحل التي وصلت إليها العلوم الطبية عند المسلمين ، تتمثل في النضج الفكري والعلمي للطب الإسلامي ،تميزت الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام بظهور المدارس الطبية المختصة في تعليم الطب،وانتهاج الأطباء في هذا العصر طرقاً ووسائل متنوعة في تعليم الطب شملت الجانب النظري والعلمي.

وكانت المدة الزمنية التي عالجتها هذه الدراسة تبدأ من دخول الحملات الصليبية إلى بلاد الشام سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) إلى سقوط آخر معقلهم بها سنة (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) ، أما الإطار المكاني للبحث فهو محصور على بلاد الشام وحدودها الجغرافية المعتمدة عند العلماء زمن الحروب الصليبية

وقد تناولت الرسالة في فصولها ما يلي : المقدمة و التمهيد وخمسة فصول، ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع والإطار الزماني والمكاني له ، أما التمهيد فقد تناولت فيه نبذة موجزة عن الحياة الطبية في بلاد الشام قبل فترة البحث وذلك لتتضح معالم التطور الكبير الذي ظهر على العلوم الطبية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ،وتناولت في الفصل الأول دراسة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وما أصاب بلاد الشام خلال فترة البحث من الكوارث والأمراض والأوبئة وأثر ذلك كله على الحركة العلمية والطبية ،وذكرت في الفصل الثاني : أماكن تعليم الطب كالمساجد والمدارس المتخصصة والبيمارستانات والمكتبات وحوانيت الأطباء ومنازلهم ، وخصصت الفصل الثالث لدراسة مناهج التعليم الطبي وطرقه ووسائله وما أظهره أطباء الشام من تفوق في هذا المجال مع ذكر الأدوات الطبية المستخدمة والأدوية والعلاجات وأماكن إعدادها ،وجعلت الفصل الرابع : لدراسة العلاقات العلمية الطبية بين بلاد الشام والأقاليم الإسلامية الأخرى كمصر والعراق وبلاد الحجاز واليمن والمغرب والأندلس والعلاقات العلمية مع الصليبيين وأثر هذه العلاقة على ازدهار الحركة العلمية الطبية في الدولة الإسلامية وما أدته الرحلة العلمية ومساهمات الأطباء في تطوير الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام ، أما الفصل الخامس فقد تناولت فيه بالدراسة للإنتاج العلمي لأطباء الشام وقدمت فيه دراسة تحليلية لطرق التأليف ومناهج الأطباء في تصنيف كتبهم وما قدموه من دراسات علمية ونقدية بالإضافة إلى تقديم دراسة لمشاهير أطباء الشام خلال فترة البحث ثم ختمت البحث باستعراض لأهم ما توصلت إليه من نتائج ثم عززته بعدد من الملاحق والصور فقائمة المصادر والمراجع ، وقد خرجت الدراسة بجملة من النتائج منها :

ظهور دور السلاطين في تنشيط الحركة العلمية وأثر الوقف في دعمها ، كما برز بصورة واضحة المنهج النقدي والتجريبي عند أطباء الشام ، وأثر المشيخة والارتحال في تعليم الطب إضافة إلى ظهور عدد كبير من مشاهير الأطباء في الدولة الإسلامية مما كشف عن تقدم الطب والعلوم الطبية خلال فترة البحث .

وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

Abstract

Praise be to Allah, The Lord of the Universe, peace and prayer be upon the one who is sent as a mercy to the Universe, our prophet Mohammad, his kin, his companions and who follow their steps in the righteousness up to the Doomsday.

The studying of the scientific movement in the Syrian lands during the Hejraian 16th and 17th centuries is a valuable part of the complete study of the Islamic state's study of scientific movement. These two centuries was the golden age of the scientific movement representing the general renaissance in all fields of knowledge in the Islamic countries such as the religious, linguistic, literary, historical, intellectual, and applied sciences. Studying Medicine and medical sciences in that time achieved more attention from the researchers, because of its importance representing the progress in Syria in that time. This time is one of the most progressive stages of the Islamic state in the field of medical sciences. It represented the intellectual and scientifically maturity of the Muslim medicine. The plenty of special medical schools, the methodology, and various means of the medicine in that land distinguished that time with its theoretical side progress.

The study discusses the time of the crusaders upon the Syrian land began in (492H/ 1099D) until the conquest upon their last castle in (690 H/ 1291D). This study is limited in the Syrian land in the time of the crusaders according to the scholars' views in that time. The research's chapters discuss the following subjects: an introduction, a preface and five chapters. The introduction identifies the research time and place limits. The preface shows short notes of the medical life in the Syria before that time to identify the progression values in the Hejerian 16th and 17th centuries. The first chapter is about the political, economical, religious, and social states in that area during that time which is characterized by the crises and pandemics. The second chapter is about the places of teaching medicine such as mosques, special schools, hospitals, libraries, doctors' shops, and houses. The third chapter is dedicated to the medical teaching methodologies, ways, means, and the Syrian doctors' superiority. In addition, this chapter shows the used medical tools, medicines, treatments and preparing the medical places for treatment. The fourth chapter is about the relationship between the medical science in Syria and the other Islamic countries such as Egypt, Iraq, Hijdaz, Yemen, Morocco, and Andalusia. This chapter also discusses the relationship with the crusaders and the effects of that relationship on the Islamic medical progress. In addition, this chapter mentioned the importance of the medical trips around the Islamic state in that time. The fifth chapter discusses the medical production of the Syrian doctors on that time, analyzing their productions, their methods of writing, classifying their books, criticizing the medical studies and their importance of the famous doctors of their time.

The conclusion of that study produces the most important findings of the study. Additionally, there is an appendix of pictures and references.

The most important findings of the research are the rule of the sultans in the scientific movement of that time, and their supports to those sciences. In addition, the critical and experimental methods of that time, the effects of the medical trips and teachers in that field. At last, inn that time there were some famous doctors of the Islamic state referring to the advanced medical sciences of that time.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في بلاد الشام إبان الحروب الصليبية وأثرها على الحركة العلمية عامة

المبحث الأول : **الأوضاع السياسية .**

المبحث الثاني : **الأوضاع الاقتصادية .**

المبحث الثالث : **الأوضاع الاجتماعية .**

المبحث الرابع : **الأوضاع الدينية .**

المبحث الخامس : **الأوضاع الصحية والأوبئة والأمراض الكوارث الطبيعية .**

المبحث الأول : الأوضاع السياسية

سعى السلاجقة إلى بسط نفوذهم على بلاد الشام ؛ فكان دخول الملك اتسز الخوارزمي سنة (٤٦٨هـ / ١٠٧٥م) إلى الشام ، والسيطرة على بعض المدن الشامية وإخضاعه دمشق إيذاناً بنهاية نفوذ الحكم العبيدي عليها [١] ، وقد تلا ذلك تعيين السلطان ملكشاه السلجوقي أخاه تاج الدولة تتش ابن ألب أرسلان حاكماً على بلاد الشام سنة (٤٧٠هـ / ١٠٧٨م) [٢] ، واستطاع تتش السيطرة على دمشق وبعض المناطق المجاورة لها ، وأحسن السيرة في أهلها [٣] ، ثم قام تتش بمحاولات لأخذ مدينة حلب ولكن دون جدوى [٤] في نهاية الأمر تمكن السلطان ملكشاه من الزحف إلى حلب واستلامها وتعيين قسيم الدولة اقسنقر والياً عليها [٥]؛ فقام اقسنقر بتأمين البلاد والإحسان إلى ساكنيها[٦] ؛ وبوفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) [٧] دب الصراع بين تتش وأخيه بركيا دوق [٨] والأمراء

---

(١) ابن القلانسي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي : تاريخ دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ ، دار حسان ، دمشق تحقيق سهيل زكار ص١٧٥ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٢٣ ، ابن كثير : إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي : البداية والنهاية الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت تحقيق د. أحمد أبو ملحم ورفاقه ج١٢ ص١٢٠ .

(٢) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٢٦ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٣ ص١٠٠ .

(٣) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص١٨٢ ، ١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٢٦ ، ابن الوردي : عمر بن المظفر : تتمة المختصر الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ج١ ص٣٦٧ .

(٤) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص١٨٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٢٧ .

(٥) ابن العديم كمال الدين أب والقاسم عمر بن أحمد : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ص٢٢٠ ، ٢٢١ ، ابن أثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٤٠ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص١٠ ، ١١ .

(٦) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص١٩٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٧) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان حوادث سنة (٤٨١ / ٥١٧) ج١ ص١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص١٧ .

(٨) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢١٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٧١ ، سبط ابن الجوزي أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي : مرآة الزمان حوادث سنة (٤٨١ / ٥١٧) الطبعة الأولى حيدر أباد الدكن ، ج١ ص٢٤٠ ، ٢٤١ .

المواليين له بالشام [1] ، واستطاع تتش القضاء على اقسنقر وبوزان وقتلهما [2] ، ثم اتجه بعدها لقتال ابن أخيه ، وبعد صراع استمر عامين انتهى الأمـر بهزيمـة عمه تتش ، وقتله سنة (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) [3] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نشأ صراع جديد بين الملك رضوان وأخيه دقاق أبناء تاج الدولة تتش الذين تقاسما بلاد الشام بعد مقتل والدهم [4] ، وجـرتهم الأطماع إلى حروب كانت سبباً فيما أصاب بلاد الشام من الضعف والتمـزق [5] إبان دخول أول الحملات الصليبية إلى بلاد الشام ، وتمكنوا في فترة وجيزة مـن الاستيلاء على أجزاء واسعة منها ؛ فاستولوا في سنة (٤٩١هـ / ١٠٩٧م) على أنطاكيا [6] ومعرة النعمان [7] ، وزحفوا سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) على مدينـة القدس ، واستباحوها ، وقتلوا من أهلها أعداداً كبيرة [8] ، وفي سنة (٥٠٣هـ ـ / ١١٠٩م) سيطروا على طرابلس [9] وسقط في أيديهم عدد من المـدن المهمـة : كقيسارية [10] سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م) وعكـا [11] سـنة (٤٩٧هـ ـ/١١١٣م) وصيدا سنة (٥٠٤هـ / ١١١٠م) [12] وغيرها .

---

(١) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان حوادث سنة (٨٤١ / ٥١٧) ج١ ص٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ص٢٢٦ ، ٢٢٧ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٢٠ ، ٢١ .

(٣) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ابن الأثير : الكامل في التـاريخ ج٨ ص١٧١ .

(٤) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢٢٠ ، ٢٣٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٨٤ .

(٥) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص١٩٨ ، ٢٢٦ ، ابن الأثير : الكامـل فـي التـاريخ ج٨ ص١٦٦، ١٨٢ ، المزيني إبراهيم بن محمد : إمارة حلب بين تصارع القوى الإسـلامية ، ومواجهـة الـصليبيين ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ص١٣٦ ، ١٣٧ .

(٦) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢٢٠ .

(٧) نفسه ص٢٢١ .

(٨) ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص٢٢٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٨٩ ، ١٩٠ .

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص٢٥٨ .

(١٠) نفسه ج٨ ص٢٠٤ .

(١١)ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٢٣٢ .

(١٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص٢٦٠ .

وغدت معظم مدن الشام الاستراتيجية تحت الاحتلال الصليبي [(١)] .

وفي هذه الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها بلاد الشام ظهر علـى مصرح الأحداث عماد الدين زنكي ليحمل عبء توحيد البلاد الشامية ومـسؤولية الجهاد ضد الصليبيين [(٢)] ؛ فبدأ عماد الدين زنكي بالعمل على تقوية نفوذه في بلاد الجزيرة [(٣)] سنة (٥٢١هـ / ١١٢٧م) من خلال السيطرة على جزيرة ابن عمر، ونصيبين ، وسنجار ، والخابور وغيرها [(٤)] ، ثم واصل توسعه إلى بلاد الشام فقام بمحاولات للاستيلاء على دمشق لأهميتها العسكرية في الصراع مع الـصليبيين ؛ ففي سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) سار عماد الدين زنكي إلى دمشق ليأخذها من شمس الملوك إسماعيل بن بوري ؛ لسوء سيرته مع الرعية[(5)]، وحاصرها ، ولم يـتمكن من دخولها ، وانتهى الأمر بالصلح [(٦)] ، ثم قام عماد الدين بمحاولة أخرى سـنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) ولم يتمكن من أخذها ، ودخلت الفرنج دمشق وعـاد عمـاد الدين إلى الموصل [(٧)].

واستطاع عماد الدين السيطرة على حلب سنة (٥٢٢هـ/١١٢٨م) التي كان الصليبيون يطمعون في الاستيلاء عليها ،[(٨)]ويعد سقوطها- في يد عمـاد الـدين-

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص٢٠٤ .

(٢) الغامدي : مسفر سالم : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مـصر دار المطبوعات الحديثة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص١٧٧ .

(٣) ابن الأثير : محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل تحقيق عبد القادر طليمات دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٣م ص٣٧ ، ٤٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ص٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٥) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٣٨٧ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٣٤٦ .

(٦) ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب ، تحقيق : جمال الدين الـشيال وغيـره ج١ ص٥٧، ٥٨ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٣٦٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص٨٧، ٨٨، ٨٩ .

(٨) ابن الأثير : ، التاريخ الباهر في الدولـة الأتابكيـة ، ص٣٨ ، ابـن واصـل : مفـرج الكـروب ج١ ص٣٧،٣٨ ، أبو الفداء : اسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب ، المختصر في أخبـار البـشر ، الطبعـة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : محمود ديوب ج٢ ص٦٢ .

خطوة مهمة في سبيل توحيد القوى في بلاد الشام [١] ، إلا أن أعظم عمل قام بـه في سبييل ذلك هو استيلاؤه على إمارة الرها [٢] الـصليبية [٣] ، ذات الحـصون المنيعة والموقع المهم [٤] .

وتولى نور الدين محمود الحكم بعد استشهاد والده ، وتقاسم هـو وأخـوه ممالك الدولة ، فأخذ هو حلب وأعمالها ، وتولى أخوه سيف الدين غـازي بـلاد الموصل [5] ، وتمكن نور الدين محمود من الحفاظ على أملاك والده وما حققه من فتوحات على حساب الفرنج ، وفي مقدمتها إمارة الرها ؛ التي حاول من بها من المسيحيين بعد وفاة عماد الدين الخروج عليه ، فسيطر عليها وأخرج من بها مـن النصارى جزاء خيانتهم [٦] .

وقد سعى نور الدين محمود لتحقيق هدف والده في أخـذ دمـشق لأهميـة موقعها في صراعه مع الفرنج[٧] وقد عقد العزم على استرداد بيـت المقـدس[٨]، ومن أهم الأسباب التي دفعته إلى أخذ دمشق ، أن الفرنج قد دخلوها ، وفرضـوا على أهلها الجباية [٩] ، كما أن سياسة الظلم والمصادرة التي كان ينتهجها صاحب

---

(١) الغامدي : مسفر بن سالم بن عريج ، الجهاد ضد الصليبيين ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار المطبوعات الحديثة ص١٨٩

(٢) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الذي استحدثها وهي الرهاء بن البلندي بن مالك بن دعر ، الحموي : ياقوت بن عبد ا ، معجم البلدان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ج٣ ص١٠٦ ، ابو الفـداء : إسماعيل بن محمد بن عمر ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ص٣٧٤

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٨ ، ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٤٣٦،٤٣٧

(٤) عاشور سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية مكتبة الأنجلو المـصرية ، الطبعـة الثالـث ١٩٧٦م ج٢ ص٥٩٠،٥٩١ ، مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين ص١٨٩، شبارو : عصام محمد ، السلاطين فـي المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص١٢١

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١٣

(٦) نفسه ج٩ ص١٤

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١٢٥،١٢٦،١٢٧.

(٨) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨ ص٢٢٠،٢٢١ ، أبو شامة : عبـد الـرحمن بـن إسـماعيل المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمي ، ج١ ص٢٣٧ .

(٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٢٢٠،٢٢١

دمشق مجير الدين أنر دفعت الدمشقيين لمكاتبة نور الدين والاستغاثة به [1]، وبادر نور الدين إلى بذل الهدايا والأعطيات ومراسلة صاحب دمشق حتى استماله إليه ؛ بل كان يقول له أحيانا : « أن فلانا من الأمراء قد كاتبني في تسليم البلد إلـي » ، فيبعد مجير الدين ذلك الأمير ، وكتب إلى الأحداث[2] بدمشق ، ووعدهم بالعطايـا والهبات ، ثم سار لحصار دمشق ، فلما علم مجير الدين راسـل الفـرنج يطلـب النجدة منهم ، لكن نور الدين تمكن من دخول دمشق قبل وصول الفرنج لنجدته [3]

وفور دخول نور الدين محمود إلى دمشق نقل عاصمته إليها ، ونشر فيهـا العدل ، وأزال المكوس ، وشرع فـي بنـاء المـساجد ، والمـدارس ، والـربط والبيمارستانات ، وقرب العلماء وأكرمهم [4] .

واتجهت أنظاره إلى مصر ، وكانت هدفاً يتطلع إليه ليضمها إلـى الجبهـة الإسلامية لتطويق الفرنج [5]، فكانت أولى المحاولات سـنة (٥٥٩هـ ـ/١١٦٣م) والتي خرج فيها أسد الدين شيركوه ، وذلك تلبية لطلب شاور[6] الوزير العبيـدي الذي استنجد به ضد ضرغام ، واستطاع أسد الدين فـي هـذه الحملـة أن يقتـل

---

(١) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٢٢١،٢٢٠

(٢) انظر مئة الأحداث في مبحث الأوضاع الاجتماعية .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١٢٧،١٢٦،١٢٥ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٤٦،٤٥ ، المكس : ما يأخذه العشار ، وقيل كل ما أخذ بكره ، أو قسم على قوم من الجباية وغيرها إتاوة ، ابن منظور لـسان العرب ، مادة مكس ص ٢٢١ .

(٤) أبو شامة : الروضتين ج١ ص١٦،١٥،١١ تحقيق: محمد حلمي ، ابن واصل : مفرج الكـروب ج١ ص٢٧٣،٢٧١،٢٧٠

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٣٥،٣٤ ، ابن شداد يوسف بن رافع : المحاسن اليوسفية تحقيـق جمـال الدين الشيال ، مكتبة الخان جي الطبعة الثامنة ص٢٩،٢٨

(٦) أبو شجاع شاور بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس ، كان من أشهر الوزراء في الدولة العبيديـة ولي إمارة الصعيد فسيطر عليه فكانت سببا مباشرا في سقوط الدولة العبيدية توفى مقتولا سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص٤٤١،٤٤٠،٤٣٩ .

ضرغام ، ويعيد شاور إلى منصبه ، ثـم يعـود إلـى الـشام [١]، وفـي سـنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م) خرج أسد الدين شيركوه إلى مصر في محاولة ثانية بأمر من السلطان نور الدين ليمتلكها ، وكان في صحبته ابن أخيه صلاح الدين يوسف بـن أيوب ، وفي هذه المرة طلب شاور النجدة من الفرنج ، وكان الفرنج يدركون أنـه متى ذهبت مصر لنور الدين مع مملكه الشام سوف تكون له السيطرة بعدها علـى بيت المقدس فهبوا لنجدة شاور ، ووقع القتال بـين الطـرفين ، وهـزم الفـرنج واستولى أسد الدين على الإسكندرية ، ثم استقر الأمر بالصلح بين الطرفين [٢] .

وفي سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) خرجت الحملة الثالثة على مصر بقيادة أسـد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيـوب ، واسـتطاع دخول مصر والاستيلاء عليها ، وقتل الوزير شاور ، ومن ثـم يتـولى الـوزارة للعاضد [٣].

ولم يلبث أسد الدين شيركوه أن توفي، فخلفه على وزارة مصر ابن أخيـه صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، فاستقرت له الأمور ، وأحسن في ولايته ، وفـي هذا قال ابن شداد : « واستقرت القواعد ، واستتبت الأحوال على أحسن نظـام ، وبذل المال وملك الرجال ... وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقمص بلبـاس الجـد والاجتهاد » [٤] ، وبناء على ذلك سارع نور الدين إلى إعلان الخطبة للخليفـة العباسي في سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) وكتب إلى صـلاح الـدين خطابـاً يـأمره فيه بإقامة الخطبة للخليفة وإلغائها عن العاضد بعد أن تأكد لـه ضـعف الدولـة العبيدية ، فأعلن صلاح الدين الخطبة في جميع الديار المصرية للخليفة المستضيء

---

(١) أبو الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي ، هو الذي خرج على شاور وأخرجه من القاهرة وولي الـوزارة مكانه ، ثم أخرجته عساكر نور الدين من القاهرة وتوفى مقتولا علـى يـد أسـد الـدين شـيركوه سـنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) ، ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد : وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ج٢ ص٤٤٢،٤٤٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١٠٣،١٠٢،١٠١،١٠٠،٩٩،٩٨،٩٥،٩٤ ، أبو شـامة : الروضـتين ج١ ص٣٦٥،٣٦٤،٣٦٣ تحقيق محمد حلمي ، ا بن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١٥٣،١٤٨ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج١ ص٣٩١،٣٩٠،٣٨٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١٧٤،١٥٥

(٤) المحاسن اليوسفية ص٨١

بأمر ا [1] ، واستقل صلاح الدين بحكم مصر نيابة عن السلطان نـور الـدين ، وتمكن من القضاء على المؤامرات الداخلية التي دبرها جماعة من رجال القـصر العبيدي بعد أن كُشِفَ له أمرهم ، فأمر بصلبهم[2] ، كما قضى على ثورة السودان وتخلص منها [3].

وبعد وفاة السلطان نور الدين محمود سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) بايع النـاس ابنه الملك الصالح إسماعيل ، وهو شاب صغير لم يبلغ الحلم ، وأطاعـه النـاس بالشام ومصر وخُطِب له على المنابر ، وضربت السكة باسمه [4].

وكان على صلاح الدين أن يتحمل المسئولية التـي تركهـا علـى عاتقـه السلطان نور الدين في حمل راية الجهاد ضد الصليبيين ؛ فما كان منه إلا الـسير وفق الخط الذي رسمه نور الدين من قبله في توحيد مصر والشام كوحدة سياسـية واحدة .

أدرك صلاح الدين الأيوبي تنافس الأمراء في السيطرة على الملِك الصالح إسماعيل ، وما حدث بينهم من خلافات [5]، وأثره في انتهاز الصليبيين و مهاجمة بعض المدن مثل : بانياس [6] وغيرها من الحصون الشامية [7]، إضافة إلى طمع سيف الدين غازي في ملك الشام [8] كل ذلك كان يهدد الوحدة الإسلامية التي سعى لها نور الدين محمود ، فبدأ صلاح الدين بالتوجه إلى بلاد الشام وضمها ، واستغل

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١١٢ ، ابن شداد : المحاسن اليوسـفية ص٨٦ ، ابـن واصـل : مفـرج الكروب ج١ ص٢٠١،٢٠٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٧ ص١٥٦،١٥٨

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص٢٤٣،٢٤٧

(٣) نفسه ج١ ص١٧٤،١٧٦

(٤) نفسه ج٢ ص(١،٢،٣)

(٥) البيطار أمينة : تاريخ العصر الأيوبي دار الطباعة الحديثة دمشق ١٤٠١هـ ص١١٤

(٦) بلدة قرب دمشق ، تحت الجبل الذي في غربها ، يرى عليه الثلج ، وبه الليمون والأترج ، البغـدادي : مراصد الإطلاع ج١ ص١٥٨

(٧) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص(١٢٦،١٢٧،١٢٨)

(٨) ابن الأثير : الكامل ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١٣٦، ابن واصل : مفرج الكـروب ج٢ ص(٣٣،٣٤)، ابن تغري بردى أبو المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة دار الكتب العلمية الطبعة الأولـى ١٤١٣هـ ـ ج٦ ص(٢٢،٢٣،٢٤،٢٥،٢٦) .

صلاح الدين يوسف الهدنة التي كتبها الأمراء في دمشق مع الفرنج ، وأنكر عليهم، وجعلها حجة له في التوجه إلى بلاد الشام ، وأخذ دمشق[1].

وكان صلاح الدين قد أرسل كتاباً إلى الأمير شمس الدين بن المقدم الذي كان يتولى تربية الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين وفيه « إنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم ، وألف كلمتهم ، وللبيت الأتابكي - أعلاه ا - إلا ما يحفظ أصله وفرعه ، أو دفع ضره ، وجاب نفعه ...» [2] ، ثم سار إلى دمشق ودخلها ، وتسلم قلعتها ونودي في دمشق بإبطال المكوس ، وأحسن إلى الناس وطيب قلوبهم [3] ، ويصف ابن أبي طي ذلك فيقول : « ونشر علم العدل والإحسان وأغضى آثار الظلم والعدوان ، وأبطل ما كان الولاة استجدوه بعد موت نور الدين من القبائح والمنكرات والمؤن والضرائب والمحرمات » [4].

وبعد أن استقرت الأمور له بدمشق كتب إلى الخليفة العباسي المستضيئ بأمر ا رسالة يبين فيها ما من ا به من فتح مصر ، وأخذ بلاد اليمن والحجاز، واستيلائه على جزء من بلاد المغرب والخطبة له بها ، وأن سبب قدومه إلى الشام « إنما هو لإصلاح الأمور ، وحفظ الثغور ، وخدمة ابن السلطان نور الدين وكفالته وتخليصه من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويبالغون في ظلمه ، ثم طلب من الخليفة المستضيئ بنور ا تقليدا جامعا بمصر والمغرب واليمن ، والشام وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية وكلما يفتحه ا للدولة العباسية بسيوفه وسيوف عساكره » [5].

ثم بادر السلطان صلاح الدين إلى ضم بقية المدن الشامية وباقي الحصون والقلاع بهدف استكمال توحيد الجبهة الإسلامية والسعي إلى استرداد

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٨

(٢) نفسه ج٢ ص٢٠

(٣) نفسه ج٢ ص٢٠

(٤) أبو شامة : الروضتين ج١ ص٦٠٥ تحقيق محمد حلمي

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٢٥،٢٦،٢٧،٢٨،٢٩.

بيت المقدس[1] يقول ابن شداد : « ولقد سمعت منه يقول : لما يسر ا لي الـ ديار المصرية علمت انه أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي » [2] .

وبعد صراع دام عدة سنوات مع أمراء حلب والموصل انتهى الأمر بـضم حلب سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) [3] ، وعقْد الصلح مع أمراء الموصل من الزنكيين سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) على أن يكونوا تابعين للسلطان صلاح الدين ، ويخطب له على منابرها وتسك العملة باسمه [4] ، وأن يكونوا عوناً له في الجهـاد ضـد الصليبيين واسترداد بيت المقدس والمدن الإسلامية الأخرى [5] ، وبعد ذلك قـصد صلاح الدين قتال الفرنج ووقعت بين الجانبين معارك فاصلة كوقعة حطين سـنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) [6] ، وتعد هذه المعركة نقطـة تحـول فـي الـصراع مـع الصليبيين، فتحت الباب للجيش الإسلامي ليسيطر على بيت المقـدس [7] ويفـتح المدن الساحلية مثل جبلة [8] واللاذقية [9] وبيروت [10] وصـيدا [11]، وعكـا [12]

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص٧١٦ ، فايد حماد : الجهاد الإسلامي ص٥٧

(٢) المحاسن اليوسفية ص٨١

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١٦٢،١٦٣ ، أبو شامة : الروضتين ج٢ ص٤٢،٤٣، ابن أيبك : الدر المطلوب في أخبار بني أيوب' تحقيق عبد الفتاح عاشور ص٧٥،٧٦

(٤) أبو شامة : الروضتين ج٢ ص١٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص(١٧٢،١٧٣) ، ابن شـداد : المحاسن اليوسفية ص١١٩

(٥) عبد ا الغامدي : صلاح الدين والصليبيون ص٨٩ ، شبارو عصام محمد : السلاطين فـي المـشرق العربي دار النهضة العربية بيروت ، ص١٤٨

(٦) ابن شداد : المحاسن اليوسفية ص(١٢٦،١٢٧،١٢٨،١٢٩)

(٧) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك دار النهضة العربية بيروت ، ص٥٨

(٨) قلعة مشهورة البحر المتوسط من أعمال حلب قرب اللاذقية، يـاقوت الحمـوي :معجـم البلـدان ج٢ ص١٠٥ .

(٩) مدينة على ساحل البحر المتوسط تعد في أعمال حمص ، وهي غربي جبلة بينهما ست فراسخ ، ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٥ .

(١٠) مدينة مشهورة على ساحل البحر المتوسط ، تعد من أعمال دمشق بينها وبين صيدا ثلاثة فراسـخ ، نفسه ج١ ص٥٢٥

(١١) مدينة على ساحل البحر المتوسط من أعمال دمشق بينهما ستة فراسخ ، نفسه ج٣ ص٤٣٧ .

(١٢) اسم موضع على ساحل البحر المتوسط، نفسه ج٤ ص١٤١.

وعسقلان [1] ، وغيرها من المدن التي تقع على السواحل الشامية [2] ، وكان من أعظم الأعمال التي سجلها التاريخ للسلطان صلاح الدين استرداده لبيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) [3] بعد أن ظل في يد الصليبيين إحدى وتسعين سنة [4].

وبعد بوفاة السلطان صلاح الدين استقر الأمر من بعده لأولاده ؛ فكان نصيب الملك الأفضل على دمشق وأعمالها [5] ، كبيت المقدس ، وبعلبك[6]، وصرخد[7] ، وبصرى[8]، وبانياس ، « وهو المعهود له بالسلطة وعنده بدمشق جماعة كثيرة من أمراء الدولة » [9] ، وفي الديار المصرية الملك العزيز عثمان ، وبحلب الملك الظاهر غياث الدين غازي ، وباليمن الملك العزيز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب [10] وكان نصيب الملك العادل أبو بكر بن أيوب الكرك والشوبك ، وجزء كبير من إقليم الجزيرة ، كالرها وحران والرقة وسميساط ، وقلعة جعبر وميافارقين وديار بكر [11]، وأخذ الملك الأمجد بهرام شاه

---

(١) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين يقال لها عروس الشام ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص١٢٢ .

(٢) ابن شداد : المحاسن اليوسفية ص(١٣٢،١٣٣،١٤،١٤،١٤،١٤،١٤٥) ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص(١٨٨،١٨٩) ، البنداري : سنا البرق الشامي ص٢٩٣ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص١٨٨،١٨٩ ، البنداري قوام الدين علي بن محمد : سنا البرق الشامي تحقيق رمضان ششن ، دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧١م ص٢٩٣ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٢٤١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٢٦ ، الاصفهاني العماد محمد بن محمد بن حامد : الفتح القسي في الفتح المقدسي ، تحقيق محمد صبح القاهرة ١٩٦٥م ص٦٣٢ .

(٦) مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص٤٥٣ .

(٧) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة مشهورة وولاية حسنة واسعة ، نفسه ج٣ ص٤٠١ .

(٨) هي مدينة مشهورة باالشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ح١ ص٤٤١ .

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٤ ،٥) .

(١٠) نفسه: ج٣ ص (٥٣ ،٥٤) .

(١١) أبو شامة : الروضتين ج٣ ص٤١١ ، ٤١٢ .

بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب مدينة بعلبك [1] ، وشيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي أخذ حمص والرحبة وتدمر [2].

أما الملك الأفضل علي صاحب دمشق فقد حكمها سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) إلى سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م) و بدأ سياسة إبعاد الأمراء الكبار أمثال : فخر الدين جهاركس ، الأمير عز الدين أسامة ، وفارس الدين ميمون القصيري ، والقاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني وغيرهم ، بمشورة من وزيره ضياء الدين نصر ا بن محمد بن الأثير الكاتب [3] ، فخرج هؤلاء إلى مصر فأكرمهم أخوه العزيز عثمان، وأحسن إليهم وجعلهم في رجال دولته [4] ولم تكن تلك المشورة إلا بداية لذهاب ملكه [5] .

وقد نشب الخلاف بين الأخوين الأفضل علي ، والعزيز عثمان ، وكان الأمراء الذين أخرجهم الأفضل قد نقلوا إلى الملك العزيز ما آلت إليه ولاية أخيه في بلاد الشام ، وتحكم الوزير ضياء الدين فيه' وحرضوه على انتزاع دمشق وأعمالها فعزم على ذلك [6] . وسار بجيشه لأخذ دمشق سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م) وحاصرها [7] ، وأسرع الأفضل بطلب النجدة من عمه العادل أبي بكر بن أيوب ، فخرج إليه بالجيوش ، وأخذ معه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماه ، وتوجه هؤلاء إلى دمشق ، واتفق الجميع على حفظها ، واستقر الأمر بالصلح بين الجانبين على أن يضم للملك العزيز

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص٤ .

(٢) نفسه ص٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص١١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ج١ ص١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٢٧،٢٨) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص١٠ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ج(٥٨١/٥٩٠) ص(٩٨،٩٩) ، ابن أيبك : الدر المطلوب ج٧ ص١٢٤

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(١٤،١٥)

(٧) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٣١

عثمان بيت المقدس وأعمالها ، وللأفضل على دمشق وأعمالها ، ثم عاد كل ملك إلى بلاده [(١)] .

وبقي الصراع مستمراً بين الأخوين حتى تمكن الملك العزيز عثمان من السيطرة على دمشق [(٢)] ، ودخلها بصحبة عمه العادل أبي بكر بن أيوب ؛ فلما دخل دمشق أحسن إلى الناس ، وطيب قلوبهم ، وأظهر العدل ، وأبطل المكوس ، من ثم استخلف عمه العادل عليها وعاد إلى القاهرة [(٣)]، أما الملك الأفضل علي فإنه خرج ملتجئاً إلى قلعة صرخد [(٤)] .

وكان الملك العزيز عثمان قد أقام مملكة قوية بمصر وأجزاء كبيرة من بلاد الشام، ولكن سرعان ما وافته المنية سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) وخلفه ابنه الملك المنصور محمد ، الذي كان طفلاً لا يتجاوز عمره تسع سنين ، فاجتمع الأمراء الصلاحية والأسدية ، ورأوا أنه لصغر سنه لا يمكن أن يقوم بمسئولية الدولة [(٥)] فكاتبوا الملك الأفضل علي، فقدم عليهم من صرخد وأخذ الملك وأصلح الأمور[(٦)]. وفي هذه السنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) حاول الأفضل المسير إلى دمشق لأخذها من عمه العادل، ولكنه لم يتمكن من ذلك [(٧)] ؛ مما دفع عمه العادل إلى المسير إلى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٣١، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٣٥،٣٦،٣١)

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٦٢،٦٣،٦٤) ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٣٦ ، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج٦ ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص٧٦ ، أبو شامة : عبد الرحمن بن إسماعيل ، ذيل الروضتين ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤م ، تحقيق : عزت العطار الحسيني ج٨ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٤٤٣

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٦٢ ،٦٣ ،٦٤) ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص١٨٠

(٥) ابن أبي الدم : إبراهيم بن عبد ا الحموي ، التاريخ المظفري ، صورة من مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، تحت رقم ١١٣١ (ورقة ٥٣٥)، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٨٨ ،٨٩) ، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص٧

(٦) ابن أبي الدم : التاريخ المظفري ، ورقة (٥٣٥ ،٥٣٦) ، ابن الأثير : الكامل ص٩ ص٢٤٣

(٧) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص(٢٤٤ ،٢٤٥) ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٩٥ ،٩٧) ، المقريزي : السلوك : ج١ ص(١٤٨ ،١٤٩) .

مصر ودخولها والسيطرة على مقاليد الأمور فيها بعد الهزيمة التـي منـي بهـا الأفضل فخرج من القاهرة متوجهاً إلى سميساط [1] .

وقد سعى الملك العادل أبي بكر بن أيوب إلى بسط نفوذه على مصر والشام وذلك في محاولة لإعادة توحيد الجبهة الإسلامية التي فقدت وحـدتها بعـد وفـاة السلطان صلاح الدين ونشوب الخلافات بين أبناءه على الحكم [2] .

وقام الملك الأفضل علي بمحاولة كان يهدف منها الوقوف في وجه عمـه العادل، وانتزاع مصر منه ، فاتفق مع أخيه الملك الظاهر صاحب حلـب علـى نزول دمشق وأخذها ، فلما علم العادل بما عزم عليه الأخوان سار بجيشه إلـى الشام لمنعهم من دخول دمشق ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين الأخوين حول من يأخذ دمشق إذا تمت السيطرة عليها [3] .

وفي الوقت الذي بقي فيه الصراع قائماً بين أبنـاء البيـت الأيـوبي [4] . استغل الصليبيون ذلك ، وتجمعوا فـي عكـا سـنة (٦١٤هـ ـ/١٢١٧م) فيمـا تسمى بالحملة الصليبية الخامسة ، وذلك في محاولة لاستعادة القـدس [5] ، فقـام الملك العادل بتجهيز الجيوش لصد هذا الزحف الصليبي ، وتوجه بنفسه لمراقبـة الأحداث عن قرب [6] ولما غيرت هذه الحملة خط سـيرها لتتجـه إلـى مـصر وتستولي على ثغر دمياط [7] الحصين بعد حصار طويل أبلى فيه أهل المدينة بلاء

---

(١) الأصفهاني : البستان الجامع ورقة (١٤٦ ب ـ ١٤٧ أ) ، مفرج الكروب ج٣ ص(١١٠،١٠٩) ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص(٢٤٩ ،٢٥٠) ، أبو الفداء : المختصر ج٣ ص٩٨ ، ابن كثير : البدايـة والنهايـة ج١٣ ص٢٥

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٦٢ ،٦٤) ، المقريزي : السلوك ج١ ص(١٥٨ ،١٥٩) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦)

(٤) نفسه ج٣ ص(١٢٣ ،١٢٨ ،١٣٠ ،١٣٣)

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص٢٠٤ ، المقريزي : السلوك ج١ ص١٨٦

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٢٥٥ ،٢٥٦) ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص(٣١٤ ،٣١٥) ، ابن نظيف محمد بن علي الحموي : التاريخ المنصوري تحقيق أبـو العيـد دودو ، مطبعـة الحجـاز دمـشق ١٤٠١هـ ص٧٣

(٧) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين البحر المتوسط والنيل وهي ثغر من ثغـور الإسـلام ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٤٧٢

عظيماً [1] ، وحينما علم السلطان بخبر قرب سقوط دمياط غضب غـضباً شـديداً ومرض وهو معسكر بجيشه على مرج الصفر ، فَحمِل إلى دمشق ، وتوفى إثـر ذلك سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) [2] .

وكان الملك العادل قد قسم البلاد في حياته بين أولاده فجعل مصر للملـك الكامل محمد ، ودمشق والقدس وطبرية [3] والأردن والكـرك [4] وغيرهـا مـن الحصون المجاورة لها لابنه المعظم عيـسى، وجعـل بعـض ديـار الجزيـرة وميافارقين[5] وخلاط [6]، وأعمالها لابنه الأشرف موسى وهكذا بقية البلاد [7].

واتفق الإخوة على قتال الفرنج كما يقول ابن الأثير « اتفاقا حسنا ، ولم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة .. ولعمري إنهم نعم الملوك فيهم الحلـم والجهـاد والـذود عـن الإسلام..»[8] .

وكان المعظم عيسى قد ناب عن أبيه في حكم دمشق ، وبعد وفاتـه خلفـه على دمشق وأعمالها ، « واستولى على جميع ما كان له من الأمـوال والجـواهر والعتاد والخيول » [9] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٣١٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص(٣٢ ،٣٣) ، الذهبي أبو عبـد ا محمد : العبر في خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت ج٣ ص ١٦٨

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص(٢٧٠ ،٢٧٦) ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٢١٣

(٣) قرية من قرى الشام في الإقليم الثالث منه ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وبينها وبين بيت المقـدس كذلك ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص١٧

(٤) كلمة أعجمية ، وهي اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بـين أيلـه وبحر القلزم والبيت المقدس ، نفسه ج٤ ص٣١٢

(٥) أشهر مدينة بديار بكر ، ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٢٣٥ ، القزويني : آثار البلاد ص٥٦٥

(٦) مدينة كبيرة مشهورة ، وهي قصبة أرمينيا الوسطي ولها سور حصين ، هي ذات خيرات ومياه كثيـرة ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٣٨٠ ، القزويني : آثار البلاد ص٥٢٤

(٧) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص(٣٢٦ ،٣٢٧)

(٨) نفسه ج٩ ص(٣٢٦ ،٣٢٧)

(٩) سبط بن الجـوزي : مـرآة الزمـان ج٨ ص(٥٩٦،٥٩٧) ، ابـن واصـل : مفـرج الكـروب ج٣ ص(٢٧٥،٢٧٦) ، المقريزي : السلوك ج١ ص(١٥١ ،١٥٢ ،١٥٣) .

وبقي في حكم دمشق حتى سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) [١] وبعد سقوط ثغر دميـاط ، قام المعظم عيسى بتخريب أسوار بيت المقدس وذلك خشية أن يأخذه الفـرنج [٢] كما خرب بعض الحصون المجاورة له مثل بانياس وتبنين للسبب نفسه [٣] ، ومع ذلك فإن المعظم قد قام بدور بارز في حركة الجهاد ضد الصليبيين [٤] خاصة في استرداد ثغر دمياط ، وفي سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) ؛ حيث طلب الملك الكامل محمد صاحب مصر النجدات من الممالك الأيوبية لمساعدته في إخراج الصليبيين من دمياط [٥] ، وكان المعظم عيسى من أحرص الناس على خلاص دمياط مـن أيدي الفرنج [٦] ، فلبى المعظم النداء فخرج ومعه جيوش الشام ، وسار بها إلـى مصر لقتال الفرنج واسترداد دمياط[٧]

والجدير بالذكر أن تلك الوحدة التي تحققت بـين ملـوك البيـت الأيـوبي واستطاعوا من خلالها استعادة دمياط [٨] لم تدم طويلا ، فسرعان ما دب الخلاف

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٥٢ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ج٢ ص٢٣٦ ،

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ص٤٢ ، سبط بـن الجـوزي : ج٨ ص٦٠١ ، أبـو شـامة : ذيـل الروضتين ص(١١٥ ،١١٦) ، المقريزي : السلوك ج١ ص(٢٠٤ ، ابن الوردي زيـن الـدين عمـر بـن المظفر : تتمة المختصر دار الكتب العلمية بيروت ج٢ ص١٣٤ .

(٣) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٠١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦ ص٢١٦ ، ابن أيبك : كنز الدرر ج٧ ص٢٠٢ ، الحريري أحمد بن علي بن أحمد : الإعلان والتبيين ، تحقيق مهدي رزق ا ، دار الدعوة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ص(٥٢ ،٥٣) .

(٤) اليافعي : حسن بن إبراهيم بن محمد ، جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والـسلاطين الإسلامية ، منه صورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم ١١٤٢ ، ورقـة (٢٨/ب) ، سـبط بـن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٤٧ ، الصفدي : تحفة ذوي الألباب ج٢ ص(١١٠ ،١١١) .

(٥) المقريزي : السلوك ج١ ص(٢٠٢ ،٢٠٣ ،٢٠٦) .

(٦) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٢٨

(٧) ابـن واصـل : مفـرج الكـروب ج٤ ص(٩٤،٩٥) ، سـبط بـن الجـوزي : مـرآة الزمـان ج٨ ص(٦١٩،٦٢٠)، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص(٩٢،٩٣) ، الحريري : الأعلام والتبيين ص٥٣ .

(٨) أبـو شـامة : ذيـل الروضـتين ص(١٢٨،١٢٩) ، سـبط بـن الجـوزي : مـرآة الزمـان ج٨ ص(٦١٨،٦١٩،٦٢٠) ، ابن نظيف : التـاريخ المنـصوري ص(٩٢،٩٣) ، المقريـزي : الـسلوك ج١ ص(٢٠٨،٢٠٩) .

بينهم [١] ، فتحالف المعظم عيسى مع الدولة الخوارزمية ، وشكل الملك الكامل محمد وأخيه الأشرف موسى حلفاً ضد أخيهم المعظم [٢] .

وحينما علم الملك الكامل محمد بتحالف أخيه المعظم مع السلطان جلال الدين الخوارزمي ، خشي على أملاكه في مصر والشام [٣] ، فدفعه ذلك إلى الإرسال إلى الإمبراطور فريدرك الثاني ، يدعوه للقدوم إليه ، ووعده أن يعطيه بيت المقدس وبعض مدن الساحل في سبيل الوقوف معه ضد أخيه [٤] .

أما الملك المعظم فإنه لما علم بما فعله أخوه ، أرسل هو الآخر إلى السلطان جلال الدين الخوارزمي ، ووعده أن يخطب له بدمشق ، وأن يسك العملة باسمه ، وأقدم على قطع الخطبة عن أخيه الكامل [٥] .

وحينما أرسل فردريك الثاني إلى الملك المعظم عيسى بدمشق يطلب منه تسليم بيت المقدس ، فقابل المعظم ذلك الطلب بالغضب الشديد ورد على رسول الإمبراطور بقوله : « قل لصاحبك ما أنا مثل الغير ما له عندي إلا السيف »[٦] . وفي خلال ذلك توفى المعظم عيسى سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) وخلفه ابنه الملك الناصر داود [٧] ، وتجدد الصراع بينه وبين عمه الكامل ، وسلم الكامل بيت المقدس إلى الإمبراطور فردريك الثاني ، وعقد معه الصلح المعروف بصلح يافا ،

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص٩٥٤ .

(٢) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص(٦٢١،٦٢٢) ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٣٠

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص (١٧٦،١٨٠) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ج٢ ص(٢٣٥،٢٣٦) ، المقريزي : السلوك ج١ ص(٢٢٣،٢٢٤)

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص٢٠٦ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص(٢٣٥،٢٣٦) ، المقريزي : السلوك ج١ ص(٢٢٣،٢٢٤) .

(٥) المقريزي : السلوك ج١ ص٢٢٢

(٦) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٥١ ، ابن ايبك : كنز الدرر ج٧ ص٢٨٤ .

(٧) ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص١٥٣

وتوجه إلى دمشق وحاصرها ، وضيق عليها ، واتفق الكامل مع أخيـه الأشـرف علي أخذ أملاك ابن أخيهما الملك الناصر داود وتقاسمها [1] .

وبعد طول الحصار الذي ضربه الكامل محمد وأخيه الأشرف موسى على دمشق [2] تنازل الملك الناصر داود عن حكمها ، وعوض بدلاً عنها بإمارة الكرك وكان خروجه منها سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) [3] ، وقد تمكن الملك الناصـر داود وهو على إمارة الكرك مـن اسـتنقاذ بيـت المقـدس مـن أيـدي الـصليبيين (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، فحمد له المسلمون هذا العمل العظيم، وأرسلت البشائر إلـى البلاد الإسلامية بهذا النصر ، ومدحه الشعراء فمن ذلك ما قاله الـشاعر جمـال الدين بن مطروح :

المـسجد الأقـصى لـه عـادة	سـادت فـصار مـثلاً سـائراً
إذا غـدا بـالكفر مـستوطناً	أن يبعـث ا لـه ناصـراً
فناصـر طهـره أولاً	وناصـر طهـره آخـرا [4]

وبعد خروج الملك الناصر إلى الكرك تنازل الكامل محمد لأخيه الأشـرف موسى عن دمشق ، واستمر الأشرف فـي حكـم دمـشق حتـى تـوفى سـنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) [5] .

واستمرت الحرب الداخلية بـين أبنـاء البيـت الأيـوبي ، حتـى تمكـن الملك الصالح إسماعيل بن العادل من السيطرة على دمشق وتـولى حكمهـا مـا

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص٢٥٢ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص(١٥٤،١٥٥) ، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص١٦١ ، المقريزي : السلوك ج١ ص٢٢٧ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص(٢٥٦،٢٥٧)

(٣) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٥٧ ، المقريزي : السلوك ج١ ص٢٣٥

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ج٥ ص(٢٤٦،٢٤٧) ، اليـونيني : ذيـل مـرآة الزمـان ج١ ص١٤٤ ، المقريزي : السلوك ج٢ ص(٢٩١،٢٩٢) ، الصفدي : تحفة ذو الألباب ج٢ ص١٢١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص(٢٥٧،٢٥٨) ، المقريزي : السلوك ج١ ص٢٥٦ ، ابن خلكـان : وفيات الأعيان ج٥ ص(٧٩،٩٣)

بين سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) إلـى سـنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) [١] وبقـي طيلـة تلك الفترة في صراع مع ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ، استعان خلالها بالصليبيين ، واسلم إليهم قلعتي صفد [٢] وشقيف [٣] ، مقابل وقوفهم معه في صراعه مع ابن أخيه [٤] لكن الملك الصالح نجم الدين أيوب تمكـن مـن إخراجه من حكم دمشق سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، واستولى عليها ، وأسند ولايتها إلى بعض قواده [٥] وفي سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) عاد الملك الصالح نجم الـدين أيوب إلى مصر ، في الوقت الذي زحفت فيه الجيوش الصليبية بقيادة لويس التاسع في حملة صليبية جديدة على بلاد الشام ومصر [٦] ، وفي هذه الأثناء توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب فأخفت زوجته شجرة الدر [٧] خبر موته ، حتى قدم ابنـه الملك توران شاه من دمشق ، وتولى مقاليد الحكم ، [٨] وهزمت الحملة الـصليبية السابعة شر هزيمة ، وأخذ لويس التاسع فيها أسيرا إلى القاهرة [٩] ، إلا أن الملك

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٥ ص(٢٢٨، ٢٣٠) ، أبو شامة : ذيل الروضـتين ص(١٦٩، ١٧٠) ، المقريزي : السلوك ج١ ص٢٨٧

(٢) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص الشام وهي من جبال لبنان ، ياقوت : معجم البلـدان ج٣ ص٤١٢ .

(٣) شقيف : قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينهـا وبـين الـساحل ، نفسه ج٣ ص٣٥٦

(٤) اليافعي : جامع التواريخ المصرية ورقة (٨٥/ أ) ، ابن واصـل : مفـرج الكـروب ج٥ ص٣٠٢ ، المقريزي : السلوك ج١ ص(٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥)

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج٥ ص(٣٤٩، ٣٥٠)

(٦) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص(٢٨٤، ٢٨٥) ، عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص(١٠١٤، ١٠١٥)

(٧) شجرة الدر:هي أم خليل جارية السلطان الملك الصالح نجم الـدين أيـوب ، كانـت ذات رأي ودهـاء وعقل،أدارت أمور الدولة المملوكية أشهرا حتى مكنت لزوجها الملك المعز ابيك التركماني السلطة توفيـت مقتولة سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) ، الصفدي : صلاح الدين إيبك ، الوافي بالوفيات ، الطبعـة الثانيـة ، دار النشر فرانز ستايز ، شتوتغارت ١٤١٢هـ ، عناية : أيمن فؤاد سيد ج١٦ ص١٢٠ ، ابـن أيبـك : كنـز الدرر ج٨ص(١٢، ١٣، ٣٠، ٣٣) .

(٨) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص(٢٨٦،٢٨٥) ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ص(٧٧٣، ٧٧٤)

(٩) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٨٤ ، البدر العيني : عقود الجمان ج١ ص(١٧، ٢٣، ٢٩، ٣٠)

توران شاه لم يحسن سياسته في مماليك أبيه فانتهى الأمر بقتله ، وبـذلك انتهـى الحكم الأيوبي في الديار المصرية وآل الحكم فيها إلى المماليك [١] .

ولما وصل الخبر إلى دمشق بمقتل الملك توران شاه ، وتولي شجرة الـدر مقاليد الأمور [٢] ، كتب نواب دمشق من الأمراء القميرية ، إلى الملـك الناصـر صلاح الدين يوسف بن غازي صاحب حلب يدعونه للقدوم إلى دمـشق وملكهـا وأنهم امتنعوا من الحلف لشجرة الدر [٣] ، وقد اسـتمر حكمـه مـا بـين سـنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) إلى سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٩م) سعى فيها إلى مد نفوذه علـى باقي بلاد الشام في خطوة منه إلى توحيدها فاستطاع ضم ، بعلبك ، وبيت المقدس، وبصرى ، وصرخد [٤] .

وكان لزحف التتار على العالم الإسلامي ودخولهم إلـى بغـداد وإسـقاط الخلافة العباسية بها سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) [٥] ، ومن ثم الزحف على بـلاد الشام وأخذ حصونها وقلاعها [٦] دخولهم إلى دمشق صلحاً ، وأسر الملك الناصر صلاح الدين يوسف وأهل بيته [٧] مما كان دافعاً للقادة المماليـك بمـصر للقيـام بدورهم في صد الزحف المغولي على بلاد الشام ومصر .

خرج الملك المظفر سيف الدين قطز بجيشه إلى الشام لملاقاة التتـار فـي عين جالوت [٨] وانتهت هذه المعركة بهزيمة التتار وفرح المـسلمون [٩] ودخـل

---

(١) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص(٢٨٥، ٢٨٦) ، البدر العيني : عقـد الجمـان ج١ ص(٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٤، ٣٥، ٣٦).

(٢) البدر العيني : عقود الجمان ج١ ص(٢٩، ٣٠)

(٣) نفسه : ج١ ص(٣١، ٣٣) ، المقريزي : السلوك ج٢ ص(٣٦٦، ٣٦٧).

(٤) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٨٦ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٠٧ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٦) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٣ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٠٨ .

(٧) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٣ ، ٢٠٦ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣١٢ .

(٨) المقريزي : السلوك ط١ ج٢ ص٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، العيني بدر الدين محمود بـن أحمـد : عقـد الجمان حوادث في تاريخ أهل الزمان تحقيق محمد أمين ، المطبعة المصرية العامـة للكتـاب ١٤١٢هـ - حوادث (٦٤٨/٦٦٤) ص٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٩) المقريزي : السلوك ط١ ج٢ ص٤٣١ ، ٤٣٤ ، العيني : عقد الجمان ح (٦٤٨/٦٦٤) ص٢٤٤،٢٤٣

المظفر قطز دمشق وأمن أهلها سنة (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) وأحسن إليهم ففرحوا وسارعوا في تأمين مدينتهم [(١)] .

لقد كان مقتل الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب [(٢)] إيذاناً بتحول السلطة تدريجياً إلى سيادة المماليك والتي تولى سلاطينها إدارة الحكم بالشام عن طريق نيابات [(٣)] تدين بالطاعة للسلطان المملوكي بمصر [(٤)] .

فبعد هزيمة التتار في عين جالوت قفل المظفر قطز عائداً إلى مصر وفي طريق العودة قتل على يد الظاهر بيبرس غدراً [(٥)] ليستولي على مقاليد الحكم في مصر [(٦)] ، واستمرت فترة حكمه من سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) إلى سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)[(٧)] خاض فيها العدد من المعارك ضد الفرنج [(٨)] والتتار[(٩)] في بلاد الشام وحقق خلالها انتصارات كبيرة استرد فيها مناطق كثيرة في بلاد

---

(١) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣١٨ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣١٢ ، المقريزي : السلوك ج١ ق٢ ص٤٣٤ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣) أكبر هذه النيابات (نيابة دمشق) و (نيابة حلب) و (نيابة طرابلس) و (نيابة حماة) و (نيابة صفد) و (نيابة الكرك) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، القلقشندي : يطلق عليها اسم (المماليك الشامية) صبح الأعشى ج ص .

(٤) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص٣٢٣ .

(٥) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٢٥٢هـ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، المقريزي : السلوك ج١ ق٢ ص٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٦) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٢٩٣ .

(٧) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٢٩٣ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣١٧ .

(٨) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص٢٠٣ .

(٩) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، وحوادث سنة (٦٦٥ / ٦٨٨) ص١٩ ، ٢٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٩ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، المقريزي : السلوك ج١ ق٢ ص٥١٥ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

الشام كانت تحت سيطرة الصليبيين [١] كان من أبرزها استيلائه على أنطاكيـة [٢] بحيث لم يبق بأيدي الصليبيين من المدن الكبرى سوى عكا وطرابلس [٣] .

ثم خلف الملك الظاهر بيبرس ابنه وولي عهده الملك السعيد بركة [٤] الذي لم يحسن علاقته بالأمراء [٥] ، وانتهى الأمر بعزله ، وتولي الأمير قلاون منصب السلطنة سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) إلى سنة (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) [٦] ، وبـدأ في بناء دولته بناء قوياً ؛ ولذا يعد عصره العصر الذهبي لدولة المماليك [٧] ولعل أهم أعماله استيلائه على طرابلس وطرد الصليبيين منها [٨] ؛ مما سهل الأمر بعد ذلك لدخول مدينة عكا آخر معاقل الصليبيين في بلاد الشام [٩] .

ولقد كان سقوط مدينة عكا على يد السلطان الأشرف خليل ابن المنـصور قلاون [١٠]الذي خلف والده في حكم الدولة المملوكية سنة (٦٨٩هـ ـ/١٢٩٠م)[١١]

---

(١) العيني : عقد الجمـان حـوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، وحوادث سنة (٦٦٥ / ٦٨٨) ص١٩ ، ٢٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٩ ، أبـو الفـداء : المختـصر ج٢ ص ، المقريزي : السلوك ج٢ ق٢ ص

(٢) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨) ص٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص١٩٩ .

(٤) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨) ص ١٨٥ .

(٥) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨): ص١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، المقريزي : السلوك ج١ ق٢ ص٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٤٣ .

(٦) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨) ص٢٢٢ ، ٢٢٥ ، وحوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٣ ص٣٠٥ ، ٣٠٦ ، أبو الفـداء : المختـصر ج٢ ص٣٤٤ ، ٣٤٥ ، المقريزي : السلوك ج١ ق٢ ص٦٥٤ ، ٦٥٥ ،

(٧) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ .

(٨) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨) ص٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٩) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٥٥ ، ٦٥ .

(١٠) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، أبو الفداء : المختـصر ج٢ ص٣٥٩ .

(١١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٢٣ ، ٢٤ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٥٩ .

قد طوى صفحة من تاريخ الصراع الطويل بين المسلمين والصليبيين [1] ؛ فقد عقد العزم على المسير إلى عكا وحصارها بمن معه من الجيوش المصرية والشامية ، وبعد حصار متواصل سقطت المدينة بيد المسلمين وفر الـصليبيون منهـا سـنة (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) [2] ثم تلا ذلك تعقبه للبقية الباقية من فلول الصليبيين فـي بلاد الشام وإخراجهم منها [3] .

ومن خلال السرد السابق للأوضاع السياسية يتضح للباحـث أن الحركـة العلمية لم تتأثر سلباً بالأحداث الحربية رغم طول مدة الصراع مع الصليبيين بـل على العكس من ذلك ، فقد ازدهرت الحركة العلمية في جميع العلوم ، وبرز دور السلاطين في تنشيطها ، ومع كثرة انشغالهم بالحروب فقد قاموا بدور كبيـر فـي بناء المساجد ، والمدارس ، والبيمارستانات وغيرها من المرافق التعليميـة [4] ، وتقريب العلماء والاحتفاء بهم ، وقد حظي الأطباء بنصيب وافـر مـن عنـايتهم وحازوا منهم الأموال والعطايا والهبات [5] فكان ذلك حافزاً للمساهمة في التدريس والتأليف وعلاج المرضى وتسنم الأطباء بذلك مكانة مرموقة .

الواقع أن الصراع مع النصارى الفرنج لم يدفع الأطباء من النصارى الذين عاشوا في بلاد الشام إلى الانحياز إلى أهل ملتهم بل كان أكثرهم يطب للـسلطان في الدولتين الأيوبية والمملوكية ، وشارك أكثرهم في الحركة العلميـة بالتـأليف والتدريس والعلاج ، وكان السلاطين يصطحبونهم في حروبهم وأسفارهم [6] وهو ما سوف يفصح عنه البحث إن شاء ا .

---

(١) عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٣) أبو الفداء : المختصر ج٢ ص٣٦١ .

(٤) النعيمي عبد القادر بن محمد بن عمر : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسيني ، مكتبة الثقافة الدينية ج١ ص١٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢ ، ٦٠٦ ، ٦٤٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٠ ، ٦٣٥ ، ٦٥١ ، ٦٥٨ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، أبو شامة : عيون الروضتين ج١ ص٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٩ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٧ ، ٧١٧ ، ٧٦٧ .

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية

وفر الاستقرار السياسي الذي عاشته بلاد الشام خـلال القـرنين الـسادس والسابع الهجريين حركة اقتصادية مزدهرة ، شهدت خلالها بلاد الـشام نـشاطاً بارزاً في مجالات الحياة الاقتصادية ، والذي نلقي الضوء عليه من خلال دراسـة أبرز النشاطات الزراعية والصناعية والتجارية في ذلك العصر .

أولاً : الزراعة : .

ازدهرت الزراعة في بلاد الشام وكان من عوامل ازدهارها وفرة مياههـا وكثرة أنهارها وينابيعها وخصوبة أراضيها ، حيث تعد الأمطار مـن المـصادر المهمة التي يعتمد عليها أهل الشام في ري أراضيهم وبساتينهم ، وهي تمثل المقوم الأساسي للزراعة في بلاد الشام ، وهو ما أشارت إليه المصادر في وصفها لمدن الشام [(١)] ، فابن حوقل يصف مدينة قنسرين بقوله : ((وهي مدينة ينـسب الكـور إليها وجميع جند قنسرين أغذاء وشربهم من ماء السماء وهي مدينة كثيرة الخيـر واسعة))[(٢)] ومدن حمص والرملة ونابلس كلها تعتمد على مياه الأمطار في سقاية زروعها ، [(٣)] ويقول ابن فضل ا العمري عن الكرك : ((وماؤهـا مـن مطـر السماء وله وادٍ تتفجر عيونه بالماء ، وهو بلد خـصيب وإقبـال ، ومنبـت زرع ومسرح مال)) [(٤)] في حين تشير بعض المصادر أن غوطة دمـشق ، وبعلبـك ،

---

(١) ابن فضل ا العمري شهاب الدين أحمد يحيى : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ص١١٦,١١٥,٢٥ القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٩٨ . ابن أبي طالب الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر طبـع فـي مدينـة بطربـورغ مطبعـة الأكاديميـة الإمبروطورية ١٨٦٥م ص(١٩٦,١٩٥,١٩٤,١٩٣) ، سبانو أحمد غسان : دمشق فـي كتـاب أحمـد وصفي زكريا دار قتيبة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ص (٩٤,٩٣) .

(٢) ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض دار صادر بيروت ص١٧٨ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص٢٦٦ .

(٣) المقدسي أبو عبد ا محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مطبعة بريل في مدينة ليـدن الطبعة الثانية ص ١٦٣، ابن حوقل: صورة الأرض ، ص١١٧,١١١ . ناصر خسرو : سفر نامة ص ٥٤

(٤) العمري : مسالك الأبصار ص١٤٠ .

ونابلس ، وصور ، وطرابلس ، وحمص ، وحماة ، وشيزر ، وسليمة ، وأنطاكية، ومنبج ، تعتمد في ريها على الينابيع والأنهار الجارية طوال العام [١].

وتتمتع بلاد الشام بمجموعة كبيرة من تلـك الأنهـار التـي تجـري فـي أراضيها، وتأتي في الدرجة الثانية بوصفها مصدراً من مصادر الري المهمة ومن أشهرها : نهر بردى [٢] ، ونهر الذهب [٣]، ونهر الأعرج [٤]، ونهر اليرموك [٥]، ونهر قويق [٦] ، يقول القلقشندي : ((ومسقى دمشق وبساتينها مـن نهـر يـسمى بردى أصل مخرجه بيقين ، البعيدة منهما دون قرية تسمى الزبداني ، ودونها عين بقرية تسمى الفيحة ... ثم ترفده منابع في مجرى النهر هي : نهر القنوات ، ونهر نابلس ، واثنان شرقية وهما : نهر يزيد ، ونهر بردى ممتد بينهمـا)) [٧] ونهـر بردى يرفده نهر الأعرج الذي ينبع من سفوح جبل الشيخ ، وهو يساعد فـي ري الأراضي الزراعية في جنوب غوطة دمشق [٨] .

كما أوضحت المصادر أن في بيسان ، وعكا ، والخليل ، عيـون وينـابيع وأنهر صغيرة ، يستفاد منها في الشرب والزراعة [٩] ، وذكـر البـدري أن فـي

---

(١) الإدريسي محمد بن محمد بن عبد ا : نزهة المشتاق في اختـراق الآفـاق ، عـالم الكتـب ج١ ص ٣٧٤،٣٦٩،٣٦٧ .

(٢) البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام ، دار الرائد العربي ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٠م ص٣٦٧، ابن أبي طالب الدمشقي : نخبة الدهر ص١٩١ابن عبد الهادي : عذق الأفكار في ذكر الأنهار ٢٥/٢٤ .

(٣) ابن الشحنة محب الدين الحلبي : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب نشر يوسف سركيس دار الكتاب العربي دمشق ١٤٠٤هـ ص١٣٤ .

(٤) ابن أبي طالب الدمشقي : نخبة الدهر ص١٩٨ .

(٥) نفسه ص١٩٨ .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص٤١٧ مادة : " قويق " ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص٦٤٨ ،

(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٩٩/٩٨ .

(٨) زيود محمد أحمد : حالة بلاد الشام الاقتصادية ، دار الفكر ص١١٤ .

(٩) ابن جبير : الرحلة ص٢٧٣ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ص٣٤٥/٣٤٤/٣٤٣/٣٤٢ . يذكر ابن فضل ا العمري أن بطبرية : البحيرة المشهورة ، التي يبلغ طولها اثنا عـشر مـيلاً ، ويقـصدها المبـرودون للاستشفاء بها . العمري : مسالك الأبصار ص١٣٥.

نواحي دمشق أكثر من ثلاثمائة عين يستفاد منها في الشرب وري المزروعات [1]

وقد تفنن أهل الشام في توزيع المياه وإدخالها إلى دورهم وقصورهم ومساجدهم ومدارسهم وحماماتهم ومرافقهم الأخرى ، وذلك من خلال قنوات ومسارب عديدة يقومون بحفرها وجرّها إلى الأراضي الزراعية والبساتين [2] .

واستخدم الشاميون القنوات ، والدواليب ، والنواعير ، والداليات ، وغيرها من طرق الري المعروفة في عصرهم ، ونجحوا في استخدامها لري أراضيهم ومزارعهم [3] .

وكان لتعدد مصادر المياه في بلاد الشام أثره في ازدهار الزراعة ، وتنوعها ، وكثرة محاصيلها ؛ ومنتجاتها ، كالحبوب بأنواعها : القمح ، والشعير ، والذرة ، والأرز ، والسمسم ، والقرطم ، والعدس [4] . وهي تمثل أهم أنواع الحبوب التي كانت تنتجها بلاد الشام في ذلك العصر [5] .

كما كانت تنتج أنواعاً عديدة من الخضروات والفواكه كالباذنجان ، والجزر، والهيلون ، والملوخيا [6] ، والكرات ، والطرفان ، والكرنب ، والبصل والثوم ، وغيرها .

---

(1) نزهة الأنام ص٥٤ .

(2) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج١ ص١٤٥/١٤٩ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٣/ ١٢٦/١٢٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج١ ص٩٩ ، العطار : علم المياه ص١٨/١٩ .

(3) ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن : تاريخ دمشق " تهذيب بدران " ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ج١ ص٢٤٩ ، ابن شداد محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (قسم لبنان والأردن وفلسطين) المعهد الفرنسي دمشق ١٩٥٣م ج١١ ص١٢ ، ابن أبي طالب الدمشقي : نخبة الدهر ص٢٠٦ ، أبو دمعة أمين : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ماجستير جامعة دمشق ١٩٨٨م ص٥١/٥٢ سبانو : دمشق في كتابات أحمد وصفي زكريا ص٩٣ .

(4) البدري : نزهة الأنام ص١٨٠،١٨١،١٨٢،١٨٣،١٨٤ ، زيتون عادل سليمان: ملامح من تاريخ الفلاحين في القطر العربي السوري المجلد الثاني ص٤٧٨/٤٩٠ .

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٨٧ ، البدري : نزهة الأنام ص١٨٠/١٨١/١٨٢/١٨٣ .

(6) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤: ص٨٧ .

أما الفاكهة فكانت كثيـرة ومتنوعـة : كـالتين ، والعنـب ، والرمـان ، والقراصيا ، والبرقوق ، والمشمش ، والخوخ ، والتفـاح [1] . وللتفـاح الـشامي صفات متعددة يضرب به المثل في الجودة [2] . كما أنتجت من التوت والكمثـرى أصنافاً متعددة ، وهي من أفضل ما تنتجه بلاد الشام من الفواكه [3] يقـول ابـن جبير واصفاً بلاد المعرة : أنها تُزرع ((كلها بشجر الزيتـون والتـين والفـستق وأنواع الفواكه ، يتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهـي مـن أخصب بلاد ا وأكثرها أرزاقاً)) .

وتعد زراعة الزيتون من أهم المزروعات التي تميزت بهـا بـلاد الـشام لجودته وشهرته في الأقاليم [4]، وهو غذاء مهم ، وله فوائده الصحية والدوائية [5]. وعرفت بلاد الشام كذلك بزراعة قصب السكر وتركزت زراعته في طـرابلس ، وصيدا ، وبيروت ، وطبرية ، وبانياس ، وأنطاكية [6] .

وأنتج أهل الشام القطن [7] ، والبلسان الذي يستخرج منه دهـن البلـسم ، ويستخدم في علاج كثير من الأمـراض [8] . واشـتهرت منـاطق : الأغـوار ،

---

(١) البدري : نزهة الأنام ص١٦٦/١٦٧/١٧٤/١٧٦/١٨٣ .

(٢) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١١٧/١٢٩/١٣٢/١٤٢ . القلقشندي : صبح الأعـشى ج٤ ص٩٠ ، البدري : نزهة الأنام ص١٢٠/١٢٨/١٣٢/١٣٣ .

(٣) القزويني : آثار البلاد ص٢٠٦ ، النويري أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنـون الأدب ، دار المكتبة المصرية ١٩٢٣م ج١ ص٣٢٨ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٢ ، ناصر خسرو : سفر نامة ص٨٦ ، ابن جبير : الرحلة ص٢٢٩ ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد : تقويم البلدان ، دار صادر بيروت ص٢٤١ .

(٥) البغدادي عبد اللطيف يوسف بن محمد : الطب في الكتاب والسنة ، تحقيق عبد المعطي قلعجـي ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ص١١٤ ، البدري : نزهة الأنام ص١٢٧ .

(٦) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٣٢ ، ناصر خسرو : سفر نامة ص٥٧ ، أبو الفداء تقويم البلدان ص٢٥٣ ، كرد علي محمد : خطط الشام ، مكتبة النوري الطبعة الثانيـة دمـشق ١٤٠٣هـ ج٤ ص١٥٧ ، زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص١٤٢/١٤٣

(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٥ ، زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص١٢٧/١٢٨ .

(٨) ابن فضل ا العمري : مسالك الابصار ص٦٨ .

وعجلون بزراعته وكان يسمى " بالبلسان الشامي " [1] .

وكانت زراعة النباتات العطرية منتشرة في أغلب الأراضي الشامية ، كدمشق ، وحلب ، وجبال لبنان ، وغيرها [2] ، كما أنتجت أنواعاً فريدة من الورود والأزهار والرياحين ، يقول ابن الشحنة عن الورد الشامي : ((أنه لا يقاربه شيء إلى الديار المصرية من الشام ولا يدانيه ، مع أن المجلوب من دمشق عند المصريين في غاية العظمة بحيث يصفه أطباءهم للمرضى فيقولون ماء ورد شامي [3] . والورد الشامي أنواع عدة [4] أجودها الجوري ، ومن أنواعه : النرجس، والزعفران ، والبنفسج ، والياسمين ، والنسرين ، والآسن ، والقرنفل ، والشقائق ، والأقحوان ، وغيرها . وقد عدد البدري منافعها الطبية الواردة في كتب علماء الطب والنبات [5].

---

(١) غوانمة يوسف درويش: تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى ، منشورات وزارة الثقافة والشباب الأردنية ١٩٧٩م ص٨٦/٨٥ ، أبو دمعة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأيوبي ص١١٦ . يقول ابن البيطار: " إن شجر البلسان لا يعرف نباته في زمانه ،إلا في مصر ، في مكان يقال له: عين شمس ". الجامع لمفردات الأدوية ج١ ص١٤٧ ويؤكد ذلك ما ذكره ابن فضل ا العمري : عن البلسان المصري بقوله :((وهو شجر قصار بالمطرية حاضرة عين شمس ،بالقرب من القاهرة، ويسقى من بئر هناك ، ولا يكون إلا في تلك البقعة ...ثم ينقل منه إلى قلاع الشام ،والمارستانات لمعالجة المبرودين ...وهو ظاهر التقدم في معالجة الفالج ،وارتخاء الأعصاب ، وسائر الأمراض)). مسالك الأبصار ص٦٨ . للاستزادة عن ذلك انظر ، ناصر خسرو : الرحلة ص١٢٢ ، ١١٣.

(٢) كرد علي :خطط الشام ص١٥٧،نعيم :طرق التجارة الدولية،ومحاطها بين الشرق والغرب ص٢٠٦، ٢١١

(٣) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص٢١٥ .

(٤) يذكر ابن كثير أن الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، كان يعتريه مرض في أنفه ، في زمن إنتاج الورد، فكان لا يستطيع الإقامة بدمشق حتى ينتهي موسمه . البداية والنهاية ج٧ ص٨٧ .

(٥) نزهة الأنام ص٦١، ٧١، ٧٩، ٨٤، ٨٧، ٩١، ٩٦،وقد كان أهل الشام يهدون الورود إذا ذهبوا لعيادة المريض ، فقد ذكر البدري أن الطبيب عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) طبيب البيمارستان الصالحي ، زاره في مرض موته بعض أصدقائه ومعه وردة بيضاء ، فأعجبه ذلك فقال :

ووردأ أبيضاً قد زاد حسناً ... فعند الضد للخجل احمرار

يمثله النديم إذا رآه ... مداهن فضه فيها نضار

نزهة الأنام ص٩٧ .

كما عرفت أنطاكية بنبات السقمونيا " الدواء المسهل " الذي لا يعـرف إلا بها [1] .

وكانت الغابات والأشجار الطبيعية مما زخرت به بلاد الشام لما تتمتع بـه من تنوع في مصادر المياه [2] ، فكانت الغابات الغنيـة بنباتاتهـا ، وأشـجارها المتنوعة تغطي معظم الأراضي الشامية وخاصة الواقعة منها على مجاري الأنهار والمرتفعات الغنية بمياه الأمطار [3] . وهذه الغابات بأشـجارها ونباتاتهـا تعـد مصدراً مهماً لصناعة الخشب والوقود ، ومورداً خصباً للنباتات ذات الاستعمالات الطبية التي يزيد عددها عن المئة نوع [4] .

واهتم الشاميون بتربية الحيوانات التي كانت تلقى الرعاية والاهتمـام مـن الناس كالخيول ، والجمال ، والأبقار ، والأغنام [5] .

كما اهتموا بتربية أنواع من الطيور الأليفة المعروفة كالأوز ، والـدجاج ، والحمام ، وغيرها من الطيور البرية والجوارح [6] .

كما برع أهل الشام بتربية النحل وإنتاج العسل بأنواع كثيرة ومتميزة [7]

---

(١) السمعاني عبد الكريم بن محمد : الأنساب ، تحقيق عبد ا البارودي ، دار الجنان الطبعة الأولـى ج١ ص٢٢٠ .

(٢) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ، ص٢٥،١١٥،١١٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٩٨ ، البدري : نزهة الأنام ص٣٦٧ ، ابن عبد الهادي : عذق الأفكار في ذكر الأنهار ص٢٤،٢٥ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٢،١٧٤،١٨٦ .

(٤) زيود : الحالة الاقتصادية لبلاد الشام ص١٤٤،١٤٥،١٤٦،١٤٧. انظر منها، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج١ ص٥،٣١،٣٦،٧٦،١٤١،١٩٤،٢٤١،٢٩٢،٢١٣، ج٢ ص١٦،٢٠ ،٧١ ،٨٢ ،٩٢ ، ١٠٣، ١١١ ،١٥٧،١٥٩ ، ٢٠٣،٢١٣،٢٨٧،٣٣٤،٣٨٥،٣٩٢،٤٣٤،٤٤٨،٤٦١.

(٥) البدري : نزهة الأنام ص٦١،٧١،٧٩،٨١،٨٤،٧٧،٨٨،٨٩،٩٦،١٠٣،١٠٧،١٠٨،١١٠ .

(٦) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبـصار ص٢٥ ، ٣١ ، ١٢٧ ، القلقـشندي : صـبح الأعـشى ج٤ ص٩١، أيمن أبو دمعة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص١٢٠ ،١٢١ .

(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٢، ١٨٠، كرد علي : خطط دمشق ج٤ ص١٥٧، غوطـة دمـشق مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ، الطبعة الثانية ص٦٤ .

ثانياً : الصناعة :

عرفت بلاد الشام بتقدمها في كثير من الصناعات وذلك لوفرة المواد الأساسية لأنواع الصناعات الزراعية والنسيجية والمعدنية .

فقد ارتبطت الصناعات الزراعية في بلاد الشام بما تنتجه من المحاصيل الزراعية كالحبوب ، والخضروات ، والفواكه بأنواعها [1] ، وكانت مطاحن الحبوب[2] تراقب من قبل رجال الحسبة لتسلم من الغش ، وخلط رديء الحنطة بجيدها ، أو قديمها بجديدها [3] ، ونستطيع من خلال ما ورد في وصف عمل المحتسب أن نستدل على العديد من الصناعات المرتبطة بالجوانب الصحية يقول الشيزري موجهاً أصحاب المطاحن بما يجب عليهم فعله : ((ويلزم الدقاقين غربلة الغلة من التراب ، وتنقيتها من الزوان[4] ، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها ، ولهم أن يرشوا على الحنطة ماءاً يسيراً عند طحنها فإن ذلك يكسو الدقيق بياضاً وجودة، ويعتبر عليهم المحتسب الدقيق ، فإنهم ربما خلطوا فيه دقيق الشعير المنخول ، أو دقيق الباقلا والحمص ، ونحو ذلك .. فإن ارتاب بهم حلّفهم أن لا يعملوا شيئاً من ذلك)) [5] .

وامتد عمل المحتسب على الخبازين ليسلم الخبز من التلوث والفساد ، فكان يراقب عمل الخبازين ، وينظر في دقائق عملهم ، فذكر ما يلزم الخباز فعله [6] بقوله : ((فإذا فرغ من إحمائه مسح داخل التنور بخرقة نظيفة ثم شرع في الخبز ..)) ويأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها ، وغسل المعاجن ونظافتها ،

---

(١) البدري : نزهة الأنام ص١٨٠/١٨٢/١٨٣/١٨٤ ، عادل زيتو : ملامح من تاريخ الفلاحين ص٤٧٨/٤٧٩

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٧٥ .

(٣) الشيزري عبد الرحمن بن نصر : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ص٢١ .

(٤) الزوان : هو حب يكون في الحنطة ، القوصوني مدين بن عبد الرحمن : قاموس الأطباء و ناموس الألباء ، دار الفكر ١٣٩٩هـ ج٢ ص١٦٠ .

(٥) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة: ص٢١ .

(٦) نفسه : ص٢٢ .

وما يغطى به الخبز وما يحمل عليه ، ألا يعجن العجان بقدميه ، ولا بركبتيه ، ولا بمرفقيه ، لأن في ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في العجين شيء مـن عـرق إبطيه وبدنه ، فلا يعجن إلا وعليه ملعبة ، أو بشت مقطوع الأكمام ، ويكون ملثماً أيضاً ، لأنه ربما عطس أو تكلم ، فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين ، ... ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجين ، وإذا عجن في النهـار فليكن عنده إنسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب [(١)] .

كما يراقب المحتسب نوع الدقيق ،ووزن العجين وأن لا يخلط معه شيئاً[(٢)]، كما اشترط على الفران إصلاح المداخن وتنظيف بلاطها وتعهد أدواته والحـرص على جودتها ونظافتها [(٣)] .

وكانت صناعة الحلوى والزلابية من الصناعات التي تدخل تحت إشـراف المحتسب الذي يجب عليه مراقبتها لمعرفة ما قد يحدث فيها من الغش [(٤)] المضر بصحة الناس .

وانتشرت صناعة السكر خلال القرنين الـسادس والـسابع الهجـريين [(٥)] وكانت بلاد الشام تنتج منه كميات كبيرة بعد عصره [(٦)] ، كما عرف أهل الـشام صناعة الدبس [(٧)] المصنوع من ثمار العنب ، والتين ، والمشمش ، والخوخ [(٨)] .

---

(١) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة : ص٢٢ .

(٢) نفسه ص٢٤/٢٣ .

(٣) نفسه : ص٢٤/٢٣ .

(٤) نفسه : ص ٤٢/٢٥ .

(٥) زيود : حالة بلاد الشام ص٢٨٥/٢٨٤ .

(٦) بيطار : تاريخ العصر الأيوبي ص٢٢٠ ، اليونيني قطب الدين موسى بن محمد : ذيل مرآة الزمـان ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٤١٣هـ ج٢ ص٢٢/٢١ .

(٧) ((والدبس حار رطب ومن خواصه كما ذكره بعض معتمدي الأطباء أنه يولد الدم الجيد ويسمن سـمناً جيداً ، ويحمر اللون ، ويفتح السدد ، ثم قال : ومن أعجزه الهزال ، والخفقان ، وضعف الأحشاء ، ولازمه باللبن الحليب ، ويسير اللوز ، رؤي منه العجب)) . القوصوني : قاموس الأطباء ج١ ص٢١٣ ، القاسمي : قاموس الصناعات الشامية ج١ ص١٣٨ .

(٨) البدري : نزهة الأنام ص١٥٧/١٤٠/١٣٣/١٩٢ القاسمي محمد سعيد : قاموس الصناعات الـشامية تحقيق ظافر القاسمي ، دار طلاس ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ج١ ص١٣٨، ١٣٩ ، ج٢ ص٤٥٧ .

وتمثل صناعة زيت الزيتون أرقى ما تنتجه بلاد الشام من الصناعات الغذائية [1] ، حيث أقيمت له معاصر عديدة [2] ، وصدرت منه كميات كبيرة إلى الأقاليم المجاورة [3] .

وارتبطت به صناعة الصابون الشامي المشهور[4] وقد تركز إنتاجه في بعض المدن الشامية ، كحلب ، ودمشق ، وأنطاكية ، وطرابلس ، ونابلس ، وغيرها [5] .

وتميزت الصناعات النسيجية بجودتها العالية ومصانعها الخاصة ، فكانت دمشق ، وحلب ، وصيدا ، أكثر المدن الشامية إنتاجاً للحرير[6] . يقول الإدريسي عن دمشق : إنها جامعة لأنواع الصناعات ، وأنواع من الثياب الحريرية ، كالخز والديباج النفيس الغالي الثمن ، العديم المثال ، الذي يحمل إلى كل بلد ، ومصانعها عجيبة ، يضاهي ديباجها بديع ديباج الروم وأصفهان [7] و نيسابور [8] ، وقد حوت طرزها على بديع من أنواع الثياب [9] .

وبرع أهل الشام في الصناعات الصوفية والقطنية ، كالبسط ، والخيام والعباءات [10]وغيرها من أصناف القماش والنسيج مما تعددت نقوشها ورسومها ،

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٢ ، ناصر خسرو : سفر نامة ص٨٦ ، ابن جبير : الرحلة ص٢٢٩

(2) البدري : نزهة الأنام ص١٢٧ ، القاسمي: قاموس الصناعات الشامية ج١ ص٤٥٧/٤٥٦ .

(3) زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص٢٠٩ .

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٢ ، ابن جبير : الرحلة ص٢٢٩ ، البدري : نزهة الأنام ص١٢٧

(5) كرد علي : خطط دمشق ج٤ ص١٥٩ .

(6) خير صفوح : غوطة دمشق ، وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٦٩م ص٣٤٩/٣٤٨ .

(7) مدينة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها في المشرق ينسب إليها كثير من العلماء ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص٢٠٦ ، ٢٠٧ ، القزويني : آثار البلاد ص٢٩٦ .

(8) مدينة من مدن خراسان مشهورة بكثرة خيراتها وثمارها وأسواقها وينسب إليها كثير من العلماء المشاهير القزويني : آثار البلاد ص٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(9) نزهة المشتاق ص٣٦٦ .

(10) القزويني : آثار البلاد ص١٨٣ ، البدري : نزهة الأنام ص٢١٤ .

فمنها القماش الأطلس ، والقماش بكل أنواعه ، والهرمزي ، والأبيض القطني ، والنيسابوري بجميع أشكاله وصناعة الحرير بالفتل والدواليب [1].

كما برع أهل الشام في الصناعات المعدنية المختلفة كصناعة السيوف والرماح ، والدروع ، والتروس ، والأقواس ، والسهام ، وغيرها من أدوات الحرب [2] .

وكانت صناعة السيوف قد أخذت شهرة واسعة خلال الحروب الصليبية[3]، حيث كانت تصنع من الفولاذ الدمشقي (الجوهر) وهو مشهور بقوته [4] .

كما صنعت بعض الأدوات الطبية التي كانت تستخدم عند أطباء الأسنان [5] وكذلك الأدوات التي يمارس بها الحجامون [6] مهنة الحجامة مثل المحجمة وهي : إناء من النحاس ، أو الخزف الصيني ، اسطواني الشكل يستدق في النهاية ، وكان يستخدم في قطع نزوف الدم في المواضع اللحمية كعضل الساق والفخذ والذراع واليدين والبطن [7] وآلة مخرط المناخر التي تستعمل لاستئصال الزوائد بداخل الأنف [8] وآلات خلع الأضراس على اختلاف أشكالها وأحجامها [9] .

و كانت بالشام صناعات معدنية أخرى قائمة على الذهب فقد ذكر المقدسي ((أن أهل الشام كانوا يستخدمون الذهب في تمويه وتزيين أعمدة المساجد وسقوفها

---

(١) البدري : نزهة الأنام ص٢١٤ .

(٢) الحمود رنا سعد عوض : حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي رسالة ماجستير جامعة اليرموك ١٤٢١هـ ص٥٩ ، سبانو : دمشق مقالات مجموعة ج١ ص٤٦،٤٧،٤٨ دار قتيبة .

(٣) الحمود:حرف وصناعات بلاد الشام ص٥٩، سبانو: دمشق مقالات مجموعة ج١ ص٤٦،٤٧،٤٨

(٤) بهنسي عفيف : الشام لمحات آثارية وفنية ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م ص٢١٨ .

(٥) ابن بسام محمد بن أحمد : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه حسام السامرائي بغداد ١٩٦٨م ص١١٦ حاشية (٨/٦) .

(٦) تعني المصاص سمي بذلك لامتصاصه فم المحجمة وهي بالكسر ما يحجم به والجمع منه محاجم واسم الحرفة الحجامة . القوصوني : قاموس الأطباء وناموس الألباء ج٢ ص٧١ .

(٧) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١١٦ حاشية (٨/٦) .

(٨) نفسه : ص١٠٩ حواشي (١٤/١٢/١١) .

(٩) نفسه : ص١٠٩ حواشي (١٤/١٢/١١) .

كما استعمل في سك النقود وتحلية الـسيوف وغيرهـا ..)) [1] وكـذلك بعـض الصناعات النحاسية المتمثلة في الأدوات المنزلية وأدوات الزينة وغيرها [2].

---

(١) أحسن التقاسيم : ص١٠٧ .

(٢) كيال منير : فنون وصناعات دمشقية ص٥٤ .

ثالثاً : التجارة :.

لعب الموقع الجغرافي دوراً مهماً في ازدهار الحركة التجارية في بلاد الشام ، حيث تتوسط الشام الطرق التجارية العالمية شرقاً وغرباً الأمر الذي أكسبها أهمية اقتصادية كبرى [1]. وكان للإنتاج الزراعي والصناعي أثره في ظهور حركة تجارية قوية لها [2] .

ويتضح النشاط التجاري المزدهر الذي شهدته بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، من خلال ما كانت تنتجه من أنواع شتى من المحاصيل الزراعية ، وما كان يتوفر بها من المواد الخام التي تدخل في كثير من الصناعات النسيجية والمعدنية [3] .

وكان الحكام السلاجقة قد سعوا إلى توفير الأمن والاستقرار في بلاد الشام في ظل الصراع المستمر مع مختلف القوى في بلاد الشام قبل دخول الصليبيين إليها [4] فقد ذكر ابن العديم أن " اق سنقر البر سقى " : ((أفنى قطاع الطرق ، ومخيفي السبيل ، وتتبع اللصوص في كل موضع ، فاستأصل شأفتهم ، وكتب إلى الأطراف أن يفعلوا مثل فعله ، لتأمن الطرق ، وتسلك السبل ، فشُكِر بذلك . وأمنت الطرق ، والمسالك ، وسار الناس في كل وجه بعد امتناعهم ؛ ولخوفهم من القطاع والأشرار ، وعمرت حلب في أيامه ، بسبب ذلك ، بورود التجار ، والجلابين من جميع الجهات ، ورغب الناس في المقام ، بها للعدل الذي أظهره فيهم رحمه ا)) [5] .

---

(١) نبيه عاقل : بعض ملامح الأوضاع المالية والتجارية في فلسطين في العصر العباسي ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ص١٨ ، الحموي محمد ياسين : دمشق في العصر الأيوبي ، المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٥٦هـ ص٤١ .

(٢) كرد علي : خطط الشام ج٤ ص١٩٩ .

(٣) القزويني : آثار البلاد ص١٨٣ ، البدري : نزهة الأنام ص٢١٤ ، الحمود : حرف وصناعات بلاد الشام ص٥٩ .

(٤) زينو : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص٢٩٢ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٢٠ .

وحرص الزنكيون على تأمين الطرق للتجارة [١] ، ومع أن الصراع بين المسلمين والنصارى الصليبيين كان مستمراً إلا أن العلاقات التجارية بين مدن الشام والإمارات الصليبية المجاورة كانت علاقات حسنة ، حيث أمنت الطرق وعقدت المعاهدات التجارية [٢]خاصة في فترات الهدنة بين الطرفين . يقول ابن جبير واصفاً ذلك : ((واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع ، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكة كذلك ، فتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ، ولا يعترض ، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم ، وهي من الآمنة على غاية ، وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم ، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ، والناس في عافية)) [٣] .

وأطلق الأيوبيون سياسية التسامح مع التجار الفرنج من خلال تلك المعاهدات التي عقدت مع تجار البندقية [٤] وجنوة [٥] وبيزا [٦] سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)[٧] ، وكانت الحركة التجارية تعيش حالة بين المد والجزر تبعاً لحالة الصراع بين المسلمين والصليبيين [٨] ، ولم يكن ازدهارها الاقتصادي على درجة واحدة طوال العصر الأيوبي ، فقد دبت إليها عوامل الضعف ، بسبب الصراع بين أبناء البيت الأيوبي ، مما أثر على الوضع التجاري والاقتصادي

---

(١) الباز العريني : الأيوبيون ص٢٠٦ .

(٢) نفسه : ص٢٠٦ .

(٣) الرحلة : ص٢٦٠ .

(٤) مدينة ساحلية على البحر المتوسط من جهة بلاد الروم وهي ميناء تجاري وعرف أهلها بالتجارة ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص٢١٠ .

(٥) مدينة ساحلية على البحر المتوسط من جهة بلاد الروم وهي ميناء تجاري كبير ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص٢٠٨ .

(٦) انظر أبو الفداء : تقويم البلدان ص٢٠٨ .

(٧) الباز العريني : الأيوبيون ص٢٠٦ .

(٨) ابن جبير : الرحلة ص٢٧١،٢٧٣،٢٧٥،٢٧٦ ، عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيون والمماليك ص١٢٠ ، الحركة الصليبية ج٢ ص١١٩٩،١٢٠٠ .

بصورة عامة [(١)] نظراً لقلة الأمن وقطع الأنهار والقنوات وإحراق البساتين والأسواق والدكاكين ،[(٢)] واشتداد الغلاء وارتفاع الأسعار [(٣)]

ومرت بلاد الشام بسنوات من الشدة والقحط أثرت هي الأخرى على الجوانب الاقتصادية [(٤)] ، وامتد هذا التأثير على الحياة العامة للناس فكثرت الأمراض وانتشرت الأوبئة ومات الكثير من أهل الشام بسبب ذلك [(٥)] .

وبالإمكان أن نشير إلى نماذج من ذلك وما عكسته من آثار سلبية على الحياة الاقتصادية والمعيشية : فمنها :.

ما حدث سنة (٥١٨هـ / ١١٢٤م) من احتباس المطر وتلف المزروعات فقد عم القحط كل بلاد الشام بأسرها ، على الرغم من نزول الأمطار إلا أن الأسعار بقيت مرتفعة فمات كثير من الفقراء والضعفاء من الجوع [(٦)] .

وفي سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ارتفعت أسعار السلع في مدينة دمشق لأن السلطان نور الدين محمود منع دخول التجار القادمين إليها من طريق حلب لعزمه على دخولها في هذا العام [(٧)].

واشتد الغلاء في سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) بسبب قلة الأمطار وعم أكثر بلاد الشام والعراق وبلاد الجزيرة وخرج الناس يستسقون مراراً حتى دخلت سنة (٥٧٥هـ / ١١٨١م) ففرج الله عنهم [(٨)] .

---

(١) أبو دمعة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص١٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ص٧١٦،٧١٧ .

(٢) المقريزي : السلوك ج١ ص١٤٩،١٥٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٨٩ ، الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ص١٩٨،١٩٩،٣٧٤ .

(٣) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٧٨ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام حوادث (٦٣١،٦٤٠) الطبعة الأولى ص٢٢ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٧٥٣/٧٥٤ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٣٦/٤٣٧ ، ابن كثير: البداية والنهاية ج٧ص٣١٣ .

(٥) أبو شامة : ذيل مرآة الزمان ص١٧٨ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٣٤٤ .

(٦) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٣٣٨ .

(٧) نفسه :ص٥٠٢/٥٠٤ .

(٨) ابن الأثير : الباهر ص١٧٨ .

ولما حاصر الملك الكامل محمد مدينة دمشق سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) بهدف أخذها من ابن أخيه الناصر داود ابن المعظم عيسى يقول أبو شامة : ((وقطعوا عن دمشق أنهارها مثل بانياس والقنوات ونهر يزيد وثورا ، ونهبت البساتين وأحرقت الطواحين ونهبت الدور، وزادت الأسعار، حتى بيعت الأوقية [١] من الأشنان [٢] بتسعة أفلس [٣] ، واشترى بعضهم أوقية بأربعة عشر فلساً ، وبلغت أوقية الخبز نصف درهم ، ورطل اللحم ستة دراهم ، كما نتج عن هذا الحصار إحراق مدرسة أسد الدين وخانقاه خاتون وما يليها من الخانات والدور وغيرها)) [٤] .

وفي سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) حدث غلاء شديد شمل بلاد الشام ومصر وبلاد الجزيرة بسبب قلة الأمطار [٥] .

ولما حاصر الخوارزمية دمشق سنة (٦٤٣هـ/ ١٣٤٥م) اشتد الغلاء على أهلها ، يقول أبو شامة واصفاً ذلك : " ففي عشر من شوال بلغت غرارة[٦] القمح ستمائة درهم ناصرية ، ونصفها بثلاثمائة درهم ، وبيع الخبز كل رطل بثلاثة دراهم أو بأربعة دراهم .. وبقية الصعاليك مرميين في الطرقات ، كانوا

(١) الأوقية : من الموازين وجمعها أواقي وهي تختلف من بلد لآخر ، ولقد كانت أوقية حلب ستين درهماً وثلث الدرهم ، وأوقية حماة خمسة وخمسون درهماً ، وأوقية حمص اثنان وخمسون درهماً ، وأوقية دمشق خمسون درهماً ، عمارة محمد : قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ص٧٥ .

(٢) الأشنان : هو غسول أو نوع من الصابون يستعمل مع الماء لغسل الأواني ، محمد عمارة : قاموس المصطلحات الطبية ص٥١ .

(٣) الفلس : هو من الموازين هو نقد نحاس ، وهو كل ما يتعامل به من النقود الزهيد القيمة ، محمد عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية ص٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٤) ذيل الروضتين : ص ١٥٦/١٥٥/١٥٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص ١٣٣ ، المقريزي : السلوك ج١ ص٢٣٤/٢٢٩ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص١٣٨ .

(٦) الغرارة : هي كيس كبير من الخيش تسع اثني عشر كلية من الحبوب وقد تكون أكبر من ذلك بقليل القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص١٨١ ، عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ص٤٥٥ .

يطلبون لقمة ، ثم صاروا يطلبون فلساً يشترون به نخالة [١] يبلونها ويأكلونها كما تطعم الدجاج ، شاهدت ذلك بعيني ، ثم اشتد الغلاء زيادة على ذلك فبلغ في آخـر شهر شوال المذكور ، كل غرارة حنطة بمائة دينار صورية [٢] ثم ناصرية ، ثـم تفاقم الأمر .. فبيع الخبز الأسود كل أوقيتين بدرهم .. وبيع الـشعير كـل كيـل بخمسين درهماً ، والغرارة بستمائة درهم .. وبيع الدقيق كل أوقية وربـع أوقيـة بدرهم .. واللحم كذلك " [٣] ويذكر سبط ابن الجوزي أن الناس أكلـت الميتـة ، والجيف ، والدم ، والقطط ، والكلاب ، ومات خلق كثير ، وباع النـاس دورهـم مقابل الطعام ، وكثر الموتى حتى عجز الناس من كثرة تغسيل المـوتى فكـانوا يدفنونهم جماعات [٤] .

وفي سنة (٦٥٨هـ / ١٢٨٦م) حدث غلاء شديد عام في بـلاد الـشام فارتفعت أسعار السلع وزاد سعر المأكولات والملبوسات ، والسبب يرجـع إلـى ضرب الفرنج الدراهم المزيفة المعروفة " باليافية " فكانت كثيرة الغش ، لكثرة ما فيها من النحاس ، فغلت الأسعار وقل البيع والشراء وكانت سبباً في افتقار كثيـر من التجار ، وغنى آخرين [٥] .

ولما ضيّق التتار على مدينة حلب في حصار سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) كثر الغلاء وقلت الأطعمة والأشربة على الناس [٦] وامتـد ذلـك فـي بـلاد الـشام وخصوصا في حلب وحماة حتى نهاية سنة (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) [٧] .

---

(١) النخالة : هي قشر الحنطة وبقاياها ذكر لها الأطباء بعض المنافع انظر جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج٢ ص١٥٠٦ .

(٢) الدينار الصوري : أي الدينار الإفرنجي هو دينار غير إسلامي في العصور الوسطى لأن صورة ملوكها منقوشة على وجوهها . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص٧٨ .

(٣) ذيل الروضتين : ص١٧٨ ، الذهبي : العبـر ج٣ ص٣٤٤ ، ابـن كثيـر : البدايـة والنهايـة ج١٣ ص٢٤٧/١٧٨ ، .

(٤) مرآة الزمان : ج٨ ص٧٥٤/٧٥٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص١٧٨ .

(٥) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٣٧٦ .

(٦) نفسه : ذيل مرآة الزمان ج٢ ص٩٠ .

(٧) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٩٨/٤٩٩/ ، ج٢ ص١٦٢ .

وفي سنة (٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) سقط على دمشق برد عظيم أفسد كثيراً من محاصيلها ومات كثير من الدواب والمواشي [1] ، تبعه في سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) غلاء عم بلاد الشام وهلك بسببه خلق كثير [2] .

وتعرضت بلاد الشام ما بين عامي (٦١٩هـ / ١٢٢٢م) و (٦٢٢هـ/ ١٢٢٢م) إلى موجات من الجراد أكلت الأشجار والثمار والزروع [3].

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص٣٥٢ .

(٢) العيني : عقد الجمان حوادث ص٦٩٨/٦٨٩ ، ص٣٠٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص١١٤/١٠٦ .

الأسواق :

تركزت الحركة التجارية في بلاد الشام حول الأسواق [١] ، وخصص لكل صنف من الأصناف سوق خاص به ، مثل سوق الذراع الذي يباع فيه البز من الحرير والكتان والثياب النفيسة ، وسوق الذهب ، وسوق الدهشة لبيع آلات النساء والثياب ، وسوق الوراقين والكتبيين ، وسوق السلاح لبيع جميع أنواع الأسلحة ، وسوق الصناعة ، وسوق النجارين ، السروجيين ،والنحاسين ، وسوق العطارين ، وسوق القطانين ، وسوق الخيل ، وسوق السكريين [٢]وغيرها .

واتصفت هذه الأسواق بكثرتها ، واتساعها وحسن تنظيمها ، فكانت دمشق هي القاعدة التجارية لبلاد الشام التي كانت تحمل إليها السلع والبضائع من كل مكان[٣] يقول عنها ابن جبير الذي زارها في القرن السادس ((وأسواق هذه البلدة من أحفل أسواق البلاد وأحسنها انتظاماً وإبداعاً وصنعاً)) [٤] فهي من أكثر مدن الشام أسواقاً فقد بلغت أكثر من مائة وتسعة وثلاثين سوقاً ، تتم فيها المعاملات التجارية بصورة منتظمة ودائمة [٥] .

وارتبطت دمشق بعلاقات تاريخية مع شمال الشام وجنوبه ومدنه الداخلية مثل : حلب وحماة وحمص وأنطاكية ، وقامت حركة تجارية واسعة بين تلك المدن [٦] .

---

(١) زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص٣٠١ ، نيكتيا السيف : الحياة الاقتصادية في دمشق عصر بن عساكر ص٣٠٤ .

(٢) نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق ص٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، النعيمي : الدارس ج١ ص٣٤٩،٧٧،٢٦، ،ج٢ ص٤٠٠،٣١٤، ٤٠٠،٤٠٥،٣٨٦،٨٧،٢٣٥،٢٣١،٢١٨ ، ابن طولون محمد بن طولون الصالحي : القلائد الجوهرية ، تحقيق محمد دهمان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الطبعة الثامنة ص٣٥٣،٣٣٤،٣١٠ ، ابن كنان محمد عيسى :المروج السندسية الفسيحة ، تحقيق محمد دهمان دمشق ١٣٦٦هـ ص٣٢ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج١ ص٦٣،٧٥،٧٦،٦٩،٦٢، ص١٤٧،١٤٨،٩٨،

(٣) أبو دمعة : الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ص١٩٣ .

(٤) الرحلة : ص ٢٦٢،٢٦١ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١١٣ .

(٥) ابن عبد الهادي يوسف بن الحسن بن أحمد : نزهة الرفاق في شرح حال الأسواق ص١٩ .

(٦) زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص٣١٤ .

وكانت حلب من أكبر المدن التجارية وتأتي في الدرجة الثانية بعد دمـشق في كثرة أسواقها وحسن تنظيمها [1] ، فحينما زارها الرحالـة ناصـر خـسرو ، قارنها بمدينة بلخ [2] في جمالها ، وعظمتها ، وكثرة خيراتها ، وأنها مدينة عامرة يرد إليها التجار من بلاد الروم والعراق ومصر وباقي المدن الـشامية [3] . كمـا يصفها ابن جبير بقوله : ((أما البلد فموضوعه ضخم جداً جفـل التركيـب بـديع الحسن ، واسع الأسواق كبيرها ، متصلة الانتظام مستطيلة ، تخرج مـن سـماط صنعة إلى سماط صنعة أخرى إلى أن تفرغ من جميع الصناعات المدنية ، وكلها مسقف بالخشب مساكنها في ظلال وارفة . فكل سوق منها تقيد الأبـصار حـسناً وتستوقف المستوفز تعجباً)) [4] وأشاد ياقوت الحموي بـسوق البـز فـذكر بهـا عشرين دكاناً يبيعون فيه البز وتقدر غلته يومياً بعشرين ألف دينار [5] .

أما حماة فهي مدينة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة كثيـرة الأسواق [6] ، وتتجمع تلك الأسواق في أعلى المدينة وفي أسفلها ، وبهـا أنـواع الصناعات وشتى التجارات [7] . وهي بلا شك تعد مركزاً تجارياً مهماً في عصر الحروب الصليبية ، حيث كانت حلقة وصل في تجارتها بين حلب ودمشق والمدن الصليبية ، لوقوعها بين طرق التجارة شمالاً وجنوباً وتخرج منها إلـى طـرابلس على ساحل البحر [8] .

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٧ .

(2) مدينة مشهورة بخراسان ينسب إليها كثير من العلماء ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ .

(3) سفر نامة : ص٥٨ .

(4) الرحلة : ص ٢٢٧/٢٢٦ .

(5) معجم البلدان : ج٢ ص٢٨٤ .

(6) نفسه : ج٢ ص٣٠٠ .

(7) ابن جبير : الرحلة ص٢٣١ .

(8) سبانو : مملكة حماة الأيوبية الأيوبية ، دار قتيبة دمشق ١٩٨٤م ، ص١٧١ .

كما وصفت أسواق بيت المقدس بنظافتها وكثرة خيراتها [١] وقد جعل لكل أصحاب صناعة سوق خاص بهم [٢] وكانت حمص ذات موقع تجـاري متميـز [٣] إلا أن قربها من العدو الصليبي ، وخوف التجار على تجاراتهم كانا سـبباً فـي كـساد التجارة بها وضعف أسواقها [٤] ، لكن الإدريسي يؤكد أنها مدينة عامرة بالـسكان ويقصدها المسافرون بالبضائع من كل نوع ، وأهلها في رغد من العيش [٥] ويبدوا أن ذلك كان قبل دخول ابن جبير إليها سـنة (٥٨١هـ ـ/ ١١٨٥م) [٦] . كمـا وصفت طرابلس بجمال أسواقها ونظافتها وحسن ترتيبها [٧] . أما بعلبك فهي ذات أسواق نظيفة تشتمل على أنواع البضائع [٨] مع رخص في أسعارها [٩] ومدينـة أنطاكية تتمتع بموقع تجاري مهم مع وفرة في محاصيلها الزراعيـة وصـناعاتها المتنوعة [١٠]إضافة إلى سعة أسواقها وطرقها [١١].

ويبرز من خلال ما تقدم أهم مقومات الحياة الاقتصادية ، وما كانت تتمتـع به بلاد الشام من مواد زراعية ومنتجات صناعية وحركة تجارية نشطة تنوعـت فيها صادراتها ووارداتها ، انعكس ذلك على الوضع الاقتصادي بصورة عامة .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٦٦ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦٧/٦٨ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٣٠ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ٣٠٤ ، زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية ص٢٣٠ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص٢٣٢ .

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٣٧٤ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ص٢٣٢ .

(٧) ناصر خسرو : سفر نامة ص٥٨ .

(٨) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٣ .

(٩) نفسه : ص١٢٤ .

(١٠) الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد : المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحسني ، القاهرة ١٩٦١م ص٤٦ .

(١١) الحميري : الروض المعطار ص٣٨ .

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية [1]

أولاً : عناصر المجتمع الشامي :

تمثل فئة العامة أكبر الفئات التي تشكل منها المجتمع الشامي ، وتتألف هذه الطبقة من الفلاحين والتجار وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات وطبقة العلماء والمتعلمين ، وقد تشكلت هذه الفئات من خليط من الأجناس والعناصر المختلفة التي سكنت بلاد الشام ، وكان لها دورها الفعال في المجتمع الشامي . وفي الحقيقة أن بلاد الشام كانت تضم تركيبة سكانية مختلفة العناصر ، ولعل السبب يعود إلى اتساع رقعة بلاد الشام وتنوع حضاراتها ، وسوف نتحدث عن أكثر تلك العناصر بروزاً كالعرب والأتراك وأهل الذمة ، وفرقة الأحداث وبيان دورها في المجتمع الشامي خلال فترة البحث .

(١) العرب :

من أشهر القبائل العربية التي سكنت بلاد الشام قبيلة آل ربيعة والتي كان لها أثرها الواضح في الحياة السياسية والاجتماعية خلال عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك [2] وتفرع عن هذه القبيلة ثلاث قبائل كبار هي : آل فضل ، وآل مرّا ، وآل علي [3] .

وكانت قبيلة آل فضل تنقسم إلى بطون كثيرة مثل : آل عيسى ، وآل فرج، وآل سميط ، وآل مسلم ، وآل علي ، ويضاف إليهم فرعب وآل حديثة ، وخالد ،

---

(١) هناك دراسات عديدة تناولت الحياة الاجتماعية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية منها : أحمد رمضان أحمد : (المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الصليبية) مطبعة الوزارة ١٣٩٧هـ ، إبراهيم زعرور : (الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمملوكي) مطبعة الجمهورية ١٤١٣هـ ، فريال بدوي الزريبا : (الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي) رسالة ماجستير لم تنشر في التاريخ الجامعة الأردنية ١٤٠٠هـ ، قاسم عبده قاسم : بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ص٣٦٤ .

(٢) القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية بيروت ص١٠١ ، ١٠٢ ، ابن فضل ا العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد شمس الدين ، در الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ ص١١١ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ .

وبنو كلاب ، وآل بشار [١] وهم الذين كانوا في حلب وكانت تربطهم علاقة حسنة بسلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية [٢] وقد دخلوا مع السلطان الأشرف موسى في حروب ضد الروم [٣] .

أما آل علي فهم يسكنون بادية دمشق وفي الغوطة ، وهم ينسبون إلى علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة [٤] وتولوا إمرة عرب بادية الشام تابعين للدولة الأيوبية ، وقد ترك السلطان العادل أبي بكر بن أيوب ذلك لهم [٥] وأمّر عليهم حديثة بن عيسى بن محمد بن ربيعة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ثم من بعده مانع بن حديثة ، ثم ابنه مهنا ، وبقي في الإمارة حتى أيام المظفر قطز وقاتل معه التتار ، وولىّ الظاهر بيبرس عيسى بن مهنا بن مانع الإمارة وجعل له الإقطاعات على أن يساعده في حفظ الأمن بالشام ، وبقي على ذلك حتى توفي سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) فولىّ المنصور قلاوون ابنه مهنا بن عيسى . وكان السلطان الأشرف خليل قد قبض عليه بالشام ، وأرسله إلى مصر ، فسجن في القلعة وبقي بها حتى فك أسره سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) وأعيد إلى أمارته [٦] . وقد كانت لهم عند سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية المكانة العالية والمنزلة الرفيعة[٧] .

وفي بيت المقدس من القبائل العربية العمريون وقبيلة بني جرم ، والجعافرة[٨] ، وفي الكرك كانت بنو عقبة [٩] ، وقد أدت هذه القبائل دورها في

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٢١٢ .

(٢) نفسه ج٤ ص٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) نفسه ج٤ ص٢٣٨ ، نهاية الأرب ص١١٠ .

(٤) ابن فضل ا العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ص١١١،القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٢١٧

(٥) القلقشندي : نهاية الأرب ص١٠٢، صبح الأعشى ج٤ ص٢١٣، الحموي :التاريخ المنصوري ص١٤٢، ١٤٣،٢٥٤، ٢٥٥.

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٢١٣ .

(٧) القلقشندي : نهاية الأرب ص١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٨) نفسه ص١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٦ ، ١٩٥ .

(٩) نفسه صبح الأعشى ج٤ ، ص٣٤٨ .

الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصورة واضحة [١] .

(٢) الأتراك :

من العناصر التي تشكل منها المجتمع الشامي طائفة الأتـراك المماليـك ، حيث دخل الأتراك بأعداد كبيرة في الحملة التي قام بها السلاجقة الأتـراك علـى بلاد الشام وسيطروا من خلالها على معظم المدن الشامية [٢] ، وقويت هذه الطبقة وزاد نفوذها في المجتمع الشامي [٣] ، وتكونت منها القوة العسكرية [٤] وتزايـدت أعدادها في أكثر مدن الشام ، وظهـر لهـا نـشاطها فـي الجوانـب الـسياسية والاقتصادية والزراعية [٥] ، وكان منهم الأمراء والحكام وإلى جانب الأتـراك ، كان الأكراد الذين كثر تواجدهم في بلاد الشام خلال الصراع مع الصليبيين ، وزاد نفوذهم السياسي خلال العصر المملوكي [٦] .

---

(١) علي سيد علي : القدس في العصر المملوكي دار الفكر للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ص٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص١٧٥ ، ١٨٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٨ ص١٢٣ .

(٣) عاشور : مجتمع بلاد الشام في عصر ابن عساكر ص٢١٧ .

(٤) محمد أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام طبعة ١٣٩٧هـ ص٤٩ ، ٥٠ .

(٥) علي سيد علي : القدس في العصر المملوكي ص٧٢ ، ٧٤ ، الطراونة طه شلجي : مملكة صفد في عهد المماليك منشورات دار الآفاق الجديد بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ص١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦٠ .

(٦) المقريزي : المواعظ والاعتبار ج٢ ص٤٣٥ ، أحمد رمضان أحمد : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ص٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، علي سيد علي : القدس في العصر المملوكي ص٨٠ .

(٣) الأحداث :

نشأة فرقة الأحداث في بلاد الشام على غرار تلك الفرق التي نشأت في العراق وفارس ، والتي كانت تسمي نفسها ، بالعيارين ، [(١)] والـشطار [(٢)] والفتيـان[(٣)] ، غير أنها اشتهرت بهذا الاسم – الأحداث – في بلاد الشام .

وظهر أثر هذه الفرقة كقوة سياسية لها دورها السياسي والعسكري خـلال العصر الفاطمي ، حيث وقفوا في وجه العساكر الفاطمية وتعـديها علـى أهـل دمشق[(٤)] ، فبرز منهم في دمشق قسّام التراب من الحـارثيين [(٥)] ، وفـي حلـب بركات بن فارس القوعي المعروف " بالمجن" الذي قتله الملك رضوان بن تتش ، وقد عرف عنه اللصوصية ، وقطع الطريق [(٦)] ، فاستتابه قسيم الدولة إق سنقر ، وولاه رئاسة حلب لشهامته وكفايته ومعرفتـه بالمفـسدين ، وكـان فـي حـال اللصوصية يصلي العشاء الآخرة بالقوعة ، ويسري إلى حلب ويسرق منها شـيئاً ويخرج ويصلي الفجر بالقوعة فإذا اتهم بالسرقة ، أحضر من يشهد له أنه صـلى العشاء بالقوعة والصبح فيبرئونه [(٧)] . أما في العصر السلجوقي فقل دور الفرقـة

---

(١) العيارون : العيار لغة الكثير المجيء والذهاب في الأرض ، لسان العرب ج٤ ص٦٢٣ ، وقيل الـذكي الكثير التطواف ، الزبيدي : تاج العروس ج٣ ص٤٣٤ ، وحركة العيارين من الحركات الشعبية التي ظهرت نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في العصر السلجوقي وقد اتصف هؤلاء بصفات حميدة ، كالصدق والشجاعة وحفظ الأعراض مع ما اتصف به بعضهم من الفساد والفوضى ، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٣٢ ،٣٣ .الفتيان : الفتى في اللغة السخي الكريم ، ويقال فتى بـين الفتوة ، وقد تفتى وتفاتى ، الجمع فتيان وفتية وفتو ، ابن منضور : لسان العرب ج١٥ ص١٤٧ .

(٢) الشطار : جمع شاطر ، ويقال شطر الرجل أعيا قومه سراً وخبثاً ، الجـوهري : تهـذيب اللغـة ج١ ص١٢٥ .الفتيان : الفتى في اللغة السخي الكريم ، ويقال فتى بين الفتوة ، وقد تفتى وتفاتى ، الجمع فتيان وفتية وفتو ، ابن منضور : لسان العرب ج١٥ ص١٤٧ .

(٣) الفتيان : الفتى في اللغة السخي الكريم ، ويقال فتى بين الفتوة ، وقد تفتى وتفاتى ، الجمع فتيان وفتية وفتو ، ابن منضور : لسان العرب ج١٥ ص١٤٧ .

(٤) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ .

(٥) نفسه ص٤٧ .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ص٢٤٢ .

(٧) نفسه ص٢٤٢ .

العسكري ودمجت ضمن القوى العسكرية السلجوقية [١] ، وعلى الرغم من انحسار دورها خلال هذا العصر ، إلا أن المصادر تذكر أنه كان لهم دور فـي مـساعدة السلطان نور الدين محمود في دخول دمشق بعدما أغراهم بالمال ، فثاروا علـى الأبواب وفتحوها له سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) ، ومنها دخل إلى المدينة واستولى عليها [٢] ويشير ابن القلانسي إلى مساعدتهم في قتال الفرنج وأنـه طلـب " مـن الغزاة والمجاهدين والأحداث المتطوعة من فتيان البلد بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الإفرنج ... " [٣] .

أما خلال العصر الأيوبي فقد قل نشاطهم بشكل كبير وذلك لعـدم الحاجـة إليهم بسبب التغيرات السياسية في الدولة الأيوبية [٤] ، يذكر ابن جبير نشاطاً مهماً كانت تقوم به هذه الفئة خلال الدولتين النورية والأيوبيـة ، وذلـك بمحاصـرتها للرافضة بدمشق ، فسلطوا أنفسهم عليهم بالقتل والمطاردة أينما كانوا [٥].

"وكانوا يسمون انفسهم (بالنبوية) وهم يقولون (بالفتوة) وأمور الرجولة " وكل من ألحقوه بهم لخصلة يرونها فيه يحزمونه السراويل ويلحقونه بهـم ، ولا يرون يستعدي أحد منهم في نازلة تنزل به ، ولهم في ذلك مذاهب عجيبـة ، وإذا أقسم أحدهم بالفتوة بر بقسمه [٦] .

وكان لهذه الفئة قاض خاص بها يسمى قاضي " الفتيان " منهم شمس الدين بن البعلبكي (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) الذي كان مبعوثاً من دمشق ليـشد الـسلطان الكامل محمد إلى الفتوة التي جاء الأمر بها من الخليفة [٧] .

---

(١) شاكر مصطفى : الحركات الشعبية ص١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١٢٧ ، أبو شامة : الروضتين ج١ ص٣٤١ ، تحقيق الزيبق .

(٣) تاريخ دمشق ص٥٢١ ، الحموي : التاريخ المنصوري ص٤٤ ، ١٩٥ .

(٤) شاكر مصطفى : الحركات الشعبية ص١٧٦ ، النجار محمد: الشطار والعيارين ، ذات السلاسل الطبعة الثانية ١٩٨٩م ص١٦٦ .

(٥) الرحلة : ص٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٦) الرحلة ص٢٥١ ، ٢٥٢ ، ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٣٥٥ .

(٧) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٦٩ .

(٤) : أهل الذمة :.

تنوعت طوائف أهل الذمة التي سكنت بلاد الشام فكان منهم السامريون [١] اليعاقبة الذين استوطنوا بعض مدن الشام مثل دمشق ونابلس والقدس وطرابلس[٢]. والموارنة[٣] الذين ظهر دورهم كمؤيدين للجيوش الصليبية الـذين دخلـوا بـلاد الشام[٤] . وبعد تغير موقفهم اتجاه المسلمين أيام الحروب الصليبية كان الزنكيـون يأخذون عليهم الجزية مقابل ما يؤدى لهم من حقوق [٥]

وتمتع أهل الذمة بحقوقهم ، وكانت لهم كنائسهم التـي أقـرهم المـسلمون عليها، فقد ذكر ابن عساكر أنه كان لهم بدمشق خمس عشرة كنيسة [٦] .

وتعامل سلاطين الدولة الأيوبية مع أهل الذمة جميعهم في بلاد الشام خاصة في دمشق بشيء من الحذر ، حيث تذكر المصادر أن السلطان صلاح الدين أصدر أمراً بالمنع من استخدام اليهود والنصارى في الوظائف السلطانية والديوانية ، بل إنه هم بإخراجهم من البلاد [٧] ، ولما أخذ الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين دمشق ، منع من استخدام أهل الذمة في شيء من الوظائف السلطانية ، بـل

---

(١) السامريون اليعاقبة : انظر فيما يتعلق بترتيب شؤون حياتهم القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ص٢٩٥ ، ٤٤٤ ، ج٦ ص٨٥ ، ٨٨ .

(٢) سال سيد عبد العزيز : طرابلس الشام في تاريخ الإسلام مؤسسة شباب الجامعة ص٢٢٥ ، غوانمة يوسف : تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي دار الحياة الأردن ١٩٨٢م ص١٢٠ .

(٣) الموارنة : من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين انظر عن حياتهم بالشام كرد علي :خطط الشام ج٦ ص٢٣٠ ، ٢٣٢ .

(٤) محمد رمضان : المجمع الإسلامي في بلاد الشام ص٦٢ ، قاسم عبده قاسم : بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ص٣٧٢ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص٢٨١ ، البنداري الفتح بن علي : سنا البرق الشامي ، تحقيق رمضان ششن ، دار الكتاب الجديد الطبعة الأولى ١٩٧١م ص٣١٦ ، ٣١٧ .

(٦) تاريخ دمشق : ج١ ص٢٤١ ، ٢٤٢ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٧) المقريزي : السلوك ج١ ، ص٤٨ .

إنه ألزمهم لبس (الغيار) [1] ، يذكر أبو شامة أنه في سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
كان يتولى خزانة السلطان رجل من النصارى يقال له هبة ا النصراني فعـزل
عنها وحبس ثم أركب على بغل وأُتِي به من الحبس ثم قتل وعلق على باب كنيسة
مريم ، وكان سبب ذلك أنه أخذ أموالاً من خزانة السلطان ، وكان يؤذي المسلمين
ويتسلط بجاهه عليهم ويرفع منار النصارى ، حيث جدد لهم كنيـسة مـريم [2] ،
وشيدها وأحسن عمارتها ، وقد أصدر السلطان الكامل محمد أمره بهدم ما زاده في
بنائها ، وحضر ذلك العلماء والشيوخ وخلق كثير من العامة ، وتولى النـصارى
هدم ذلك بأنفسهم وكتب لهم بذلك كتاباً [3] .

وتذكر المصادر أنهم كانوا يفرحون إذا هزم الجيش الإسلامي أمام الفـرنج
ويعلنون ذلك صراحة ، فمن ذلك أن المسلمين بدمشق وحينما هزم الفـرنج فـي
دمياط[4] سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ،فرح المسلمون بذلك ودخلـوا كنيـسة مـريم،
وأقاموا فيها بهذا النصر وكادوا يخربونها ،وما ذلك إلا رداً على النصارى حينمـا
فرحوا بأخذ الفرنج دمياط قبل ذلك [5].وكان الصراع بين المـسلمين والنـصارى
يتردد كل حين فقد أشار إلى ذلك ابن جبير بقوله "أن نيران الفتنة والحرب لا تقف
بين المسلمين والنصارى بل ربما يصل الأمر إلـى حـرب قائمـة " [6]واسـتغل
النصارى دخول التتار بلاد الشام سنة (٦٥٨هـ ـ/١٢٦٩م) فرفعـوا الـصليب ،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص١٤ ، ١٨ ، الغيار : نوع من اللباس الذي تميز به أهل الذمة عن المسلمين في القرون الوسطى المعجم الوسيط ج٢ ص٦٦٨ ، مادة (غاره) د/ إبـراهيم أنـيس ورفاقـه مجمع اللغة العربية القاهرة .

(٢) كنيسة مريم وصفها عند ابن جبير ص255 .

(٣) ذيل الروضتين ص١٥٦ .

(٤) مدينة بمصر وثغر من ثغور المسلمين في العصور الوسطى ، موصوفة بطيب هوائها ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص١٩٠ .

(٦) الرحلة ص٢٦٠ .

وكانوا يمرون به في الأسواق [١] ، وينادون بارتفاع دينهم واتضاع ، دين الإسلام[٢] ، والخمر معهم يرشونه على المساجد والمصلين ، ومن يرى الصليب ولا يقوم له عاقبوه [٣] . كما كانوا يجاهرون بشرب الخمر في الدكاكين والشوارع في شهر رمضان ولم يردهم عن ذلك أحد [٤] ، في حين رد المسلمون عليهم حينما سمعوا بخروج الجيوش المصرية صوب دمشق في العام نفسه ، فثاروا على النصارى وأوقعوا بهم ونهبوا منازلهم ، وخربوا كنيسة اليعاقبة وكنيسة مريم ، حتى حولوها إلى حيطان وتركوها والنار تأكل في أخشابها وقتلوا منهم عدداً وهرب أكثرهم [٥] .

ويشير ابن الفرات في أحداث سنة (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) أنه خرج مرسوم من الملك المنصور إلى نيابة الشام أن لا يستخدم أحداً من أهل الذمة في المباشرات الديوانية ، فصرفوا عنها [٦] ، وقد مارست بعض هذه الطوائف من أهل الذمة العديد من المهن والحرف الصناعية كصناعة الحلي ، وعمل بعضهم في التجارة [٧] ونبغ عدد منهم في مهنة الطب [٨].

وبرغم ما كان يحدث بين المسلمين وأهل الذمة من أحداث إلا أن المسلمين كانوا يحسنون معاملتهم ويؤدون إليهم حقوقهم المقررة [٩]، فقد ذكر ابن عساكر أنه

---

(١) المقريزي : السلوك ج٢ ص٢٣٢ ، ٤٢٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، البدر العيني : عقد الجمان ج٦ ص٦٤٨ ، ٦٦٤ ص٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٨ .

(٣) السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ج٨ ص٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر : تتمة المختصر ، دار الكتب العلمية بيروت ج٢ ص٢٠٠ .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٥) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٨ ، تاريخ ابن الوردي : ج٢ ص٢٠٠ .

(٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج٨ ص٩٣ .

(٧) كرد علي : خطط دمشق ج٤ ، ص٣٢ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١١ ، ص٦٧

(٩) غوانمه : تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ص١٢٠ .

كان لهم بدمشق خمس عشرة كنيسة في ما أقرهم المسلمون عليها يـوم الفـتح[1] ولهذا نرى بعض الأطباء من أهل الذمة عملوا في مهنة الطب مع المسلمين ولقوا من الإنعام والإكرام ما دفع بعضهم إلى اعتناق الإسلام [2] .

ثانياً : العادات والتقاليد :.

أوردت المصادر كثيراً من العادات والتقاليد في بلاد الشام خلال القـرنين السادس والسابع الهجريين والتي يصعب الحديث عنها بشكل مفصل ، ويمكـن أن نورد منها ما نستجلي به بعضاً من مظاهر الحياة الاجتماعية والتقاليد خلال فتـرة البحث ، فالرحالة المسلمون الذين دخلوا بلاد الشام وصفوا مـساجدها ومدارسـها وأسواقها وخاناتها وحماماتها وبيمارستاناتها وما كان يدور فـي تلـك المرافـق الاجتماعية من نشاطات علمية واجتماعية .

وبتنوع العادات والتقاليد بين فئات المجتمع الشامي ، نشير إلى انه كان من عادات الشاميين في شهر رمضان الاجتماع على مائدة الإفطار ، وإعداد الأطعمة للفقراء والضعفاء ، وقد تنافس في ذلك الأمراء والفقهاء والتجار وغيرهم من عامة الناس ، ويكون اجتماعهم في المساجد والساحات والمنازل [3] .

أما في أيام الحج فهم « يتوخون الوقوف يوم عرفة بجوامعهم ، إثر صـلاة العصر يقف بهم أئمتهم كاشفين رؤوسهم داعين ربهم ، التماساً لبركة الساعة التي يقف فيها الحجاج على صعيد عرفة ، فلا يزالون كذلك حتى غروب الشمس ، ثم ينصرفون باكين محزونين على ما فاتهم من بركة ذلـك اليـوم العظـيم » [4] ، « وكانوا يستقبلون الحجاج القادمين من الحج ويخرجون لتلقـيهم رجـالاً ونـساء

---

(1) ابن عساكر : تاريخ دمشق ج1 ص241 ، 242 ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص271 ، 272 .

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص652، الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، حققه علي أبو زيد ورفاقه ، دار الفكر الطبعة الأولى 1418هـ ص3 ، 65 .

(3) ابن بطوطة محمد بن عبد ا بن محمد : تحفة النظار (الرحلة) ، تحقيق محمد العريان ، دار إحياء العلوم بيروت 1412هـ الطبعة الثانية ص120 ، 121 .

(4) ابن جبير : الرحلة ص264 .

ويصافحونهم ويتمسحون بهم طلباً للبركة ،ويتلقونهم بالأطعمة ،ويقدمونها للحجاج، فإذا أخذ الحاج منها جزءاً تُخُطفَ ما بقي منه ثم أُكِلَ الباقي طلباً للبركة » [١] .

وكان لأهل الشام في جنائزهم عادات وطرق عجيبة ، فحينما يموت أحـد الناس تعلن وفاته في مآذن المساجد خاصة إذا كان من الأمراء والعلماء والتجـار وغيرهم من أرباب الدولة [٢] ، وبعد تجهيز الجنازة يخرجون بها إلـى المـسجد للصلاة عليها ، وكانت طريقتهم في ذلك أنهم " يمشون أمـام الجنـازة يقـرؤون بأصوات شجية وبألحان مبكية ومحزنة للقلوب " [٣] .

وكان العزاء يقام في المسجد ، يصفّ الناس فيه أفراداً أفـرادا ، وينـادي نقيب الجنائز بصوت مرتفع بأسماء من يحضرون العزاء من أعيان البلد والعلماء والقضاة والفقهاء وغيرهم ، ثم يقوم أحد الحاضرين من العلماء والفقهاء فـيعض الناس ويذكرهم ثم يأتي آخر فيفعل مثله وهكذا ثم ينصرفون ... [٤] .

ويتناول ابن جبير صوراً من الحياة الاجتماعية والنشاطات داخل الجـامع الأموي فيقول : « وفي هذا الجامع المبارك تجمع عظيم ، وكل يوم إثـر صـلاة الصبح، يجتمع الناس لقراءة سبع من القرآن دائماً ، ومثله إثـر صـلاة العـصر لقراءة تسمى الكوثرية ، يقرؤون فيها سورة الكوثر إلى الخاتمة ، ويحضر في هذا المجتمع الكوثري كل من لا يجيد القرآن للمجتمعين على ذلك إجراء كـل يـوم ، يعيش منه أزيد من خمسمائة إنسان ... وعند فراغ المجتمع السبعي من القـراءة صباحاً يستند كل إنسان منهم إلى سارية ويجلس أمامه صـبي يلقنـه القـرآن ، وللصبيان أيضاً على قراءتهم جراية معلومة ، فأهل الجدة مـن آبـائهم ينزهـون أبناءهم عن أخذها وسائرهم يأخذونها » [٥] .

---

(١) ابن جبير : الرحلة: ص٢٥٩ .

(٢) العثماني أحمد العدوي : الأعلام في فضائل الشام ص١٣٩ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ص٢٦٧ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص٢٦٧ ، ٢٦٨ ، وهذه العادة في الجنائز قد أنكرها علماء العصر وبينوا أنها من البدع المحدثة ، انظر أبو شامة : الباعث على إنكار البدع ص٢٧٠ ، ٢٧٨ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص٢٤٤ ، ٢٤٥ .

واعتاد أهل الشام جعل يوم السبت عندهم يوم بطالة لا يخرجون فيه إلى أعمالهم ولا يعملون فيه عملاً ، فهم يخرجون إلى المتنزهات ، والشواطئ ، والأنهار، وإلى البساتين والعيون يقضون فيها يومهم إلى الليل [1] يقول القزويني : ((وفي هذا اليوم لا يبقى للسيد على المملوك حجر ، ولا للوالد ولا للزوجة ولا للأستاذ على التلميذ فإذا كان أول النهار يطلب كل واحد من هؤلاء نفقة يومه فيجتمع المملوك بإخوانه من المماليك ، والصبي بأترابه من الصبيان ، والزوجة بأخواتها من النساء ، والرجل بأصدقائه ، فأما أهل التمييز فيمشون إلى البساتين ولهم فيها قصور ومواضع طيبة ، وأما سائر الناس فإلى الميادين الخضر ، وهو محوط فرشه أخضر صيفاً وشتاء من نبت فيه ، وفيه الماء الجاري ، والمتعيشون يوم السبت ينقلون فيه دكاكينهم ، وفيها حلق المشعوذين [2] ، والمساخرة ، والمغنين ، والمصارعين ، والفصالين ، والناس مشغولون باللعب واللهو إلى آخر النهار)) [3]. وكانت أيام السبوت هذه من أكبر الأيام والمواسم ، تغلق فيها الأسواق، وتعطل الدواوين والمكاتب ، وتهجر من أجلها حلقات التدريس في المساجد والمدارس [4]وتزدحم الناس في الساحات والميادين وعليهم أصناف الأزياء

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ص١٠٤ .

(٢) الشعوذة : خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين ، ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص٤٩٤ ، مادة " شعذ " .

(٣) آثار البلاد : ص١٩١ .

(٤) تحدث العلماء عن هذه العادة السيئة وأنكروها يقول الضياء المقدسي : ((ومن البدع التي نهينا عنها وحرم على المسلمين فعلها مشاركة المسلمين لليهود والنصارى في أعيادهم ومواسمهم مثل خميس البيض ، واثنين الراهب ، ويوم السبت ، والميلاد ... أما يوم السبت فقد عمت المصيبة فيه فترى فيه جهلة المسلمين والعلماء الغافلين يتخذونه يوم بطالة وراحة وتنزه وترى غالبهم يقفلون حوانيتهم ويبطلون أشغالهم وتجاراتهم ويخرجون فيه إلى التنزه ، ويجلس فيه مستريحاً كفعل اليهود بلا ريب ولا شك ، يقصدون ذلك اليوم البطالة دون أيام الأسبوع ويتأسوا في ذلك بفعل جهال كثير وإنما يكون الإقتداء والأتباع والتأسي بفعل السلف الصالح أو يكون أمراً مباحاً ، وهذا غير مباح لأنه يوم يختص باليهود لأن الجمعة للمسلمين والسبت لليهود والأحد للنصارى ... وإن كان ولا بد من يوم بطالة وراحة للمسلم فليكن يوم الجمعة لأنه ما طلعت الشمس على يوم أفضل منه ... فيجب على المسلم الطالب لدار الآخرة أن يتجنن

والثياب والمنسوجات البلدية الفائقة الصنعة [١] .

وكان من عادات الشاميين ما يسمى عندهم بليلة الوقيد ، وهي ليلة النصف من شعبان كانوا يوقدون السرج في المساجد [٢] ، ويجمعون الناس للصلاة والدعاء وقراءة القرآن [٣] ، وقد وصف أبو شامة ما كان يحدث في هذه الليلة من الفسق ، واختلاط النساء بالرجال ، وتلامس أجسامهم بعضاً ببعض من شدة الزحام ، مما يدل على شناعة تلك البدعة المحدثة [٤] ثم يقول : ((وكل من حضر ليلة نصف شعبان عندنا بدمشق في بلاد المضاهية ، لما يعلم أنه يقع في تلك الليلة من الفسوق والمعاصي وكثرة اللغط والخطف والسرقة وتنجيس مواضع العبادات وامتهان بيوت الله تعالى ... وكل ذلك سببه الاجتماع للتفرج على كثرة الوقيد ، وسببها تلك الصلاة المبتدعة المنكرة ...)) [٥] .

ومن أهم مظاهر الحياة الاجتماعية التي تميزت به بلاد الشام الحمامات العامة ، التي يرتادها الناس للنظافة والتطهر والاغتسال ، وهي بلا شك من وسائل حفظ الصحة التي يحض عليها الإسلام [٦] .

وانتشرت هذه الحمامات في بلاد الشام بحيث لم تخل منها مدينة من مدنها[٧] ، واهتموا بعمارتها وتشييدها بطرق هندسية وعمرانية متقدمة ، وقد

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا يغتر بجاهل أو عالم غافل ...)) إتباع السنن واجتناب البدع والدف والشبابة : مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف ورقة (أ ٧ ، ٨) .

(١) الحموي : دمشق في العصر الأيوبي ص٣٨ ، سبانو : مقالات مجموعة ص١٣٢.

(٢) أبو شامة : الروضتين ص١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) أبو شامة : الباعث على إنكار الحوادث والبدع ص١٢٨ ، ١٣٢ .

(٤) نفسه ص١٣٥ .

(٥) أبو شامة : الباعث على إنكار الحوادث والبدع ص١٣٥ .

(٦) غوانمه : تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ص١٣٧ ، العلبي أكرم حسن : خطط دمشق دار الطباع الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ص٤٩١ ، ٥٣٨ .

(٧) غوانمة : تاريخ شرقي الأردن في العصر المملوكي ((القسم الحضاري)) ١٨٧ .

أحصي عددها ، فكانت تربوا على المائتين والخمسين حماماً ، وهذا العدد الكبير يدل على مدنية راقية تتجلى في وسائل النظافة والتعاليم الصحية المتبعة [(١)].

أما نظامها الداخلي وطرق استخدامها فيحدثنا أبو علاء ابن النفيس فيقول: ((أفضله ما كان قديم البناء ، عذب الماء والفضاء ، معتدل الحرارة ، البيت الأول مبرد رطب ، والثاني مسخن مرطب ، والثالث مسخن مجفف ، ولا يدخل البيت الحار إلا بتدريج ، فكيف الخروج منه ، وطول المقام فيه يوجب الغشي والكرب والجفاف ، ويابس المزاج يستعمل الماء أكثر من الهواء ، وقد يضطر إلى رش البيت بالماء وحبسه على أرض الحمام ليكثر تبخيره كما يفعل بالمدقوقين [(٢)]، ومرطوب المزاج يستعمل الهواء أكثر من الماء ، وقد يضطر إلى إفراط قبل استعمال الماء كما يفعل بالمستسقين [(٣)]... ليزد الدثار بعد الحمام وخصوصاً في الشتاء ، لأن البدن ينتقل من هواء الحمام إلى أبرد منه ...)) [(٤)] .

وأفرد ابن المطران في كتابه بستان الأطباء فصلاً مستقلاً عن استعمالات الحمام الطبية ، لأنه يمثل وسيلة من وسائل العلاج وحفظ الصحة وذكر جملة من الوصايا والتنبيهات من كلام الأطباء عن طرق استخدام الحمام ومنافعه فمن ذلك قوله : ((إذا أردت أن تجفف بدن الإنسان في الحمام فاجعل وقود الحمام حطب

---

(١) ابن عبد الهادي : رسائل دمشقية " عدة الملمات في تعداد الحمامات " ص٣٦ ،٤٦ ، أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ص١٥٧ ، أول من تحدث عن الحمامات في بلاد الشام ودمشق خصوصاً ، الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ / ١١٧٥م) ذكر عنها فصلاً في تاريخ دمشق عند كلامه عن القني ، ثم تكلم ابن شداد (٦٨٤هـ / ١٢٨٧م) في الأعلاق الخطيرة عنها في فصل مستقل ، ثم أبو علي الحسن بن نصر الأربلي في كتابه (مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ، ثم يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) في رسالة (عدة الملمات في تعداد الحمامات) .

(٢) حمى الدقة : حمى دقيقة لا تنقطع ، وتنوي إذا تناول العليل شيئاً القمري أبي منصور الحسن بن نوح : التنوير في الاصطلاحات الطبية ، تحقيق وفاء تقي الدين مطبوعات مجمع اللغة العربية ، مطبعة الصباح ص٣٥ .

(٣) الاستسقاء : إما ورم جميع البدن ، أو عظم البطن المفرط ومن النوعة اللحمي والزقي والطبلي ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٢٦ .

(٤) ابن النفيس علاء الدين بن الحزم : الموجز في الطب ، تحقيق عبد الكريم العزباوي وزارة الثقافة المصرية الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ص٦٣ .

البلوط والسرو وما شاكلها ، وإن أردت أن ترطب فاجعل وقود الحطب الطرفـان والتوت وحشيش سنبل الشعير وحطب الصفصاف والداب والعناب والأجاص وما شاكلها ، وإن أردت تحليل بدن ، فاجعل وقود الحمام شفش الكرم الأحمر خاصـة وحشيش الأقحوان وتبن الحنطة والبابونج مجموعة ومفرقة)) [1] وقد بـين ابـن المطران ما يقع فيه أهل عصره في دمشق من خطأ في استعمال الحمام فيقـول :

((اعلم أنهم عندنا بدمشق يمنعون الناس من التقدم بالحمام على المسهل وهو خطأ، بل يجب على من أراد أن يستسهل بالدواء أن يدخل الحمام قبل الدواء مراراً كثيرة ويجب أن يكون بين الحمام وبين شرب المسهل مدة قصيرة ، اللهم ، إلا أن يمنـع من ذلك مانع ، كحمى أو غيرها ، من مرض بعض الأعضاء الرئوية أو الشريفة أو بعض الأورام ...)) [2] .

وهذه العناية من قبل الأطباء بالحمام واستخداماته تدل على أثره في صحة الناس نفعاً وضراً .

وكانت الحمامات تخضع لمراقبة المحتسب والإشـراف عليهـا يوميـاً ، ويمكن أن تلمس الجوانب الصحية والأخلاقية في حمامـات الـشام مـن خـلال ما أورده الشيزري في الاحتساب على الحمامات وما ينبغي عمله فيها حيث يقول:

((وينبغي أن يأمرهم المحتسب بغسل الحمام وكنسها وتنظيفها بالمـاء الطـاهر ، غير ماء الغسالة ، يفعلون ذلك مراراً في اليوم ... ويغسلون الخزانة من الأوساخ المجتمعة في مجاريها العكر الراكد في أسفلها في كل شهر مرة ، لأنها إن تركت أكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعـم والرائحـة ، وإذا أراد القـيم الـصعود إلى الخزانة لفتح الماء إلى الأحواض ، فينبغي أن يغسل رجليه بالماء ثم يصعد ، لئلا يكون قد خاض في الغسالات ... ولا يجوز أن يدخل المجذوم والأبرص إلى الحمام ... وإن رأى أحداً قد كشف عورته عزره على كشفها ، لأن كشف العورة

---

(1) ابن المطران أسعد بن إلياس : بستان الأطباء وروضة الألباء ، تحقيق عبد الكريم أبو شويرب ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ص٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

(2) نفسه ص٨١ .

حرام ...)) [1] كما نبه المحتسب على المزين الذي يعمل في الحمام ، وبـيّن مـا يستوجب عليه فعله [2] .

وكان لأهل الشام عادات في دخول الحمام فالوقت مقـسم بـين الرجـال والنساء من طلوع الفجر إلى صلاة العشاء [3] وكان الحمام بمثابة مكان للاجتماع والراحة فهم يحتفلون بالمريض إذا دخل الحمام ويعدون ذلك عنواناً لشفائه [4] .

وقد كان هناك نوع آخر من الحمامات ذات الخصائص العلاجية ، وهـي تلك التي تقام على البحيرات والأعين الحارة ، التي يقصدها الناس للاستشفاء وهي كثيرة في بلاد الشام [5] ، وبصفة خاصة مياه حمامات طبرية ذات الشهرة الواسعة في ذلك العصر ، فقد أولاها الرحالة المسلمون عناية خاصة لما اتصفت به من خصائص علاجية ، يقول ابـن فـضل العمـري : ((وهـي بحيـرة يقـصدها المبرودون[6] للاستشفاء)) [7] ويتوسع السائح الهروي في وصفها بقولـه ((أمـا حمام طبرية التي يقال إنها من عجائب الدنيا فليست هذه التي على باب طبريـة ، على جانب بحيرتها، فإن مثل هذه كثير رأينا في الدنيا ، فهو موضع من أعمـال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهو عمارة قديمة قيل عمرها سليمان بن داود عليه السلام وهو هيكل يخرج من صدره ، وقد كان يخرج من اثني عشر موضعاً وكل عين مخصوصة بمرض من الأمراض ، إذا اغتسل منهـا صـاحب

---

(1) نهاية الرتبة ص٨٧ ، ٨٨ ، السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ ص١٣٥ .

(2) نفسه ص٨٨ .

(3) زعرور إبراهيم : الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمماليك ، دمشق ١٤١٣هـ ص١٥١ .

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور: عصر ابن عساكر ومجتمعه ص٢٢٩ .

(5) القزويني : أخبار البلاد ١٥٠ ، ١٥١ .

(6) المبرود : هي علة معروفة من غلبه البرد والرطوبة تحدث تقطير في البول ، وهي علة في العين أيضاً القوصوني : قاموس الأطباء ج١ ص١٢٥ ، وانظر تفصيلات ذلك جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص٣١١ ، ج٢ ص١٣ ، ٢٤ .

(7) مسالك الأبصار ١٣٥ ، أبو الفداء : تقوم البلدان ص٢٤٣ .

ذلك المرض يبرأ بإذن الله تعالى .. وهذا الموضع يقصده أصحاب الأمراض والعاهات والزمنى [1] والرياح فيغتسلون فيه ، وعيونه تصب في موضع كبير حسن يسبح الناس فيه ومنفعته ظاهرة ...)) [2] .

ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى ظاهرة التداوي عن طريق الذهاب لزيارة بعض المزارات الموجودة في بعض مدن الشام كحلب ، دمشق ، حمص ، حماة ، معرة النعمان ، وبعلبك ، وغيرها ،[3] وبرغم وجودها إلا أنها ظاهرة محددة قليلة الوقوع في ظل تطور الطب خلال ذلك العصر [4] ، فالهروي يشير إلى شيء من ذلك ، فقد كان بإحدى قرى حلب ((معبد يقصده الزمنى والمرضى من الأماكن ويبيتون به ، فإما أن يبصر المريض من يقول له دواؤك في الشيء الفلاني ، أو يبصر من يمسح بيده عليه ، فيقوم وقد برئ بإذن الله تعالى)) [5] ويقول أيضاً ((إنه في كفر نجد [6] بئر يقصدها من دخل في حلقه علقه ويصعب إخراجها ، فإنه كلما شرب من ماء البئر شربة وطاف بالبئر مرة فإذا أكمل سبع مرات خرجت بغير أذى وذكروا أنهم جربوه)) [7] ويذكر أن بحمص ((طلسم العقرب إذا أخذ من ترابها ووضع على لدغة العقرب برئ ، وهو مجرب وحمل منه إلى البلاد)) [8] وابن العديم يذكر أن بحلب عموداً كان ((إذا أصاب الإنسان أو الدابة عسر البول أتوا به إليه وأداروا به حوله فيزول ما به)) [9] ولا شك أن

---

(1) الزَّمِن : أي المبتلى ، وزمين كجريح والجمع زمنى كجرحى لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها . القوصوني : قاموس الأطباء ج٢ ص١٥٩ ، ١٦٠ .

(2) الإشارات إلى معرفة الزيارات ص٢٠ ، ٢١ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص٣٦٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص١٧ ، ١٨ ، القزويني : أخبار البلاد ص٢١٨ .

(3) الهروي أبي الحسن علي بن أبي بكر : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، دمشق ١٩٥٣م ص٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٧٧ .

(4) زعرور : الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ص١٧٠ ، ١٧١ .

(5) الإشارات إلى معرفة الزيارات ص٦ .

(6) كفر نجد : قرية صغيرة من أعمال حلب ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص٤٧١ .

(7) الإشارات إلى معرفة الزيارات: ص٦ .

(8) نفسه : ص٩ .

(9) بغية الطلب في تاريخ حلب ج١ ، ص٤٧٤ .

هذه الطرق في التداوي مما لم يأذن به الإسلام وحرم فعله ، لما فيه من الـشرك وطلب الشفاء من غير ا .

أما عند أهل الذمة من الطوائف المسيحية فلهم عادات يمارسونها في حالـة المرض ؛ فهم ينذرون للكنائس والمعابد والأديرة زيتاً وشموعاً وبخوراً ، وينقلون بعض النباتات الموجودة في جدرانها لإعطائها للمريض ، كما أنهم كانوا يلجـأون إلى تشريط جلد المريض بشفرة حادة كنوع من المعالجة وإذا لم يتحسن المريض يكوونه بالنار ، وعند إصابة أحدهم بجروح كانوا يغطونه بعجينة من الغبار الدقيق المخلوط بالماء [1] ، كما جرت العادة عندهم أن المريض يذهب إلى بركة للمـاء تسمى بركة سليمان ، ويبقون ينظرون فيها حتى يتحرك ماؤهـا ، وأول شـخص ينزل بعد تحرك الماء يشفى من مرضه ، بل كان بعض المسيحيين يذهبون إلـى المكان الذي يزعمون أن المسيح صلب فيه بكنيسة القيامة ، ويذهبون إلى عمـود الصلب ويضعون عليه القماش ، ثم يتغطون بها طلباً للبرك والاستشفاء ، وهـي عادة قديمة كانت منتشرة طوال فترة الحكم الصليبي [2].

بقي أن نشير إلى اهتمام أهل الشام بمطاعمهم وعنايتهم بها سواء كان ممـا يصنع في منازلهم ، أو ما يخضع لإشراف المحتسب مما يباع في الأسـواق [3] . ويمكن إبراز ذلك من خلال ما صنفه بعض الكتاب الشاميين عن أنواع الأطعمـة والمطبوخات مما يدل على مدنية راقية وترف كانت تعيشه بعض المدن الشامية .

فمن ذلك ما صنفه الأديب الكاتب الحسن بن محمد البغدادي الذي سـكن دمشق وعاش بها معظم حياته فكتابه يشتمل على أنواع مـن الأطعمـة وكيفيـة إعدادها وذكر بعض فوائدها ومنافعها الصحية [4] فقد أوضح في مقدمـة أهميـة التأليف في هذا الجانب حيث يقول : ((أما بعد فإن ا جل وعلا أحل الطيبات من المآكل وأباح التنعم بها مما لم يشبه محرم ... فإن ملاذ الدنيا تنقسم سـتة أقـسام

---

(١) علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ص٢٦٢ .

(٢) نفسه : ص٢٦٣ .

(٣) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٠ .

(٤) البغدادي : محمد بن الحسن بن محمد الكاتب : الطبيخ ص٧ .

وهي المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمشموم والمسموع وأفضل هـذه الأقسام وأهمها المأكول ، إذ كان هو قوام الأبدان ومادة الحيـاة ولا سـبيل إلـى استعمال غيره إلا بالصحة الذي هو معين عليها ، وغير محظور التأنق في المآكل والاهتمام بها ، وقد كان النبي صلى ا عليه وآله إذا صنع له بعـض أصـحابه طعاماً وتأنق فيه على حسب ما كانت عليه حالهم حينئذ ، ثم دعاه أجابه إلى ذلك . وقد قال بعض الحكماء : أربعة تجمع الحسنى وتكمل النعمى : دين قوي ، وسعي زكي ، وطعام مري ، وشراب هني ، فدل على أنه لا بأس بالتلاذذ فـي الأطعمـة والتخصص بها)) [١] ويذكر المؤلف أنه وقف على كثير مما كتب في هـذا الفـن وقد جعل كتابه هذا على عشرة أبواب أفرد لكل نوع من الأطعمة باباً مستقلاً [٢] ، فهو يذكر في مقدمته صفات الطباخ وأنواع القدور المستخدمة في الطبيخ وانـواع الحطب وأجوده ، والملح والكمون ، وأنواع البهارات والتوابـل ، وغيرهـا مـن الأواني والأدوات المستخدمة في الطبيخ [٣] .

---

(١) البغدادي : الطبيخ ، تحقيق فخري البارودي ، دار الكتاب الجديد الطبعة الأولى ١٩٦٤ ص٩ ، ١٠ .

(٢) نفسه : ص١٠ .

(٣) نفسه : ١١ ، ١٢ .

المبحث الرابع : الأوضاع الدينية

تبرز الأوضاع الدينية من خلال دراسة المذاهب السنية وانتشارها ، وما قام به علماء الشام من جهود في مقاومة بعض صور الانحرافات المذهبية والتيـارات الضالة كالصوفية والفلسفة والباطنية . ومن خلال هذا العرض نستعرض بعـض جوانب الحياة الدينية خلال هذا العصر وأثرها على الحركة العلمية بصورة عامة

أولاً المذهب الحنفي :

ينسب المذهب للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م)، وكان أول منشئه في الكوفة ثم في العراق وباقي بلاد الشرق الإسـلامي [١] ثـم انتشر هذا المذهب في مصر والشام وبلاد اليمن [٢] . ولما دخلت السلاجقة بـلاد الشام دعموا المذاهب السنية ، ونشروا فيها المدارس الفقهية ، وخصوصاً مـذهب الأحناف [٣] ، فكانت المدرسة الصادرية [٤] التي أنشئت سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) أول مدارس الأحناف في بلاد الشام [٥] ، ولقي المذهب الحنفي التأييد في الفتـرة التي حكم فيها السلطان نور الدين محمود ، فقد كان حنفـي المـذهب ، وكثـرت مدارس الأحناف في عهده ، وزاد عدد العلماء بالشام الذين استدعاهم ولقوا منـه كل الحفاوة والإكرام [٦] وزاد هذا التأييد في فترة حكم السلطان المعظم عيسى بن

---

(١) أحمد تيمور باشا : نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ص٨ ، ١٨ .

(٢) بدران أبو العينين : تاريخ الفقه الإسلامي ص١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) صلاح الدين المنجد : ولاة دمشق في العصر السلجوقي ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق لابن عساكر ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ١٩٧٥م ص٦ .

(٤) هي التي أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبد ا ، وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق درس بها عدد من أكابر علماء المذهب الحنفي بالشام وبقيت هذه المدرسة يؤدى دورها العلمي في تدريس الفقه الحنفي حتى أواخر القرن السابع الهجري ، النعيمي : الدارس ج١ ص٥٣٧ ، ٥٣٨ .

(٥) النعيمي : الدارس ج١ ص٤١٣ .

(٦) ابن الأثير : الباهر ص١٦٠ ، الكامل ج٩ ، ١٢٥ ، أبو شامة : الروضتين ج١ ص١٤ ، ابن قاضي شهبة محمد بن أبي بكر بن أحمد : الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد دار الكتاب الجديد ١٩٧١م ص٣٧ .

أبي بكر ابن أيوب ، حيث كان حنفي المذهب على الرغم من أن أهل بيته كلهم من الشافعية (١) فكان له أثره الكبير في دعم المذهب ، ونشر كتبه (٢) ، وحفظ متونه(٣) ، والمشاركة بالتصنيف فيه ، والذب عن علمائه (٤) . وفي عصر المماليك تقرر تعيين أربعة قضاة لكل مذهب قاضي ، وساروا على هذا الأمر في مصر والشام طيلة حكم المماليك ، مما ساعد على انتشار المذاهب السنية في تلك البلاد وغيرها من الأقاليم التي تحت حكم المماليك (٥) .

ثانياً : المذهب الشافعي :

ينْسب أصحاب هذا المذهب للإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ/٨١٩م) . وكان أول انتشار المذهب الشافعي في مصر ، والعراق والحجاز واليمن (٦) . وزاد انتشاره بمصر لأن الإمام الشافعي أقام بها إلى آخر حياته (٧) ، واستمر بها إلى أن استولى العبيديون على مصر فضعف أتباعه وقل انتشاره (٨) ، وفشا بها المذهب الشيعي (٩) إلى حين دخول السلطان صلاح الدين

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٧ ص٤٩٤ ،القرشي محيي الدين عبد القادر بن محمد : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ،تحقيق عبد الفتاح الحلو ،هجر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ج٢ ص٦٨٢ ، ٦٨٣ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٤٧ ،

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٤٧ ، الذهبي : العبر ج٢ ص١٩٤ .

(٤) للمعظم عيسى كتاب (السهم المصيب في الرد على الخطيب) رد فيه على الخطيب البغدادي فيما تكلم به في حق أبي حنيفة في كتابه تاريخ بغداد ، انظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧ . المقريزي : السلوك ج١ ص٢٢٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٣٧ . أحمد بدوي : مأمون بني أيوب ، مكتبة الأنجلوا المصرية ص١٦ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ج١١ ص١٧٤ . بدران عبد القادر أحمد : منادمة الأطلال المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ص٧٦ .

(٦) نفسه : ص٧٥ .

(٧) محمد أبو زهر : تاريخ المذاهب الإسلامية ص٤٨٠ .

(٨) ابن خلدون : المقدمة ٢١٩ .

(٩) بدران : منادمة الأطلال ص٧٥ .

الأيوبي ، فأعاد مذهب أهل السنة إليها ، وأزال مظاهر المذهب الإسـماعيلي[1].
يقول ابن خلدون : ((.. وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي لما نزل على بنـي عبد الحكم ؛ بمصر أخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم ، وأشهب وابـن القاسـم وابن المواز وغيرهم ، ثم الحارس بن مسكين وبنوه ، ثم انقرض فقه أهل الـسنة من مصر بظهور دولة الرافضة ، وتداول بها فقه أهل البيت ، وتلاشى من سواهم إلى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين بن يوسـف بـن أيوب ، ورجع إليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام ، فعـاد إلـى أحسن ما كان ونفقت سوقه ، واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلبة التـي ربيت في ظل الدولة الأيوبية بالشام ..)) [2] وبقي المذهب الشافعي هو المـذهب الرسمي للدولتين الأيوبية والمملوكية في مصر والشام [3] ، وكان معظم الفقهـاء وأكثرهم في هذا العصر هم ممن ينتمون إلى هذا المذهب [4] .

ثالثاً : المذهب الحنبـلي :

تشير المصادر أن أول من نشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل في بلاد الشام، هو احد كبار العلماء في المذهب الشيخ عبد الواحد بن محمد بن علي بـن أحمـد الشيرازي (٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) ، حينما قدم من بغداد إلى بيت المقدس وذاعـت شهرته ودرس عليه عدد كبير من الطلبة [4] ، فبرز منهم قدامة بن مقدام بن نصر

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد : المقدمة، تحقيق درويش الجويدي المكتبة العصرية الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ص٤١٩،٤٢٠

(٣) باشا عمر موسى : الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ص٩٠ ، المنجد صلاح الدين : ولاة دمشق في العهد السلجوقي ، دار الكتاب الجدد بيروت الطبعة الثانية ص٦ ، ٧ .

(٤) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ، ٧ ، ٨ ، الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم : طبقات الشافعية ، دار الكتاب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٧م ج١ ،٢ ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ج١، ٢ .

(٤) الذهبي :العبر ج٢ ص٣٥٢ ،ابن رجب عبد الرحمن أحمد البغدادي الحنبلي : ذيل طبقات الحنابلة ، دار المعرفة بيروت ج١ ص٦٩، النعيمي :الدارس ج١ص٦٥

ابن عبد ا   الجماعلي [1] ، ثم انتقل قدامة من بيت المقدس ، واستقر في دمـشق إلى حين وفاته [2] .

وأسهمت أسرة بني قدامة الذين خرجوا من بيت المقـدس إلـى دمـشق واستوطنوها – عقب دخول الفرنج إليها– وشرعوا في تأسيس حي كبير لهم قرب جبل قاسيون يسمى الصالحية ،وأقاموا به المساجد والمدارس[3]والـدور ،وقـاموا بتدريس كتب المذهب ،ونشر العلم والتأليف في شـتى العلـوم .وكـان لهـؤلاء المهاجرين جهودهم في التأليف والتعليم ،فامتزجوا بأصـحاب المـذاهب الفقهيـة الأخرى ،وأخرجوا مذهب الإمام أحمد من عداد المذاهب الحديثيـة إلـى عـداد المذاهب الفقهية[4]. ومما ينبغي الإشارة إليه ،أن الصراع المـذهبي بـين أتبـاع المذاهب السنية لم يكن واضحاً وبارزاً في بلاد الـشام طيلـة القـرنين الـسادس والسابع، إلا ما أشارت إليه بعض المصادر، مما كان يقع بـين بعـض الحنابلـة والأحناف[5] .

---

(١) لم أقف له على ترجمة فيما وقع بين يدي من مصادر .

(٢) شاكر مصطفى : آل قدامة في الصالحية حوليات دولة الآداب الكويت ١٤٠٢هـ ص١٠، ١٦.

(٣) ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣) .

(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلـة ج٢ ص٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، النعيمـي : الـدارس ج٢ ص٣. ، ١٢٥ ، من أمثال هؤلاء الفقيه محمد بن أحمد بن قدامة (٦٠٧هـ / ١٢١٠م) شيخ المقادمـة بالـشام ، والعلامة الفقيه عبد ا   بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) صاحب الكتـب فـي المذهب مثل ، (مختصر الخرقي) و(الهداية) و(المقنع) و(المغني) و(الكافي) و(العمدة) . وغيرها . ومنهم الفقية المحدث أحمد بن محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) شيخ الحنابلة في عصره ،وغيرهم انظر ،ابن رجب :ذيل طبقات الحنابلـة ج٢ ص٤٩، ٥٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٧٠، ١٧١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٨ .

(٥) فمن ذلك ما قام به الشيخ علي بن مكي الكاساني الحنبلي من المضايقات للفقيه علي بن الحـسن بـن محمد أبو الحسن البلخي (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) حول التدريس في المدرسة الصادرية فآثر أبـو الحـسن البلخي عدم الدخول في صراع مذهبي فترك الشام ورحل إلى مكة ، فندم الكاساني على فعله هـذا فراسـله بالرجوع إلى الشام فعاد وتسلم المدرسة واشتغل بالتدريس والتذكير . ابن عساكر : تـاريخ دمـشق ج٤١ ص٣٣٩ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٦ ، القرشي : الجواهر المضيئة ج٢ ص٥٦٠ .

أو بعض الحنابلة والشافعية الأشعرية [1] ، حول بعض مسائل العقيدة [2] .

فمن ذلك ما حدث بين الحافظ المحدث عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) وبعض أهل دمشق من الشافعية الأشاعرة ، من خلاف حول بعض المسائل العقدية يقول أبو شامة : ((فدخلوا عليه بطريق الناصح بن الحنبلي فحسنوا له أن يعظ بعد الصلاة تحت قبة النسر ، ففعل ، فشوش على عبد الغني المقدسي ، فصار يعقده بعد العصر ، وذكر عقيدته على الكرسي ، فاتفق القاضي محي الدين بن الزكي والخطيب ضياء الدين الدولعي وجماعة من الدماشقة ، وصعدوا إلى القلعة ، وكان واليها يوم إذ صارم الدين برعش ، فقالوا : هذا قد أضل الناس ، ويقول بالتشبيه فعقدوا له مجلس مناظرة ، فناظرهم ، فأخذوا عليه مسائل منها ((ولا نزه تنزيها ينفي حقيقة النزول)) ومنها قوله ((كان ا ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان)) ومنها مسألة ((الصوت والحرف)) [3] فقالوا له : إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان ، وإذا لم تنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول فقد أجزت عليه الانتقال ، وأما الحرف والصوت فإنه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء ، وإنما المنقول عنه أنه كلام ا لا غير وارتفعت الأصوات ، فقال له صارم الدين :كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق ؟ قال : نعم فأمر الأمراء فنزلوا إلى جامع دمشق ، فكسروا منبر عبد الغني ، وما كان في حلقة الحنابلة من الدرابزينات ،ومنعوهم من الصلاة في ذلك اليوم ، ففاتتهم صلاة

---

(١) الأشاعرة : تنسب هذه الفرقة إلى الحسن بن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ / ٩٣٥م) الذي يتصل نسبه بالصحابي الجليل أبو موسى الأشعري كان معتزلياً ثم ترك الاعتزال ورجع إلى مذهب أهل السنة ، السمعاني : الأنساب ج١ ص٢٧٣ ، القرشي : الجواهر المضيئة ج٢ ص٥٤٤ .

(٢) الذهبي :سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ج٢٢ ص٤٥٨، ٤٦٤، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٠، ٢٣.

(٣) الحرف والصوت انظر عن هذه المسألة الجديع :عبد ا بن يوسف :العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الدهرية، دار الصيمي الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٥م ص٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٦ .

الظهر، فجمع الناصح بن الحنبلي السوقة ، وقال : ((لئن لم نرجع إلـى مكاننـا ، فعلنا، وصنعنا . فأذن لهم القاضي في ذلك)) [1] .

ثم وقع الخلاف أيضاً بين الحنابلة والأشاعرة ، في عهد الملـك الأشـرف موسى الأيوبي ، الذي كان ميله إلى الحنابلة ، وأهل الحديث [2] يقول ابن واصل : ((وقعت بين الشافعية والحنابلة فتنة بدمشق بسبب العقائد ، وتعصب عز الدين بن عبد السلام على الحنابلة جداً لميله إلى مذهب أبي الحسن الأشعري ...)) [3] وقد أفاض السبكي في ذكر تفاصيل القصة وذكر أن الملك الأشرف موسى لما جـاءه رد الشيخ العز بن عبد السلام حول المسائل المتنازع عليها ولم توافق ما ذهب إليه منعه من ثلاثة أمور : ألا يفتي ، ولا يجتمع بأحد ، وأن يلزم بيته [4] . ثـم لمـا كتب بعض العلماء من الشافعية والمالكية والأحناف ، إلى الملك المعظـم عيـسى تأييدهم لما ذكره العز بن عبد السلام في جوابه إليه ، رفع عنه العقاب وأرسل إليه معتذراً [5] ((وذلك لأنه كان يكره الفتن ، والعصبية في المذاهب)) [6] .

وكان من أهم مظاهر الحالة الدينية في الشام كثرة الاهتمام بعمارة المساجد والمدارس ودور القرآن والحديث ، وإحيائها بحلقات العلم الشرعي في شتى مـدن الشام [7] . أضف إلى ذلك كثرة الفقهاء والمحدثين ، وغيرهم من أربـاب العلـوم الشرعية والعربية ، التي كانت تغص بهم تلـك المـساجد والمـدارس ، وكـان للمدارس الفقهية من العلوم الشرعية أثر في إثراء الدراسات الفقهية ، فقـد انفـرد أصحاب كل مذهب بمدارس خاصة لتدريس كتـب مـذهبهم ، ويكـون طلابهـا

---

(1) ذيل الروضتين ص٤٦ ، ٤٧ وللاستزادة انظر ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص ٤٥٨ ، ٤٦٤ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٠ ، ٢٣ .

(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٢ ص١٢٦ .

(3) مفرج الكروب ج٥ ص١٤١ ، ١٤٢ .

(4) طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٢٣٤ ن ٢٣٥ .

(5) نفسه ج٨ ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(6) ابن واصل : مفرج الكروب ج٥ ص١٤١ ، ١٤٢ .

(7) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة " قسم حلب " ص٣٠ ، ٥٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، " قسم دمشق " 55 ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ابن الشيخة : الدر المنتخب ، ص ٦١ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ١١٠ ، ١١١ .

وشيوخها على نفس المذهب ؛ فكان ذلك حافزاً على التنافس والبحث والتأليف بين أصحاب المذاهب السنية .

ومن أبرز مظاهر روح التدين في هذا العصر الاتجاه العام لدى المجتمـع الإسلامي والعلماء والسلاطين إلى الجهاد في سبيل ا ضد الصليبيين ، والـدعوة لقتالهم وطردهم عن بلاد المسلمين .

كما أن المصادر التي أرخت لتلك الفترة ، تشير إلى مظهر مهم من مظاهر التدين في هذا العصر ، يبرز من خلال موقف علماء أهل السنة من أهـل البـدع والفرق الضالة كالصوفية والباطنية والفلاسفة وغيرهم وتحذير الناس من بـدعهم وانحرافاتهم وقد سلكوا في ذلك وسائل متعددة سنبينها على النحو التالي :

أولاً : موقف العلماء من الصوفية [1] :

كان أول ظهور للصوفية في منتصف القـرن الثـاني الهجـري ، فكـان أول من حمل هذا الاسم رجل أصـله مـن أهـل الكوفـة اسـمه أبـو هاشـم الصوفي (١٥٠هـ / ٧٦٧م) عاش معظم حياتـه فـي بـلاد الـشام [2] وقـد بلغ التصوف أوج كماله فـي أواخـر القـرن الثالـث الهجـري [3] وامتزجـت الصوفية في بعض عقائدها بالفكر الشيعي الرافضي ، وذلـك بـسبب مخـالطتهم

---

(١) عرف ابن خلدون الصوفية بأنها " العكوف على العبادة والانقطاع إلى ا تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها " وهو بهذا التعريف ينحى به منحى الزهد أما ابن الجوزي ففرق بينهما وقال أن " التـصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب ... فالتـصوف مذهب معروف يريد على الزهد ويدل الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف" ابن خلدون : المقدمة ص٤٤٩،ابن الجوزي :تلبيس إبليس ص١٦١، ١٦٥.ومن خلال هذين التعريفين يمكن القـول أن التصوف إنما هو ((نزعة من النزعات ، وليس فرقة مستقلة ثابتة الأداء والأهداف والتعليمات، وأن هناك بعض التماثيل في الأساليب واعتماد التسلسل في الطريقة ،ولذلك يصح أن يكون الرجل سـنياً متـصوفاً أو شيعياً متصوفاً أو معتزلياً متصوفاً)) عسيري مريزن سعيد :الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، مكتبة الطالب الجامعي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ص١٤٣

(٢) عبد الرحمن عميرة : التصوف الإسلامي منهجاً وسلوكاً ص٧ .

(٣) قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام ص٧١ ، ٨١ .

لهم ، يـشير إلـى ذلـك ابـن خلـدون بقولـه ((ثـم إن هـؤلاء المتـأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحـس ، توغلـوا فـي ذلـك ، فذهب الكثير منهم إلى الحلـول والوحـدة ... ومـلأوا الـصحف منـه ، مثـل الهروي [1] فـي كتـاب (المقامـات) وغيـره ، وتـبعهم ابـن عربـي [2] ، وابن سبعين [3]، وتلميذهما ، ثم ابن عفيـف [4] وابـن الفـارض [5]، والـنجم الإسرائيلي [6] في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسـماعيلية المتـأخرين مـن الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم ، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ...)) [7] .

---

(١) الهروي : لم أقف لع على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٢) ابن عربي : هو محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي الصوفي ولـد بمرسـية سنة سبع وخمسمائة هجرية ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ، وتعلم بها ورحل إلى المـشرق فـدخل مـصر وبغداد وحج وبقي في مكة وتعلم بها ، ثم خرج من مصر إلى دمشق واستقر بهـا حتـى وفاتـه ، ولـه مصنفات كثيرة من أشهرها في الصوفية كتاب " الفتوحات المكية " و " فصوص الحكم " الذهبي : العبر ج٣ ص٢٣٣ ، الشعراني عبد الوهاب بن أحمد بن علي : الطبقات الكبرى الطبعة الأولـى دار الجيـل بيـروت ١٤٠٨هـ ج١ ص١٨٨ .

(٣) ابن سبعين : هو عبد الحق بن محمد بن نصر بن سبعين ، كان صوفياً علـى نهـج الفلاسـفة ولـه مصنفات فيها توفي بمكة سنة (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٦٠ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٦٠ .

(٤) ابن عفيف : سليمان بن علي بن عبد ا علي الكوفي التلمساني عفيف الدين ، أديب شاعر ، تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق ، وهو أحد زنادقة الصوفية ، وقد قيل له مرة أأنت نصيري ؟ فقـال : النـصيري بعض مني ، توفي سنة (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) الذهبي : العبر ج٣ ص٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٨ ص٣٥ .

(٥) ابن الفارض : عمر بن علي بن مرشد ابن الفارض الحموي الأصل المصري المولد والوفـاة ، كـان شاعراً وله فيه (ديوان) كان ممن يقول بوحدة الوجود توفي سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) ابن خلكـان : وفيات الأعيان ج٣ ص٤٥٤ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٢١٣ .

(٦) النجم الإسرائيلي : محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر نجم الدين الشيباني ، شاعر متصوف كـان مولده ووفاته فيدمشق سنة (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) كان له شعر يصرح فيه أحياناً بالاتحاد .مدح السلاطين والقضاة وغيرهم ، الذهبي : العبر ج٣ ص٣٣٦ ، الكتبي : فوات الوفيات دار صـادر ، بيـروت تحقيـق إحسان عباس ج٣ ص٣٨٣ ، ٣٨٥ .

(٧) المقدمة ص٤٥٥ .

وظهرت هذه المذاهب الصوفية في بلاد الشام من منتصف القرن الخـامس الهجري [١] وقد برز هذا الاتجاه الصوفي في بلاد الشام من خلال تلك الزوايـا[٢] والخوانق [٣] التي غدت تمثل هذا الاتجاه بشكل واضح [٤] وانتـشرت الطوائـف الصوفية في بعض مدن الشام وتركز نشاطها في مدينة دمشق[٥] وبيت المقدس [٦] وحلب [٧] وظهر أثرها على المجتمع الشامي .

واشتهرت من هذه الطوائف طائفة القلندرية [٨]التي ظهرت في دمشق في القرن السابع الهجري [٩]وكان من أشهر زعمائها محمد بن جمال الدين الـسارجي (٦٢١هـ/١٢٢٤م) الذي سكن دمشق مقيماً في زاوية الشيخ عثمان الرومـي [١٠] بجبل قاسيون ، ثم فارقها وسكن بالقرب من القبة التي بنيت لأصحاب هذه الطائفة

---

(١) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٦٤ .

(٢) الزاوية : كلمة تطلق على مسجد صغير فيه أحد الرجال المشهورين بالصلاح والتقوى والعبادة ، يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه ، وليس فيه منبر أو مئذنة ، وقد يكون محراب ، محمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ٢٨٥ .

(٣) الخوانق : أو الخوانك ، مفردها خانقاه : وهي كلمة فارسية معناها في الأصل المائدة وقيل أصلها خوانقاه أي المكان الذي يأكل فيه الملك ، وجعلت مكاناً تخلي الصوفية فيها لعبادة ا . المقريزي : الخطط ج٢ ص٤١٤ ، محمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص٦٦ .

(٤) النعيمي : الدرارس ج٢ ص١٣٩ ، ٢٢٠ .

(٥) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٨٠ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١هـ / ٦٣٠هـ) ص٣٩٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، عبد الجليل ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص١٣٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٨٠ .

(٦) عبد المهدي عبد الجليل: الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي والمملوكي ، مكتبة الأقصى عمان ١٤٠٠هـ ص٢٠٧ ، ٢١١

(٧) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة " قسم حلب " ج١ ص٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ .

(٨) تعني بالعربية " المحلقين " الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠هـ) ص٣٨٩ .

(٩) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠هـ) ص٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(١٠) هو عثمان بن علي الرومي الزاهد صاحب الزاوية المشهورة بدمشق في سطح جبل قاسيون ، انظر ترجمة ابنه ، الذهبي : العبر ج٣ ص ، وذكر الصفدي أن الصوفية من أتباع عثمان الرومي دخلوا على السارجي وأتباعه وهم في قبتهم فسبوهم وقبحوا ما هم عليه من الأعمال فلم يردوا عليهم بشيء ، الوافي بالوفيات ج٥ ص٢٩٢ ، ٢٩٣ .

عند مقبرة الباب الصغير ،وقد أظهر أتباعها بعـض البـدع والأعمـال المنافيـة للشرع[1].وخرج السارجي إلى الديار المصرية واستقر في دمياط إلى حين وفاته[2]

وقد خلفه في مشيخة هذه الطائفة محمد البلخي[3]،وقد وقف السلطان الأيوبي الكامل بن أبي بكر بن أيوب من هذه الطائفة وغيرها موقفاً حازماً،حيـث تـذكر بعض المصادر أنه لما دخل السلطان الكامل محمد إلى دمشق سـنة (٦٣٥هـ ـ / ١٢٧٧م) وعرف ما عليه هذه الطائفة من البدع نفـى شـيوخها مـن دمـشق [4] وأخرجهم إلى قصر الجنيد [5] . وكانت طائفة اليونسية مـن طوائـف الـصوفية المنحرفة يقول الذهبي عنهم : ((وهم من شر الطوائف ولهم أعمـال تـدل علـى الاستهتار والانحلال في القول والفعل)) [6] وقد تزعم هذه الطائفة شيخها يـونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي المشرقي القيني (٦١٩هـ ـ/١٢٢٢م) [7] وقد ذكر الذهبي أن شيخ الإسلام ابن تيمية ، كان ينشد له [8]

موسى على الطور لما خر لي ناجي والیثربي أنا جبتوه حتى جا

يقول الذهبي : ((وأما البيت السابق فإن كان قاله على لسان الربوبية فهذا قريـب وأما إن كان قصد به نفسه فهذه زندقة عظيمة)) [9] وقد وصفه الذهبي أنه لـيس من أهل العلم بل من أهل الحال والكشف عارياً عن الفضيلة [10].

وظهر في بلاد الشام طائفة ذات اتجاه فكـري منحـرف سـموا أنفـسهم بالحريرية ، نسبة إلى علي بن الحسن بن منصور الحريري (٦٤٥هـ ـ/١٢٤٧م)

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام (٦٢١ / ٦٣٠هـ) ص٣٩٧ ن ٣٩٨ .

(٢) نفسه ص٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٣) نفسه ص٣٩٨ .

(٤) الذهبي : العبر ج٢ ص٢٢٢ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠هـ) ص٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٦) نفسه : ص٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٧) نفسه : ٤٢٤ .

(٨) نفسه : ٤٢٥ .

(٩) نفسه ص٤٢٥ .

(١٠) نفسه : ص٤٢٥ .

كان قد قام إلى دمشق ، وبرع في صناعة الحرير ، وتزهد ، وكانت لـه أحـوال ومكاشفات ردها أكثر العلماء المعاصرين لـه ، وقـالوا إنهـا مـن المكاشـفات الشيطانية[1] . وكانت له بدمشق زاوية ، تبعه فيها جماعة من الفقراء ، وجعلـوا لهم لباساً خاصاً بهم . قال عنه أبو شامة المقدسي : ((لباس خارج عن الشريعة)) [2] ثم قال : ((وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة ، والتهـاون بها من إظهار شعار أهل الفسق والعصيان شيء كبير ، وانفسد بـسببه جماعـة كثيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زي أصحابه ، وتبعوه بـسبب أنـه ضليع العذار ، ويجمع مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان ، وتـرك الإنكـار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات ، فأضل خلقاً كثيراً،وأفسد جمعاً غفيراً)) [3]

وقد كان للحريري من الأقوال والأفعال ما دفع العلماء للإنكار عليه وبيـان انحراف وزيغ هذه الطائفة فمن الأقوال التي بلغت العلماء قولـه : ((لـو دخـل حريري بلد الروم وتنصر وأكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر كان في شغلي))[4] ومنها قوله :((لو ذبحت بيدي سبعين نبياً ما اعتقدت أني مخطئ)) [5] فكان مـن أوائل العلماء الذين أنكروا عليهم ، الشيخ المحدث تقي الدين بن الـصلاح وأبـو الأشرف عمر بن الحاجب ، والشيخ العز بن عبد السلام ، وغيرهمـا [6] ، وقـد رفع العلماء أمره إلى السلطان الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وقد أفتى العلماء بقتله ، ولكن الأشرف لم يقتله بل أمر بسجنه في قلعة (عزتـا) [7] واستمر بها مسجوناً عدة سنوات ، حتى أخرجه من السجن الملك الصالح إسماعيل

---

(1) الذهبي : العبر ج٣ ص٢٥٢ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص١٧٣ ، ١٧٤ .

(2) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٨٥ .

(3) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٨٠ .

(4) الذهبي : العبر ج٣ ص٢٥٢ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص١٧٣ ، ١٧٤ .

(5) نفسه : ج٣ ص٢٥٢ .

(6) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٨٠ .

(7) موضع بالقرب من عين الفيجة تبعد عن دمشق أربعة وعشرون كيلو متراً غرباً ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج١ ص٣٥٦ حاشية رقم (٦) كرد علي : غوطة دمشق ٨٧ حاشية رقم (١) .

واشترط عليه الخروج من دمشق [1] . وكان من أشهر أتباع هذه الطائفة نجم الدين محمد بن سوار بن إسرائيل بن خضر بن إسرائيل الشيباني الدمشقي (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) الذي برع في الأدب والشعر ، وقد ظهر من خلال شعره أنه من أصحاب فكرة الحلول والاتحاد [2] .

ومن طوائف الصوفية ،طائفة الرفاعية [3]الواسطية [4] ،وتزعم هذه الطائفة الشيخ طالب بن عبد ا بن فضائل الرفاعي صاحب الزاوية المشهورة [5] بالقرب من قصر حجاج دمشق ، وكان له مريدوه الذين يجتمعون به في تلك الزاوية [6] ، وكان من مشاهير شيوخ هذه الطريقة ، الشيخ يوسف الواسطي الأعرج (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) أحد شيوخ القراءات بالتربة الأشرفية [7] .

أما الصوفية الفلسفية فقد ارتبط ظهورها بدخول الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عربي (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) إلى دمشق ، وتولى نشرها والدعوة إليها من خلال كتبه ومصنفاته [8] . ولا شك أن للعلماء جهود في التصدي لهذا الفكر الصوفي من خلال الإنكار عليهم ، وبيان زيغهم ، وانحرافهم في الكتب والرسائل التي ترد عليهم فمن ذلك ما كتبه الفقيه العلامة موفق الدين عبد ا بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) في كتابه الذي سماه (ذم ما عليه مدعو التصوف) [9] ، رد فيه على سؤال حول ما كان تعمله الصوفية من الأعمال المنافية للشرع [10] ، ورد الحافظ المحدث أحمد بن عيسى بن عبد ا بن

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٨٥ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٢٥٢ .

(٢) الذهبي : العبر ج٢ ص٢٣٦ ، ابن دقماق : نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ص١٢٦ .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٤ ص٢١٤ ، ٢١٥ .

(٤) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٩٨ .

(٥) نفسه : ص١٩٨ .

(٦) النعيمي : الدارس ج٢ ص٢٠٤ .

(٧) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٩٨ .

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٤ ص١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٩) الكتاب مطبوع بتحقيق زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .

(١٠) ذم ما عليه مدعو التصوف ص٥ .

أحمد المقدسي (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) ما أورده علي بن محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ / ١١١٣م) في كتابه (صفوة أهل التصوف) في إباحة السماع المحدث الذي تفعله الصوفيه [١] . وللحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) رسالة في الرد على بعض البدع عند الصوفية سماها (إتباع السنن واجتناب البدع) [٢] .

ثانياً : موقف العلماء من الرافضة :

تركز الفكر الشيعي الباطني في بلاد مصر والشام ، وكانت حلب تمثل قاعدة لتجمع نفوذهم الشيعي في بلاد الشام [٣] ، وكان أغلب هؤلاء الشيعة ينتمون إلى الطائفة الإمامية [٤] ، والإسماعيلية [٥] ، وزاد خلال حكم الملك رضوان بن تتش السلجوقي [٦] ، وكان لشدة تعصب هؤلاء الشيعة لمذهبهم لم يستطع سلمان بن عبد الجبار الأرتقي [٧] حاكم حلب بناء مدرسة [٨] لأهل السنة إلا بعد أن أوكل الأمر إلى أحد أعيان الشيعة بحلب [٩] والذي أشرف على بنائها

---

(١) هو محمد بن طاهر بن علي بن أحمد أبو الفضل المقدسي ، الحافظ المحدث ولد سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) وكان من حفاظ الحديث ، توفي سنة (٥٠٧هـ / ١١١٣م) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ص٤٩ ، ٥٠

(٢) يوجد منه نسخة خطية بمكتبة الحرم المكي برقم ١١٢٢ عدد أوراقها (١٠ ورقات) .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٣٠٢ .

(٤) هم الذين قالوا بالنص الجلي على إمامة علي رضي الله عنه دون أبي بكر وعمر انظر عنها في كتب المذاهب والفرق أبو زهرة : المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ١٩٨٩م .

(٥) فرقة من فرق الباطنية المشهورة المعادية للإسلام وإسماعيلية الشام هم الإسماعيلية النذارية . انظر عنها حسن محمد كامل : طائفة الإسماعيلية ، تاريخها ، نظمها ، عقائدها مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م

(٦) ابن القلانسي : ص٣٠٢ .

(٧) هو ثاني حكام الأسرة الأرتقية في مدينة حلب ، وكانت له أعمال حسنة في حلب انظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص١٠٣ .

(٨) هي المدرسة الزجاجية ، هي إحدى المدارس الشافعية بحلب بنيت سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة قسم حلب ص٩٧ .

(٩) هو زهرة بن علي الحسيني أحد أكابر الشيعة بحلب كان من أهل الرأي والوجاهة مقرباً عند الملك ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة قسم حلب ص٩٧ .

حتى اكتملت [١] وكانت الجهود المبذولة لمقاومة الفكر الشيعي تقوم على دعم المذهب السني والتمكين لأهل السنة ونشر علومهم [٢] ، ويمكن أن نتبين هذا من دراسة بعض جهود السلاطين والعلماء للحد من النفوذ الشيعي ومقاومة التيار الرافضي : وذلك من خلال ما يلي :

أ- إنشاء المدارس لأصحاب المذاهب السنية :

كان من أكبر الدوافع التي من أجلها أنشئت المدارس في الدولة الإسلامية مقاومة الفكر الشيعي ونشر مذاهب أهل السنة ، وهو الهدف الذي سعى إلى تحقيقه الوزير نظام الملك السلجوقي في المدارس النظامية في المشرق الإسلامي [٣] وبدخول السلاجقة بلاد الشام في منتصف القرن الخامس الهجري وسيطرتهم عليها، سعوا إلى دعم المذاعب السنية ومقاومة الفكر الشيعي بها ،[٤] وكان من أعظم وسائلهم في ذلك ، هو بناء المدارس السنية ، ودعمها ، والإنفاق عليها [٥] يقول ابن عساكر إن نور الدين محمود : ((أظهر بحلب السنة حتى أقام شعار الدين ... وقمع بها الرافضة المبتدعة ونشر فيها مذاهب أهل السنة الأربعة ..

---

(١) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة قسم حلب : ص٩٧ .

(٢) عبد الحميد : التاريخ السياسي والفكري ص٢٤٩ ، ٢٦٩ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ ص٦٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٢ ص١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، انتشرت المدارس النظامية في بغداد والموصل والبصرة ونيسابور وطوس وهراة وأصفهان وبلخ ومرو وغيرها من بلاد المشرق الإسلامي وكان لها دورها في نشر العلوم الإسلامية وقامت بدور كبير في محاربة الفكر الشيعي الباطني في تلك المناطق ، السبكي : طبقات الشافعية ج٤ ص٣١٣ ، حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٢٧٦ .

(٤) بدوي عبد الحميد :التاريخ السياسي والفكر عالم المعرفة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ص٢٥٩، ٢٧١ ، ٢٧٣،٢٨٠ .

(٥) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة قسم حلب ص١٠٠ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص١١٠ ، ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٥٠٤ ، ٥٠٥ ، النعيمي : الدارس ج١ ص٦٠٧ .

وبنى بها المدارس)) [1] وأبو شامة يقول وكانت سياسة نور الدين هي العمل على ((إظهار شعار الإسلام وتأسيس قاعدة الدين وبناء المدارس والمساجد)) [2] .

وقد نجح السلطان نور الدين المحمود بهذا المنهج في القضاء على النفـوذ الشيعي الباطني فكرياً من بلاد الشام [3] ، وهو الذي سلكه سلاطين الدولة الأيوبية والمماليك في القضاء على الفكر الشيعي عن مصر والشام بعد ذلك [4] .

وكان للتركيز على إنشاء المدارس السنية لأصحاب المذاهب الأربعة خلال القرنين السادس والسابع أثر واضح في دعم الاتجاه السني ، وذلك من خلال نشاط تلك المدارس وكثرة طلابها وخريجيها [5] ، كما برز دور السلاطين كـذلك فـي تعظيم مذاهب أهل السنة دون تعصب لمذهب معين ، ظهر ذلك جلياً فيما أنـشؤوه من مدارس لأصحاب كل مذهب دون تخصيص لمذهب بعينه ، وجعل الأوقـاف الدارة عليها [6] .

كما أنشئت مدارس الحديث النبوي ، فكانت أول دار للحديث في بلاد الشام، هي التي بناها السلطان نور الدين محمود ، وجعل مشيختها للحافظ المحدث الشيخ علي بن الحسين بن عساكر [7] . وزاد الاهتمام بعلـوم الحـديث خـلال عـصر الأيوبيين والمماليك وكثر إنشاء دور الحديث ، وتولى التدريس بها أعلام العلمـاء والحفاظ والمحدثين ، فكان لها الفضل في تخريج جملة من الطلبة أصـبحوا مـن أئمة الحديث بعد ذلك ، وكان لدور الحديث الدور البارز في مقاومة الفكر الشيعي

---

(١) تاريخ دمشق ج٥٧ ص١٢٠ .

(٢) الروضتين ج١ ص٦٢ .

(٣) عبد الحميد بدوي : التاريخ السياسي والفكري ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

(٤) نفسه ٢٤٨، ٢٤٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٥) النعيمي : الدارس ج١ ص١٢٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٦٤٩ ، ج٢ ص٤٣ ، ١٢٠ .

(٦) ابن أبي الدم : التاريخ المظفري ورقة (٥٣٢ ، ا-ب) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج٧ ص٢٠٧ ، النعيمي : الدارس ج١ ص١٩ ، ٤٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٥٩ ، ابـن طولـون : القلائـد الجوهريـة ج١ ص١٥٥ ، ١٦٤ .

(٧) ابن الأثير : الباهر ص١٧٢ ، ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق أحمد عمر هاشم ، مكتبـة الثقافة الدينية ١٤١٣هـ ج١ ص٦٩٣ ، ٦٩٨ ، النعيمي : الدارس ج١ ص٩٩ .

الباطني ، الذي لا يعترف بصحة الحديث النبوي إلا ما كان مروياً عن آل البيت ، ولهم في ذلك مصادرهم الخاصة التي يعتمدون عليها ويرجعون إليها [1] ، كما لقي القرآن الكريم اهتماماً خاصاً ، فكثرت أماكن تعليمه سواء في المساجد أو المدارس الخاصة به ، وما ذلك إلا لأن القرآن هو الأساس الأول في بناء الثقافة العلمية لدى أهل السنة [2] .

أما عن دور العلماء فقد كانت المدارس قناة مهمة لبث الفكر السني ، وتلقي علوم أهل السنة من خلال ما يقوم به شيوخ تلك المدارس من جهود في تعليم طلابهم وفق المناهج السنية داخل تلك المدارس .

ب - تصنيف الكتب في الرد عليهم :.

انحرف الرافضة في مسألة الصحابة رضي ا عنهم ، فكانت عقائدهم فيهم من أسوأ العقائد ، فقد ضلوا وانحرفوا فذكروا أن من الصحابة الكذابين وأرادوا بذلك سبهم ولعنهم ، فكفروا أبا بكر وعمر وعثمان (رضي ا عنهم) ، وعامة المهاجرين والأنصار إلا القليل منهم ، وغلوا في آل البيت ، وفي علي بن أبي طالب ، وأهل بيته[3] . وقد تولى العلماء الرد عليهم في هذا الجانب ، فبينوا فضل الصحابة وعظيم منزلتهم وفضلهم وجهادهم ، وألفوا في ذلك الكتب والمصنفات ، وبينوا ذلك من خلالها مذاهب أهل السنة ، وأقوال العلماء في هذه المسألة [4] وقد أسهم العلماء خلال فترة البحث في الرد على الرافضة من خلال مصنفاتهم التي عالجت كثيراً من المسائل التي انحرفت فرق الرافضة عن مناهج المسلمين وعقيدتهم في الصحابة فمن ذلك كتاب للإمام الحافظ علي بن القاسم بن عساكر

---

(١) عبد ا فياض : تاريخ التربية عند الإمامية ص ١١

(٢) عبد الحميد بدوي : التاريخ السياسي والفكر للمذهب السني ص٢٩٢ .

(٣) للاستزادة عن عقيدة الرافضة انظر : البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٩ ، ٧٢ ، ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص٣٢ ،٣٣ ،١٠٦ ، ١١١ ، ابن حزم : الملل والنحل ج١ ص١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٣ .

(٤) الشهراني : منهج ابن قدامة في تقرير عقيدة السلف وموقفه من المخالفين لها ، رسالة ماجستير لم تنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٤هـ ج٢ ص٦٧٤ .

(٥٧١هـ/ ١١٧٥م) في فضائل الصحابة بوجه عام ، وله أربعة مصنفات في فضائل الخفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[١] ، وله كتاب لم يتمه خصصه للرد على الرافضة [٢] ، وللحافظ المحدث الحسن بن أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن عساكر (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) كتاب في فضائل الصحابة [٣] .

ولعله من أفضل الكتب التي صنفت في هذا العصر للرد على الرافضة كتاب (منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين) [٤] للحافظ المحدث عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) فهو يرد على كثير من المسائل التي خالف فيها الرافضة مذاهب أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم[٥] .

وصنف الحافظ المحدث محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) كتاباً سماه (النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب) بين فيه عقيدة الرافضة في الصحابة وحكم سبهم وأقوال العلماء في هذه المسائل [٦] .

وكان من أكثر العلماء الذين بينوا فساد مذهبهم وانحراف دولتهم ، العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) حيث بين

---

(١) منه نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، يوسف العش : فهرس مخطوطات الظاهرية التاريخ وملحقاته ص٨٨ مجموع (١٦) (٩٥) .

(٢) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري علي بن الحسين الأشعري ، مقدمة الناشر ص٥ .

(٣) المنذري زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي: التكملة لوفيات النقلة ، بشار عواد ، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ج١ ص١٤٦ ، ١٤٨ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية بيروت ج٤ ص١٢٥٨ .

(٤) كحالة عمر رضا : معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي بيروت ج٣ ص٣٠١ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج٢ ص١٣٩ ، ومنه نسخة مخطوطة في جامعة ليبزخ بألمانيا الشرقية تحت رقم (٦٥٠) وأخرى بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٢٥٣) .

(٥) الشهراني : منهج ابن قدامة في تقرير عقيدة السلف ج٢ ص٦٨١ ، ٧٢٧ .

(٦) المقدسي : محمد بن عبد الواحد ص١٠٩ ، ١١٠ ، والكتاب مطبوع بمؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الله التركي .

الدور العظيم الذي قام به السلطان نور الدين محمود ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي في القضاء على دولة العبيديين في مصر ، وأشاد بهذا العمل المبارك وأنه من أخير الأعمال التي قاموا بها [(١)] وقد أفرد للرد على ضلالاتهم وبيان حالهم كتاباً مستقلاً سماه (كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والكيد) [(٢)] وقد ذكر أبو شامة في كتابه الروضتين شيئاً مما أورده في هذا الكتاب ، وما نقله من كتب العلماء قبله في بيان فساد معتقداتهم والرد عليهم .

ثالثاً : موقف العلماء من الفلسفة :

واجه الفكر الفلسفي خلال القرنين السادس والسابع موقفاً قوياً من قبل السلاطين والعلماء ، ففي عصر السلطان نور الدين محمود اعتبرت الفلسفة علماً هداماً يجب محاربته واستئصاله [(٣)] ، وذلك لما للفلسفة من ارتباط بالفكر الشيعي الباطني ، وذلك في فترةٍ كان الصراع بين أهل السنة والشيعة قائماً ، وكان نور الدين محمود يسعى للقضاء وعلى الفكر الباطني في مصر والشام [(٤)] ، فقد استغلت الشيعة الباطنية الفكر الفلسفي لنشر مذهبهم ، واتخذوا من الفلاسفة دعاة لهم ينشرون لهم مناهجهم وأفكارهم . يقول عبد الله بن الحسين القيرواني في وصيته إلى سليمان بن الحسين بن سعيد الجناني ((ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ... وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا ...)) [(٥)] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك : ((وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم ، وقال وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة)) [(٦)].

وقد وقف السلطان صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه ضد الأفكار الفلسفية ، وكان

---

(١) أبو شامة : الروضتين ج١ ص٢٠١ ، ٢٠٢ ، ج٢ ص ١١٨ ، ١٨٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، تحقيق الزيبق .

(٢) لم يصل إلينا هذا الكتاب .

(٣) علي أحمد : الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي، دار شمأل دمشق ١٩٩٥ص٢٧٩

(٤) باشا حسن : الألقاب الإسلامية ، دار النهضة العربية ١٩٧٨هـ ص٢٧ .

(٥) العلوي : يحيى بن حمزة : مشكاة الأنوار الهادية لقواعد الباطنية الأشرار ص٤١ مقدمة المحقق .

(٦) الفتاوى ج١٣ ص١٧٧ .

يعرف عنه رحمه ا كثرة التعظيم لشعائر الدين وبغـضه للفلاسـفة والمعطلـة والدهرية ، وكل من يعاند الشريعة [1] وما موقفه من الشهاب السهروروي إلا دليل على بغضه . للفلسفة والفلاسفة [2] .

أما في عهد المعظم عيسى بن أبي بكر أيوب فقد كثـر الاشـتغال بعلـوم الأوائل ، حيث ذكر أبو شامة أنه : ((كان اشتهر الاشتغال بعلـوم بدمـشق فـي أواخر دولة المعظم ابن أبي بكر ، وفي دولة ابنه داود وكثر ذلك حتى أخمـده ا بالدولة الأشرفية)) [3] ويؤكد ذلك ، أن السلطان المعظم عيسى برغم عـدم ميلـه لسيف الدين الآمدي إلا أنه ولاه التدريس بالمدرسة العزيزية [4] .

وكان السلطان الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب أكثر سلاطين الدولة الأيوبية تعصباً وتشدداً على الفلاسفة ، فقد منع تدريسها داخـل المـدارس واتخذ لأجل ذلك إجراءات صارمة للحد من انتشار تعليمها داخل مدارس دمشق ، وكان ينادي في المدارس أن من درس غير التفسير والفقه والحـديث وتعـرض للكلام في الفلسفة نفيناه عن دمشق [5] ، ولأجل ذلك عـزل العلامـة الأصـولي

---

(1) أبو شامة : عيون الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق أحمد البيـسومي ، وزارة الثقافـة دمـشق ١٩٩١م ج٢ ص٣٠٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٤٢٦ ، ٤٢٩ .

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤١ ، ٦٤٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٦ ص٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ . تذكر المصادر أن السهروردي كان من أهل الفلسفة ، ومتهم بـانحلال العقيـدة والتعطيل ومعرفة علوم الأوائل وكان يقيم بحلب عند الملك الظاهر غازي بن السلطان صـلاح الـدين مـن المقربين إليه ، وما ظهر من موقف الفقهاء منه والتشنيع عليه ، فكتبوا بذلك إلى السلطان صـلاح الـدين وأن هذا الرجل إن بقي فإنه يخشى أن يفسد عقيدة ولده وأمروا بقتله ، فكتب السلطان بذلك إلى ولده وأمره بقتله دون مراجعة ، فحبسه الملك الظاهر في قلعة حلب حتى مات ثم أخرج وصلب بعد ذلـك ، ابـن أبـي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤١ ، ٦٤٦ ، ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج٦ ص٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهايـة ج٦ ص١٣ ، طبقـات الفقهـاء الشافعيين ج٣ ص٧٣٤ ـ ٧٣٥ .

(3) ذيل الروضتين ص١٥٦ .

(4) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٩١، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ج٤ ص٧٩ ، ٨٠

(5) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٩١، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ج٤ ص ٧٩، ٨٠

الفيلسوف سيف الدين الآمدي عن التدريس في المدرسة العزيزيـة بدمـشق [١] ، وامتد هذا الموقف إلى باقي المدارس خاصة في دمشق فكان شيوخ تلك المـدارس يمنعون ذلك ، يحذرون طلابهم من النظر في كتب الفلسفة ، والمطالعة فيها ، فمن ذلك ما ظهر من القاضي محمد بن علي بن محمد بن يحيى المعروف بابن الزكي (٥٩٨هـ / ١٢٠١م) قاضي السلطان صلاح الدين [٢] وشيخ المدرسة التقوية [٣] من موقف متشدد ضد أهل الفلسفة ، فكان يحذر الناس من كتب المنطق والجـدل في داخل المدارس وخارجها [٤] ، وقد ذكرت المصادر أنه أمر بجمع كتب المنطق والفلسفة التي كانت بحوزة الطلاب الساكنين بالمدرسة التقويـة ، فأحرقهـا أمـام الناس في مدرسته بالكلاسة وصاحبها حاضر [٥] .

وكان الإمام المحدث عثمان بن عبد الرحمن بـن عثمـان ابـن الـصلاح (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) أحد كبار العلماء المحدثين في هذا العصر ، يكره الفلسفة وعلم المنطق ، وينهى أهل الشام عن قراءة كتب المنطق والفلسفة [٦] وكان يكاتب السلاطين و يناصحهم لمنع ذلك فيستجيبون له [٧] وظهر موقفه هذا مـن خـلال فتاواه ، التي بين فيها مفاسد الفلسفة وآثارها وحكم تعلمها وتعليمها ، فحينما سـئل (رحمه ا) عن حكم الاشتغال بكتب ابن سينا في الفلسفة والمطالعة فيها مثـل كتاب : (تقاسيم الحكمة) و(الموجز الكبير في المنطق) أجـاب بقولـه : ((لا يجوز لهم ذلك ومن فعل ذلك ، فقد غرر بدينه ، وتعرض للفتنة العظمـى ، ولـم يكن من العلماء ، بل شيطاناً من شياطين الإنس)) [٨] .

---

(١) بن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص٢٢٩ ، ٢٣٤ .

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٣٣ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص٢٣٥ .

(٣) ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعيين ج٢ ص٧٥٧ .

(٤) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٣٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص٣٦ .

(٥) ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعيين ج٢ ص٨٥٧ ، ٨٥٨ .

(٦) الأسنوي : طبقات الشافعية ص٢٦٢ .

(٧) ابن الصلاح : فتاوى ومسائل ابن الصلاح ج٢ ص٢٠٨ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص٢٢٩ ، ٢٣٤ .

وسئل رحمه الله ((فيمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعليماً وتعلماً ، وهل المنطق جملة وتفصيلاً مما أباح الشارع تعليمه وتعلمه ؟ وهل الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون والسلف الصالحون ذكروا ذلك ، وأباحوا الاشتغال به أو سوغوا الاشتغال به أم لا ؟ وهل يجوز أن يستعمل في إثبات الأحكام الشرعية والاصطلاحات المنطقية أو لا ؟ ، وهل الأحكام الشرعية مفتقرة إلى ذلك في إثباتها أم لا ؟ ، وما الواجب على من تلبس بتعليمه وتعلمه متظاهراً به ؟ وما الذي يجب على سلطان الوقت في أمره وإذا وجد في بعض البلاد شخص من أهل الفلسفة معروف بتعليمها وإقرائها والتصنيف فيها وهو مدرس في مدرسة من مدارس العلم ، فهل على سلطان تلك البلاد عزله وكفاية الناس شره ؟)) .

أجاب رحمه الله فقال : ((الفلسفة رأس السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، مثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها تعليماً وتعلماً قارنه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان ، وأي فن أخزى من فن يعمي صاحبه عن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كلما ذكره ذاكر وكلما غفل عن ذكره غافل مع انتشار آياته المستبينة ، ومعجزاته المستنيرة ، حتى لقد انتدب بعض العلماء لاستقصائها فجمع منها ألف معجزة وعددناه مقصراً ... أما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر ، شر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ، ولا استباحه أحد الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، والسلف الصالحين وسائر من يقتدي به من أعلام الأئمة وسادتها ، وأركان الأمة وقادتها وقد برأ الله الجميع من مغرة ذلك وأدناسه ، وطهرهم من أوضاره ... ، فالواجب على السلطان – أعزه الله وأعز به الإسلام وأهله – أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم ويخرجهم من المدارس ويبعدهم ، ويعاقب على الاشتغال بفنهم ، ويعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف والإسلام لتخمد نارهم وتنمحي آثارها وآثارهم ، يسر الله ذلك وعجله ، ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسته من أهل الفلسفة والتصنيف فيها والإقراء لها ثم سجنه

وإلزامه منزله ، ومن زعم أنه غير معتقد لعقائدهم فإن حاله يكذبه والطريق في خلع الشر قلع أصوله وانتصاب مثله مدرساً من العظائم جملة، وا تبارك وتعالى ولي التوفيق والعصمة وهو أعلم)) [١]

والملاحظ من الفتوى السابقة أن نهي ابن الصلاح وإنكاره الشديد كان مقصوراً على كتب المنطق والفلسفة وتعلمها وتعليمها ، ومن كتب ابن سينا ما كان في المنطق والفلسفة ، أما كتبه في الطب " كالقانون " مثلاً فإنه لم يذكره ، مما يدل أن ابن الصلاح كانت فتواه تهدف إلى صرف الناس عن تعلم الفلسفة وتعليمها والتصنيف فيها لما ظهر شرها وخطرها [٢]

---

(١) ابن الصلاح : فتاوى ابن الصلاح ج٢ ص٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ذكر ابن عبد الكافي السبكي : في فتاواه كلاماً نحو ما ذهب إليه ابن الصلاح في الفلسفة والمنطق والاشتغال بهما إلا أنه قلل من خطرها وأجاز الاشتغال بهما بشروط يقول السائل " في رجل أراد الاشتغال بالعلوم الإسلامية فهل يكون اشتغاله بالنطق نافعاً له ويثاب على تعلمه وهل يكون المنكر عليه جاهلاً " فأجاب بقوله : " ينبغي أن يقدم على ذلك الاشتغال بالقرآن والسنة والفقه حتى يتروى منها ويرسخ في ذهنه الاعتقادات الصحيحة وتعظيم الشريعة وعلمائها وتنقيص الفلسفة وعلمائها بالسنة إلى الاعتقادات الإسلامية فإذا رسخ قدمه في ذلك وعلم من نفسه صحة الذهن بحيث لا تتروج عليه الشبهة على الدليل ووجد شيخاً ديناً ناصحاً حسن العقيدة أو من ليس كذلك لكنه لا يركن إلى قوله في العقائد فحينئذ يجوز له الاشتغال بالمنطق وينتفع به ، ويعينه على العلوم الإسلامية وغيرها ، وهو من أحسن العلوم وأنفعها في كل بحث وليس في المنطق بمجرده أصلاً . ومن قال أنه كفر أو حرام فهو جاهل لا يعرف الكفر ولا التحريم ولا التحليل فإنه علم عقلي محض كالحساب غير أن الحساب لا يجر إلى الفساد لأنه إنما يستعمل في فريضة شرعية أو مساحة أو مال ولا يزدري صاحبه غيره وليس مقدمة لعلم آخر فيه مفسدة . والمنطق وإن كان سالماً في نفسه يتعاظم صاحبه ويزدري غيره في عينه ويبقى يعتقد في نفسه سقاطة نظر من لا يحسنه وينفتح له به النظر في بقية علوم الحكمة من الطبيعي الذي ليس فيه الخطأ الإلهي الذي أكثر كلام الفلاسفة فيه خطأ منبذ الإسلام والشريعة فمن اقتصر عليه ولم تصنه سابقة صحيحة خشي عليه التزندق أو التغلغل باعتقاد فلسفي من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر . هذا فصل القول فيه وهو كالسيف يأخذه شخص يجاهد به في سبيل ا وآخر يقطع به الطريق . فتاوى السبكي . ج٢ ص٦٤٤ ، ٦٤٥ .

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٢ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٥٠١ ، ج٢ ص١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٢٦ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٢٩٨ ، الآسنوي : طبقات الشافعية ص١٦٣ ، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن : بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي الطبعة الأولى ص٥١٨ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٠ ، ٢٠١ .

ومن المعلوم أن كتاب (القانون) كان من الكتب المعتمدة في تعليم الطب ، رغم جنوح ابن سينا للفكر الفلسفي في كثير من كتبه ، أو ربما كان النهي والمنع يقصد به المدارس الفقهية ، لهذا لم نر أحدا من العلماء في هذا العصر قد أشـار إلى منع تدريس الطب أو أي من كتب الأطباء الفلاسفة كـابن سـيناء والـرازي وغيرهم ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه أن المنع مقصوراً على كتب الفلسفة وتدريسها .

وقد ظهر في بلاد الشام عدد من الأطباء الفلاسفة الذين شغلتهم مهنة الطب عن الاشتغال بالفلسفة وتدريسها ، وكان لموقف العلماء والسلاطين أثر في ذلك ، إلا أنه قد كان لبعضهم مصنفات في الفلسفة تدل على رسوخهم فيها . منهم الطبيب أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن عبد الواحد اللبودي ، الذي تميـز فـي الطـب والفلسفة [١] ونال شهرة كبيرة في العلوم الطبية [٢] ، وبرز الطبيب نجـم الـدين أحمد بن محمد بن السري المعروف بابن الصلاح في الطب والفلسفة ، وله فـي الفلسفة كتاب سماه (الفوز الأصغر) [٣] وصدقة بن منجا بن صدقة السامري أحد الأطباء المشاهير له كتب في الفلسفة منها كتاب (النفس) و (شـرح الفـصول لأبقراط) وكتاب (الكنز في الفوز) [٤] .

وكان الطبيب عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يونس بن خليل الخسرو شاهي ، أحد كبار الأطباء الفلاسفة الذين تميزوا فـي علـوم الكـلام والمنطـق والفلسفة، كان من تلاميذ الإمام فخر الدين الرازي [٥] لـه فـي الفلـسفة كتـاب (مختصر الشفاء لأبن سينا) [٦] ومن هؤلاء الأطباء الفلاسفة نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد ا بن عبد الواحد برع في علوم الفلسفة ومن كتبـه فـي الفلـسفة

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٩ ، ٦٤١ .

(٢) نفسه ص٦٣٩ ، ٦٤١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٩ ، ٦٤١ .

(٤) نفسه ص٧١٧ ، ٧٢١ .

(٥) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١ ، ١٦٢ ، ابـن قاضـي شـهبه : طبقـات الشافعية ج٣ ص١٠٨ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ابن أبي أصيبعة عيـون الأنبـاء ص٦٥٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١ ، ١٦٢ .

(مختصر الإرشادات والتنبيهات) ، وكتاب (مختصر عيون الحكمة) لابن سينا، وكتاب (اللمعات في الحكمة) ، وكتاب (آفاق الإشراق) ، و(المناهج القدسـية في العلوم الحكمية) ، و(مختصر كتاب اقليدس) [1] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٧ ، ٦٦٨ .

المبحث الخامس : الأوضاع الصحية والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية :.

اجتاحت بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجـريين كثيـر مـن المحن والكوارث الطبيعية والأمراض التي أثرت وبصورة سـلبية علـى الحيـاة العامة في بلاد الشام ، زيادة على ما كانت تعيشه من اضطرابات سياسية وصراع عسكري .

وقبل أن نتناول ذكر هذه الجوانب يمكن أن نتحدث عن طبيعة بلاد الـشام والحالة الصحية بصورة عامة ؛ حيث تعد بلاد الشام من أفضل الأقاليم الإسلامية في طبيعتها وصحة هوائها ومناخها [(١)] ، وما امتازت به مدن الشام مـن غـزارة مياهها وجمال أشجارها وبساتينها وكثرة خيراتها [(٢)] ؛ مما أضـفى عليهـا جـواً صحياً متميزاً ، فقد صنف الطبيب أسعد الـدين يعقـوب بـن إسـحاق المحلـي (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) أحد الوافدين على دمشق مقالة في تفضيلها على مصر مـن حيث طبيعتها ومناخها ، وأنها أصح وأعدل ، سماها : ((مزاج دمشق ووصـفها وتفاوتها عن مصر ، وأنها أصح وأعدل)) [(٣)] ، وكتب المظفر بن عبد الرحمن بن إبراهيم الطبيب البعلبكي (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) مقالة أخرى عن (مـزاج الرقـة وأهويتها وأحوال أطبائها) [(٤)] ، وهذين الكاتبين على أهميتهما في وصف الوضع الصحي لبعض مدن الشام وما تعكسه من عناية العلماء بهذا الجانب المهم إلا أنهما لم يصلا إلينا ، وهما يدخلان فيما يسمى عند مؤرخي الطب بالجغرافيا الطبية .

وقد تحدثت كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين عن بـلاد الـشام وحالـة مناخها ووصف طبيعتها الصحية ؛ فذكروا أن مدينة حمص هي أصح بلاد الشام

---

(١) القزويني : آثار البلاد ص٢٥٠ .

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٣٦٩/٣٧٠ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٢/١٢٣/ ١٢٨/١٣٢. انظر عن أثر استخدام المناخ الطبيعي في علاج الأمراض ، ابن لمطـران : بـستان الأطبـاء ص٥١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٤ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء: ص٧٥١/٧٥٥ ، كحالة : معجم المؤلفين ج١٢ ص٢٩٩ .

هواء وتربة [١] وأنها كثيرة المياه والأشجار فحينما دخلها ابن جبيـر سـأل أحـد سكانها هل عندكم مارستان كباقي المدن الـشامية ؟ [٢] أجابـه ((حمـص كلهـا مارستان)) . أما حلب فطيبة الهواء صحيحة التربة ، [٣] ووصفت قريـة عـزاز إحدى قرى حلب أنها طيبة الهواء عذبة الماء صحيحة التربة . [٤] أمـا دمـشق وأعمالها فأحسن بلاد الشام وأكثرها مياهاً وأشجاراً ، [٥] وغوطتها ذات البـساتين الحسنة والمياه العذبة والأشجار والغابات الجميلة ، [٦] والمزة قريـة فـي وسـط بساتين دمشق ، تلتف حول جهاتها الأشجار والمياه والخضرة ، [٧] ونعتت بعلبـك بكثرة المياه والأشجار والخيرات والثمار ، [٨] ومدينة أنطاكية موصوفة بالنزاهـة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء ، [٩] ويقال عن صفد صحيحة الهـواء ، [١٠] ومدينة فج ذات خيرات وأرزاق واسعة وأنها طيبة الهواء قليلـة الأدواء ، [١١] ، وكانت مدينة الشوبك تضاهي دمشق في روائها وطيب هوائها وتدفق مائها ، فقـد

---

(١) القزويني :آثال البلاد ص١٨٤ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص٣٧٤ ، خالف ياقوت الحمـوي كـلام الرحالة والجغرافيين في وصف مناخ حمص فقال ((ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فـساد هوائهـا وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم المثل)) ويبدو أن الذي دفع ياقوت إلى هـذا القـول موقف أهل حمص من علي بن أبي طالب رضي ا عنه في الفتنة فأراد ذم بلادهم بهذا الـسبب ، معجـم البلدان : ج٢ص٣٠٢ .

(٢) القزويني : آثار البلاد ص١٨٤ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٨ .

(٣) القزويني : آثار البلاد ص١٨٣ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٨ .

(٤) القزويني : آثار البلاد: ص٢٢١ .

(٥) القزويني : آثار البلاد ١٨٩ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص١٧٥ .

(٦) القزويني : آثار البلاد ص٢٣٢ .

(٧) نفسه : ص٢٤٨ .

(٨) القزويني : آثار البلاد ص١٥٦ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ص٣٦٩/٣٧٠ ، ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٢/١٢٣ .

(٩) القزويني : آثار البلاد ص١٥٠/١٥١ .

(١٠) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٣٤ .

(١١) القزويني : آثار البلاد ص٢٦٣.

قيل إن السلطان المعظم عيسى لما دخلها عمّرها وحصّنها وجلب إليها الأشـجار الغريبة حتى غدت تضاهي دمشق حسناً وجمالاً ، [1] .

ومع ما كانت تتمتع به بلاد الشام من مناخ جميل وجو صحي إلا أن الوخم كان يصيب بعض مدنها في أحد فصول السنة ، فحماة كان يعرض لها الخريـف تغير الهواء هو من الوخم [2] وكانت طرابلس تعاني شيئاً من الوخم فأراد نائبهـا استدمر الكرخي رفع وخمها ؛ فشكى بذلك إلى الطبيب أمين الدولة سليمان ، فأشار عليه أن يستكثر بها من الجمال وبقية الدواب ففعل ، وأمر به الأمراء والجند فخف ذاك الوخم [3] .

وتكلم الجغرافيون والرحالة عن طرق استخدام الـشاميين لميـاه الـشرب وطرق جلبها وأثرها الصحي عليهم ، يقول ابن فضل الله العمري عن تقسيم المياه في دمشق : ((ويجري الماء في قني مدفونة فـي الأرض إلـى أن يـصل إلـى مستحقاتها وتتسع في منافعها ، ثم تنصب فـضلات المـاء والبِـرك ومجـاري الميضاوات والمرتفعات إلى قُنّي وسخ معقودة تحت أزجات الماء المشروب ، ثـم تتجمع وتتنهر وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي الغيطان)) [4] .

يذكر ناصر خسرو أثناء مروره ببيـت المقـدس عـن اسـتخدام النـاس الصهاريج لخزن المياه فيقول : ((وفي أرض مـسجد بيـت المقـدس أحـواض وصهاريج كبيرة ، فإن المسجد مشيد كله على صخرة يجتمع فيها ماء المطر فـلا تضيع منه قطرة ، وينتفع الناس بها ، وهناك ميازيب من الرصاص ينـزل منهـا الماء إلى أحواض صخرية وقد ثقبت هذه الأحواض يخرج منها الماء ويصب في

---

(1) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ص١٤١ .

(2) ابن فضل الله العمري : ص١١١ ، انظر تعليل ابن المطران لأسباب كثرة الأمراض في فصل الخريـف بستان الأطباء ص٧٣،٧٤،٧٥،٧٦،٧٧ .

(3) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ص١٢٧ .

(4) نفسه : ص١١٦ ، البدري أبي البقاء عبد الله : نزهة الأنام في محاسن الـشام ، دار الرائـد العربـي الطبعة الأولى ١٩٨٠م ص٣٥ .

الصهاريج بواسطة قنوات بينها غير ملوث أو عفن)) [1] يشير بقوله: ((غير ملوث ولا عفن)) إلى صلاحية الماء من الجوانب الصحية ، وأنه صالح للاستخدام ، وأن الماء إذا تلوث أو تعفن أضر .

وذكر انه على بعد ثلاثة فراسخ من القدس صهريج كبير تنحدر إليه المياه من الجبل وتتجمع ، وتصل منه إلى المسجد عبر قنوات خاصة [2] ، وكان الناس يقومون بجمع مياه الأمطار على أسطح منازلهم والاستفادة منها لندرة المياه في هذه المدينة [3] يقول القزويني عن مياه القدس :((وليس فيها دار إلا وبها صهريج، ومياهها تجتمع من الدورب ، ودوربها حجرية ليست كثيرة الدنس لكن مياهها رديئة)) [4] .

وكان أهل حلب يتخذون الصهاريج لجمع مياه الأمطار واستخدامها في الشرب ، فكانت صافية باردة ، وهم لا يستخدمون الثلج لاعتدال مناخهم صيفاً وشتاء [5] . وأهل كفر طاب يجمعون مياه الأمطار لشح المياه عندهم [6] .

ومما سبق نستدل على عناية أهل الشام بمياه الشرب وحرصهم على نظافتها ونقائها ، وهذا ما يوصي به أطباء الشام في كتبهم حول مراعاة حال الهواء المحيط والمياه الجارية في المدن حين مداواة المرضى يقول ابن المطران ((وينبغي للطبيب أن يكون إذا قدم على مداواة قوم في بلد أن ينظر في وضع المدينة ومزاج الهواء المحيط بها والمياه الجارية فيها، التدبير الخاص الذي يستعمله قوم دون قوم، فإن هذه هي الأصول ثم بعدها النظر في سائر الشرائط))[7]

---

(١) سفر نامة : ص٧٥/٧٦ .

(٢) نفسه : ص٦٥/٦٦ .

(٣) نفسه : ص٦٥/٦٦ .

(٤) آثار البلاد : ص١٦٠/١٦١ .

(٥) ابن فضل ا العمري : مسالك الأبصار ص١٢٨ .

(٦) القزويني : آثار البلاد ص٢٤٨ .

(٧) بستان الأطباء وروضة الألباء : ص٧٣ ، ابن النفيس : الموجز في الطب ص٤١/٤٢/٥٥ . وانظر إلى كلام ابن النفيس عن مياه الشرب (قالوا : لا تجمع بين ماء البئر والنهر ما لم ينحدر أحدهما ، وأفضل المياه مياه الأنهار وخصوصاً الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب ، أو على حجارة فيكون

وأصيبت بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين بالعديد من الأمراض والأوبئة [1] القاتلة والتي رافقت الحروب الصليبية ، فكان لكثرة القتلى وتعفن جثث الموتى وما صاحبها من فساد الهواء والمناخ وتلوث المياه [2] ، وما عانته بلاد الشام من كثرة المجاعات والزلازل وغيرها من الكوارث الطبيعية التي دمرت العديد من الأماكن العمرانية وأهلكت الآلاف من السكان ، وما تركته من آثار على البنية الاجتماعية والعمرانية .

وقد ذكرت المصادر الكثير من تلك الأخبار التي سنورد عدداً منها لندلل على مدى تأثيرها على حياة الناس وآثارها الصحية عليهم .

فقد أورد ابن الأثير خبراً عن وباء الجدري الذي أصاب العراق والشام وغيرها من البلاد سنة (٤٩٨هـ / ١١٠٤م) ومات به أمم لا يحصون ثم أعقبه وباء شديد وموت كثير [3] .

أبعد من قبول العفونة وخصوصاً الجارية إلى الشمال أو الشرق وخصوصاً المنحدرة إلى أسفل وخصوصاً إذا بعد المنبع ، فإن كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه أنه حلو ، ولا يحتمل الشرب منه إلا قليلاً ، فذلك البالغ وخصوصاً إذا بعد المنبع ...) الموجز في الطب ص٥٧ .

(١) يقول ابن النفيس في تعريف الوباء : ((الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في الملاحم إذا لم تدفن القتلى ولم تحرق التربة الكثيرة النزّ ..)) الموجز في الطب ص٣٠٤ . وابن مطران يقول ((تغير الهواء يكون إما لأن جوهره يتغير ، فتحدث عن ذلك الوباء ، وإما لأن كيفيته تتغير ..)) ويفرق ابن المطران بين الأمراض الوافدة والأمراض البلدية فيقول : ((إن الأمراض الوافدة هي التي تحدث في مدينة بحسبها في كل وقت على سبيل العادة لهم)) بستان الأطباء ص١٥٧/١٥٤ ، للاستزادة عن تعريف الوباء وأسبابه وطرق علاجه انظر ((مادة البقاء في صلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء)) ، تحقيق ودراسة محمد بن أحمد التميمي ، يحيى الشعار ، معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م الطبعة الأولى ، (طبع الإسكندرية) هبة ا بن جميع ، تحقيق مريزن سعيد عسيري ، وسعد بن عبد ا البشري ، معهد البحوث بجامعة أم القرى ١٤١٧هـ ، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم ونصوص دار العرب الإسلامي ١٩٨٨م الطبعة الأولى ج٢ ص١٨٨/١٦١ .

(٢) ابن العبري أبي الفرج جمال الدين : تاريخ الزمان ، دار المشرق بيروت ص٢١٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج٢ ص٨٣ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٤ ص٤ .

(٣) الكامل : ج٨ ص٢٢٩ .

وفي سنة (٥١٨هـ / ١٢٢٤م) وقع الغلاء الشديد في الأسعار وانتـشرت المجاعات فهلك كثير من الفقراء بسبب الجوع [١] .

وفي سنة (٥٤١هـ / ١٤٦م) بعد أن وقع القحط والجوع ، أعقبه في هذه السنة الوباء الذي انتشر بين الناس وكانت أعراضه أنه كان يصيب الناس مـرض في حلوقهم فمات به خلق كثير [٢] .

وفي أثناء حصار الفرنج لدمشق سنة (٥٤٣هـ / ١١٤٨م) أصيب بعض الدمشقيين بمرض الطاعون بسبب كثرة القتلى بين الطرفين [٣] .

وحدث وباء سنة (٥٤٧هـ / ١١٥٢م) ومرض عام في الناس بسبب فساد الهواء والماء ، وكانت أعراضه الحمى والسعال وأصيب الصغار والكبار وعامـة الناس ، وكثر الطلب على الأدوية حتى ازدحمت حوانيـت العطـارين ، وكـان المصاب بهذا المرض لا يمضي أسبوع حتى يقتله ، وقد كثر من مات به في هذا العام إلا أن الناجون منه أكثر [٤] .

وحينما عزم السلطان نور الدين محمود على أخذ دمشق ، منع من دخـول التجار إلى دمشق لتجاراتهم وخصوصاً القادمين من شمال الشام ، فغلـت لـذلك الأسعار ، وقلت الأقوات ، وحدثت المجاعات التي مات بها الفقراء والضعفاء [٥].

وأصاب أهل دمشق مرض مختلف الحميات سنة (٥٤٩هـ ـ / ١١٥٤م) منه ما طال ومنه ما قصر ، ومات به عدد من كبار السن والشباب والأطفال ، ثم تراجع هذا الوباء تدريجياً حتى وقف [٦] .

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٣٣٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٢٣٧ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص١٦٨/١٩٨/١٩٩ .

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٤٩٤ .

(٥) نفسه : ص٤٩٩/٥٠٢ .

(٦) نفسه : ص٥٠٨ .

وانتشر الوباء في سنة (٥٦١هـ / ١١٦٥م) بسبب كثرة المياه والمستنقعات وفي قرية بانياس ، ومات به أناس كثير [١] .

وفي سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) اشتد الغلاء وكثرت المجاعات في بلاد الشام حتى أكل الناس الميتة ، وكثر الموت بين الناس ، وأصيب الناس بعدها بالوباء وهو مرض (السرسام) [٢] هلك به أناس كثير حتى عجز الناس عن دفن موتاهم . وكان هذا الوباء في بلاد الشام أشد منه في غيرها [٣] حتى رفعه ا عنهم سنة (٥٧٦هـ / ١١٨٠م) [٤] ويذكر ابن كثير أنه في السنة نفسها أصاب الوباء جيش السلطان صلاح الدين الأيوبي ومات بسببه عدد من الأمراء والقادة وانتشر في الجيش [٥] .

وفي سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) وقع أيضاً مرض شديد في جيش السلطان صلاح الدين ، وأصاب الجند والأمراء إلا أنه لم يمت به أحد من الجيش [٦] وانتشر نفس الوباء في جيش الصليبيين ، وهلك بسببه ملك الألمان ، وعدد من كبار القادة الصليبيين ، فكان يموت في اليوم الواحد منهم المئة والمئتان [٧] .

---

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ص١٧٨ ، يذكر ابن العبري قصة غريبة عجيبة عن الطريقة التي تم بها إيقاف هذا الوباء حيث يقول : ((أنه دخل البلدة رجل من الترك فقال لأهلها ابحثوا عمن مات أولاً من هذا الوباء ، ففتحوا قبراً مرّ على موته أربعة أشهر فشاهدوا جسده باقياً وعينيه مفتوحتين وفمه مفتوحاً نحو شبر وأربعة أصابع ، وكفن رأسه وصدره مأكولاً ولحيته مقصوصة ويده اليمنى مبتورة وهي بجانبه ، فشد التركي فمه وسمره بمسمار ضخم ، ومنذ ذلك الوقت لم يمت أحد من القرية بذلك الوباء)) ص١٧٨ .

(٢) هو ورم حار في الدماغ ، أو في الأغشية المحيطة به ، ويسمى قرانيطس ، وعلامته حمى قوية ، وهذيان واحمرار العين جداً ، وكراهية الضوء . القمري : التنوير في الإصلاحات الطبية ص١٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١٤٥ ، الباهر ص١٧٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣٢٠ . يذكر أنه في سنة (٥٧٧هـ / ١١٨١م) ((وصلت إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو في القاهرة رسالة من نائبه على الشام يخبره أن ا قد من على الناس أن النساء في هذا العام ولدت بالتوائم جبراً لما أصابهم من الوباء في العام الماضي ..))ج٦ ص٣٢٩ .

(٥) نفسه : ج٦ ص٣٢٣/٣٢٥ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٣٢٤/٣٢٤ .

(٧) نفسه : ج٢ ص٣٤٧ .

ووقع وباء الطاعون [(1)] في مدينة حمص سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣م) فهلك كثيراً من أهلها ، وكان سببه ظهور عيون ماء في البلد ، وامتلأ الخندق فـشرب أهلها منه فوخموا جميعاً ففشى عقب ذلك فيهم الطاعون [(٢)] .

وفي سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) أصاب الناس بالـشام مجاعـات كانـت بسبب شح الأمطار وقلة القطر حتى هلك به كثير من الناس [(٣)] وقعـت المجاعـة الكبرى بخلاط بعد حصار الخوارزمية لها فأكلوا الميتة والجيف [(٤)] ، ويذكر ابـن نظيف أن أهل خلاط بعد طول الحصار أكلوا لحـم الكـلاب والحميـر والبغـال وغيرها من الأشجار والجلود ينقونها ويأكلونها [(٥)] .

وفي سنة (٦٤٣هـ / ١١٤٥م) حاصر الخوارزمية لمدينة دمشق ووقـع بسببه الغلاء الشديد في الأسعار ، وقلت الأقوات وانتشرت المجاعات بين النـاس حتى أكلوا الميتة والجيف والدم وأكلوا القطط والكلاب ، ومات الناس في الشوارع والطرق وكثر النتن والعفن ، حتى كان الإنسان إذا مر بالجبل وشم روائح الموتى

---

(١) الطاعون : أورام وبثور تخرج مع تلهب شديد مجاوز المقدار ويصير حوله أخضر وأسود ويكون معه الاضطراب والخفقان ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبيـة ص٣٣ ، ٣٤ ، القوصـوني : قـاموس الأطباء ج٢ ص١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) ابن أيبك الدوا داري : كنز الدر وجامع الغرر ج٧ ص١٢١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١١٤ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٥٩/٦٦٠ ، ابن نظيف : التـاريخ المنـصوري ص٢١١ ، تكلم العلماء في مسألة أكل لحم الإنسان عند المضطر اتفق الفقهاء على أن المضطر إن لم يجـد إلا آدميـاً حياً محقون الدم لم يبح له قتله ، ولا إتلاف عضو منه ، مسلماً كان أو كافراً ، لأنه مثله ، فـلا يجـوز أن يبقي نفسه بإتلافه ، واختلفوا فيما إذا وجد آدمياً معصوماً ميتاً ، فأجاز بعض الحنفية والشافعية على أصح الطريقين وأشهرها أكله ، لأن حرمة الحي أعظم ، ويرى المالكية والحنابلة والشافعية في وجه أن المضطر ليس له أكل ابن آدم ولو مات لقوله صلى ا عليه وسلم : ((كسر عظـم الميـت ككـسره حيـاً)) قـال الماوردي : فإن جوزنا الأكل من الآدمي الميت فلا يجوز أن يأكل منه إلا ما يسد الرمق بلا خلاف ، حفظـاً للحرمتين ، قال : وليس للمضطر طبخه وشيه . بل يأكله نيئاً ، لأن الضرورة تندفع بذلك ، وفي طبخه هتك لحرمته ، فلا يجوز الإقدام عليه بخلاف سائر الميتات فإن للمضطر أكلها نيئـة ومطبوخـة . الموسـوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت الجزء الثامن والعشرون (صنجة – طلاء) مطـابع الصفوة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣ .

(٥) التاريخ المنصوري : ص١٨٣/١٨٤ .

مرض ومات ، وعز المغسلون والمكفنون ، وكانوا يرمون النـاس فـي الآبـار بعضهم على بعض [١] ، ويذكر المقريزي أنه مات رجل في السجن فأكلـه أهـل السجن ، واستمر هذا البلاء في أهل دمشق ثلاثة أشهر [٢] .

وحينما دخلت التتار بغداد ، وأسقطوا الدولة العباسية سـنة (٦٥٦هـ ـ / ١٢٥٨م) وعاثوا في بلاد العراق ، ذكر أبو شامة واليونيني والذهبي أنه أصـاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد كان بسبب فساد الهواء ، فسد مـن كثـرة القتلى بالعراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام [٣] يقول البدر العينـي واصـفاً الحالة في بغداد ((ولما انقضى أمد المدة المقدرة ، وانقضت الأربعون يوماً ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ، وليس بها أحد إلا الشاذ من النـاس ، والقتلـى فـي الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت البلد مـن جيفهم وتغير الهواء ، فحصل بسببه الفناء والوباء الشديد حتى سرى وتعدى فـي الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون ..)) [٤] يذكر المؤرخون أن عـدد القتلى في بغداد وحدها بلغ مليون وثمانمائة ألف [٥] وكان النـاس لـشدة الجـوع وغلاء الأسعار لا يجدون لمرضاهم الطعام حتى بلغ الفروج الذي يشترى لأجـل المرضى باثني عشر درهماً ناصرياً [٦] واشتد حدة الوباء على أهل دمشق وحلب حتى قيل أنه كان يموت من أهل حلب في اليوم الواحد ألفاً ومئتان [٧] ولذلك يذكر

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٧٨ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٧٥٣/٧٥٤ ، الـذهبي : العبر ج٣ ص٣٤٤ ، المختار من تاريخ ابن الجزري ص١٩٨/١٩٩ ، ابن كثير : البدايـة والنهايـة ج٧ ص١٧٨ . يعلق سبط ابن الجوزي على هذه الحوادث فيقول : ((ومع هذا فكانت الخمور دائـرة والفـسق ظاهر والمكوس بحالها)) .

(٢) السلوك : ج٢ ص٣٢٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢١٧ .

(٤) عقد الجمان : ص٦٤٨/٦٦٤/١٧٥/١٧٦ . ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص١٥٩ .

(٥) الذهبي : العبر ج٣ ص٢٧٨ .

(٦) ابن العبري : تاريخ الزمان ص٣٠٩ .

(٧) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص١٧٤/١٧٥/١٧٦ .

اليونيني أن أهل دمشق تسخطوا من هذا الوباء الذي اشتد عليهم ، فخـرج مـنهم الملك الناصر داود ناصحاً ألا يتسخطوا من هذا الوباء فقال : ((لا تتسخطوا به ، فإن الطاعون لما وقع بعمواس [1] في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بعض الناس هذا الطاعون الذي بعث على بني إسرائيل فبلغ ذلك معاذ بن جبل [2] رضي الله عنه فقام في الناس خطيباً وقال : أيها الناس لا تجعلوا دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم ورحمة ربكم عذاباً وتزعمون أن الطاعون هو الطوفان الذي بعـث على بني إسرائيل ، إن الطاعون رحمة ربكم رحمكم بها ، ودعوة نبيكم لكم اللهم أدخل على معاذ منه نصيبه الأوفى ، قال ثم قبض علينا معاذ وابنه وأهـل بينـه بالطاعون ، ثم ابتهل وقال : اللهم اجعلنا منهم وارزقنا ما رزقتهم وأصبح من الغد أو بعده مطعوناً ، يقول عبد الله ابن فضل راوي القصة فلما سمعت بمرضه جئته وهو يشكو ألماً مثل الطعن بالسيف في جنبه الأيسر بحيث يمنعه من الاضـطجاع .. وبقي كذلك صابراً حتى مات يرحمه الله)) [3] .

ولما هزم التتار في بلاد الشام سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) وهروبهم ومـا أعقبه من كثرة القتلى ، وما تلا ذلك من مجاعة قوية عدمت فيها الأقوات وأكثر ما يحتاج الناس إليه في معايشهم حتى اضطروا إلى أكل الميتة [4] وقد استمرت هذه المجاعة حتى سنة (٦٦٠هـ /١٢٦١م) وتضاعفت حدتها على أهل حلب وحماة [5]

---

(١) طاعون عمواس : وقع هذا الطاعون في خلافة عمر بن الخطاب سنة سبع عشر وستمائة فـي بـلاد الشام وذهب فيه عدد من كبار الصحابة منهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيـد بـن أبـي سفيان وخلق كثير ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

(٢) أحد كبار الصحابة من الأنصار جاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى أهل اليمن يدعوهم إلـى الإسلام مات في طاعون عمواس سنة سبع عشر من الهجرة أو التي بعـدها ابـن حجـر : الإصـابة ج٦ ص١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٤) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٧٨، اليونيني : ذيل مرآة الزمـان ج١ ص٤٣٦، ٤٣٧ ،٣٧٩ ، ج٢ ص٩٠

(٥) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٩٨/٤٩٩/ ، ج٢ ص١٦٢ .

وأصيبت بلاد الشام زمن الحروب الصليبية بزلازل مدمرة كان لها أثرها السلبي على الجوانب الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية [1] . وقد تعرضت بلاد الشام منذ القرن الأول الهجري [2] إلى فترة البحث سلسلة متصلة من الزلازل القوية التي خلفت دماراً كبيراً في القرى والمدن وأصابت كثيراً من معالمها العمرانية بالدمار والخراب [3] ، وسنعرض للزلازل التي وقعت خلال فترة البحث وما كان من آثارها على بلاد الشام .

ففي سنة (٤٨٤هـ / ١٠٩١م) حدثت زلازل كثيرة استمرت يوماً وليلة على دفعات [4] فهدمت بيوتاً كثيرا ، وهدم تسعون برجاً من أسوار أنطاكية . وهلك تحت الهدم خلق كثير [5] .

وفي سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) وقعت زلازل كثيرة متتابعة لم تحدث هدماً كثيراً [6] وابن القلانسي يذكر أنها استمرت يوماً وليلة تتردد حتى سكنت بعدما أعقبت خراباً وهدماً هائلاً [7] .

---

(١) غوانمة : الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعالم العمرانية ، دار الفكر ١٩٩٠م ص١٣ .

(٢) السيوطي : كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق عبد الرحمن الفريواني ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ص٦٤،٩٤ ، غوانمة : الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي ص١٧،١٨،١٩،٢٠،٢١،٢٤،٢٥ .

(٣) غوانمة : الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي ص١٣ .

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢٠٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص١٥٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص١٤٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص١٤٦ ، وقد أرخ لها بسنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص١٧٣ .

(٧) ذيل تاريخ دمشق : ص٢٠٩ .

وحدثت زلازل هائلة بالشام والجزيرة سنة (٥٠٨هـ / ١١١٤م) فهدمت أسوار مدينة الرها [١]، وسور حران [٢]، أما بالس فقد دمر منها مئة دار ، وقلب بنصف قلعتها وهلك جزاء هذه الزلازل خلق كثير [٣] .

وفي سنة (٥٣٢هـ / ١١٣٧م) خربت بلاد الشام والجزيرة والعراق الزلازل الضخمة ، فتهدم شيء كثير من بيوتها ومات تحت الهدم عدد كثير من الناس [٤] .

وفي سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٩م) وقعت زلازلة عظيمة بدأت يوم الثلاثاء الرابع من شهر صفر ، ثم تكررت بعد ذلك في أيام متعددة حتى قال بعضهم أنها تكررت مئة مرة [٥] ، واتسع نطاقها فشملت هذه الزلازل دمشق وأعمالها وحلب وأعمالها ، بل معظم بلاد الشام إلا أن أثارها على حلب أشد ، فهدمت أكثر دور أهلها والأسوار والقلاع وخرج الناس إلى خارج المدينة هاربين [٦] يذكر سبط ابن الجوزي أنه قد هلك في هذه الزلازل مائتين وخمسين ألف من أهل الشام [٧] وقيل أنه مات من أهل فلسطين وحدها ممن انهارت عليهم بيوتهم عشرين ألف إنسان [٨]

ووقعت زلازل متتابعة في شهر شعبان حتى نهاية شهر رمضان سنة (٥٥١هـ / ١١٥٧م) ، وهلك بسببها أمم لا يعلمهم إلا ا وتهدم أكثر حلب وحماة وشيزر وحمص وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية ، والمعرة وأنطاكية

---

(١) سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء بن البلندي بن مالك ، وهي المدينة المشهورة بين الموصل والشام ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٣ ص١٠٦ .

(٢) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة قريبة من الرها ياقوت الحموي : معجم البلدان ص٢٣٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٢٧١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص٥٠٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص١٩٠ ، السيوطي : كشف الصلصلة ص٩٥/٩٦ .

(٤) نفسه : ج٨ ص٣٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٢٢٨ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٤٢٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص٢٣٠ .

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق : ص٤٢٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص٣١٩ .

(٧) مرآة الزمان : ج٨ ص١٦٨/١٦٩ .

(٨) التطيلي بن يامين بن يونه: رحلة بن يامين ، ترجمها عزاز حداد ، المطبعة الشرقية الطبعة الأولى بغداد ١٣٦٤هـ ص٨٨ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ج٣ ص١٧٢ .

وطرابلس [١] قال ابن الجوزي فأما شيزر:((فلم يسلم منها إلا امرآة وخادم لها))[٢] ثم تلتها زلازل عظيمة سنة (٥٥٢هـ / ١١٧٥م) في شهر صفر من هذه السنة وبقيت تتكرر طول تلك السنة وتأتي في اليوم الواحد عدة مرات ، فكـان أثرهـا عظيم وتأثيرها قوي على كل مدن الشام كحماة وشيزر وكفر طاب حلب ودمـشق وغيرها [٣] فهدمت القلاع والبيوت ومات تحت الهدم الشيوخ والنساء والصبيان [٤]

ويقول سبط ابن الجوزي : ((.. وهلك خلق عظيم حتى روي أن معلماً كان بحماة في كتّاب فقام من الكتّاب يقضي حاجته ، ثم عاد وقد وقع المكتـب علـى الصبيان فماتوا بأسرهم ، وأعجب من هذا أنه لم يأت أحد يسأل عن صبي كان له في المكتب)) [٥] .

وقد نظم الشعراء في هذه الحادثة العظيمة قصائد منها [٦] :

روعتنـــا زلازل حادثـــات	بقـضاء قـضاه رب الـسماء
هـدمت حـصن شـيزر وحمـاة	أهلكـت أهلـه بـسوء القـضاء
وبـلاداً كثيـرة وحـصوناً	وثغـوراً موثقـات البنـاء
وإذا مـا قـضى مـن ا أمـر	سـابق فـي عبـاده بالمـضاء
حار قلب اللبيـب فيـه ومـن كـان	لـه فطنـة وحـسن ذكـاء
وتـراه مـسجاً بـاكي العـين	مروعـاً مـن سـخطه وبـلاء
جـل ربـي فـي فلكـه وتعـالى	عـن مقـال الجهـال والـسفهاء

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٥١٥/٥١٤ ، السيوطي : كشف الصلصلة ص١٠٢/١٠١ .

(٢) المنتظم ج١٠ ص١٧٦ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٥٣١/٥٢٥ ، ابن العبـري : تـاريخ الزمـان ص١٧٣/١٧٢ ، البنداري : سنا البرق الشامي ص٩٤/٩٣/٩٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٥٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٢٢٩/٢٢٨ ، ابن كثيـر : البداية والنهاية ج٦ ص٢٥٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٥٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٢٢٩/٢٢٨ ، ابن كثيـر : البداية والنهاية ج٦ ص٢٥٣ .

(٦) السيوطي : كشف الصلصلة ص١٠٦ .

وسكن الناس خلال هذه السنة خوفاً على أنفسهم في الأكواخ التي بنوها من الأخشاب لئلا تتهدم الدور عليهم ، يقول أسامة ابن منقذ واصفاً هذه الحالة [1]

يا أرحم الراحمين ارحم عبادك مـن	هذه الزلازل فهي الهلك والعطـب
ماجت بهـم أرضـهم حتـى كـأنهم	ركاب بحر من الأنفاس تضطرب
فنـ ـصفهم هلكـ ـوا ونـ ـصفهم	لمصرع السلف الماضين يرتقـب
تعوضوا من مشيدات المنازل بالكواخ	فهـي قبـور سـقفها خـشب
كأنهـا سـفن قـد أقبلـت وهـم	فيها فلا ملجـأ منهـا ولا هـرب

ووقعت في سنة (٥٥٤هـ / ١١٥٩م) زلزلة أخافت الناس وأرعبـتهم ، ولم تشر المصادر إلى عدد من مات فيها [2] .

وفي سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) وقعت زلازل متتابعة شملت بلاد الـشام والجزيرة والعراق ، إلا أنها كانت بالشام أشد فخربت معظم مدن الشام وتهـدمت القلاع والحصون ، وهجر الناس مساكنهم خوفاً من سـقوطها علـيهم [3] ، وأرخ سبط ابن الجوزي وغيره لهذه الزلازل بسنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) فقال : ((وفي شوال كانت بالشام زلازل هائلة بحيث وقع معظم دمشق وشرفات الجامع وسقطت رؤوس المنابر وكانت تهتز مثل النخل في ريح عاصف وكانت بحلب أعظم بحيث وقع نصف القلعة والبلد وهلك من أهلها ثمانون ألف تحت الهدم ، وتهدمت أسوار جميع القلاع وخرج الناس إلى البراري ، ووقع حصن الأكـراد ، وكانـت هـذه الزلازل عامة في بلاد الشام وغيرها ، وأفنت أمماً من الناس))[4] . وقد ذكـرت المصادر اللاتينية أن هذه الزلازل قد أثرت على معظم المدن والقرى التي تحـت سيطرة الفرنج وما أعقبه من دمار في القلاع والحصون ومن هلـك فيهـا مـن

---

(١) نفسه ص١٠٦ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٥٤١،٥٤٤، ٥٤٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص١٠٦ .

(٤) مرآة الزمان : ج٨ ص٢٧٩،٢٨٠ ، ابن واصل : مفرج الكـروب ج١ ص١٨٥ ، الـذهبي : تـاريخ الإسلام حوادث (٥٦١/٥٧٠) ص٢٣،٥٤ .

الناس[١] . كما وقعت سنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩م) زلزلة عظيمة تهدم بسببها قلاع وقرى وسقط من رؤوس الجبال صخور كبار [٢] .

وهزت بلاد الشام سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) زلزلة هائلة عمت أكثر بلاد الشام ومصر وبلاد الجزيرة [٣] فأخربت أكثر الأماكن بدمشق ، وحمص ، وحماة، وخربت صور ، وعكا ، ونابلس ، وطرابلس وغيرها [٤] ومات تحت الهدم خلـق كثير، ومات من أهل نابلس تحت الهدم ثلاثون ألفاً [٥] وتهـدمت منـارة الجـامع الأموي الشرقية ، وأكثر الكلاسة والمارستان النوري وعامة دور أهل دمـشق [٦] وقد أحصي من هلك في هذه الزلازل فبلغوا مليوناً ومئة ألف إنسان [٧] ويـصف بعضهم هذه الزلازل بأسلوب بليغ فيقول : ((أما بعد فإنه لما حدث بملـك الـشام حادث الزلازل ، ووجد في أكثرها من عظم البلايا والبلابل ، حتى طغـت مـن أرض الجزيرة إلى بلاد الساحل ، وهدمت الحصون والمعاقل ، وخربـت مـالا يحصى من الدور والمنازل ، وسوت الأعالي من البنيان بالأسافل ، وأوحشت من أهلها المجالس والمحافل ، وشرخت كثيراً من الرمام بالجنـادل وفـصلت بـين الأعضاء والمفاصل ، وأبانت بين الأقدام والأكف والأنامل وأدبـر القطـان مـن الأوطان إدبار النعام الجافل ، وخلى كثيراً عن السكان في المـوارد والمناهـل ، وكثرت في الدنيا اليتامى والأرامل ، و أرمدت قلوب الفاقدات ، و أرمصت عيون الثواكل ، وأجهضت كثيراً من أجنة الحوامل ، ووضعت الطيور لحولها مـا فـي الحواصل ، فكان ما حدث منها عبرة للبيب العاقل وحسرة على المصر الغافـل ، وتنبيهاً على إخلاص التوبة من التغافل ، ولكنهم تعاموا عن الحق ، وتمادوا فـي

---

(١) غوانمة : الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي ص٣٦/٣٧ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣٢٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٥٥ ، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص٢٥٦ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩٠/٦٠٠) ص٤٢ ، ابن أيبك الدوا داري : كنز الدر وجامع الغـرر ج٧ ص١٤٩/١٥٠ .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ص٤٧٧/٤٧٨ .

(٦) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠/٢٩ .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ص٤٧٧/٤٧٨ .

الباطل ، وأضاعوا الصلوات وعكفوا عن الـشهوات والـشواغل ، وأهـدروا دم المقتول وأرشوا في ترك القاتل ، وارتكبوا الفجور وشربوا الخمـور ، وانتـشر فسقهم في القبائل وأكلوا الربا والرشا ، وأموال اليتامى ، وهـي شـر المآكـل ، وزهدوا فيما رغبوا فيه ، وطمعوا في الحاصل ، ومن بقي منهم إنما يستدرج في أيام قلائل ، وما جرى على البلاد فعبرة وموعظة للخارج والـداخل ، وا يمـن على الإسلام وأهله بفرج عاجل ، ويوفقهم للقيام بمرضـاته مـن أداء الفـرائض والنوافل ، ويكفيهم من عذابه الأليم الهائل ، وينجيهم من عقابه الآجل والعاجـل ، فهو مجيب المضطر،ومعطي السائل ، وفارج الكرب الفادح،والخطب النازل .)) [١]

وفي سنة (٥٩٨هـ / ١٢٠١م) وفي شعبان منها جاءت زلزلة عظيمة ، تصدعت لها قلعة حمص ، وحصن الأكراد وغيرها [٢] .

وفي سنة (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) كانت الزلازل التي شملت مصر والشام والموصل وبلاد الجزيرة والعراق وبلاد الروم وقبرص [٣] وغيرها [٤] يقول ابـن الأثير : وبلغت حتى سبته [5] ببلاد المغرب [٦] .

ووقعت زلازل شديدة سنة (٦٠٨هـ / ١٢١١م) في مصر والشام تهدمت على أثرها دور كثيرة ، وسقطت قلعة الكرك والشويك ومات تحت الهـدم خلـق كثير من الصبيان والنساء [٧] .

وفي سنة (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) وقعت زلازل عنيفـة بمدينـة الكـرك فتهدمت بعض أبراجها وعدداً من مباني المدينة [٨] .

---

(١) السيوطي : كشف الصلصلة ص١١٣/١١٤/١١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٥٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/٦٠٠) ص٤٦ .

(٣) جزيرة في البحر المتوسط قريبة من طرطوس ، القزويني : آثار البلاد ص٢٤٠ .

(٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ص٢٤٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص١٢٧ .

(٥) مدينة مشهورة بالمغرب حصينة على ساحل البحر ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٣ ص١٨٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٦٦ ، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ج٢ ص١٢٠ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٦٨ ، السيوطي : كشف الصلصلة ص١١٤ .

(٨) القلقشندي : مآثر الأنافة ، تحقيق عبد الستار فراج ، عالم الكتب ج٢ ص١١٤ .

وحدثت سنة (٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) زلازل شديدة بغزة والرملة وقابون [١] وسقطت قلعة الكرك وثلاثة من أبراجها[٢].

ومن خلال تلك الأحداث تجلت بوضوح الحالة الصحية والبيئية التي كانت عليها بلاد الشام فترة البحث ، وما خلفته الزلازل والأمراض والأوبئة والمجاعات من كثرة الموتى ، مما كان له أكبر الأثر على النمو السكاني والعمراني لبلاد الشام ، وما يترتب عليها من أضرار صحية وثقافية واقتصادية واجتماعية وعمرانية [٣] ولنا أن نتساءل : ما هو دور الأطباء في تلك الأحداث ؟ وهل كانت لهم مشاركات في علاج المرض ؟ ومقاومة الأوبئة والأمراض وتصنيف الكتب للوقاية منها ؟ فمن خلال ما وقع بين يدي من المصادر لم أجد لأطباء الشام مشاركات ميدانية في علاج المرضى والمصابين في تلك الحوادث والنوازل ، إلا ما يذكر عن الأطباء الذين يشاركون في علاج الجرحى والمصابين في المعارك[٤] كما لم أجد لأحدٍ من أطباء الشام مصنفاً مستقلاً عن الأمراض الوبائية أو عن الأوبئة وأسبابها وعلاجاتها – برغم انتشارها في هذا العصر – إلا مصنف للطبيب علاء الدين ابن النفيس عن الأمراض المعدية والأوبئة وهو شرح كتاب أبقراط عن الأوبئة بعنوان (رسالة الأبيديميا لأبقراط وتفسيره للمرض الوافد) [٥]

---

(١) موضع بينه وبين دمشق مقدار ميل على طريق العراق في وسط البساتين ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص٢٩٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٣٥٢ .

(٣) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠ ، ٢٩ ، ١٧٨ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص١٩٨ ، ١٩٩ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ج٢ ص١٦٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٣٣٨ ، ٤٢٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ١٩٠ ، ٢٣٠ ، ج٧ ص ١١٤ ، ٢١٧ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأطباء ص٦٥٢ .

(٥) منه نسخة في آيا صوفيا (استنبول برقم (٣٦٤٢)) .

أو الفصل الذي أفرده ابن المطران في كتابه بـستان الأطبـاء عـن (الحميـات والأوبئة) [1] فهو يورد فيه معلومات مفيدة إلا أنه جاء مختصراً .

والذي يدعم هذا القول أن ابن أبي أصيبعة لم يشر في كتاب عيون الأنبـاء إلى شيء من تلك المجاعات والأوبئة من قريب أو بعيد ، إضافة إلى أنـه ذكـر عدداً كبيراً من القصص في تراجم الأطباء [2] فيما يتعلق بطرق العلاج ومـداواة المرضى ولم نره يذكر قصة واحدة تفصح عن علاج مرض وبـائي كالطـاعون مثلاً ، أو غيره من الأوبئة التي أصابت بلاد الشام في تلك الفترة ، ممـا يرمـي بظلال الشك حول تلك المبالغات [3] التي ذكرها المؤرخون في وصف المجاعات والزلازل والأوبئة والأمراض إذ لم نجد لأي من أطباء الشام جهد يبرز دورهـم في هذه الكوارث برغم صلتهم المباشرة بها .

وإذا سلمنا بصحة تلك الأخبار ومدى دقتها فإننا لا نجد مبرراً أو جواباً للرد على هذا التساؤل .

(١) ابن المطران : بستان الأطباء ص١٥٤ ، ١٦٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبـاء ص٦٢٨ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٠٤ ، ٧٢٩ .

(٣) تتمثل تلك المبالغات في أعداد الموتى جراء تلك الزلازل والمجاعات والأوبئة ، وأكلهم لحـوم الكـلاب والقطط والدم والحيوانات والجيف بل أكلوا حتى البشر ، وفي أعداد الوفيات غير المنطقية ، ممـا يـستلزم على القارئ أن يقف موقف المتسائل لماذا هذه المبالغات ، سبط ابن الجوزي : مـرآة الزمـان ص٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص٢١١ ، أبـو شـامة : ذيـل الروضتين ص١٧٨ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٣٦ .

الفصل الثاني :

أماكن تعليم الطب في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

المبحث الأول : **المساجد .**

المبحث الثاني : **المدارس .**

المبحث الثالث : **البيمارستانات .**

المبحث الرابع : **المكتبات وخزائن الكتب .**

المبحث الخامس : **المجالس العلمية ومنازل الأطباء**

الفصل الثاني

أماكن تعليم الطب في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

ازدهرت الحركة العلمية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين في شتى فروعها : الشرعية ، والعربية ،والعلوم الطبيعية ، والتطبيقية ، وكان الطب أحـد فروع هذه العلوم ، فقد لقي رواجاً وانتشر تعليمه انتشاراً واسعاً خلال هذا العصر، وتنوعت أماكن تعليمه فكانت المساجد ، والمدارس الخاصة ، والبيمارسـتانات ، والمكتبات ، وحوانيت الأطباء ومنازلهم هي أشهر هذه الأماكن .

وقد ارتبط تعليم الطب عند المسلمين بأماكن تعليمه قبل الإسلام ، كمدرسة الإسكندرية [(١)] وجند نيسابور وبيمارستانها [(٢)] ، وقد درس بها عدد من الأطبـاء العرب والمسلمين [(٣)] .

وكان العباسيون أول من أسس أماكن لتعليم الطب والعلوم الطبيـة علـى الوجه الصحيح [(٤)] فبيت الحكمة مثلاً كان أول مؤسسة أنـشئت لتـدريس العلـوم

((١) السامرائي كمال : مختصر تاريخ الطب العربي ، دار النضال بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ج١ ص١٧٤ ، تعد المدرسة الطبية الإسكندرية إحدى أشهر المدارس الطبية قبل الإسلام ، فقد ظهر من خـلال هذه المدرسة أطباء بارعون كان لكتبهم ولمناهجهم وطرقهم في العلاج أثر على حركة تعليم الطـب عنـد المسلمين انظر عن هذه المدرسة تفصيلاً ، السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج١ ص١٧٣ ، ١٨٩ ، الشطي أحمد شوكت : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، مطبعة طربين ١٣٨٦هـ ٨٤ ، ٩٦ ، أحمد طـه : الطب الإسلامي ص١٩ ، النجار عامر : في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ، دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٩٤م ص٤٠ ، ٥١ ، الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي ص١٩٢ ، ٢١٢ .

(٢) هي أشهر مدرسة طبية في بلاد فارس ، أسسها كسرى الأول ، وكثر نـشاطها العلمـي قبـل الفـتح الإسلامي لبلاد فارس ، وتخرج فيها عدد من الأطباء العرب ، وحظيت هذه المدرسـة برعايـة الخلفـاء العباسيين ، حيث كان بها عدد من العلماء ، والأطباء ، والمترجمين الذين استدعاهم خلفاء بنـي العبـاس للعمل في البيمارستان العضدي وبيت الحكمة للاستزادة انظر : السامرائي : مختصر تاريخ الطـب العربـي ج١ ص٢٩٤ ، ٢٩٨ ، الشطي : تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، ص٥٢ ، ٥٥ ، الجميلي : حركة الترجمـة في المشرق الإسلامي ص٢١٨ ، ٢٢٤ .

(٣) الشطي : تاريخ الطب وآدابه وأخلاقه ص٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج١ص٣٠٥ .

الحكمية عامة لاسيما الطب [1] فكان بها عدد من كبار العلماء والمترجمين الـذين ترجموا أمهات الكتب في مختلف العلوم[2] ، وكان تأثير مدرسة جنـد نيـسابور واضحاً في حركة الترجمة ونقل الكتب[3] ؛ ولذا أفل نجمها لما دخـل علماؤهـا وأطباؤها بغداد [4] .

وبلاد الشام خلال فترة البحث لا تبتعد كثيراً عن بغداد وبـاقي الحواضـر الإسلامية ، فالبيمارستان هو أشهر الأماكن لتعليم الطب ، ولكـن بتطـور تعلـيم الطب تميزت بلاد الشام بظهور المدارس المتخصصة في تعليم الصناعة الطبية ، التي لم تكن في أي من الحواضر الإسلامية قبلها .

وسوف يكون الحديث في هذا الفصل عن أشهر الأماكن لتعليم الطب فـي بلاد الشام نظرياً وعلمياً .

المبحث الأول : المساجد :.

لم يكن تعليم الطب في المساجد أمراً مرفوضاً أو مستغرباً لـدى العلمـاء المسلمين ، فالطب من أشرف العلوم وآكدها ، يقول عبد اللطيف البغدادي : ((قال الشافعي رحمه ا : لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطـب ، وكـان يتلهف على ما صنع المسلمون من الطب ويقول : ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلـى اليهود والنصارى)) [5] ،ويقول ابن أبي أصيبعة : ((فإنه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع ، وأربح البضائع ، وقد ورد تفضيلها فـي الكتـب الإلهيـة

---

(1) أسسه الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وبلغ أوج قوته في عهد الخليفة المأمون ؛ حيث كان به عـدد غير قليل من العلماء والأطباء والمترجمين ، الذين استدعاهم المأمون من جند نيسابور ، فترجم فيه عـدد كبير من الكتب العلمية في الطب والفلسفة وعلوم الأوائل ، ولهذا يعد بين الحكمة من أهم المراكز العلميـة التي أنشئت في العصر العباسي . للاستزادة انظر ، السامرائي : مختصر تاريخ الطب ج١ ص٣٠٢ ، ٣١٩ ، الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي ص٢٢٤ ، ٢٤٠ .

(2) السامرائي : مختصر تاريخ الطب ج١ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(3) الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي ص٢٢٤ ، ٢٤٠ .

(4) السامرائي : مختصر تاريخ الطب ج١ ص٢٩٤ .

(5) الطب في الكتاب والسنة ص١٨٧ .

والأوامر الشرعية حتى جعل علم الأبدان قريناً لعلم الأديان ، وقد قالت الحكماء : إن المطالب نوعان : خير ولذة ، وهذان الشيئان إنما يتم حصولهما للإنسان بوجود الصحة ، لأن اللذة المستفادة من هذه الدنيا ، والخير الموجود في الدار الأخرى ، لا يصل الواصل إليهما إلا بدوام صحته وقوة بنيته ، وذلك إنما يتم بالصناعة الطبية لأنها حافظة للصحة الموجودة ، ورادة للصحة المفقودة ، فوجب إذ كانت صناعة الطب من الشرف أشد ، والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية آكد وأجدّ ..)) [1] فلا غرابة أن يدرّس الطب في المساجد ، فالنبي صلى ا عليه وسلم يأذن بعلاج المرضى داخله فكيف بالتعليم ، فقد أمر الصحابية الجليلة رفيدة الأسلمية الأنصارية [2] أن تضرب الخيمة داخل المسجد النبوي لتداوي المرضى والجرحى في غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة [3]،فلما أصيب سعد بن معاذ[4] رضي ا عنه في الغزوة أمر النبي صلى ا عليه وسلم بنقله إلى خيمة رفيدة وقال ((اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب)) [5] ، هذه النصوص وغيرها تدل على شرف علم الطب وأهميته عند المسلمين ، والحاجة القائمة على من يتعلم هذا العلم ، وأن تعلمه فرض على الكفاية [6] ؛ ولهذا نجد كثيراً من العلماء من أهل الشام وغيرها ممن عرف بالفقه ، والحديث ، والتفسير ، واللغة وغيرها من العلوم الشرعية من هو ماهر بالطب وله فيه المصنفات الحسنة [7] ،

---

(١) عيون الأنباء ص٧ .

(٢) يقول ابن حجر : (ذكرها ابن إسحاق في قصة سعد بن معاذ لما أصيب يوم الخندق ، فقال صلى ا عليه وسلم : ((اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى أعوده من قريب)) ، وكانت امرأة تداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، الإصابة في تمييز الصحابة ج٨ ص١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) نفسه : ج٨ ص١٣٦ .

(٤) هو أحد كبار الصحابة من الأنصار شهد مع النبي صلى ا عليه وسلم بدراً وأحداً والمشاهد ، أصيب يوم الخندق في أكحله وحمل إلى المسجد إلى خيمة رفيدة الأسلمية ليعوده النبي من قريب وكانت سبب وفاته رضي ا عنه ، ابن حجر : الإصابة ج٣ ص٧٠ ، ٧١ .

(٥) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج٨ ص١٣٦ .

(٦) الغزالي : فاتحة العلوم ص٨٩ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦، ٦٤٧ ، ٦٦١ ، ٦٧١ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧١٨، ٧٦٧ .

ومنهم من شارك في علاج المرضى ومداواتهم [١] وعقد المجالس العلمية لتعليم صناعة الطب [٢] .

وقد أدت المساجد الجامعة في بلاد الشام دورها العلمي وكانت تزخر بحلقات العلم في كل فن [٣] ، ومن تلك العلوم الطب إلا أن المصادر لم توافينا بأخبار عن حلقات لتعليم الطب في المساجد الشامية كما هو في العلوم الأخرى ، وإذا أردنا التعليل فإن ارتباط تعليم الطب بأماكن العلاج من جانبه النظري والعملي وملازمة طلاب الطب لشيوخهم بهدف معرفة طرق الكشف ووسائل العلاج [٤] قد قلل من حلقات تعليم الطب في المساجد ، إضافة إلى وجود من يعلم الطب من أهل الذمة - اليهود والنصارى - في أماكن أخرى خارج المساجد [٥] إذ ليس لهم حق دخولها للتعليم .

لكن لدينا إشارات تدل على أنه كانت لبعض الأطباء مجالس لتعليم الطب في المساجد الشامية ، وذلك من خلال ما نقله ابن أبي أصيبعة في ترجمته للشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، أحد أكابر العلماء الذين دخلوا بلاد الشام في فترة البحث ، وكانت له اليد الطولى في كثير من العلوم ، واشتهر بصناعة الطب وتعليمه واشتهر به ، وكان الطلاب يترددون عليه لقراءة كتب الطب ، فقد خرج موفق الدين من دمشق قاصداً مصر للقاء علمائها وهناك كان له درس في الطب في الجامع الأزهر يقول عن رحلته تلك : « وكان سيرتي في هذه المدة ، أنني أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٥٥ ، ٧٥٩ .

(٢) نفسه ص٦٨٣ ، ٦٨٩ ، ٧٣٦ ، ٧٥٥ ، ٧٥٩ .

(٣) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة (قسم حلب ص٣٨ ص١٢١) ، الذهبي : العبر ج٢ ص٣٩٢ ، ج٣ ص١٥٣ ، النعيمي : الدارس ج١ ص٦٣ ، ٨٢ ، ٤١٣ ، تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية ج٧ ص٢٩٧

(٤) عسيري مريزن : تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري ، معهد البحوث جامعة أم القرى ١٤١٢هـ ص٤٩ .

(٥) الذهبي : العبر ج٣ ص٢٠٤ ، القفطي : أنباء الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ج٢ ص١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

الرابعة وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره ، وآخر النهار أرجع إلى الجـامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون ، وفي الليل أشتغل مع نفسي ولم أزل على ذلك إلى أن توفي الملك العزيز ..)) [(١)]

وبقي الموفق بمصر إلى سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) سنة المجاعة الكبرى، فشهدها بنفسه ووصفها في كتابه (الإفادة والاعتبار) ، ثم غادر الديار المصرية إلى بيت المقدس ، فكانت له حلقة علمية في الجامع الأقصى ، وكان الطلبة يأتون إليه لطلب العلم في فنون كثيرة [(٢)] ، ثم رحل عنهـا عائـداً إلـى دمـشق سـنة (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) وكان مقامه في المدرسـة العزيزيـة [(٣)] فـدرّس بهـا ، وبالجامع الأموي ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقـرأون أصـنافاً مـن العلوم[(٤)] ، ثم سافر منها إلى حلب ، وكان له بها مجالس لتعليم الطب ، ثم قـصد بعدها بلاد الروم قال ابن أبي أصيبعة : ((ولما كـان الموفـق بحلـب والنـاس يشتغلون عليه ، وكثرت تصانيفه ... وهو منتحل لتدريس صناعة الطب وغيرها ، ويتردد إلى الجامع بحلب يسمع الحديث ويقرئ العربية)) [(٥)] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٩ ، ٦٩٠ .

(٢) نفسه : ص٦٨٩ ، ٦٩٠ .

(٣) تنسب هذه المدرسة للملك العزيزعثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب بناها لمـا دخـل دمـشق سـنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م)وجعل لها أوقافاً حسنة وهي من كبريات المدارس الدمشقية في العصر الأيوبي وتميزت هذه المدرسة بتنوع العلوم التي تدرس بها بين الفقه على المذهب الشافعي والنحو وعلوم الفلسفة والكـلام المنطق ، وقد تولى التدريس بها عدد من العلماء أمثال الـشيخ عبـد الـصمد بـن محمـد الحرسـتاني (٦١٤هـ / ١٢١٧م)والشيخ أبو الحسن علي بن أبي علي الملقب بالسيف الآمدي (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) وأبو محمد بن قاسم بن احمد اللورقي (٦٦١هـ / ١٢٦٢م) وغيرهم ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١ / ٦٠٠) ص١١ ، ابن الجزري : غاية النهاية ج٢ ص١٥ ، ١٦ ، أبو شامة : ذيل الروضـتين ص١٠٦ ، ١٠٧ ، ابـن خلكـان : وفيـات الأعيان ج٣ ص٢٩٣ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٩ ، ٦٩٠ .

(٥) نفسه : ص٦٩٠ .

ورغم الترجمة المطولة له لم يذكر ابن أبي أصيبعة أو غيـره أن موفـق الدين كان يباشر علاج المرضى في أي من البيمارستانات الشامية ، إنما تركزت جهودة على تعليم الطب ونقد كتب الأطباء وتصحيح بعض نظرياتهم وآرائهم [1].

المبحث الثاني : المدارس الطبية المتخصصة :.

شهد القرن السابع الهجري تحولاً ملحوظاً في تعليم الطب حيـث ظهـرت المدارس الطبية المتخصصة في تعليمه ، وهي تعد الأولى من نوعها في تـاريخ الطب عند المسلمين ، وكانت مدينة دمشق هي مدينة الطب خلال هذا القرن ، إلا أننا نلحظ قلة مدارس الطب بالمقارنة مع مدارس العلوم الأخرى ، حيث لم تـزد عن ثلاث مدارس طيلة القرن السابع الهجري غير أنها كانت تؤدي دوراً عظيماً ، بل لم تظهر بعد ذلك مدارس أخرى للطب لا في بلاد الشام ولا في غيرهـا مـن حواضر الدولة الإسلامية ، إذ لم أجد أحداً من الباحثين في تـاريخ الطـب عنـد المسلمين يذكر أي مدرسة لتعليم الطب مستقلة بعد القرن السابع ، ويمكن أن نرجع السبب في قلة مدارس الطب إلى وجود مؤسسات أخرى كالبيمارستانات مثلاً تقوم بدور كبير في تعليم الطب نظرياً وعملياً [2] ، كما كانت هناك حلقات لتعليم الطب في المساجد الجامعة ومنازل الأطباء ودور الكتب [3] ؛ ولهذا يمكننا أن نقول : إن الالتفات إلى إنشاء مثل هذا النوع من المدارس قد قل فيما بعد القرن السابع .

ومن الملاحظ أن مدارس الطب الثلاث هي من إنشاء أطباء مارسوا مهنـة الطب وقاموا بتدريسه ، بل إن هؤلاء الأطباء كانوا من أشهر علماء الطـب فـي بلاد الشام في هذا العصر ، وهي خطوة حضارية متقدمة ، حيث يـسعى هـؤلاء الأطباء إلى إنشاء مدارس مستقلة لتدريس الطب دون غيره من العلـوم ، وهـو مستوى عال من الوعي العلمي بأهمية هذه المنشأة العلمية ، كما أنه يكشف أيـضاً

---

(١) سوف نذكر منهجه في التأليف في الفصل الخامس إن شاء ا .

(٢) شلبي أحمد : التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها تاريخها ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة السادسة ١٩٧٨م ص١٢٤ .

(٣) نقيب عبد الرحمن : الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين دار الفكر العربي القاهرة ص١١٧

العبء العلمي الذي يقوم به البيمارستان في تعليم الطب نظرياً وعملياً ، ولذا كانت المدرسة الطبية في فكرتها تتجه إلى التعليم النظري ، ثم التدريب عمليـاً داخـل البيمارستان ، ويبدوا أن ذلك كان أسلوباً متبعاً عند دارسـي الطـب فـي تلـك المدارس، فهم يتلقون دروسه نظرياً بها ثم تتم ممارسته عملياً بالبيمارستان .

وسوف نذكر فيما يلي المدارس الثلاث المشهورة بتعليم الطب خلال فتـرة البحث :

أولاً : المدرسة الدخوارية .

ثانياً : المدرسة اللبودية .

ثالثاً : المدرسة الدنيسيرية .

رابعاً : باب دار السلطان .

أولاً : المدرسة الدخوارية :

تنسب هذه المدرسة إلى الطبيب البارع مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) شيخ أطباء الشام ورئيسهم فـي زمنه (١) ، وهي في الأصل داره ومكان إقامته بدمشق ، تقع بالصاغة العتيقة (٢) ، ويحدد ابن كثير بدقة موقعها بدرب العميد (٣) بالقرب من الصاغة العتيقة شـرقي سوق الناخليين (٤) .

والمصادر لم تنقل وصفاً معمارياً لتلك المدرسة وما بها من غرف وقاعات كما هو في المدارس الفقهية والحديثية (٥) ، إلا أن دراسة حياة واقفها تبين أنه كان

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٣ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٥٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ح(٦٢١ / ٦٣٠) ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص١٨٠ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٣ .

(٣) البداية والنهاية ج٧ ص١٣٩ .

(٤) ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء ص٧٣٣، وفي طبعة عامر النجار : شرقي السوق الكبير ج٤ ص٣٣٢

(٥) ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٠ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج١ ص١٩٨ ، ١٩٩ ، سوفاجيه جان :الآثار التاريخية في دمشق ،تحقيق أكرم العلبي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ص٦٩، حيدر كامل :العمارة العربية الإسلامية، دار الفكر اللبناني الطبعة الأولى١٤١٢هـ ص١٠١ .

رجلاً مترفاً وحظي بمكانة مرموقة عند الأمراء والسلاطين ، وحاز منهم الأموال والعطايا ، ونال منهم الجوائز والهبات [1] ؛ يجعلنا نتوقع أن الدار التـي وقفهـا كانت داراً واسعة ذات غرف وقاعات متعددة تستوعب مرافق المدرسة واحتياجات الدارسين بها .

وقد عاصر ابن أبي أصيبعة نشأة هذه المدرسة ، فيذكر أنه حيمنا استدعى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الطبيب عبد الرحيم الدخوار إليه بالـشرق وجعله في خدمته ، توجه إليه سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) وبقي عنده حتى سـنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، ثم عاد بعدها إلى دمشق ، وكان قبل خروجه إلى الملك الأشرف موسى قد وقف داره مدرسة لتدريس الطب ، ووقف عليها أوقافـاً دارّة تصرف على عمارة المدرسة وعلى شيخ الطب والطلاب المشتغلين بها [2] ، ومن الجديد بالذكر أن عبد الرحيم الدخوار كان يعلم الطب بداره قبل أن يوقفها مدرسة على طلبة الطب ، يقول ابن أبي أصـيبعة : ((وكـان الـشيخ إذا تفـرغ مـن البيمارستان ، وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم ، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة ولا بد له مع ذلك من نسخ ، فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين ، وكان يقرأ كل واحد منهم درسه ...)) [3] .

وقد جرى لهذه المدرسة افتتاح رسمي حضره الأطباء والفقهـاء والعلمـاء يقول ابن أبي أصيبعة : ((ولما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمـانٍ وعشرين وستمائة حضر الحكيم سعد الدين إبراهيم بن الحكيم موفق الـدين عبـد العزيز، والقاضي شمس الدين الخوئي، والقاضـي جمـال الـدين الحرسـتاني، والقاضي عزيز الدين السنجاري وجماعة من الفقهاء والحكمـاء ،شـرع الحكـيم

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٣ ، ٧٣٤ . يذكر ابن شداد والنعيمي أنه أوقفها سـنة إحـدى وعشرين وستمائة ، الأعلاق الخطيرة ص٢٦٥ ، الدارس ج٢ ص١٢٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : ص٧٣٣ .

شرف الدين ابن الرحبي في التدريس بها في صناعة الطب واستمر على ذلك..)) [1] .

وكان سبب اختيار الدخوار لشرف الدين علي بن يوسف الرحبي شيخاً لهذه المدرسة ومعلماً للطب بها . ((لما تحققه من علمه وفهمه)) [2] يقول العيني : ((وفي سنة (٦٦٧هـ / ١٢٦٨م) توفي الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف الرحبي شيخ الأطباء بدمشق ومدرس الدخوارية عن وصية واقفها له بذلك ، لتقدمه في هذه الصناعة على أقرانه وأهل زمانه)) [3] .

ومن الجدير بالذكر أن شرف الدين الرحبي قد بقي مدرساً بهذه المدرسة مدة عشر سنوات ، عين بدلاً عنه الطبيب بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك في أيام الملك الجواد مظفر الدين يونس وكتب له منشوراً بذلك [4]

ولعل السبب في ترك الرحبي لها هو عزل السلطان الجواد له وتعيين غيره بدلاً عنه، أو أن ابن أبي أصيبعة وهم في سنة وفاته ، فبدلاً من أن يقول : سبع وثلاثين قال سبعاً وستين [5] ، لأن تعيين الطبيب ابن قاضي بعلبك كان في سنة سبع وثلاثين وكانت وفاة شرف الدين في المحرم من تلك السنة ، وتعيين ابن قاضي بعلبك في شهر صفر منها [6] ، أي أن الفرق بين وفاة الأول وتعيين الثاني شهر واحد . ويبدو أن أمر العزل أقرب لما عرف عن شرف الدين الرحبي أنه

---

(١) نفسه ص٧٣٣ ، ٧٣٤ ، جرت هذه العادة عند افتتاح المدارس في بلاد الشام ، وكان يحضره السلاطين والأمراء والعلماء والفقهاء والأعيان ، ويدور في هذا الافتتاح نقاش حول بعض المسائل العلمية انظر افتتاح مدرسة البادرائية الشافعية بدمشق ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٩٨ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٧ .

(٣) عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨) ص٥٢ ، ٥٣ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٤ .

(٥) نفسه ص٦٧٦ ، ٧٣٤ .

(٦) نفسه ص٦٧٦ ، ٧٣٤ ، جاء في النسخة التي حققها عامر النجار قوله " فتولى التدريس بها إلى وقتنا هذا " ج٤ ص١٩٨ .

((لم يؤثر التردد إلى الملوك ولا إلى الأمراء وأرباب الدولة)) [٧] ؛ وقد ذكر ابن شداد أن الذي خلف شرف الدين الرحبي عليها أخوه جمال الدين عثمان بن يوسف الرحبي (٦٥٨هـ / ١٢٦٩م) [١] ، ويبدو أنه هو الذي شغلها حتى عين ابن قاضي بعلبك بها رسمياً [٢]وتعاقب على التدريس فيها عدد من الأطباء الكبـار[٣] منهم الطبيب عماد الدين محمد بن القاضي الربعي الدنيسري(٦٨٥هـ/١٢٨٦م)[٤] ثم وليها أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السويدي (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) أحد أكـابر الأطباء المشهورين في زمنه ، عمل في أماكن متعددة ، ودرّس الطب بالدخوارية وكان له راتب يتقاضاه على تدريسه يأخذه من وقف المدرسة [٥] . كما درّس بها الطبيب كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن مسلم [٦] ، يقول الصفدي : ((كـان بصيراً بالطب درس بالدخوارية حتى توفي سنة (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) [٧] وتولى التدريس بها أيضاً الطبيب كمال الدين النجيبي المتوفى سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)[٨].

كما ولي مشيخة الدخوارية الطبيب أحمد بن عبد ا بن الحسين الدمـشقي (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) لتقدمه وبراعته في صناعة الطب [٩] . وكان مـع ذلـك

---

(٧) نفسه ص٦٧٦ .

(١) الأعلاق الخطيرة ص٢٦٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٤ .

(٣) أخطأ النعيمي في ترتيب من تعاقب في التدريس في هذه المدرسة فقدم وأخر والصواب ما ذكر ابن أبي أصيبعة ، انظر الدارس ج٢ ص١٣٢ .

(٤) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص٢٦٥ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ .

(٦) نفسه ص٧٥٩ .

(٧) الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٤٨ .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٤٢ ، العيني : عقد الجمان ج (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٨٦ ، وقد وهم محقق عقد الجمان أن النجيبي هو ابن مسلم الطبيب وليس كذلك متابعاً للدارس وهو خطأ ، انظر الدارس ج٢ ص١٣١ .

(٩)ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٣٦٣ ، العبر ، ٣٨٢ ، العيني : عقد الجمان ج٣ ص٢٩١ ، النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣١ .

معيداً بالقميرية ومدرساً بالفرخشاهية [1]. وقد استمرت هذه المدرسة تعلم الطـب وتخرج الأطباء حتى القرن التاسع الهجري تحت إشراف الدولة ، يعين مدرسوها بمرسوم من نائب السلطان المملوكي بالشام [2].

بقي أن نشير إلى قضية مهمة أثارها ابن العبري في ترجمته لعبد الـرحيم الدخوار [3] ، حيث يقول : ((.. وكتب في وصيته أن تحول داره مدرسة لمن يعلم ويتعلم الطب ووضع فيه كتبه كلها ، وبلغ به اللؤم مبلغه حتى حتّم أن يدرس فيها المسلمون وحدهم دون اليهود والنصارى ، وما زال هذا القانون جارياً في دمـشق حتى اليوم ، وتلامذة الطب يقرؤون على اليهود والنصارى خارجـاً عـن تلـك المدرسة)) [4] .

ولعل تعصب ابن العبري لأهل ملته دفعه إلى قول ذلك عن الدخوار ، فهو يذمه ويقلل من شأنه رغم شهرته بالطب يقول عنه : ((ثم خدم أحد أبناء العـادل وأساء كثيراً إلى الأطباء أقرانه وكفهم عن الخدمة ، وكان مكاراً شـتاماً شـرهاً نهماً، وأصابه في آخر أيامه داء عضال في لسانه الذي كان يـؤذي بـه أقرانـه وأمسى أخرس لا يتكلم)) [5] .

ويمكن أن نجيب على ابن العبري من خلال ما ذكر ابن أبي أصيبعة فـي ترجمته للطبيب رضي الدين يوسف بن حيدرة بن الحسين الرحبـي أحـد أكـابر الأطباء في الشام ، فقد وصفه بأنه كان ماهراً في معالجة الأمراض ، وخدم فـي

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ج7 ص363 ، العبر ، 382، أحمد عيسى : ذيل طبقات الأطباء ص109 ، القميرية : نسبة للأمير ناصر الدين القميري وهي إحدى المدارس الكبرى بالشام للشافعية النعيمي : الدارس ج1 ص 441 ، الفرخشاهية : تنسب للأمير عز الدين فرخشاه وهي إحدى مدارس الأحناف بدمشق النعيمي : الدارس ج1 ص561 .

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ج ص ، النعيمي : الدارس ج2 ص132 ، 133 ، أحمد عيسى : ذيل طبقات الأطباء ص109 .

(3) ذكر ابن العبري أن وفاته كانت سنة (630هـ / 1232م) وهو خلاف المشهور عند أكثر من ترجم له أن وفاته كانت سنة (628هـ / 1230م) ، تاريخ الزمان ص279 .

(4) تاريخ الزمان ص280 .

(5) نفسه ص279 ، 280 .

البيمارستان النوري وقلعة دمشق ، واشتهر بتعليم الطب حتى قيل : إنه مـا قـرأ عليه أحد الطب إلا ونبغ ، وهو الذي اشتهر عنه أنه لا يقرئ الطب لأهل الذمـة من اليهود والنصارى ، ولم يقرأ عليه منهم إلا رجـلان همـا الحكـيم عمـران الإسرائيلي ، وإبراهيم بن خلاف السامري ، بعد أن أجبراه على تعليمهما [١] ، وقد سلك شرف الدين علي بن يوسف ابن حيدرة الرحبي طريقة والده كما يقول ابـن أبي أصيبعة : ((وكان قد سلك حذو أبيه ، واقتفى ما كان يقتنيه ، وهو أشبه بـه خلقاً وخلقاً وطرائق..)) [٢] .

علماً أن شرف الدين الرحبي هو الذي أوصى عبد الرحيم الدخوار أن يكون هـو مدرس الطب في مدرسته [٣] ، فلعله سلك في هذا طريقة أبيه في عدم تعليم الطب للنصارى واليهود ، فظن ابن العبري أن هذا من وصية الواقف ، ثم عمـم ذلـك على أنه قانون سائد في دمشق على سائر أهل الذمة ، وهو بدون شك ظن خاطئ، فقد قرأ النصارى الطب على أطباء مسلمين ، وعلى العكس من ذلك قـرأ الطـب مسلمون على أطباء من النصارى وهكذا [٤] ، كما خدموا في البيمارستان النوري الكبير بدمشق [٥] ، واستخدمهم السلاطين والأمراء لعلاجهم ومداواتهم [٦]

ثانياً : المدرسة الدنيسيرية الربعية : [٧]

تنسب للطبيب عماد الدين محمد بن عباس بن احمد الربيعـي الدنيـسري (٦٨٦ / ١٢٨٧م) [٨] ، تقع هذه المدرسة غربي البيمارستان النوري والمدرسـة

---

(١) عيون الأنباء ص٦٧٣ .

(٢) نفسه ص٦٧٥ .

(٣) العيني : عقد الجمان ص٦٦٥ ، ٦٨٨ ص٥٢ ، ٥٣ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٦٦١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٢٣ ، ٧٦٧ .

(٥) نفسه ص ٦٦١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٢٣ ، ٧٦٧ .

(٦) نفسه ص ٦٦١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٢٣ ، ٧٦٧ .

(٧) وقع كرد علي في وهم فظن أن المدرسة الربيعية مدرسة للطب مستقلة غير الدنيسيرية وهو خطأ ، إنما هي مدرسة واحدة يقال لها الدنيسرية نسبة إلى الدنيسري ، والربيعية نسبة إلى الربيعي الدنيسري باني المدرسة ج٦ ص١٠١ ، أكرم العلبي : خطط دمشق ص٢٨ ، ٢٥٧ .

الصلاحية في آخر الطريق من جهة القبلة ، ذكر ذلك النعيمي [1] وهو ينقل عـن الأسدي ترجمة واقفها فيقول : ((العماد محمد بن عباس بن أحمد بن عبيـد بـن صالح الحكيم البارع في الطب ، صاحب المدرسة للأطباء بالقرب من بيمارستان نور الدين الشهيد رحمه ا تعالى)) [2] .

ويلاحظ أن عماد الدين الدنيسري كان واحداً ممن ولي التدريس بالمدرسـة الدخوارية إلى زمن ابن شداد ، فهل أنشأ هذه المدرسة بعد تركه لها ؟ ، فإن ابـن شداد يقول : ((.. ثم عماد الدين الدنيسري وهو بها إلى الآن)) [3] علماً أن ابـن شداد توفي سنة (٦٨٤ / ١٢٨٥م) [4] وهذا يعني أن الدنيسري قد عمل بها قبـل وفاة ابن شداد بسنوات ، ومن المؤكد أن الدنيسري قد استفاد مـن تجربتـه فـي التدريس بالدخوارية في مناهجها وطرق التدريس بها .

ومن الملاحظ أن الدنيسري كانت تربطه بابن أبي أصيبعة علاقة قويـة ، فهو يترجم له ، ويذكر ما كان بينهما من ود ، فيقول : ((وأول اجتماعي به كـان في دمشق في شهر ذي القعدة سنة سبع وستين وستمائة ، فوجدت له نفساً حاتمية، وخلقاً ألطف من النسيم .. أسمعني من نظمه الشعر البديع في معناه البعيـد فـي مرماه .. وهو في علم الطب قد تميز على الأوائل والأواخـر ، وخـدم بـالآدر الناصرية ، والقلعة ، والبيمارستان النوري ..)) [5] إلا أنه لم يذكر من خلال تلك الترجمة أنه قد بنى مدرسة لتعليم الطب ، وهذا يشير إلى أن بناءها كان بعد وفاة ابن أبي أصيبعة .

---

(٨) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٤ ، العلموي عبد الباسط بن موسى : مختصر تنبيه الطالب ، مطبعة الترقي دمشق الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ ص١٣٧ .

(١) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٤ .

(٢) نفسه ج٢ ص١٣٤ .

(٣) ابن شداد : العلاق الخطيرة ص٢٦٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات العيان ج٢ ص٣٥٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٤ ص١٨٩ ، ١٩٠ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون النباء ص٧٦١ .

وقد وهم بعض الباحثين [٦] في أن نجم الدين عبد الرحيم بن عمر بن

عثمان الباجريقي (٦٩٩ / ١٢٩٩م) [١] كان ممن ولي التدريس بهذه المدرسة وليس كذلك ، فالنعيمي أورد اسمه ليفرق بينه وبين باني المدرسة ، فكلا الرجلين دنيسيري ودخلا إلى دمشق ودرسا بها ، إلا أن عماد الدين كان في الأصل طبيباً ثم تفقه [٢] .

ومما يؤسف له أن المصادر لم تذكر أي تفاصيل عن هذه المدرسة وعمارتها وأوقافها ومدرسيها . غير أن الصفدي يعطينا إشارة من خلال ترجمته لمحمد بن عبد ا بن صغير الطبيب المصري (٧٤٩ / ١٣٤٨م) أحد أطباء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فذكر أنه لما دخل الشام قادماً من القاهرة ((.. وقد تغير مزاجه من حماة ، فأقام بدمشق يمرّض في مدرسة الدنيسري قريباً من خمسين يوماً ..)) [٣] فقول الصفدي إنه أقام بمدرسة الدنيسري يمرض قريباً من خمسين يوماً يفيدنا بمعلومة مهمة أن هذه المدرسة كانت ذات مرافق متعددة تتشابه ومرافق البيمارستانات التي يقيم فيها المرضى مدة طويلة يتلقون فيها العلاج ، وإقامته مدة خمسين يوماً تدل على سعة أرزاقها وأوقافها وتوافر ما تحتاج إليه من مستلزمات إقامة المرضى من الأدوية والعقاقير والأشربة والأطعمة وغيرها .

ثالثاً : المدرسة اللبودية النجمية :

---

(٦) شميساني حسن: مدارس دمشق في العصر الأيوبي، دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ ص٢٥٧ ،

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص١٥ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٤٧

(٢) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٤ ، ١٣٥ .

(٣) الوافي بالوفيات ج١ ص٢٥٨ .

تقع هذه المدرسة خارج مدينة دمشق [٤] ، يقـول ابـن شـداد : ((وهـي ملاصقة لبستان الفلك المسيري)) [٥] تنسبها المصادر إلى نجم الدين يحيـى بـن

محمد اللبودي (٦٧٠ / ١٢٧١م) [١] ، وقد أنشأها سنة (٦٦٤ / ١٢٦٥م) [٢] .

وكان أبوه من أكابر الأطباء [٣] ، وحين قدم به إلى دمشق قرأ الطب على أطباء دمشق وتميز ، وخدم بالطب الملوك ، وشغل مناصب عديدة ونال من ذلـك الأموال [٤] . ولم يورد ابن أبي أصيبعة في ترجمته لنجم الدين اللبودي أي خبـر يدل على أن له مدرسة لتعليم الطب برغم تعاصرهما وكون الفرق بـين وفاتهمـا سنتين فقط [٥] .

ولا يمكن أن نجد سبباً لذلك إلا أن هذه المدرسة بنيت بعد أن أتم ابن أبـي أصيبعة كتابه (عيون الأنباء) [٦] .

أما عن الأطباء الذين تولوا التدريس في هذه المدرسة فإن ابن شداد يـذكر منهم طبيبين فقط وهما جمال الدين الزواوي ، ثم تولى بعده المغربي [٧] .

رابعاً : " باب دار السلطان "

---

(٤) النعيمي : الدارس ص١٣٥ .

(٥) الأعلاق الخطيرة ص٢٦٦،وهذا البستان نسبة إلى الصاحب فلك الدين عبد الرحمن بن هبة ا المسيري وزير الملك العادل توفي سنة (١٢٤٥/٦٤٣م) ،ابن العماد عبد الحي أحمد بن محمد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية بيروت ج٣ ص٢٢١ .

(١) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص٢٦٦ ، النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٥ .

(٢) ابن شداد الأعلاق الخطيرة ص٢٦٦ ، العلموي : مختصر تنبيه الطالب ص١٣٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٢ .

(٤) نفسه ص٦٦٢ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٢ .

(٦) محمد شحادة : تاريخ التعليم الطبي في البلاد العربية ص٣٨ .

(٧) الأعلاق الخطيرة : ص٢٦٦ من المؤسف أن ابن شداد لم يصرح باسم هذين الطبيبين إذ لم أقف علـى ترجمة لهما في كتب تراجم الأطباء بعد طول بحث .

ذكر ابن أبي أصيبعة هذا الموقع في أكثر من موطن من كتابه (عيون الأنباء)[8] ، وهو يؤكد أن هذا المكان كان بمثابة الملتقى العلمي للأطباء وكانت تجرى فيه المباحثات العلمية والمنقاشات الطبية . فهو مكان يجتمع فيه كبار الأطباء ليس لتعليم الطلبة كما هو الحال في المدارس والبيمارستانات وغيرها ، بل هو لتبادل الآراء العلمية وقراءة كتب الطب ، فمن تلك النصوص ما جرى بين الطبيب موفق الدين ابن سقلاب وعبد الرحيم بن علي الدخوار من مباحثات في كتب الطب يقول : ((وكان في أوقات كثيرة لما أقام بدمشق يجتمع هو والشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي في الموضع الذي يجلس فيه الأطباء عند دار السلطان ويتباحثان في أشياء من الطب ، فكان الشيخ مهذب الدين أفصح عبارة ، وأقوى براعة ، وأحسن بحثاً ، وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينة ، وأبين قولاً ، وأوسع نقلاً ، لأنه كان بمنزلة الترجمان المستحضر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطب ..)) ، وفي هذا النص إشارة إلى أنه قد دار بين هذين الطبيبين النطاسيين مناظرة علمية حادة أظهرا فيها قدرتهما العلمية وحسن استظهارهما وفهمهما لكتب الطب .[1] ، وفي النص الآخر يقول عن الطبيب ابن المطران: إنه كان يخرج من داره وفي كمه كتاب في الطب ليقرأه في هذا المكان: ((.. فكان أبداً لا يفارق كمه مجلد يطالعه على باب السلطان أو أين اتجه ..)) [2]

---

(8) عيون الأنباء ص٦٠٠، ٦٩٨،٦٥٥، بعد البحث والتقصي في كتب التراجم والتاريخ والطب لم أجد ما يفصح عن ماهية هذا المكان سوى ما ذكره ابن أبي أصيبعة ، وأظن أن هذا المكان كان ملتقاً علمياً طبياً لصفوة الأطباء وأكابرهم وكان يؤدي دوراً مهماً في حركة التعليم الطبي في بلاد الشام إلا أن المصادر المتوفرة لم تعطنا معلومات وافية عنه إلا ما أشار إليه القلقشندي أن أعظم أرباب الوظائف الصناعية هم الأطباء ، فكان للخليفة طبيب يعرف بطبيب الخاص يجلس على باب دار الخليفة كل يوم ، ويجلس على دكة داخل القصر ومعه أطباء يستدعون لعلاج مرضى السلطان ولهم على ذلك الرواتب والجرايات ، صبح الأعشى ج٣ ص٥٦٩ .

(1) عيون الأنباء ص٦٩٨ .

(2) نفسه ص٦٥٥ .

المبحث الثالث : البيمارستانات :.

يحدد ابن المطران نشأة البيمارستانات في تاريخ الطب ، فيذكر أن أول من بنى البيمارستانات وأوجدها الطبيب اليوناني أبقراط ، ذلك أنه عمل بالقرب مـ ن داره موضعاً منفرداً خاصاً للمرضى ، وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم ،وسماه: (أخشدوكين) أي (مجمع المرضى) [١] ، وانتشر بعد ذلك بناء المارستانات في الأقاليم ، فكان أول ظهوره عند المسلمين زمن الدولة الأموية في الـشام ، حيـ ث أنشأ الخليفة الوليد بن عبد الملك أول بيمارستان سنة (٨٨هـ / ٧٠٦م) ، وعين فيه الأطباء ، وأجرى عليهم الأرزاق [٢] ، وقد جعله لأصحاب الأمراض المعدية لئلا تنتشر معهم العدوى [٣] ، كما أجرى على أصحاب العاهات الأرزاق وجعـ ل لهم من يخدمهم [٤] .

وعلى الرغم من هذه النشأة المبكرة للبيمارستان عند المسلمين ، إلا أنه لـ م يظهر بصورته الحقيقية كبيمارستان له أقـسامه وتخصـصاته إلا فـي العـصر العباسي، [٥] فقد أنشئ أول بيمارستان من هذا النوع في خلافة هارون الرشـيد ، حيث صمم على غرار بيمارستان جند نيسابور [٦] ، وزاد انتشارها بعد ذلك فـي

---

(١) بستان الأطباء ص٣٦ .

(٢) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص٢٩ ، المقريزي : الخطط ج٢ ص٤٠٥ كـان أول مكان يمكن أن نطلق عليه داراً للعناية بالمرضى هي خيمة الصحابية رفيدة بنت سعد الأسلمية التي أمرهـا رسول ا صلى ا عليه وسلم بالإقامة في المسجد النبوي أثناء غزوة الخنـدق لتـداوي الجرحـى فـي المعركة ، فحينما أصيب سعد بن معاذ رضي ا عنه قال عليه الصلاة والسلام " اجعلوه في خيمـة رفيـدة حتى أعوده من قريب " ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ج٨ كتاب النساء ص١٣٥، ١٣٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٤ ص١٠٩ .

(٤) الطبري محمد بن جرير:تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة٩٦هـ ،دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ ص١٢٧ .

(٥) القفطي : إخبار العلماء ص٢٥٠ ، ٢٥١ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢٤٥ ، حنيفة الخطيب: الطب عند العرب ص٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون النباء ص٢٤٥ ، القفطي : إخبار العلماء ص٢٥٠ ، ٢٥١ .

حواضر الدولة الإسلامية [1] شرقاً وغرباً ، وتنافس الخلفاء والأمـراء والأعيـان على بنائها ، فغدت من أعظم الإنجازات الحضارية عند المسلمين .

وتعددت أنواع البيمارستانات ومسمياتها وذلك بتعدد خدماتها وطرق إنشائها والغرض من بنائها ، فمنها : البيمارستانات الثابتة والبيمارستانات المحمولة .

أولاً : **البيمارستانات الثابتة** :وهي ما كان لها بناء ثابت في مكان معين[2]، تعالج فيها أنواع الأمراض بحسب نظامها وشرط واقفهـا [3] ، ومنهـا مـا هـو مخصص لبعض الأمراض دون غيرها كالأمراض العقلية والمجذومين [4] .

وقد حفلت بلاد الشام بعدد كبير من البيمارستانات الثابتة التي كثر عـددها خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وبرز منها البيمارستان النوري الـذي يعد من أرقى البيمارستانات في العالم الإسلامي آنذاك .

أما ما يخص دور الأمراض العقلية والمجذومين فلم تخل بلاد الشام مـن هذا النوع من البيمارستانات ، لكن المصادر لم تسعفنا بمعلومات تثبت وجود هذا النوع من المشافي بشكل صريح ، إلا ما أشار إليه ابن جبير من وجـود مكـان مخصص في البيمارستان النوري الكبير للمجانين والمعتقلين به وهـم يعـالجون كغيرهم من المرضى [5] أو ما ذكره ابن أبي أصيبعة أنه كان بالبيمارستان النوري قاعة خاصة بالمبرودون ، وهم المصابون بمرض " المانيا " أو الحمى السبعية [6] وهو مرض يصيب العقل ، يصفه ابن النفيس فيقـول : ((وهـو جنـون سـبعيّ

(1) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠٤ .

(2) قاسم غني : من تاريخ الطب الإسلامي ص٧٢٧ مجلة الرسالة عدد ٧٨٢ سنة ١٣٦٧هـ .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ج١٢ ، ص٨٣ ، ٨٤ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص١٣٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٨ .

(4) محمد ماهر عبد القادر : دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية الطبعة الأولى ص٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(5) الرحلة : ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(6) عيون الأنباء : ص٧٣٢ .

عن سوداء محترقة ..)) [1]. فكان يصرف لهم من الأدوية والأشربة ما ينفعهم[2]

كما أن ابن طولون يشير إلى أنه كان هناك قاعة في البيمارستان القميـري معدة للمجانين [3].

ثانياً : البيمارستانات المحمولة أو المتنقلة : وهي التي تتنقل من مكان إلى آخر حسب انتشار الأمراض والأوبئة وظروف الحرب وحاجة الناس [4] ، ولعـل هذا النوع من المشافي الشامية كان بارزاً في البيمارستان العسكري [5] الذي كان يرافق الجيوش في معاركها . أما ما يخص الأوبئة والأمراض والانتقال إليها فإننا يمكن أن نفسر قلة ذلك بكثرة البيمارستانات في بلاد الشام ، إذ لم تكن تخل مدينة بالشام خلال فترة البحث إلا وبها مارستان عامل .

وقد كانت هذه البيمارستانات (أي العسكرية) من المرافق المهمة التي لـم يخل منها جيش في هذا العصر ، وبخاصة أن المسلمين قد منوا بحرب متواصـلة ضد الصليبيين مما دفعهم إلى تكوين جيوش قوية ومدربة ، لم تخل من بيمارستان محمول مجهز بالأدوات الطبية والأطباء في تخصصات مختلفة ، ويؤكد ذلك قول المقريزي ((هو ما تدعو الحاجة إلية حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الأطباء وأرباب الكحل ، والشربة والعقاقير ما يجري مجرى ذلك ، وكل مـن عاده طبيب وصف له ما يناسبه يصرف له من الشراب خاناه أو الـدواء خانـاه المحمولين في الصحبة)) [6] .

---

(١) الموجز في الطب ، ص١٣٩ ، الكشكري : يعقوب ، كناش في الطب ص٢٣٠ .

(٢) ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء ص٧٣٢ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٩٩ ، ٧٠٧) ص٤٦٢

(٣) الفلائد الجوهرية : ص٣٤٧ .

(٤) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص١١ .

(٥) نعني به البيمارستان الذي يرافق الجيش في حالة الحرب والسلم ويكون مزوداً بالأطبـاء والـصيادلة والخدم ، وفيه كل ما يحتاجون إليه من الأدوية ووسائل العلاج ، الديو جي سعيد: دور العلاج والرعاية في الإسلام ، مطبعة الجمهورية بالموصل ١٣٨٦هـ ص٣٠ ،٣١. التكريتي راجي عباس : الإسناد الطبي فـي الجيوش العربية الإسلامية ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٦) الخطط ج٢ ص٢٠٠ .

ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره القفطي أن أبا الحكم المغربي عبد ا بـن المظفر بن عبد ا الأندلسي المرسي نزيل دمشق ،(1) كان أحد الأطباء المشاهير، فلما نزل بغداد عمل طبيباً في بيمارستان السلطان محمود السلجوقي الـذي كـان يحمله أربعون جملاً ، وكان معه في هذا المارستان الطبيب ابن المرخم يحيى بن سعيد القاضي ، فكانا يشتركان في علاج المرضى وإجراء العمليات (٢)

وقد عمل في الجيش الشامي خلال هذا العصر عدد من الأطبـاء الـذين كانوا يمارسون التطبيب للسلطان والجند ولا يفارقونهم سفراً ولا حـضراً ، فقـد ذكرت المصادر أن من أشهر من خدم في الجيش الصلاحي الطبيب موفق الـدين ابن المطران الذي كان لا يفارقه في حروبه وغزواته ضد الفرنج ، وكانـت لـه خيمة حمراء تشبه خيمة السلطان صلاح الدين ، فكان السلطان يعجـب منـه ولا ينكر عليه ذلك لمكانته عنده (٣) .

كما ذكر عن السلطان صلاح الدين أنه كان يجلس في خيمته عقب معاركه ((والجرحى يحضرون بين يديه وهو يتقدم بمداواتهم)) (٤) .

ومن هؤلاء الأطباء أبو الفضل إسماعيل بن أبي الوفاء طبيب السلطان نور الدين محمود ، كان لا يفارقه سفراً ولا حضراً (٥) .

وكان الطبيب عبد المنعم بن مظفر الغساني الجلياني يرافق السلطان صلاح الدين في السفر والحضر (٦) للعلاج والمداواة .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن الوزير صفي الدين بن شكر اختـار الطبيـب البارع مهذب الدين ابن الدخوار ليكون طبيباً في المعسكر العادلي ، إضافة إلـى

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٤ .

(٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) عيون الأنباء ص٦٥٢ ، ٦٥٣ .

(٤) أبو شامة : الروضتين ج٤ ص٢٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٣٥٦ ، ٤٣٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ .

(٦) ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى : الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة ، تحقيق إبراهيم الإبياري الطبعة الرابعة ص١٠٤ ، ١٠٥ .

طبيب آخر معه هو :موفق الدين عبد العزيز الذي كان قبله في الخدمة العسكرية ، لكن الوزير صفي الدين بن شكر لم يجعل له من الرواتب كما لموفق الدين عبـد العزيز ، حيث كان يأخذ مئة دينار ناصرية ، وقد جعل للدخوار ثلاثـين دينـارا ناصرية ، فرفض الدخوار ذلك إلا أن يجعلوا له مثله ، فلما عاجلت المنية الموفق عبد العزيز استدعاه الوزير مرة أخرى وأعطاه ما كـان للموفـق مـن الجرايـة والرواتب [1] ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن أبي أصيبعة أنه قرأ الطب علـى يـد عبد الرحيم الدخوار وهو في المعسكر السلطاني [2] .

كما خدم في الجيش الأيوبي الطبيب رشيد الدين أبو المنصور ابن الفـضل ابن علي الصوري ، خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، ثم ابنه المعظم عيسى ، وقد شهد معه عددا من معاركه ضد الفرنج ، وكان معه يوم معركة ثغر دميـاط ، واستمر في الخدمة إلى أن استقر به المقام بدمشق [3] .

كما عمل في البيمارستان العسكري أيام السلطان المعظم عيـسى الطبيـب موفق الدين يعقوب بن سقلاب ، قرأ عليه ابن أبي أصيبعة شيئاً من كلام أبقـراط وغيره وهما في المعسكر المعظمي [4] .

وكان بعض الأطباء الشاميين يرفضون الالتحاق بالخدمة الطبية في الجيش؛ لما يرونه من العناء والمشقة في ذلك ، فهذا الطبيب رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي يطلبه الملك العادل أبو بكر ابن أيوب ليكون في صحبته فلم يجبه إلى ذلك وطلب منه أن يكون مقيماً بدمشق [5] ، كما أن الطبيب المظفر بن علي بن ناصر الحمصي رد طلب السلطان بأن يكون معه فـي الـصحبة ، واسـتأذنه أن يقـيم

---

(1) عيون الأنباء : ص٧٢٨ ، ٧٢٩ .

(2) نفسه : ص٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ .

(3) نفسه: ص٧٠٠ .

(4) نفسه ص٦٩٧ .

(5) نفسه ص٦٧٣ .

بدمشق[٦] . وكذلك الطبيب عمران الإسرائيلي لم يكن مع أحد من الملوك في صحبته رغم طلبهم له وحرصهم عليه [٧] .

و نضيف إلى خدمة الأطباء في الجيش الشامي خدمتهم في القلاع الشامية التي يقيم بها الجند والعساكر المرابطة لحماية المدن والدفاع عنها .

فقد كانت قلعة دمشق إحدى أكبر القلاع الشامية إبان الحروب الصليبية ، يصفها البدري بأنها واسعة البناء ، وبها جامع وأسواق فسيحة ودار للضرب [١] ، كان بها دور السلطان وأعيان الدولة وعدد كبير من الجند [٢] .

وقد عمل في هذه القلعة العديد من الأطباء المتميزين الذين كانوا يترددون إليها لعلاج المرضى في الدور السلطانية أو غيرهم من الناس ، فمن هؤلاء الأطباء أبو المجد بن أبي الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي (٥٧٠هـ/١١٧٤م) ، حيث كان يصعد إلى القلعة حينما يفرغ من مداواة المرضى بالمارستان النوري فيتفقد المرضى من أعيان الدولة بها ثم يعود إلى المارستان للتعليم ، وكان وقته مرتباً على ذلك يومياً [٣] .

وممن لازم القلعة والمارستان الطبيب رضي الدين يوسف بن حيدرة بن الحسن الرجي ، وقد استمر على ذلك أكثر من عشر سنوات ، وله عليها مرتب شهري يتقاضاه [٤] .

---

(٦) نفسه ص٦٨٢ .

(٧) نفسه ص٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(١) نزهة الأنام في محاسن الشام ص٣٥ ، يذكر أن أول من بنى هذه القلعة تاج الدولة تتش سنة (٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) حينما ملك دمشق ، ثم جعل بها دار إمارته ، ثم كانت مقر الإمارة أيام السلاجقة وبنى بها السلطان نور الدين محمود داراً حسنة تسمى دار المسرة ، ثم جددها الأيوبيون والمماليك وجعلوا لها الأبراج والخنادق الحصينة . صلاح الدين المنجد : الأبنية المسجلة في دمشق ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج١ ص٧٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٩٠ ، ٣٠٦ ، ج٢ ص٨٦ ، ٢٠٨ ، ٣٠٩ ، ٢٤٠ ، ج٣ ص٢٥٥ ، ج٤ ص٣٤٢ ، ٣٦٣ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(٤) نفسه ص٦٧٢ .

وتردد في خدمة الدور السلطانية بالقلعة الطبيـب عمـران بـن صـدقة الإسرائيلي(٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ، وكان ذلك في فترة حكم الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وابنه المعظم [٥] .

وكان الطبيب سديد الدين محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن رقيقـه يتردد لعلاج مرضى الدور السلطانية بالقلعة بأمر من السلطان الأشرف موسـى ، وله على ذلك الجراية والجامكية المجزية [١] .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن الطبيب رشيد الدين على بن خليفة بن يونس ابن أبي القاسم كان يعالج الجند بالقلعة والمرضى بالدور السلطانية ، بل كان يخـص بذلك دار ست الشام أخت الملك العادل ، وله على ذلك الرواتب الكافية [٢] .

ويذكر أيضاً أن الطبيب بدر الدين بن المظفر بن عبد الرحمن ابن قاضـي بعلبك كان يخدم في المارستان ، ويصعد إلى القلعة لمـداواة المرضـى بالقـصر السلطاني ومن يلوذ بها من الناس [٣] .

وكان الطبيب عماد الدين أبو عبد ا محمد بن القاضي الرينسري يخدم في الدور السلطانية بالقلعة أواخر العصر الأيوبي [٤]

وخدم الطبيب أبو الفرج موفق الدين إسحاق ابن القف في القلعة الدمشقية ، وكان يعمل قبلها في قلعة عجلون ، وخدم بها عدة سنوات [٥] .

وكان الطبيب سكرة الحلبي مع السلطان نور الدين محمود أيام كان بحلـب وكان تولى علاج إحدى خطايا السلطان التي كانت في القلعة فعالجها حتى شـفيت فأكرمه السلطان لأجل ذلك [٦] .

---

(٥) نفسه ص٦٩٦ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(٢) نفسه ص٧٥١ .

(٣) نفسه ص٧٥١ .

(٤) نفسه ص٧٩١ .

(٥) نفسه ص٧٦٨ .

(٦) نفسه ص٦٣٧ ، ٦٣٨ .

وخدم في قلعة جعبر من الأطباء زين الدين سليمان بن المؤيد الحافظي خدم صاحبها آنذاك الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن أبي بكر ابن أيوب ، وكان من المقربين إليه (٧) .

ويذكر أن الطبيب نجم الدين أبو العباس أحمد بن أبي الفضل أسـعد بـن حلوان خدم الملك الأشرف ابن الملك المنصور في قلعة تل باشر إلا أنه لم تطـل المدة عنده (١) .

ويبدو أن هؤلاء الأطباء كانوا يمارسون علاج المرضى في منازلهم أو في أماكن إقامتهم دون وجود مكان مخصص يجمعهم كمارستان مثلاً ، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الباحث من أن القلاع الشامية لم يكن بها بيمارستانات ثابتة أو خاصـة بتلك الفئة من الناس كما هو الحال في مدنها .

وسوف نتناول في هذه العجالة أشهر البيمارستانات الثابتة في بلاد الـشام عمارتها ، وتخطيطها وجوانب من نظام عملهـا الـداخلي ، والهيئـة الإداريـة والتنظيمية :

أولاً : بيمارستان القدس :

يرجع إنشاء هذا المارستان إلى العصر الفاطمي (٢) يقول ناصـر خـسرو الذي زار القدس سنة (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) : ((وفي بيت المقـدس مستـشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ، ويصرف لمرضاه العديد من العلاج والـدواء ، وبـه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف ، وهذا المستشفى ومسجد الجمعة علـى حافـة وادي جهنم)) (٣)

ثانياً : بيمارستان باب البريد بدمشق :

---

(٧) نفسه ص٦٦٨ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٨ .

(١) علي سيد : القدس في العصر المملوكي ص٢٤٧ .

(٢) سفر نامة : ص٦٨ ، ٦٩ .

كان هذا البيمارستان يقع عند باب البريد لجامع دمشق [٤] ، وهو بلا شـك الذي أشار إليه ابن جبير لما زار دمشق فقال : ((بها مارسـتان قـديم وحـديث الحديث أحفلها)) وهو يريد بالقديم هذا البيمارستان [١]، وقد أشار ابن أبي أصيبعة أن الطبيب البارع أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السويدي قد خدم به مدة [٢] .

ويمكن أن ننبه إلى أمر مهم هو أن أحمـد عيـسى بـك فـي (تـاريخ البيمارستانات) قد فرق بين البيمارستان الذي عند باب البريـد ، والبيمارسـتان الصغيرة وجعل كل واحد منهما بيمارستاناً مستقلا [٣] ، والذي يظهر لي وا أعلم أنهما بيمارستان واحد لأن كلا البيمارستانين يقعان في الجانب الغربي من الجامع، فباب البريد يقع في الجهة الغربية من الجامع [٤] ، يقول ابن شدقة عن البيمارستان الصغير : ((البيمارستان الصغير بدمشق أقدم من البيمارستان النـوري ، وكـان قبلى مطهرة الجامع الأموي ، وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الأموي من جهة الغرب)) [٥] وبهذا يمكن القول ، إنهما بنيا في مكان واحد ، فبعد اندثار الأول أقيم مكانه الثاني .

ثالثاً : البيمارستان النوري الكبير :. [٦]

بناه السلطان الملك العادل نـور الـدين محمـود بـن زنكـي [٧] سـنة (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) وذلك بحسب ما هو مثبت على حجـر التأسـيس داخـل

---

(٣) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢٢٩ .

(١) الرحلة ص٢٥٥ .

(٢) عيون الأنباء : ص٧٥٩ .

(٣) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٩ .

(٤) الطنطاوي علي : الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ ، دار المنار جده الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ص٥٦ ،الشهابي قتيبة : معالم دمشق الأثرية ، مطبوعات وزارة الثقافة سورية ص٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٥) بدران : منادمة الأطلال ص٢٥٩ .

(٦) يطلق عليه ابن أبي أصيبعة كثيراً البيمارستان الكبير تمييزاً له عن البيمارستان الآخر الصغير .

(٧) أبو شامة : عيون الروضتين ج١ ص٢٦٩ ، ابن الأثير : تاريخ الباهر ص١٧٠ ، الذهبي : تاريخ الإسلام (٥٦١/٥٧٠) ص٣٧٠ ، ٣٧١ .

الإيوان الجنوبي في البيمارستان [8] ويذكر أبو شامة قصة بنائه : ((أن نور الدين وقع في أسره بعض كبار الملوك من الفرنجة فقطع على نفسه في فدائه مالاً عظيماً ، فشاور نور الدين أمراءه فالكل أشار بعدم إطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ، ومال نور الدين إلى الفداء بعدما استخار الله فأطلقه ليلاً فلما بلغ الفرنجي مأمنه مات ، وبلغ نور الدين موته فبنى بالمال هذا البيمارستان ومنع المال عن الأمراء لأنه لم يكن على إرادتهم)) [1] ، وهو أعظم بيمارستان بناه نور الدين في بلاد الشام ، وجعل عليه أوقافا كثيرة [2] . وجعله عاماً على كافة المسلمين من الأغنياء والفقراء[3] .

وقد ذكر أبو شامة مسألة مهمة تتعلق بنص وقف البيمارستان وهي أن الأغنياء لا يدخلون ضمن شروط الواقف كما شاع على ألسنة الناس ، وإنما لهم حق الاستوصاف دون الدخول فيه . يقول أبو شامة : ((وقد وقفت على كتاب وقفه فلم أره مشعراً بذلك { يعني أنه على الأغنياء والفقراء جميعاً } ، وإنما هذا كلام شاع على ألسنة العامة ، ليقع ما قدره الله تعالى من مزاحمة الأغنياء للفقراء فيه والله المستعان . وإنما صرح بأن ما يعز وجوده من الأدوية الكبار وغيرها لا يمنع منه من احتاج إليه من الأغنياء والفقراء ، فخص ذلك بذلك فلا ينبغي أن يتعدى إلى غيره ، ولا سيما وقد صرح قبل ذلك بأنه وقف على الفقراء والمنقطعين ، وقال بعد ذلك : من جاء مستوصفاً لمرضه أعطي ، وروي أن نور

(8) العلبي : خطط دمشق ص٢٦٠ .

(1) أبو شامة : عيون الروضتين ج١ ص٣٦٩ ، ذكر سبط ابن الجوزي هذه القصة في حوادث سنة (٥٥٩هـ / ١١٦٣م) وفيها أنه استفتى الفقهاء فاختلفوا فقال قوم يقتل الجميع ، وقال آخرون يفادى بهم ، فمال نور الدين إلى الفدية ، فأخذ منهم ستمائة ألف دينار معجلاً وخيلاً وسلاحاً وغير ذلك فكان يحلف بالله أن جميع ما بناه من المدارس والربط والمارستانات وغيرها من هذه المفاداة وجميع وقفه منها وليس من بيت المال درهم واحد . مرآة الزمان ج٨ ص٢٤٧ ، ٢٤٨ / ٣١ ، والقصة تدل على أن بناء البيمارستان قد تأخر إلى سنة (٥٥٩هـ / ١١٦٣م) .

(2) أبو شامة : الروضتين ج١ ص٤٥ .

(3) نفسه ج١ ص٤٥ .

الدين رحمه ا ، شرب من شراب البيمارستان فيه ، وذلك موافق لقوله من كتاب الوقف : ((ومن جاء إليه مستوصفاً لمرضه أعطي)) [٤] .

وقد تولى القاضي كمال الدين الشهرزوري (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) بناءه بأمر السلطان نور الدين محمود [١] ، فعمّره عمارة رائعة ((ليس في المعمورة مثله)) كما يقول ابن بطوطة [٢] . وشارك في بنائه الطبيب مؤيد الدين أبو الفضل عبد الكريم بن المهندس (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) ، وذلك بنجارة أبوابه الخشبية المصنوعة بشكل متقن [٣] .

وقد وصفه ابن جبير الذي زار دمشق أول ما أنشئ سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) فقال عنه :((وفيها مارستان قديم وحديث ، والحديث أحفلهما وأكبرهما، وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً ، وله قومة وبأيديهم الأزقة والمحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك ، والأطباء يبكرون إليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم ..)) [٤] .

يقول الذهبي عن محمود بن المبارك بن أبي القاسم الواسطي البغدادي (٥٩٢هـ / ١٢٩٥م) : ((كان شيخاً فاضلاً وله بنى نور الدين محمود البيمارستان بدمشق وكان يعلم الطب فيه))[٥] ، إن ما يذكره الذهبي هنا هو خلاف ما صرح به ابن أبي أصيبعة أن نور الدين لما أنشأ البيمارستان الكبير جعل أمر

---

(٤) الروضتين ج١ ص٤٥ ، ٤٦ ، " قال ابن الأثير " وبنى نور الدين البيمارستانات في البلاد ، وأعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق فإنه عظيم كثير الخرج ، بلغني أنه لم يجعله وقفاً على الفقراء فحسب ، بل على كافة المسلمين من غني وفقير ، الباهر ص١٧٠ ، وهذا يدل على أن مسألة دخول الأغنياء في شرط الواقف قول شاع على ألسنة الناس بدليل قوله " بلغني" .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣١٧ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ص١١٣ .

(٣) عيون الأنباء ص٦٦٩ .

(٤) الرحلة ص٢٥٥ .

(٥) تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/-٦٠٠) ص١١٧ لم أجد هذا القول عند كثير ممن ترجم له حتى في كتب الذهبي الأخرى . إلا في هذا الموطن ، ولم ينقلها عنه ممن ترجم له بعد الذهبي بزمن فا أعلم .

الطب فيه لأبي المجد محمد بن أبـي الحكـم عبيـد ا بـن المظفـر البـاهلي (٥٧٠هـ/١١٧٤م) وهذان الخبران لا تعارض بينهما ، إذ من المحتمل أن يكـون نور الدين محمود أنشأه لا ابن المبارك الواسطي وعمل فيه تحت أمرة أبي المجد ابن أبي الحكم الباهلي لتميزه وشهرته في الطب [٦] .

وقد جرت بعض الزيادات في عمارته خلال فترة البحث ، فكانت الأولـى على يد الطبيب بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك سنة (٦٣٧هـ ـ / ١٢٣٩م)، حيث قام بعمل زيادات على مساحته الأولى ، وذلك بعد أن تولى رئاسة الأطبـاء والكحالين والجرائحيين بالبيمارستان ، فاشترى دوراً كثيرةً ملاصقة للبيمارسـتان من ماله ، وبذل فيه جهداً كبيراً وأضافها إلى مرافقه فاتسعت بذلك قاعاته ، كمـا ساق إليه الماء ، وكانت زيادته هذه من أحسن الزيادات عليه [١] .

وأجريت له تجديدات أخرى في سنة (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) ذكرت علـى لوحة رخامية فوق الباب الداخلي هذا نصها . **بسم ا الر ن الرحيم { والذين ينفقون أموا م سبيل ا لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى م أجرهم عند ر م ولا خوف عليهم ولا هم زنون }** [٢] **{ وما تقدموا لأنفسكم من خ دوه عند ا هو خ اً وأعظـم أجـراً }**[٣] وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية) . والمولى الشهيد السلطان الغازي في سبيل ا نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي قدس ا روحه ممن جمع ا سبحانه وتعالى لذاته وصف العالمين ، ومن شرط وقفه الذي أشـهد بـه على نفسه أنه وقف على البيمارستان المعروف بإنشائه وجعله مقراً لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضعفة المسلمين الذين يرجى برؤهم ، وهو يستعدي إلى ا تعالى

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥١ ، ٧٥٥ ، أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، سامي حداد : البيمارستان النوري (مقالة) سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام ، رقم (٥) ، دمشق مقالات مجموعة جمع أحمد غسان سبانوا ، دار قتيبة ص٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) البقرة آية رقم (٦٢) .

(٣) المزمل آية رقم (٢٠) .

على من يساعد في تغيير مصارف وقفه وإخراجها عما شرط حاكمه وتخاصمه بين يديه **{ يوم د كل نفس ما عملت من خ ضرا ، وما عملت من**

سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا .. } [1] وجدد ما كان تهدم من بنائه وبناء أوقافه في الأيام السلطانية العادلية المنصورية الصالحة خلد ا سلطانها ، بنظر الفقير إلى ا تعالى عمر بن أبي الطيب غفر ا له ولمن أعانه من البنائين على عمارة هذا الوقف المبارك ، وكان الفراغ منه في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة [٢] .

ويأتي التصميم المعماري للبيمارستان النوري تحولاً جديداً في العمارة الشامية ، وذلك من خلال التأثيرات المعمارية السلجوقية على عمارته[٣]، وتتمثل تلك التأثيرات في الأواوين المتقابلة والقبة المقرنصة التي تغطي بهو البيمارستان[٤] .

وهو يتكون من باحة مكشوفة مساحتها عشرون متراً في خمسة عشر متراً (٢٠ × ١٥ متراً) ، وتتوسطها بحيرة كبيرة مصنوعة من الرخام تحيط بها الورود والزهور ، ويدور حولها عدد من المباني والغرف ، ويضاف إلى مرافقه ثلاثة إيوانات شرقي ، وغربي ، وجنوبي [5] ، أما الغربي والجنوبي فكانت

---

(١) آل عمران آية رقم " ٣٠ " .

(٢) أحمد عيسى : تاريخ المارستانات في الإسلام ص٢١٤ . جان سوفاجه : الآثار التاريخية في دمشق ص٦٨ .

(٣) سوفاجيه : الآثار التاريخية في بلاد الشام ص٦٧ .

(٤) ياسر الطباع : العمارة الزنكية والأيوبية في سورية والجزيرة (مقال) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الفن العربي الإسلامي) ج٢ " العمارة " ص١٩٣ ، ١٩٤ .

(5) البيمارستانات والأمن الصحي في التراث العربي ، مجلة الثقافة النفيسة تصدر عن مركز الدراسات النفيسة طرابلس لبنان العدد التاسع المجلد الثالث ك٢ ١٩٩٢ ص٨٦ .

تستخدم للترويح عن المرضى [٦] ، أما الإيوان الشرقي وهو الإيوان الرئيسي فهو الذي تجري تحته الدروس الطبية وتدور فيه المناقشات العلمية بين الأطباء [٧] .

وقد أدى النظار دوراً مهماً في الإشراف على هذا البيمارستان ونظر أوقافه وعمارته مما أسهم في بقائه عامراً يؤدي دوره العلاجي والعلمي فترة من الزمن ، وقد ولي الإشراف على هذا المارستان والنظر في أوقافه عدد كبير مـن النـاس وذلك خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، منهم على سبيل المثال :

أمين الـدين أبـو الغنـائم سـالم بـن هبـة ا الـشافعي التغلبـي الدمـشقي (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) وولي معه نظر المواريث والأيتام [١].

ومنهم الفقيه محمد بن سعد ا بن رمضان الوزان الحلبي الدمشقي الحنفي (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) كان مدرساً بالمدرسة الأسدية وناظراً للمارستان [٢].

ومنهم التاجر البغدادي أبو بكر بن عبد ا بن مسعود اليـزوي الدمـشقي (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) كان الأمير جمال الدين أقوش النجيبي نائب الشام قد ولاه نظر الجامع الأموي والمارستان النوري والخوانق ، فكانت لـه إصـلاحات فـي عمارة هذه الجهات التي أشرف عليها وتولى نظرها [٣].

ووليه أيضاً عبد ا بن الحسن بـن إسـماعيل بـن محبـوب البعلبكـي (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) وولي نظر أماكن أخرى كالجامع مثلاً [٤].

وتولى نظر أوقاف المارستان والجامع القاضي شمس الدين أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن خلكان (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) لما دخل الشام وولي القضاء بها [٥]

---

(٦) نفسه ص٨٦ .

(٧) سوفاجيه : الآثار التاريخية في بلاد الشام ص٦٨ .

(١) الحنبلي : شذرات الذهب ج٣ ص١٨٤ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٩٢ .

(٣) نفسه ج١٠ ص٢٣٧ ، الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ص٢٩٨ .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٣ ص٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٥) النعيمي : الدارس ج١ ص١٩٢ .

وممن ولي نظر البيمارستان النوري على بن عبد الواحد بن أحمد الخضر الحلبي نزيل دمشق وأحد الرؤساء الكبار في الدولة الناصرية (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) [٦] .

وقد ولي نظره كذلك ، إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر التنوخي (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) ، وقد كان محمود السيرة في ولايته ونظره للبيمارستان[٧]

وقد خدم فيه جملة من الأطباء الكبار خلال فترة البحث إي ما يقارب قرناً ونصف من عمر هذا البيمارستان – فمن أشهر هؤلاء الأطباء :

أبو الحسن على بن أبي عبد ا عيسى بن هبة ا مهذب الدين ابن النقاش (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) [١] ، والطبيب أبو نصر أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجس موفق الدين ابن المطران (٥٨٧هـ / ١١٩١م) [٢] ، وأبو الفضل محمد ابن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي المهندس (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) وقد بقي يعمل فيه فترة طويلة إلى أن توفي [٣] ، وموفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار ابن أبي محمد السلمي (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) [٤] ، وأبو منصور المظفر علي بن ناصر القرشي (٦١٢هـ / ١٢١٥م) [٥] ، وأبو الحسن علي بن خليفة ابن يونس ابن أبي القاسم (٦١٦هـ / ١٢١٩م) ، وأبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد مهذب الدين الدخوار (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) [٦] ، وأبو عبد ا محمد بن عبد الواحد بن اللبودي (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)[٧]، وعمران بن صدقة الإسرائيلي

---

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٧) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٣ ص٣٨ ، ٣٩ ، العيني : عقد الجمان (٦٦٥ / ٦٨٨) ص١٢٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٨٢ ونظر من وليه خلال القرن الثامن الهجري، ابن حجر شهاب الدين أحمد بن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تحقيق محمد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة سورية ج١ ص٧٩ ، ج٣ ص٦٢ ، ج٤ ص٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١ ، ج٥ ص١٨٤ .

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢١ ، ص٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٦ .

(٣) نفسه ص٦٦٩ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : ص٦٧١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٥١٥ ، ٥١٦ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٢ .

(٦) نفسه ص٧٢٧ ، ٧٢٨ .

(٧) نفسه ص٦٦٢ ، ٦٦٣ .

(٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) [٨] ، وأبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم بـن شجاع سديد الدين بن رقيقة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) [٩]، وأحمد بن عبد ا بـن الحسين الدمشقي الملقب بالحمال المحقـق (٦٤٩هـ / ١٢٥١م) [١٠]. وأبـو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي (٦٤٤هـ/١٢٤٦م)[١١] ، وعثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) [١] ، وأبو الحـسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي (٦٦٧هـ / ١٢٧٦م) [٢] ، وأبـو عبد ا محمد بن إبراهيم بن أبي المحاسن الكلي (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) [٣] ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد السويدي (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) [٤] ، أبو عبد ا محمد ابن القاضي الدنيسري (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) [5] .

وقد تعصر عدد من هؤلاء الأطباء وعملوا فيه مجتمعين كل في تخصصه، وذلك في علاج المرضى وتعليم الطب ، فكان البيمارستان النوري في هذه الفترة هو المكان الأكبر والأكثر شهرةً في علاج المرضى وتعليم الطلاب مهنة الطـب نظرياً وعملياً ، إذ لم تبدأ المدارس الطبية المتخصصة في تعليم الطب في الـبلاد الشامية إلا في القرن السابع الهجري وتحديداً بظهور المدرسة الدخواريـة سـنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) التي أسسها أحد كبار الأطباء في البيمارستان النوري وهو عبد الرحيم بن علي الدخوار [٦] .

---

(٨) نفسه ص٦٩٧ .

(٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣ .

(١٠) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٧ ص١٣٦ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٢٩١

(١١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٢) نفسه ص٦٧٦ .

(٣) عيون الأنباء ص٧٥٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٣ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) عيون الأنباء ص٧٢٧ ، ٧٢٨ .

وقد حافظت الأوقاف التي جعلها نور الدين محمود على استمرار هذا البيمارستان في أداء عمله عدة قرون ، فابن شاهين يذكر أنه حينما زار دمشق في القرن التاسع الهجري ((أن بها بيمارستان لم ير مثله في الدنيا قط)) [٧] ويروي قصة طريفة تفيد أن البيمارستان كان يؤدي عمله على أكمل وجه فيقول : ((أني دخلت دمشق في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وكان بصحبتي شخص عجمي من أهل الفضل والذوق واللطافة ، وكان قاصداً الحج في تلك السنة ، فلما دخل البيمارستان المذكور فتضاعف وأقام به ثلاثة أيام ، ورئيس الطب يتردد إليه ليختبر ضعفه ، فلما جس نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة ، والدجاج المسمنة ، والحلوى والأشربة والفواكه المتنوعة ، ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة من معناها أن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام ، وهذا في غاية الحذاقة والظرافة ،وقيل :إن البيمارستان المذكور منذ عمّر لم تنطفئ فيه نار)) [1].

وقد تعرض هذا البيمارستان للتخريب لما دخلت التتار دمشق سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) فأحرقت المدارس بدمشق مثل دار الحديث الأشرفية [٢]، والمدرسة العادلية [٣]، والقيمازية [٤]، وامتد هذا الحريق حتى أصاب المارستان النوري[5] .

رابعاً : بيمارستان حماه :

---

(٧) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص٤٠ .

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص٤٠ .

(٢) نسبة إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل وهي أشهر دار للحديث في الشام عمل بها أئمة المحدثين أمثال ابن الصلاح وأبي شامة المقدسي ، النعيمي : الدارس ج١ ص١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٣) إحدى مدارس الشافعية الكبرى بالشام تنسب للملك العادل أبي بكر بن أيوب النعيمي : الدارس ج١ ص٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٤) إحدى مدارس الأحناف بدمشق أنشأها صارم الدين قيماز النجمي ، النعيمي : الدارس ج١ ص٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(5) العيني : عقد الجمان ج (٦٩٩ / ٧٠٧) ص٣٧ ، ٣٨ .

بناه السلطان نور الدين محمود ابن زنكي يرحمه الله سنة (٥٥٠هـ / ١١٥٥م) فقد ذكر ذلك ابن واصل بقوله : ((وبني الجامع الذي على شط العاصي بحماة ، وهو جامع حسن ، وإلى جانبه بيمارستان من إنشائه))[٦] كما أشار إليه ابن جبير في رحلته فقال : ((ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير)) [٧] .

وهذا البيمارستان هو ثالث بيمارستان ينشئه نور الدين محمود في بلاد الشام .

أما الأطباء الذين خدموا فيه فإن ابن أبي أصيبعة قد ترجم لعدد من الأطباء الذين كانوا بحماة في خدمة حكامها وقلعتها ، فمن المرجح أن يكون هؤلاء الأطباء قد ترددوا على هذا البيمارستان . ومنهم :

مهذب الدين بن الحاجب (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) أحد الذين تميزوا في صناعة الطب ، وقد مارس عمله في البيمارستان النوري بدمشق ، ثم انتقل منه إلى حماة في خدمة صاحبها الملك تقي الدين عمر حتى توفي ثم عاد إلى دمشق ومنها إلى مصر ، وعاد مرة أخرى إلى حماه في خدمة الملك المنصور ابن تقي الدين عمر فبقي عنده حتى توفي بعد عامين [١] .

وكان أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم ابن رقيقة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) في خدمة الملك المنصور محمد بحماة عدة سنوات [٢]

وكذلك الطبيب موفق الدين عبد السلام ممن وفد إلى حماه في خدمة الملك المنصور محمد ، وكان حظياً عنده ولقي منه كل إحسان وإكرام [٣] .

---

(٦) مفرج الكروب : ج١ ص١٨٣ .

(٧) ابن جبير : الرحلة ص٢٣١ ، انظر وصف بناء هذا البيمارستان حيث لم يتبق من بنائه الأصلي إلا القليل جداً ، كامل شحادة : من مآثر نور الدين زنكي العمرانية في حماة " البيمارستان النوري " مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية المجلد السابع عشر الجزءان الأول والثاني ١٩٦٧م .

(١) عيون الأنباء ص٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(٢) نفسه ص٧٠٣ ، ٧٠٥ .

(٣) نفسه ص٧٥٥ ، ٧٥٦ .

خامساً : البيمارستان النوري بحلب :

شيده السلطان نور الدين محمود بن زنكي وجعل عليه أوقافاً حسنة [٤] ، وقد أشار إليه ابن جبير لما زار حلب وذكر أن : ((بها من العمران والمدارس ، وأن بها مارستاناً)) [٥] .

قال ابن الشحنة : ((إن الملك نور الدين محمد هو الذي بناه ، ويقع داخل باب أنطاكية بالقرب من سوق الهواء [٦] والغزيّ يقول : إنه لصيق البهرامية من جنوبها الشرقي بناه نور الدين محمود زنكي [٧] ، وهناك نص مكتوب على بابه يؤكد بناء نور الدين محمود له جاء فيه ((بسم ا الرحمن الرحيم أمر بعمله المولى الملك المالك العادل المجاهد المرابط الأعز الكامل صلاح الدنيا والدين قسيم الدولة رضي الخلافة تاج الملوك والسلاطين ناصر الحق بالبراهين محيي العدل في العالمين قامع الملحدين قاتل الكفرة والمشركين أبو القاسم محمود بن زنكي ابن أق سنقر ناصر أمير المؤمنين ، أدام ا دولته بمجد النبي وآله بتولي العبد الفقير إلى رحمة مولاه عتبة بن أسعد بن الموصلي)) [١] .

وقد جعل نور الدين على هذا البيمارستان أوقافاً واسعة تقوم بكفايته منها ((قرية معراتا ، ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان ، وخمسة أفدنة من مزرعة كفر نابا ، وثلث مزرعة الخالدي وطاحونها من المطخ ، وثمن طاحون غربية ظاهر باب الجنان ، وثمانية أفدنة من مزرعة أبو قدايا من عزاز ، وخمسة

---

(٤)ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص٢٨٢ .

(٥)الرحلة ص٢٢٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص١٢١ .

(٦) الدر المنتخب ص٢٣٠ .

(٧) الغزي كامل بن حسين : نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ١٣٤٢هـ ج٢ ص٦٤ .

(١) نهر الذهب ج٢ ص٦٥ ، ٦٦ ، ذكر القفطي في ترجمته للطبيب المختار بن الحسن بن عبدون ابن بطلان أنه مر بحلب فوجد فيها جامعاً وست بيع وبيمارستاناً صغيراً ، أما الغزي فيذكر أن ابن بطلان هو الذي بنى هذا المارستان وأن نور الدين جدده ، وهذا سهو منه إذ إن القفطي يقول : إن ابن بطلان دخل البلد وبها جامع وست بيع ومارستان صغير ولم يقل بنى ، وقصة بناء هذا المارستان تدل على أنه لم يجدده بل بناه بناية مستقلة ، أخبار العلماء ص١٩٤ ، نهر الذهب ج٢ ص٦٤ .

أفدنة بمزرعة الحميرة من المطخ ، واثني عشر فداناً من مزرعـة الغـزال مـن المعرة ، وثلث قرية بيت راعل من الغربيات ، وعشرة دكاكين بسوق الهواء منها ثلاثة تمام الباقي شركة الجامع الكبير ، وإحكار ظاهر باب أنطاكية وباب الفرج، وباب الجنان)) [٢] .

وقد ذكر ابن الشحنة أن الملك العادل نور الدين محمود لما عزم على بناء هذا البيمارستان ، طلب من الأطباء أن يختاروا من حلب أفضل بقعـة صـحيحة الهواء تكون صالحة لإقامة البيمارستان ، فقاموا بذبح خـروف وقطعـوه أربعـة أرباع وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً ، فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا الموقع [١] فبنوا فيه البيمارستان[٢] .

وقد أوضحت الدراسات المعاصرة للكتابات الموجودة على جدارنه أنه قد استحدثت زيادات على عمارته ، الأولى خلال العصر الأيـوبي مؤرخـة بـسنة (٦٥٥هـ / ١٢٦٦م) ، وهذه الزيادة عبارة عن قاعات مخصصة للنساء ، تولى عمارة تلك الزيادات أبو المعالي محمود بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم العجمـي

---

(٢) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص٢٣١ .

(١) ارتبطت هذه القصة بالطبيب محمد بن زكريا الرازي عندما بنى عضد الدولة البويهي بيمارستانه وقـد استشاره في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه هذا المارستان ، فامر الرازي بعض غلمانه أن يعلقوا في كل ناحية من بغداد شيئاً من اللحم ، والمكان الذي لا ينتن فيه اللحم هو المكان الذي يصلح لبناء البيمارسـتان لكن ابن أصيبعة يقول : إن الرازي وعضد الدولة البويهي لم يتعاصرا فالرازي توفي سـنة (٣١١هـ ـ / ٩٢٣م) وبني البيمارستان سنة (٣٦٨هـ / ٩٧٨م) وافتتح سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٢م) مما يدل على أنه ليس من فعل الرازي فلعل الذي قام بذلك غيره واستفاد الأطباء من تلك التجربة الناجحة لما تسامعوا بهـا عند بناء هذا المارستان ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤١٥ ، ابـن خلكـان : وفيـات الأعيـان ج٥ ص١٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣١٩ .

(٢) نهر الذهب ج٢ ص٦٤ .

الشافعي [٣] ، وجاءت الزيادات الأخرى خلال القرن التاسع الهجري في قاعـات جديدة أضيفت إلى مساحته [٤] .

أما الأطباء الذين عملوا فيه ، فإن المصادر لم تذكر صراحة شيئاً من ذلك، إلا أنه من المحتمل أن يكون هناك عدد من الأطباء المعاصرين لهذا المارسـتان ممن ترجم لهم ابن أبي أصيبعة كانوا في حلب في ذلك الزمن وربمـا أنهـم أو بعض منهم قد مارس التطبيب والتدريس به ، فمن هؤلاء الأطباء :

أبو الفضل إسماعيل بن أبي الوقار كان حياً سنة أربع وخمسين وخمسمائة وهو من المتميزين في صناعة الطب وممن خدم السلطان نور الـدين محمـود ، وكان من المقربين إليه ولا يفارقه في السفر والحضر ، وقد ترك دمشق واسـتقر به الحال في حلب حتى توفي[٥] .

كذلك الطبيب أبو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور الـسكري وابنه جابر اشتهرا بالطب وتميزا فيه [١] .

وكان الطبيب اليهودي عفيف بن عبد القاهر سكرة ممن اشـتهرت أسـرته بالطب في مدينة حلب [٢] .

ومنهم أبو عبـد ا محمـد بـن عبـد ا بـن عبـد الواحـد اللبـودي (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) أحد الأطباء المشاهير في بلاد الشام ، انتقل إلى حلب في خدمة الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بـن أيوب ، فكان مقيماً عنده حتى مات ثم رجع بعدها إلى دمشق [٣] . واجتمع معه في خدمة السلطان الظاهر غياث الطبيب أبو الحجاج يوسـف الإسـرائيلي المغربـي

---

(٣) خريتاني : البيمارستان في حلب ودوره في تقدم العلوم الطبية عند العرب ، أبحاث المـؤتمر الـسنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب حلب ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م ص٢٦٥ .

(٤) نفسه ص٢٦٥ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ .

(١) عيون الأنباء ص٦١٤ .

(٢) نفسه ص٦٣٨ .

(٣) نفسه ص٦٦٢ .

رحل من مصر إلى الشام واستقر بحلب يدرس الطب ويعالج المرضى [٤] . كما دخل حلب الطبيب حسنون الرهاوي النصراني وبقي بها حتى توفي سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م) [٥] .

وكان أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات الحلبي الشفري الطبيب (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) من الذين مارسوا مهنة الطب وعملوا داخل هذا البيمارستان في العصر المملوكي [٦]

---

(٤) نفسه ص٦٩٦ .

(٥) القفطي : إخبار العلماء ص١٢٢ .

(٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص٣٦٢ ، ٣٦٣ .

سادساً : البيمارستان الصلاحي بالقدس :

ينسب هذا البيمارستان إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي فهو الـذي أمـر باتخاذه [١] ، فبعد أن تم له فتح بيت المقدس ((اتخذ لطلاب مرضاة ا دار الأسقف بيمارستان المرضى ..)) [٢] ، يقول ابن واصل : ((وجعل الكنيسة التي في شارع قمامة بيمارستاناً للمرضى ، ونقل إليه جميع ما يحتاج إليه)) [٣] .

وقد ذكر ابن شداد أن السلطان صلاح الدين هو الذي أمره ببنائه والإشراف عليه ، يقول مشيراً إلى ذلك ((أمرني السلطان بالمقام في القدس لعمارة بيمارستان أنشأه فيه ، وإدارة المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عودته ..)) [٤] .

والذي يظهر أن هذا البيمارستان لم يكن منشأة جديدة ، وإنما هـي موقـع لكنيسة وحولت إلى بيمارستان ، وهو ما تؤكده روايات المـصادر أن الـسلطان صلاح الدين[٥] ((غير الكنيسة التي في شارع قمامة بالبيمارستان ، ونقـل إليـه العقاقير والأدوية من جميع الألوان)) [٦] .

ويذكر العلموي أيضاً أن السلطان صلاح الدين ((جعل الكنيسة المجـاورة لدار الاسبتارية بقرب قمامة بيمارستاناً للمرضى ، ووقف عليه مواضع ، ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير ، وفرض النظر والقضاء في هذا الوقف إلـى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع ابن تميم المشهور بابن شداد لعلمه وكفاءته))[٧]

وقد عمل في هذا البيمارستان من الأطباء موفق الدين يعقوب بن سـقلاب المقدسي (٦٢٤هـ / ١٢٢٦م) ، كان مولده بالقدس ، ودرس الطـب والحكمـة على علمائها في عصره ، فكان من أفاضل الأطباء الذين عملوا في مهنة الطـب

---

(١) العماد الأصفهاني : الفتح القسي ص٩٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣٤٩ .

(٢) نفسه ص٩٥ .

(٣) مفرج الكروب ج٢ ص٤٠٨ .

(٤) النوادر السلطانية تحقيق الشيال ص١٥٦.

(٥) أبو شامة : الروضتين ج٤ ص٣٣٢ .

(٦) الروضتين ج٤ ص٣٣٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٤٠٨ .

(٧) العلموي مجير الدين : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمود الكعابنة ، مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ج١ ص٥٣٧ .

خلال العصر الأيوبي [١] يقول القفطي : (وأقام يعقوب هذا على حالته في مباشرة البيمارستان إلى أن ملكه الملك المعظم عيسى ابن الملك أبي بكر أيوب فاختص به ولم يكن عالماً ، وإنما كان حسن المعالجة بالتجربة المارستانية ..) [٢]

واشتهر أيضاً الطبيب رشيد الدين أبو المنصور بن أبـي الفـضل علـي الصوري (٦٣٩هـ / ١٢٤١م) بالعمل في البيمارستان الـصلاحي بالقـدس ، وكانت شهرته في علم النبات وصناعة الأدوية عالية بين أطباء الشام ، وله فيهـا تجارب وطرق ناجحة ومبتكرة [٣] .

ولعل أن للبيمارستان الصلاحي دور في تعليم الطب نظرياً وعملياً في بيت المقدس [٤] ، فابن أبي أصيبعة لما ترجم لموفق الدين بن سقلاب ذكـر أنـه لازم بالقدس رجلاً فاضلاً فيلسوفاً راهباً في دير السيق فتعلم منه جملـة مـن العلـوم الفلسفية والحكمية [٥] ، واجتمع بالشيخ أبي مصعب النصراني الطبيب وتعلم منـه الطب [٦] .

وممن درس الطب في بيت المقدس الطبيب سديد الدين ابن منـصور بـن يعقوب بن سقلاب المقدسي ، قرأ على والده وعلى غيره وأصـبح مـن أفاضـل الأطباء المتميزين في صناعة الطب [٧] .

ودخل هذه المدينة عدد من الأطباء المشاهير الذين كانت لهم مساهماتهم في تعليم الطب أمثال رشيد الدين الصوري [٨]، وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي[٩]، وأبو زكريا يحيى بن محمد اللبودي [١٠] وغيرهم .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

(٢) إخبار العلماء ص٢٤٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ .

(٤) نفسه ص٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

(٥) نفسه ص٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

(٦) نفسه ص٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

(٧) نفسه ص٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ .

(٨) نفسه ص٦٩٩ .

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٣٤٧ ، عيون الأنباء ص٦٨٧ .

سابعاً : بيمارستان مدينة الرقة :

يقول أبن نظيف الحموي : ((في سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) شرع الملك الأشرف موسى في عمارة بيمارستان الرقة ، ويقع عند باب الماء بالجانب القبلي وقد جعل له أوقافاً حسنة دارة)) [١] .

وعمل في هذا المارستان عدد كبير من الأطباء منهم الطبيب بـدر الـدين المظفر بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن قاضي بعلبك (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) وقـد صنف خلال إقامته في الرقة مقالته المشهورة عن مزاج الرقة ومناخها وأحـوال هوائها [٢] ، وكان يقوم بعلاج المرضى ويواصل تعلم الطب وغيره مـن العلـوم الحكمية على الحكيم زين الدين الأعمى [٣] .

ثامناً : بيمارستان حمص : [٤]

يقول ابن نظيف الحموي : في سنة (٦٢٧هـ / ١٢٢٩م) بعد أن ذكر ما قام به السلطان الملك المجاهد صاحب حمص من عمارة عدد من القلاع [٥] فـي جهته ((كل هذا خوفاً على الرعايا ، وجدد بحمص بيمارستاناً عظيماً ، ورتب فيه ما يحتاج إليه وأوقف عليه أوقافاً ، ولم يكن قبل ذلك ، وعمّر مدرسة جميلة غيـر المدرسة النورية أولاً)) [٦] .

تاسعاً : البيمارستان القميري :

---

(١٠) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٣٤٧ ، عيون الأنباء ص٦٦٣ ، ٦٦٨ .

(١) التاريخ المنصوري ص١٥٤ حاشية رقم (٦) .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥١ .

(٣) نفسه ص٧٥١ .

(٤) لم يشر أحمد عيسى بك إلى هذا البيمارستان رغم دقته واستقصائه بين بيمارستانات بلاد الشام ، كما لم أر أحد من الباحثين المعاصرين أشار إليه فيما وقع بين يدي من المراجع .

(٥) مثل قلعة سليمة ، قلعة حمص ، وقلعة بتدمر ، التاريخ المنصوري ص٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٦) نفسه ص٢٢٢ .

أنشأه الأمير أبو الحسن يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القميري سـنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) [٧] يقول ابن كثير ((في سنة أربع وخمسين وستمائة توفي واقف مارستان الصالحية الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف ابـن أبـي الفوارس بن موسك القمري الكردي أكبر أمراء القيامرة ، كانوا يقفون بين يديـه كما تعامل الملوك وأكبر حسناته وقفه المارستان الذي يقع بسفح قاسيون)) [١] .

ويروي اليونيني قصة في سبب بنائه فيذكر أن الأمير سيف الدين القمـري كان متزوجاً بابنة الأمير عز الدين بن المحلي على صداق كبير ، وجهزت بجهاز كثير ، ثم اصطحبها معه إلى الديار المصرية فتوفيت هناك عن غير ولد ، فلمـا ملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد دمشق والشام حضر الأمير سيف الدين من الديار المصرية إلى خدمته ، وأخذ قماش زوجته المتوفاة وجهازها ومالها من الفضيات والمصاغ وغير ذلك وحمله على عشرين بغلاً ، ووزن باقي صـداقها ، ومائتي ألف درهم ، وجعلها في صناديق وحملها على البغال وسير الجميـع إلـى والدها الأمير علي بن المحلي بحكم أنه وارثها مع زوجها ، فلما وصل ذلك إلـى الأمير نور الدين أنكره غاية الإنكار ورده وقال لرسوله : ((الأكراد مـا جـرت عاداتهم يأخذوا صداقاً ولا ميراثاً فلما عاد ذلك إلى الأمير سيف الدين قـال هـذا شيء خرجت عنه ما يعود إلى ملكي ، وصرفه جميعه فـي بنـاء البيمارسـتان وأوقافه وتصدق به)) [٢].

ويقع هذا المارستان في وسط حي الصالحية بدمشق [٣] ، ويتكون من مبنى مستطيل يتوسطه صحن يحيط به من الداخل أربعة إيوانات مخصص كل إيـوان منها لاستقبال أنواع معينة من المرضى ، وقد زود إيوانه الرئيسي القبلي بحوض

---

(٧) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٣ .

(١) البداية والنهاية ج٧ ص٢٠٧، ٢٠٨ ، الذهبي : المختار من تاريخ ابن الجزري ص٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٤٤ ، ٤٥ .

(٣) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص١٣٦ ، ابن طولون : القلائد الجوهرية ج٢ ص٣٤٦ .

ماء تصب فيه مياه الشاذروان [٤]بهدف ترطيب الجو في فصل الـصيف ، وهـذه الأواوين مغطاة بقباب [١] وللمدخل مقرنصات محرابية ، وتعلو جدرانه مجموعـة من الزخارف النباتية والكتابية الجميلة التي زينت بها من الداخل [٢] .

وينقل ابن طولون وصفاً كاملاً لهذا المارستان وحسن بنائـه ومرافقـه وخدماتـه ونظامه الداخلي ، فيقول : ((أما المارستان القمري فهو من أحاسن الدنيا، يقال : إنه ليس في الدنيا بيمارستان أحسن منه ولا أشرح فإنه فيه ، هذا الإيوان المعظـم والقاعتان المعظمتان القبليات بهذه الشبابيك المشرفة على الدنيا ، وتحت الـشبابيك هذا الحوض النارنج [٣] لاسيما في أيام زهره تفوح منه هـذه الرائحـة الزكيـة فتنتعش النفوس وتزكى الأرواح ، وبه قاعتـان لـصيق القـاعتين المـذكورتين للمرضى المسهولين [٤] ، إحداهما للرجال والأخرى للنساء ، ولصيقها حاصـلان شرقي معد للشرابات والمعاجين والأكحال والأشياف [٥]والأقراص [٦] وغير ذلك ، وغربي معد لتفرقة ذلك في كل يوم اثنين وخميس للخارجين عنه وقد رأيت ذلك ، وفي شرقيه مطبخ للمزورات [٧]والفراريج وغير ذلك ، ولصيقه ميـضأة ، وفـي

---

(٤) هي آلة لفصل مياه الأنهار عند التحويل وهي ألواح خشبية متينة توضع خلفها أعمدة لتثبيتها دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ص٩٥ .

(١) الآثار التاريخية في دمشق ص١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) نفسه : ص١٢٦ .

(٣) النارنج شجرة معروفة ورقها أملس لين شديد الخضرة يحمل حملاً أملس في جوفة حمـاض كـالأترج وهي شبيهة بشجر الأترج جداً ووردها أبيض في نهاية طيب الرائحة ويتخذ منه دهن مسخن يطرد الريـاح ويقوي العصب والمفاصل وقشر ثمرته حار ورائحته تقوي القلب وينفع من الغشي . ابن البيطار : الجـامع لمفردات الأدوية ج٢ ص٤٧٠ .

(٤) انظر أنواع الإسهال ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص١٣٣ ، ١٣٤ .

(٥) اسم لما يتحمل في المقعدة ويعمل لدواء العين والذي يتحمل يسمى البندق والبلوطة والفتيلة ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٤٩ .

(٦) الأقراص : أدوية تدق وتهيأ مثل الأقراص صغاراً وكباراً ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبيـة ص٥٣ .

(٧) المزورات : الأطعمة التي لا يكون فيها شيء من اللحوم ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبيـة ص٥٣ .

غربية قاعة للمجانين ، ولصيقها حاصل للمغل ، وفي دهليز بابه الـشمالي بيـت البواب ، وبواسطه بركة عظيمة يأتي إليها الماء بناعورة مركبة على نهر يزيد ، وفيه خدم للرجال والنساء ، وكحال وطبيب ، وشرباتي ، وعامل ، ومـشارف ، وغير ذلك من التراتيب الجيدة ، وبه محفة لحمل الضعفاء ، يحصل لهم بها فـي الصالحية نفع عظيم)) [1] .

وقد جعل الأمير القميري على بيمارستانه أوقافاً عظيمة ، نقله كرد علي في خطط الشام فقال : ((قرأت في كتاب الجوامـع والمـدارس [1] صـورة وقـف البيمارستان القميري فإذا فيه : هذا وقف أبي الحسن ابن أبي الفـوارس القميـري على بيمارستانه في الصالحية على معالجة المرضى والمعاجين والأشربة وأجـرة الطبيب ، يصرف إلى الطبيب في كل شهر للواحد سبعون درهماً ونصف غرارة من قمح ، والأدنى ستون درهماً ونصف غرارة قمح ، وللمشارف في كل شـهر أربعون درهماً ونصف غرارة قمح ، وللكحال في كل شهر خمسة وأربعون درهماً ونصف غرارة قمح ، وللحوائج في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وربع غرارة قمح، وإلى ثلاثة رجال يقوم لكل من الرجال في كل شهر ثلاثة عشر درهـاً وسـدس غرارة قمح ، ولمن يقوم بمريضات النساء والمجنونات في كل شهر لكل واحـدة عشرة دراهم وسدس غرارة قمح ، وإلى الشراب وبائعه لعمل الأشربة والمعاجين في كل شهر ستة عشر درهماً وثلث غرارة قمح ، ولأمين المشارفين ، المتـولين في الوقف إلى كل واحد في كل شهر ستون درهماً وغرارة قمح وغرارة شعير ، وللإمام في كل شهر أربعون درهماً وثلث غرارة قمح ، وللمعمار المرتب لعمارته

(١) القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، المحفة : ويقصد بها محمل على أعلاه قبة ، وله أربعـة سواعد ، ساعدان أمامها وساعدان خلفها ، وهي مغطاة بالحرير ، تحمل على بغلـين أو بعيـرين يكـون أحدهما في مقدمتها والآخر في مؤخرتها ، فإذا ركب عليه صار كأنه على سرير ، وهي مـن الآلات التـي يأخذها الملوك معهم في السفر تحمل المرضى ، القلقشندي : صبح الأعشى : ج٢ ص١٤٥ .

(٢) لم أجد هذا الكتاب بعد البحث والسؤال عنه حتى نتأكد من صحة هذا النص المهم الذي نقله كرد علي ، ولكن حينما نقارن هذا النص بما قاله ابن طولون عن ابن عبد الهادي في وصف البيمارسـتان ومرافقـه الداخلية نجد أنهما يتوافقان في معظم ما هو مذكور في النصين مما يدل على صحة النص .

في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وسدس غرارة قمح ، ويكون بواباً ، وللحوايج في كل شهر ثمانية دراهم وسدس غرارة ، وللناظر العشر من المغل ، وربع الوقف ، ويعرف إلى رجلين بخدمة البيمارستان عن ثمن قدور ونحـاس وفـرش ولحـف ومخدة ، وفي كل شهر إلى قيّمه ، والمؤذن بالمسجد بقرب البيمارسـتان خمـسة وعشرون درهماً ، فإن فضل يصرف إلى فكان الأسرى من الكفار ، وبعد ذلـك عاد وقفاً على الفقراء وتاريخ الوقفية سنة اثنان وخمسون وستمائة ..)) [1]

ومن اللافت للنظر أن المصادر لم تذكر لنا أحداً من الأطباء الذين خـدموا في هذا المارستان خلال القرن السابع الهجري ، على الرغم من مكانته وعظـيم بنائه و أوقافه وخدماته ذكر المؤرخون والرحالة ((أنه لم ير في الدنيا مثله)) [2] إذ لم تصرح المصادر إلا عن طبيبين فقط ماتا في القرن الثـامن همـا الطبيـب الفاضل عماد الدين أبو بكر عثمان بن سـيف ابـن المـزين الملقـب بـالحيوان (٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) عرف بحسن المحاضرة ، أخذ الطب على جملة من أطباء عصره [3] والطبيب إبراهيم بن إسماعيل بن القاسم بن هبة ا بن المقداد القيـسي (٧٤١هـ/١٣٤٠م) الذي عرف بشغفه بعلم الحديث إلى جانب صناعة الطب [4] ومن جانب آخر أعطت المصادر تراجم لـبعض الأطبـاء الـذين عملـوا فـي البيمارستان النوري بعد وفاة ابن أبي أصيبعة ، مما يدل علـى أن البيمارسـتان القميري لم يحظ بعناية المؤرخين كما حظي بها البيمارستان النوري .

وقد تعرض هذا البيمارستان إلى التخريب سـنة (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) عندما دخلت التتار دمشق ووقع النهب في جبل الـصالحية ((فكـسرت الأبـواب والشبابيك التي فيه ...)) [5] .

---

(١) خطط الشام ج٦ ص١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) ابن طولون : الفوائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) الذهبي : معجم الشيوخ ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ج٢ ص٤١٠ ، ٤١١ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص١٩ .

(٥) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٩٩ / ٧٠٧) ٣٣ ، ٣٤ .

عاشراً : البيمارستان المنصوري في مدينة الخليل :

وهو الذي أنشاه السلطان المنصور بن قلاوون سـنة (٦٨٠ / ١٢٨١م) وأوقف عليه الأوقاف الدارة [٦] .

حادي عشر : بيمارستان جامع الصالحية :

ذكر هذا البيمارستان في ترجمة الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الوهـاب بـن احمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي الحنفي (٦٩٤هـ /١٢٩٤م) فقال العيني : ((خطيب جامع النيرب [١] ومدرس الدماغية [٢] للحنفية، وكـان طبيبـاً بجـامع الصالحية [٣] .

وقد ذكر الذهبي في ترجمته لابن سحنون فقال:((وابن سـحنون خطيـب النيرب مجد الدين شيخ الأطباء أبو محمد عبد الوهاب بـن أحمـد بـن سـحنون الحنفي)) [٤] وتدل هذه الترجمة على مكانة ابن سحنون الطبية وأنه كان من كبـار الأطباء في عصره ، بل إنه نعته بشيخ الأطباء مما يدل على شهرة هذا الطبيـب الفقيه بين الأطباء في عصره .

ونبه ابن شاكر الكتبي في ترجمته أنه كان طبيباً بالبيمارستان الـذي فـي الجبل [٥] فهو يؤكد كلام العيني أن هذا البيمارستان كان في جبل الصالحية التـي فيها الجامع المعروف بالجامع المظفري [٦] ، وأنه كان جزءاً مـن هـذا الجـامع يمارس فيه الأطباء علاج المرضى ، فهل كان في هذا البيمارستان أماكن يقيم فيها

---

(٦) العليمي : الأنس الجليل ج٢ ص١٤٢ .

(١) جامع النيرب : النيرب قرية من قرى الغوطة ، وهو جامع حسن تقام فيه الجمعة ، كانـت تقـام فيـه الدروس العلمية لبعض العلماء ، النعمي : الدارس ج٢ ص٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٢) من المدارس الفقهية المشتركة للأحناف والشافعية منشئها جـدة فـارس الـدين بـن الـدماغ سـنة (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) وعليها أوقاف حسنة ، النعيمي : الدارس ج١ ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٣) عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص٢٨٨ .

(٤) العبر : ج٣ ص٣٨٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٣٦٢ .

(٥) فوات الوفيات ج٢ ص٤١٩ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢٤٦ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام (٥٩١ / ٦٠٠) ص٤٧ .

المرضى للعلاج تصرف لهم الأدوية وهل كان يمارس فيه تعلم الطب هذا ما لم تفصح عنه المصادر !.

وقد خدم في هذا البيمارستان إضافة إلى ابن سحنون الطبيب أحمد ابن أبي بكر بن حمزة بن منصور الهمذاني الدمشقي المعروف بالجيلي (٦٩٥ / ١٢٩٥م) [1] وتعرض هذا البيمارستان للتخريب سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) لما دخلت التتار دمشق وعاثوا فيها فساداً [2] .

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٩١ / ٧٠٠) ص١٣٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٣ ص٤٤٤ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢)الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٩١ / ٧٠٠) ص١٣١

نظام البناء في البيمارستانات الشامية :.

تبرز لنا صورة المخطط العام للبيمارستان الشامي من خلال دراسة ما ورد من المعلومات في المصادر التي تكلمت عن البيمارستانات الشامية بشكل تفصيلي أو جزئي ، بحيث يمكن القول إن هناك نوعاً من المارستانات الشامية قد جمع بين كل المرافق التي يتعين وجودها فيه ، في حين أن البعض الآخر لا يحوي المرافق كلها التي يتكون منها المبنى البيمارستاني .

وسوف نوضح من خلال دراسة عامة للبيمارستان الشامي أهم ما كان يحتوي عليه من مرافق .

أولاً : اختيار الموقع :

يمثل اختيار موقع البيمارستان الخطوة الأولى في بنائه ، وهي خطوة مهمة جداً فيما يتعلق بالجوانب الصحية والبيئية التي يتصف بها الموقع . وقد اعتنى المسلمون بهذا الأمر وأولوه عناية كبيرة ، فكانوا لا يبنون البيمارستانات إلا في أفضل الأماكن وأحسنها نظافة وصحة ، كضفاف الأنهار وينابيع المياه [(١)] ، وقد جاء اختيار موقع البيمارستان النوري بحلب ليؤكد عنايتهم بإتباع الطريقة العلمية في اختيار مواقع البيمارستانات [(٢)] ، وكان اختيار الموقع بجوار الأنهار يوفر له الحصول على المياه بسهولة كما هو الحال في البيمارستان القميري الذي كان يجلب إليه الماء بناعورة مركبه على نهر يزيد [(٣)]

كما كانوا يلجأون إلى استخدام بعض المواقع المبنية كالقصور والمنازل وغيرها وتحويلها إلى بيمارستانات بعد إجراء بعض التحسينات والتعديلات ، كما هو الحال في البيمارستان الصلاحي بالقدس وغيره [(٤)] . وهذه الطرق السابقة هي

---

(١) حنيفة الخطيب : الطب عند العرب ص٢١٨ .

(٢) ابن الشحنة : نهر الذهب ج٢ ص٦٤ ، انظر البيمارستان النوري في نفس المبحث .

(٣) ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ، أبو شامة : الروضتين ج٤ ص٣٣٢ .

أكثر الطرق التي درج عليها المسلمون في بناء بيمارستاناتهم في أكثر حواضـر الدولة الإسلامية [١] .

ثانياً : مرافق البيمارستان الشامي :يشتمل البيمارستان الشامي علـى عـدد مـن المرافق من أهمها :

أولاً : قاعات المرضى [٢]: فمن الطبيعي أنه لم تخل البيمارستانات مـن قاعـات للمرضى ، أشار ابن أبي أصيبعة إلى قاعات البيمارستان النوري بدمـشق ، وأن به قاعتين كبيرتين ، واحدة للممرورين وأخرى للمحمومين . [٣] أما البيمارسـتان القميري ففيه قاعتان أيضاً للمرضى المسهولين ، مهنا قاعـة للرجـال وأخـرى للنساء[٤] ،وهناك قاعات للمجانين [٥] ، ومن المعلوم أن الفصل بين قاعات النساء والرجال أمر معمول به في كل البيمارستانات الثابتة في بلاد الشام [٦] .

ثانياً : غرف الخدمات :

وكانت البيمارستانات الشامية تحوي غرفاً متعددة للخدمات كغرف الكشف على المرضى غير المنومين [٧] ، أو غرف الإداريين وكبار الأطباء [٨] ، وهناك غرف أخرى معدة لخزن الأدوات والغلال ، وأخرى جعلت للحراس والبوابين [٩]

---

(١) ابن أبي أصيبعة : ص٤١٥ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام

(٢) يتبين ذلك من خلال وصف المخططات المعمارية لبعض البيمارستانات الشامية الكبيرة مثل النوري بدمشق وحلب والقميري بدمشق .

(٣) عيون الأنباء ص٧٣٢ .

(٤) ابن طولون القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) نفسه ج١ ص٤٦ ، ٤٧ .

(٦) ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، حريتاني محمود : البيمارستان في حلب " مقالة " أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م ص٢٦٥ .

(٧) ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء ص٧٥١، ٧٥٥، ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦، ٤٧، ٤٨

(٨) ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء ص٧٥١، ٧٥٥، ابن طولون :القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦، ٤٧، ٤٨

(٩) ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء ص٧٥١، ٧٥٥، ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦، ٤٧، ٤٨

ثالثاً : المكتبة : كان في كل بيمارستان مكتبة تضم نفائس الكتب الطبية ، وهـي بمثابة المرجعية العلمية التي يرجع إليها الأطباء وطلاب الطب في عملهم ، فقـد كان في البيمارستان النوري مكتبة كبيرة أوقفها السلطان نور الدين محمود علـى مارستانه ، وهي في الخزانتين اللتين في صدر الإيوان [١] .

رابعاً : قاعة التعليم الطبي : هو المكان الذي تلقى فيه الدروس الطبية على طلاب الطب ، ففي البيمارستان النوري كان شيخ الطب يعلم في الإيوان الكبير ويجلـس الطلبة بين يديه ، وقد فرش جميع الإيوان بفرش خاص به [٢] .

خامساً : الصيدلية : [٣]

ومن المرافق الرئيسية في البيمارستانات الشامية الصيدلية أو مـا يـسمى ((بالشراب خاناه)) وهي الأماكن التي تعد فيها الأدوية مفردة كانت أم مركبـة ، ويتم صرفها للمرضى حبوباً [٤]وسفوفاً [٥]ولعوقاً [٦]ومراهم وشرابات ومعـاجين وأكحال وأشياف وأنواع كثيرة من الأدوية ، فلم يكن يخل منها بيمارستان في بلاد الشام ، يقول ابن طولون عن صيدلية البيمارستان القيمـري : ((.. ولـصيقهما حاصلان شرقي معد للشرابات والمعاجين والأكحال والاشياف والأقراص وغيـر ذلك ..)) [٧] وكان الواقفون يولون ذلك عنايتهم ويخصصون لها من مال الوقف ما يناسبها .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(٢) نفسه ص٦٢٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٤ ص٢٤ .

(٣) سوف نتحدث بالتفصيل عن الصيدلة وأماكن إعداد الأدوية في الفصل الرابع .

(٤) وجميعها تُعمل مدورة ومطولة وصغاراً وكباراً منها للإسهال والسعال وتطييب رائحة الفم ، القمري : التنوير ص٥٩ .

(٥) اسم لما يسف من الأدوية اليابسة المسحوقة ، قاموس الأطباء ج١ ص٢٨٠ أو هي من المركبات بحسب أجرام مفرداتها السمرقندي : أصول تركيب الأدوية ص٧٩ .

(٦) ما يلعق من الأدوية ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٤٨ .

(٧) الفلائد الجوهرية : ج١ ص٤٦ ، ٤٧ .

سادساً : المطبخ :

يستخدم لطبخ الأطعمة الصحية النافعة للمرضى المقيمين للعلاج ، ذكر ابن شاهين ما كان يقدم للمرضى في البيمارستان النوري بدمشق من الأطعمة الحسنة والدجاج والحلوى والأشربة والفواكه المتنوعة [(١)] ، وابن طولون يقول : ((وفـي شرقيه مطبخ للمزورات والفراريج وغير ذلك)) [(٢)] وهو مرفق مهم لأن الأطبـاء كانوا يعدون العلاج بالأطعمة مقدماً على العلاج بالأدوية [(٣)] وذلك ما لجأت إليـه الكثير من المشافي المشهورة في العالم اليوم .

سابعاً : الحمامات والميضآت :

وكانت البيمارستانات الشامية مزودة بالحمامات والميضآت ، وهـي تعـد عنصراً مهماً في بناء البيمارستان الشامي [(٤)]

ثامناً : الحدائق :

كان البيمارستان النوري تتوسطه بحيرة كبيرة مصنوعة من الرخام تحـيط بها الورود والزهور[(٥)] ،وكان الإيوان الغربي به يستخدم للترويح عن المرضى[(٦)]، وفي البيمارستان القميري حديقة بها أصناف الورود والرياحين تفوح منها الرائحة الزكية التي تريح نفوس المرضى والمنومين داخل هذا البيمارستان [(٧)] ، كما زود إيوانه الرئيسي بحوض ماء تجري فيه المياه بهدف تلطيف الجو في فصل الصيف

---

(١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص٤٠ .

(٢) القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ .

(٣) ابن النفيس : الموجز في الطب ص٥٥ ، ٥٦ .

(٤) ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) البيمارستانات والأمن الصحي في التراث العربي مجلة الثقافة النفسية ، طرابلس ، لبنان العدد التاسع المجلد الثالث ك ١٩٩٢ ص٨٦ .

(٦) نفسه ص٨٦ .

(٧) ابن طولون القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

وعند اشتداد الحرارة [1] ، ولا شك أن الاهتمام بالحدائق في عمارة البيمارستانات تدل على فكر حضاري متقدم نشاهده اليوم في أرقى المشافي العالمية .

تاسعاً : خدمات أخرى :

ولعل من أروع الخدمات التي كانت متوفرة في البيمارستانات الشامية تلك المحفة التي كان ينقل عليها الضعفاء من المرضـى، والمـصابين مـن و إلـى البيمارستان[2] .

ومن الخدمات المتوفرة أيضاً أنه كان يسمح للمريض أن يرافق معه أهله ، زوجته أو احد أقاربه ليرعى شؤون مريضه ويقوم بمتابعته ، فابن أبي أصـيبعة يحكي قصة مريض كان يعالج في البيمارستان النوري ، وقد أجريت له عمليـة جراحية ، وقد أوصى أهله أن يتابعوه يقول : ((وكانت عنده زوجته فأوصاها ابن المطران أنها لا تمكنه من حل الرباط ، ولا تغيره بوجه من الوجوه إلى أن يبصره في ثاني يوم فلما انصرفنا وجاء الليل قال زوجها إنني قد وجدت العافية وما بقـي بي شيء ، وإنما الأطباء قصدهم أن يطولوا بي فحلي الرباط حتى يخرج هذا الماء الذي قد بقي ، وأقوم في شغلي فأنكرت عليه قوله ، ولم تقبل منه ، فعاودها بالقول وكرر عليها مرات ، ولم يعلم أن بقية المائية إنما جعلوا إخراجها في وقت آخـر مراعاة لحفظ قوته وشفقة عليه ، فلما حلت الرباط وجرت المائية بأسرها خـارت قوته وهلك)) [3] .

ومن الجدير بالذكر أنه كان يسمح للمريض بالإقامة في البيمارستان للعلاج مدة طويلة تصل أحياناً إلى سنة فأكثر ، وهو خلالها يتلقى العلاج اللازم ويجد ما يحتاج إليه من خدمات [4]

---

(1) ابن طولون القلائد الجوهرية ج١ ص٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(2) نفسه ج١ ص٤٨ .

(3) عيون الأنباء ص٦٥٦ .

(4) الذهبي : معجم الشيوخ ج٢ ص٢٢٤ ،تذكر المصادر أن الملك المعظم مظفر الدين كو كبوري ابن زين الدين علي بن كوجك بن بكتكين صاحب أربل كانت له أعمال بدمشق منها أنه ((بنى داراً للنساء الأرامل ،

ثالثاً : الهيئة الإدارية والتنظيمية في البيمارستان الشامية :

يتولى إدارة البيمارستانات عدد من الموظفين الذين يعينهم في الغالب واقف البيمارستان أو ناظره ، وهم الذين يتولون إدارة البيمارستان والقيام بأعماله وتقديم الخدمة للمرضى ، وقد أفصحت وقفيات البيمارستانات فـي العـصرين الأيـوبي والمملوكي على الهيئة الإدارية والتنظيمية التي تتولى أعمال البيمارستانات وتدير شئونها ، وبينت مهام كل موظف ومرتبه وكيفية تعيينـه ، وقـد نـصت وقفيـة البيمارستان القميري [1]وغيرها على أسماء بعض هؤلاء الموظفين وبينت مهامهم ومرتباتهم وكيفية تعيينهم ، وسوف أذكر أهم هؤلاء الموظفين وأعمـالهم وكيفيـة تعيينهم وما يصرف لهم من المرتبات :

أولاً : ناظر البيمارستان :

وهي من اجل الوظائف وأعلاها شأناً [2] . وهو المسئول المباشـر علـى الشئون الإدارية المالية في البيمارستان ، وإليه يرجع جميع الموظفين فيه [3] ، ولا يشترط فيه أن يكون طبيباً ، فقد يكون فقيهاً أو محدثاً أو تاجراً أو أميراً أو غيـر ذلك [4] ويتم تعيينه من قبل الواقف ، وهو ما نصت عليه نـسخة توقيـع بنظـر

وداراً للصغار والأيتام ، وداراً للقطاء ، ورتب بها جماعة من المراضيع ، وكل مولود يلتقط يحمل إلـيهن= =فيرضعنه ، وأجرى لأهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم . وكان يدخل إليها في كـل وقـت ويتفقـد أحوالهن ويعطيهن النفقات زيادة على المقرر لهن ، وكان يدخل إلى البيمارستان ويقف على كل مـريض ، ويسأله عن مبيته وكيفية حاله ..)) وهذه الأعمال السالفة تدخل ضمن الرعايـة الـصحية المقدمـة إلـى المجتمع الشامي آنذاك ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٥ ص٥٥ ، ٥٦ .

(١) كرد علي : خطط الشام ج٦ ص١٥٨ ، نصت وقفية البيمارستان القميري على بعض المـوظفين مـن العاملين به ، وقد استوفيت بقية الموظفين في الهيئة الإدارية والتنظيمية من وقفية البيمارستان المنصوري بالقاهرة حتى تتكمل الصورة عن الهيئة الإدارية في هذا العصر خصوصاً وأن البيمارستان المنصوري بني في القرن السابع الهجري خلال العصر المملوكي والشام نيابات للمماليك بمصر .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج١ ص٣٩ ، ٤٠ .

(٣) عطية جميل : تنظيم صنعة الطب ، مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص٥٤٢.

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٨٢ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٩٢ ، ج١٠ ص٢٣٧ ، ج٢٢ ص١٣٨ ، ١٣٩ .

البيمارستان النوري بدمشق حيث جاء فيه ((رسم .... لا زال يطلع فـي سـماء المناصب السنية من ذوي الأصالة والكفاية شهاباً ، ويوزع المستحقين بجهات البر شكره إذا اختار لهم من أهل النهضة من ارتدى العفاف جلبابا ، ويودع صـحائف الأيام ذكره الجميل حين قربات الملوك الملك السالفين بانتخاب من يجدد لهم بحسن المباشرة ثواباً – أن يحمل مجلس الأمير .. فلان أعز ا تعالى فيما هو بيده مـن نظر البيمارستان النوري بدمشق المحروسة ، وعلى حكم التوقيع الكريم والولايـة الشرعية اللذين بيده ، واستقراره في ذلك بمقتضاهما استقراراً يبـسط فـي هـذا المنصب يده ولسانه ، ويظهر شهاب عدله الذي يحرمه مـن الجـور شـيطانه ، ويبرز من مباشرته ما عرف جوهره بحسن الانتقاء وإبريزه بحسن الانتقاد ، ومن تأثيره ما تبلغ به الأنفس المراد بأوسع مراد ، ويبدي من تدبيره ما ينـتج تمييـز الوقف وتثميره . فليباشر ذلك على عادة مباشرته الحسنة ، ويسلك فيها ما عهد من طريقته المستحسنة ، محصلاً من المفردات ما يصرفها لمستحقيها وقت الحاجـة إليها ، مثابراً على حسن معالجة المضرور الذي لا تقدر يده من العجز عليهـا ، موصلاً فعل الخير باستمرار صدقات الواقف يـشاركه فـي الأجـر والثـواب ، مستجلباً له من الدعاء ولنا بمشاركته في الأمر بالعمل بسنته إلى يـوم المـآب ، ضابطاً أموال هذه الجهة بتحرير الأصول والطلق والحساب والحساب متقدماً إلى الخدام والقومة بحسن الخدمة للعاجز والضعيف ، مؤكداً عليهم في أخذهم بـالقول اللين دون الكلام العنيف ، ملزماً لهم بجودة الخدمة ليلاً ونهاراً ، مؤاخذا لهم بمـا يخلون به من ذلك إهمالاً وإقصاراً ، متقدماً إلى أرباب وظائف المعالجـة ببـذل النصيحة ، واستدراك الأدواء المسقمة بإتقان الأدوية الصحيحة ؛ ويتفقد الأحـوال بنفسه : ليعلم أهل المكان أن وراءهم من يقابلهم على التقصير ، ويبذل في ذلـك جهده فإن الاجتهاد القليل يؤثر الخير الكثير . والوصايا كثيرة وعنده من التـأدب بالعلم وحسن المباشرة ما فيه كفاية ، وفي أخلاقه من جميل المآثر ما حـازه فـي البداية ما ينفعه في النهاية ؛ ولكن تقوى ا عز وجـل هـي الـسبب الأقـوى ، والمنهل الذي من ورده يروي ؛ فليجعلها له ذخيرة ليوم المعـاد ، ومعقـلاً عنـد

الخطوب الشداد ، وا تعالى يبلغه من التوفيق الأمل والمراد ، بمنـه وكرمـه ، والاعتماد ... إن شاء ا تعالى » [1] وهذا النص يشير إلى كثيـر مـن صـفات الناظر ومهامه التي أسندت إليه والتي يمكن أن نورد منها ما يلي:[2]

أولاً : تنمية مواد الأوقاف وتثميرها .

ثانياً : إصلاح الأوقاف وصيانتها لتعود منفعتها على الأصل الموقوفة عليه .

ثالثاً : العمل بنص وقفية الواقف .

رابعاً : حفظ الحسابات ومراجعة ما يصرف من الأموال بشكل دقيق .

خامساً : متابعة عمل الموظفين داخل البيمارستان ومراقبة سير عملهم ليلاً ونهاراً لخدمة المرضى .

سادساً : مراقبة عمل الأطباء والصيادلة والإشراف على عملهم .

سابعاً : متابعة ذلك كله بنفسه دون غيره ليظهر للعاملين رقابتـه علـيهم وقـوة ملاحظته لهم وذلك بأسلوب حسن وأدب جم .

ثامناً : ومن أجلّ صفاته التي ينبغي أن يتحلى بها النـاظر تقـوى ا ومراقبتـه واحتساب الأجر والثواب على ما يقوم به من هذه الأعمال .

هذا ما أشار إليه نص التعيين لناظر البيمارستان النوري وإلا فهناك مهام غير مـا ذكر أشارت إليها نصوص وقفيات بعض البيمارستانات الأخرى [3].

أما ما يتقاضاه الناظر من الرواتب فهو ما يقرره الواقـف حـسب نـص الوقفية ، فقد جاء في نص وقفية البيمارستان القميري أن للناظر العشر من المغل وربع الوقف [4] .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج١٢ ص٨٣ ، ٨٤ .

(٢) انظر بعض وقفية البيمارستان المنصوري ، ووقفية الأمير عبد الرحمن تخذا ص١٣١ ، ١٤٧ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص١٤٩ ، ١٥٨ .

(٣) انظر وقفية البيمارستان المنصوري ووقفية الأمير عبد الرحمن تخذا ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص١٣١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٨ .

(٤) كرد علي : خطط الشام ج٦ ص١٥٨ .

ويدخل تحت إشراف الناظر عدد من الموظفين الذين يتولى الإشراف عليهم ومراقبة عملهم وما يصرف لهم من الرواتب حسب ما هو مقرر في نص وقف كل بيمارستان وهؤلاء الموظفين هم :

أولاً : **رئيس الأطباء** : ((وهو الذي يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم في التطبيب)) [1] ، وذلك على اختلاف تخصصاتهم كالكحالين والجراحين ، والمجبرين وغيرهم ، وكانوا يكتبون بذلك مرسوماً يتقلد به الطبيب هذا المنصب الرفيع . فالقلقشندي ينقل لنا نصوصاً طويلة بتقليد بعض الأطباء يبين فيها التقاليد السائدة في تعيين الأطباء على تلك الوظائف [2].

وقد كان هذا الاختيار مبنياً على ما يتمتع به من علم ومعرفة بالطب في جوانبه العلمية والعملية [3] ، إضافة إلى علاقته القوية بسلطان عصره ومدى ثقته به[4] .

وكان رئيس الأطباء يتولى العديد من المهام الإدارية والمهنية [5] ، وتنظيم الأمور التعليمية ، وامتحان الأطباء وتدريبهم عملياً داخل البيمارستانات [6]

ويدخل تحت هذه الفئة الأطباء الآخرون والكحال [7]، وقد تقرر لهم من الرواتب بالنسبة للطبيب الواحد منهم في كل شهر سبعون درهماً ونصف غرارة قمح [8] ، وللكحال في كل شهر خمسة وأربعون درهماً ونصف غرارة قمح [9]

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج١١ ص٣٧١ .

(٢) نفسه ج١١ ص٣٧١ ، ٣٧٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٦٧١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج١١ ص٣٧١ ، ٣٧٦ .

(٤) نفسه ص٥٧٢ ، ٥٧٣ .

(٥) ابن أي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(٦) نفسه : ص٦٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ .

(٧) كرد علي : خطط الشام ج٦ ص١٥٨ .

(٨) نفسه ج٦ ص١٥٨ .

(٩) نفسه ج٦ ص١٥٨ .

ثانياً : المباشـرون : وهم جملة الموظفين الإداريين في البيمارستان [١٠] ومـنهم

١- **المشارفون** [١] ويصرف للمشارف أربعون درهماً نصف غراة قمح [٢] .
٢- **أمين المشارفين** ، ويصرف له ستون درهماً وغـرارة قمـح وغـرارة شعير[٣] .
٣- **المتولون** : ومرتبه ستون درهماً وغرارة قمح وغرارة شعير [٤] .
٤- **الشّاد :** ومهمته ((التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل مـن السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك ...)) [٥] .
٥- **كاتب الديوان المارستاني** : ويقصد بهذا الديوان ما يتعلـق بالأوقـاف أو بالرواتب أو بهما [٦] .

ثالثاً : الصيدلاني أو ((الشرباتي)) [٧]

---

(١٠) دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص١٣٤ .

(١) يدخل في ((عمل المشارف طلب التفاصيل الكاملة عن أي جهة من الجهات الطبية التي تقع في دائرة عمله ؛ ويدخل في عهدته جميع المحصلات المالية بعد ختمها)) ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) كرد علي : خطط الشام ج٦ ص١٥٨ .

(٣) نفسه ج٦ ص١٥٨ .

(٤) نفسه ج٦ ص١٥٨ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٢٢ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعـشى ج٣ ص٥٦٧ ، ج١١ ص٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، قـال الـذهبي ((وابن الأوحد الفقيه شمس الدين عبد ا بن محمد بن عبد ا ابن علي القرشـي الزبيـدي روى عـن الافتخار الهاشمي ، وكتب بديوان المارستان النوري توفي سنة (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) العبر ج٣ ص٣٣٨

(٧) أما المكان الذي يعملون فيه يقال له ((الشراب خاناه)) أي بيت الشراب وهـو يحتـوي علـى أدوات الشراب النفيسة وأنواع الصيني الفاخرة والشوك والكيزان والطاسات النحاسية ، وكذلك على أنواع مختلفة من المشروبات الحلوي والسكر والفواكه والعطريات والأدوية والعقاقير إذا كانت أشبه بالصيدلية الملكيـة ، القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٩ ، البقلي : التعريف بمصطلحات صبح العشى ص١٩٦ .

وهو الذي يقوم بتحضير وإعداد الأدوية للمرضى في البيمارستان من طباخي الشراب وصانعي المعاجين والأكحال والأشربة والمسهلات المفردة والمركبة [٨]

وبعد إعداده يقومون على المرضى المنومين في أوقات وأيام مخصصة حسب إشارة الطبيب [١] وقد قرر له الواقف في كل شهر ست وعشرون درهماً وثلث غرارة قمح [٢]

رابعاً : المعمار : وهو متولي عمارة البيمارستان وصيانته [٣] ، وقد تقرر له من الرواتب ثلاثة عشر درهماً وسدس غرارة قمح [٤] .

وهناك وظائف أخرى كالإمام ، والمؤذن ، ومقرئ القرآن ، قرر لهم كتاب الوقف رواتب تخصهم للإمام : في كل شهر أربعون درهماً وثلث غرارة قمح ، وللمؤذن خمسة عشر درهماً [٥] .

وكان العمل اليومي في البيمارستان يتم وفق نظم معينة وطرق محددة يتعارف عليها الأطباء ، فهم يدخلون إليه في الصباح الباكر ويقومون بالكشف على المرضى كل حسب مرضه وفي المكان المخصص له داخل البيمارستان[٦] ، فقد كان الأطباء في البيمارستان النوري ((يبكرون إليه في كل يوم ويتفقدون المرضى ، ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم)) [٧] وكان الأطباء يقومون بكتابة ما يستجد في حالة المريض والدواء

---

(٨) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستان وقفية الأمير عبد الرحمن تخذا سطر ٧١ ، ٧٢ ، جميل عطية : تنظيم صنعة الطب ص٥٤٤ .

(١) ابن طولون : القلائد الجوهرية ج٢ ص٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢) كرد علي : خطط الشام ج٦ ص١٥٨ .

(٣) ومهمته ابتياع الأصناف واستعمال الصباغ ومرمة الأوقاف وغير ذلك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستان ص٨٩ .

(٤) كرد علي : خطط الشام ج٦ ص١٥٨ .

(٥) نفسه ج٦ ص١٥٨ ، ١٥٩ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ص٢٥٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٢ .

(٧) نفسه ص٢٥٥ .

المناسب لتلك الحالة فيما يسمى (بالدستور) هو الملف الطبي الذي يسجل فيه كل ما يتعلق بحالة المريض ونوع مرضه والأدوية التي تناسبه [٨] .

ومن المعروف في نظام البيمارستانات أن هناك من يقوم بتسجيل أسماء المرضى المنومين داخل البيمارستان يقول ابن جبير واصفاً ذلك النظام في البيمارستان النوري : ((وله قَومةٌ بأيديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها من الأدوية والأغذية وغير ذلك)) [١] .

وقد كان للأطباء زي ولباس يتعارفون عليه بينهم ، وهو زي للأطباء المسلمين يلبسونه حين ممارستهم لعملهم ، وهذا الأمر يحكيه ابن أبي أصيبعة عن الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني لما دخل دمشق وهو يلبس زي الأطباء النصارى ((كوفية وتحفيفة صغيرة وجوخة ملوطة زرقاء)) ، قال له موفق الدين ابن المطران وكان ابن سقلاب يقرأ عليه : ((هذا الزي الذي أنت عليه ما يمشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين ، وإنما المصلحة أن تغير زيك ، وتلبس عادة الأطباء في بلادنا ، وأخرج له جبة واسعة عنابية وبقياراً [٢]مكملاً وأمره أن يلبسهما)) [٣] .

ومن الملاحظ أن هناك أماكن أخرى كان يمارس فيها الأطباء علاج المرضى خارج البيمارستان ، هي تلك الدكاكين الخاصة التي كان يجلس فيها الأطباء لمعالجة المرضى ووصف الأدوية لهم ، ولا يستبعد أنه كانت تدور بها مناقشات ودروس علمية تتعلق بمسائل في الطب ، فمن ذلك ما يقرره ابن أبي أصيبعة عند ترجمته للطبيب أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي

---

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣١ ، الرهاوي : أدب الطبيب ، تحقيق مريزن عسيري ، مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ص٢٦٥ .

(١) الرحلة ص٢٥٥ .

(٢) كلمة فارسية معناها السجاد الأسود المصنوع من وبر الجمل وهي نوع من العمائم الكبار يلبسها الوزراء وأصحاب القلم ، دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ص٣٦ ، ٣٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٤ .

الأندلسي (٦١٢هـ /١٢١٥م) أنه كان يجلس في دكان له بجيرون [٤] يطب فيه[٥] كذلك رضي الدين الرحبي (٦٣١هـ/١٢٣٣م) في أنه كان ملازماً لدكان له يعالج فيه المرضى [١] وأن الطبيب عمر بن علي القلعي ابن البذوح (٥٧٥هـ/١١٧٩م) كان له (دكان عطر باللبادين [٢] يجلس فيها) ويعالج من يأتي إليه أو يستوصف منه، وكان يهيئ عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقـراص والسفوفات وغير ذلك ، ويبيع منها وينتفع الناس بها ، وقد بقي على هذه الطريقة حتى كبر سنه وقلت حركته ، فكانوا يحملونه على المحفة حتى يقعدونه في دكانه فيعالج المرضى[٣] .

أما الطبيب المظفر بن علي بن ناصر القرش الطبيـب (٦١٢ /١٢١٥م) فكان له دكان في الخوصين بدمشق يجلس فيه ويعالج الناس احتساباً [٤] .

كما أن النجم الكحال ابن الصفي العبادي (٦٦١ / ١٢٦٢م) كان يمارس صناعة الكحالة في دكان له في اللبادين ، وهو ممن برع في مهنة الكحالة [٥]

وكان الطبيب أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد ا الغساني الأندلسي (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) ممن برع في علاج العيون وله دكان يعالج فيه باللبادين [٦]

---

(٤) جيرون : أحد أشهر الأبواب الكبرى لمدينة دمشق ، الشهابي: قتيبة : أبوب دمشق وأحداثها التاريخية ص٢٤٩ ، ٢٥٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٤، ٦١٥، الصفدي :الوافي بالوفيات ج١٧ص٦٢٣،٦٢٤،٦٢٥

(١) عيون الأنباء ص٦٧٢ .

(٢) أحد أحياء دمشق الكبرى ، إبراهيم زعرور وزميله : معجم أطباء المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى ص١٢٨ ، حاشية رقم (٣) .

(٣) نفسه ص٦٢٩ .

(٤) نفسه ص٦٨٢ .

(٥) أبو شامة : : الذيل ص٢٢٦ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٠ ، ٦٣١ .

المبحث الرابع : المكتبات وخزائن الكتب :

ازدهرت دور الكتب والمكتبات خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهي دليل على نهضة علمية شاملة شهدتها بلاد الشام في جميع العلوم .

والدارس للحركة العلمية الطبية في بلاد الشام في هذين القـرنين يلاحـظ غزارة في الإنتاج العلمي لدى الأطباء بالشام ، فمن خلال تتبع مصنفات الأطبـاء الذين عاشوا في فترة البحث نجد غزارة في الإنتاج إضافة إلى مـصنفات جديـدة ومبتكرة قد تصل إلى أكثر من مئتين وخمسين مصنفاً في الطب وفروعه .

وقد يقف الباحث عاجزاً أمام قلة المعلومات التي تتحدث عن دور الكتـب الطبية في بلاد الشام وذكر تفصيلاتها ، رغم انتشار خزائن الكتب العامة والخاصة في بقية العلوم ، ولا شك أن الطب كان من ضـمنها ، إلا أن الـدارس لـبعض المصنفات الطبية في هذا العصر يرى من خلال دراسته لهـا ومعرفـة مـوارد مصنفاتها أنه أمام مكتبة طبية ضخمة كانت بين أيدي هؤلاء الأطباء ، والبـاحثين مما يجعلنا نتساءل هل كانت هذه الكتب ضمن مكتبـاتهم الخاصـة أم أنهـا مـن مقتنيات المكتبات العامة .

ويمكن أن نستجلي هذا الأمر من خـلال إلقـاء الـضوء علـى بعـض من تلك المصنفات لنؤكد ما ذهبنا إليه ، فـابن المطـران فـي كتابـه (بـستان الأطباء وروضة الألباء) ينقل من أكثر من مئـة وثمـانين كتابـاً مـن أغـرب وأندر الكتب الطبية اليونانية والفارسية والعربية ممن سبقه من الأطباء كأبقراط ، وجالينوس ، وابن سيناء ، والرازي ، وابن الجزار [1] ، وابن أبي الأشـعث [2] ،

---

(1) أحمد بن إبراهيم بن خالد بن الجزار ، من أهل القيروان ، أخذ الطب عن عمه أبي بكر ولازم إسـحاق بن سليمان الطبيب ، طب للأمراء العبيديين ، وألف في الطب والأدب والتاريخ ، منها كتاب (زاد المسافر وقوت الحاضر) و (سياسة الصبيان وتدبيرهم) و (رسالة في مداواة النسيان) وكتـاب (العطـورات) وغيرها توفي سنة ٣٩٦هـ/٩٨٠م انظر ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٨٨ ، ٨٩

وأرسطو[١]، وإسحاق ابن حنين[٢]، والبيروني ، واهرن ابن أعين ، وابن هندو[٣]، الفارابي [٤]، وابن ماسويه [5]وغيرهم كثير من مشاهير الأطبـاء والحكمـاء إذ لا غرابة أن يقول عنه ابن أبي أصيبعة : إنه كان في حوزته أكثر من عـشرة آلاف مجلدة في الطب [٦] وهو ينقل عنها بالنص مما يؤكد أن تلك الكتب كانت بين يديه ينسخ منها [٧] .

وابن البيطار أيضاً في كتابه الأدوية المفردة يـصرح بمنهجـه فيقـول : (واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفـضل دياسـقوريدس بنصه ، وكذا فعلت أيضاً بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست المقالات من مفرداته بفصه ثم ألحقته بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنيـة

---

(٢) أحمد بن أبي الأشعث أبو جعفر درس الطب في الموصل ، كان من أفاضل الأطباء وله في الطب كتـب كثيرة منها ، (الأدوية المفردة) و (الغاذي والمغتذي) توفي سنة ٣٦٠هـ / ٩٦٠م ابن أبي أصـيبعة : عيون الأنباء ص٣٣١ ، ٣٣٢ .

(١) أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين ، درس الطب والفلسفة في أثينا على شـيخه أفلاطـون وتفـوق فـي الفلسفة حتى صار علماً فيها له كتب أكثرها في الفلسفة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢١، ٢٨

(٢) طبيب عاش في العصر العباسي وممن تولى ترجمة كتب اليونان في الطـب وغيـره خـدم الخلفـاء العباسيين بالطب وصنف فيه كتب منها (الأدوية المفردة) و(تاريخ الأطباء) وغيرها توفي سنة ٢١٥هـ / ٢٤٨م ،البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص٢٦ ، ٢٧ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢٧٤ ، ٢٧٥

(٣) فيلسوف وطبيب ممن امتاز بالشعر والحكمة نشأ في نيسابور في أيام عضد الدولة وتوفي في مدينة جرجان سنة ٤٥٠هـ / ١١٢٩م له من الكتب كتاب (مفتاح الطب) و (النفس) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٢٩ ، ٤٣٥ .

(٤) محمد بن محمد بن طرفان أبو نصر الفارابي ، من كبار الفلاسفة في الإسلام عاش في بغداد وتنقل بين مصر والشام واتصل بسيف الدولة الحمداني توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م لـه كتـب كثيـرة فـي الفلسفة منها (إحصاء العلوم) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) البيهقي : تاريخ حكماء الإسـلام ص٤١ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠٣ ، ٦٠٩ .

(5) هو احد كبار المترجمين والمؤلفين في عهد الخليفة هارون الرشيد ، عمل طبيباً عنده وعنـد أبنـاءه الأمين والمأمون ، كان موصوفاً بحدة الذكاء توفي سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٣م له من الكتب كتاب (البرهـان) و (وجامع الطب) وغيرها ، ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٩٥ .

(٦) عيون الأنباء ص٦٥٥ .

(٧) بستان الأطباء ص٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، انظر باقي صفحات الكتاب وسوف أقدم دراسة وافية عن هذا الكتاب في الفصل الخامس إن شاء ا .

والحيوانية ما لم يذكراه ، ووصفت فيها عن ثقات المحدثين ، وعلماء النباتيين مـا لم يصفاه واستندت في جميع تلك الأقوال إلى قائلها ، وعرفت طرق النقـل فيهـا بذكر ناقلها ..) [1] فهو يسند إلى أكثر من مئة وخمسين عالم في علم النبات مـن جميع الأقاليم ، وينص على كلامهم في كتبهم ، وهذا يعني أن لديه مكتبة كبيـرة مملوءة بالكتب الطبية في الأدوية وغيرها من كل أقطار الدنيا ، وإذا كنا لا نعلـم عن هذه المكتبة شيئاً إلا أننا يمكن أن نؤكد أنها كانت بالشام وأن ابن البيطار قـد أفاد منها في تأليفه لمصنفاته [2] .

أما الكتاب الثالث فهو كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابـن أبـي أصيبعة ، فموارده في هذا الكتاب تزيد على مئة وخمسين كتاباً في الطب وتراجم الأطباء والحكماء من الذين لم يعاصرهم أو يلتقي بهم في حياته وهو يشير كثيـراً في مصنفه هذا أنه جمع كثيراً من الكتب الطبية وتبادلها مع أطباء عـصره [3] ، وهكذا تكشف دراسة موارد الأطباء في مصنفاتهم ضخامة المكتبة الطبية الـشامية وما كانت تشتمل عليه من كتب في كل فروع العلوم الطبية .

وانتشرت المكتبات ، وخزائن الكتب في هذا العصر فكـان منهـا العامـة والخاصة ، وألحقت المكتبات بدور العلم كالمساجد والمـدارس والبيمارسـتانات وبعض الربط [4] ، وقد أسهم السلاطين والوزراء والعلماء في إثراء تلك المكتبات والخزائن بالكتب الموقوفة عليها [5] ، ولذا يعد الوقف مصدراً مهماً ورئيساً فـي تزويد المكتبات بالكتب [6] .

---

(١) الأدوية المفردة ج١ ص٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠١ .

(٣) نفسه ص٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧٥٢ .

(٤) جمع رباط ، والرباط والمرابطة : الملازمة ضغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيلـه ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً ، ابن منظور : لسان العرب ج٧ ص٣٠٢ . مادة ربط .

(٥) سبط ابن الجوزي ج٨ ص٣٠٦ ، ٧١٣ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٩٨، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٣١٤ .

(٦) حمادة محمد ماهر: المكتبات في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ ص١٧٢ .

كما أن بيع الكتب من المصادر المهمة في تزويد المكتبات العامة والخاصة بالكتب ، فسوق الكتب بدمشق [1] كانت ترد إليه الكتب من الأقاليم لتباع فيه [2] ، ومن الأمثلة على ذلك أنه وصل إلى دمشق تاجر كتب من بلاد العجـم ، ومعـه نسخة ، أو كتاب طب هي شرح ابن أبي صادق [3]لكتاب (منافع الأعـضاء فـي الطب لجالينوس) في غاية من الحسن بخط مصنفها ، وهي أول نسخة مـن هـذا الكتاب تدخل بلاد الشام فاشتراها والد ابن أبي أصيبعة منه ، ثم اسـتعارها منـه الطبيب عز الدين السويدي ونسخ منها نسخة في غاية الحسن والجودة [4] .

كما دخل دمشق أعجمي آخر يبيع الكتب في سوقها وكان معه كتاب للإمام فخر الدين الرازي ، فأخذه أحد تلامذتـه بدمـشق الطبيـب عبـد الحميـد بـن الخسروشاهي (٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) وقبله ووضعه على رأسه وقال : هذا خـط الإمام [5] .

وقد لجأ كثير من الأطباء إلى نسخ الكتب بأنفسهم أو استئجار نساخ مهـرة لذلك . إذ كانوا يعدون نسخ الكتب من الوسائل والطرق التي يتعلمون بها الطب ، فقد درج على ذلك كثير من أطباء الشام ، ولعله كان من أهم أهدافهم فـي ذلـك

---

(١) من أشهر باعة الكتب بدمشق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن شمس الـدين الجـزري الكتبـي الملقب ((بالفاشوشة)) (٧٠٠ / ١٣٠٠م) كان تاجراً للكتب بدمشق خبيراً بها ، وكان له بها دكان يبيع فيه الكتب في كل فنون العلم ومنها الطب وكان في دكانه فقط من الكتب خمسة ألف مجلـد فلمـا احترقـت سوق اللبادين ذهبت كل كتبه إلا ما بقي عند الناس عارية ، وهذا العدد من الكتب يدل على كثـرة الكتـب المعروضة للبيع الصفدي : الوافي بالوفيات ج٥ ص٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٢) القفطي : أنباه الرواة ج٤ ص٨٠ ، ٨٥ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٢ ص٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٤ ص٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٣) عبد الرحمن بن علي بن أحمد ابن أبي صادق النيسابوري ، طبيب بارع من تلاميذ ابن سيناء وكانـت له عناية بكتب جالينوس وأبقراط ، توفي سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م ، ابن أبي أصـيبعة : عيـون الأنبـاء ص٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٤) عيون الأنباء ص٧٥٨ ، ٧٦١ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١ ، ١٦٢ .

الخوف من أغلاط النساخ ووقوعهم في التصحيف [٦]، فمن هؤلاء الأطباء أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي البياسي (٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ((كتب بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيره)) [١] .

وممن تميز في هذا المجال الطبيب موفق الدين أسعد ابن المطران (٥٨٧هـ /١١٩١م) فقد كان ((في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبداً ولهم الجامكية [٢]والجراية)) [٣] وكان من أشهر هؤلاء النساخ جمال الدين بن الجمالة الذي اشتهر بخطه المنسوب[٤] كما نسخ هو بنفسه كتباً كثيرة في الطب [٥] .

يقول الصفدي : إنه اشترى نسخة فريدة من كتاب (الحاوي الكبير في الطب) في ستة عشر مجلداً بخط موفق الدين ابن المطران الجميل وهي في أجزاء صغار [٦]

وكتب لنفسه الطبيب فخر الدين الساعاتي كتباً في الطب وكان خطه غاية في الجودة [٧] .

وممن كتب بخطه كتباً في الطب والهندسة والعلوم الرياضية أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المهندس (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) وقد وجد ابن أبي أصيبعة بخطه الكتب الستة عشر لجالينوس [٨] وكان للطبيب يوسف بن

---

(٦) تغيير اللفظ والمعنى ، نكري عبد النبي الأحمدي : موسوعة مصطلحات جامع العلوم (الملقب بدستور العلماء) تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ص٢٥١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٦ .

(٢) جمعها جوامك وهي ما يرتب من مال ومطعم وملبس وغير ذلك ويقال لمن يستحقها أصحاب الجوامك ، الصفدي : تحفة ذوي الألباب ج٢ ص١٤٠ حاشية رقم (٢) .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٩ .

(٤) نفسه ص٦٥٥ .

(٥) نفسه ص٦٦٢ .

(٦) الوافي بالوفيات ج٩ ص٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٠ .

(٨) نفسه ص٦٧٣ .

حيدرة بن الحسن الرحبي (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) دكان يعالج فيه وينسخ فيـه كتـب الطب [٩] ولم يكن يخلو دكانه من حوارات علمية ومناقشات في مسائل طبية .

وكان عز الدين السويدي (٦٩٠هـ / ١٢٩١) يكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب [١] ، يمدحه ابن أبي أصيبعة بقوله : ((وكل واحد من خطيـه فهو أبهى من الأنجم الزواهر وأزهى من فاخر الجواهر ، وأحسن مـن الريـاض المونقة ، وأنور من الشمس المشرقة))[٢] ، وقد كتب بذلك كتبـاً فـي الطـب لا تحصى ، منها ثلاث نسخ من كتاب (القانون لابن سيناء) [٣] ونسخ الطبيب عبد الرحيم بن علي الدخوار أكثر من مئة مجلدة في الطب [٤]

واشتهر في بلاد الشام نساخ امتهنوا الوراقة [٥]واتخذوها حرفة يتكـسبون منها ، فقد برز من هؤلاء النساخ الكاتب محمد بن خالد بن محمد بن نـصر بـن صغير (٥٨٨هـ / ١١٩٢م) كان خطه يماثل خط ابن البواب ، وترقـى حتـى شغل منصب الوزارة في دولة نور الدين محمود [٦] ، واشتهر من النساخ أيـضاً أبو الحسن بن أبي جرادة الوراق الحلبي الذي عرف بجودة خطه وضبطه [٧]

وكان الشريف الناسخ شمس الدين محمد بن الحسيني من أفاضـل النـساخ وكان خطه منسوباً في نهاية الجودة ، لمهارته في العربية ، كان ابن أبي أصيبعة

---

(٩) نفسه ص٦٥٥ .

(١) علي بن هلال أبو الحسن الكاتب المشهور بالخط الذي لم يرزق أحد مثله ، قرأ النحو على ابـن جنـى وكان لا يلحق في خطه ، من أقواله : ((ما كتبت يوم السبت مثل يوم الخميس قط) ومعنى ذلك أن الكتابة تقوى بالإدمان وتضعف بالترك ، توفي سنة (٤١٣هـ / ١٠٢٢م) ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ ، ٧٦٠

(٣) نفسه ص٧٥٩ ، ٧٦٠ .

(٤) عيون الأنباء ص٧٢٨ .

(٥) (اسم لمن يكتب المصاحف والكتب وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الـورق – الكاغـد – وراق) يقول ابن خلدون : ((وجاءت صناعة الورافين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد بسائر الأمور الكتبية ، السمعاني : الأنساب ج٥ ص٥٨٤ ، المقدمة : ص٣٩٢ .

(٦) ابن العديم : بغية الطلب ج٧ ص٣٠٩٧ ، ابن الصابوني : تكملة إكمال الكمال ص٣٣٩ .

(٧) القفطي : أنباء الرواة ج٢ ص٢٨٦ .

يعتمد عليه في نسخ الكتب [1] ، ومن النساخ كذلك سرايا بـن خـزرج مملـوك السلطان المعظم عيسى كان يكتب له كتب العلم [2] .

وكان بعض النساخ يضيفون التذهيب إلى ما ينسخونه من الكتب فيزيد من قيمة الكتاب [3] فمن هؤلاء موفق الدين خالد بن محمـد بـن نـصر القيـسراني (٥٨٨هـ / ١١٩٢م) [4] وكذلك مظفر بن محاسن بن علي الموصلي الدمشقي ، كان كاتباً ومذهباً [5] ولأهمية هذه المهنة ورواجها وجد من يعلمها بـأجر ، فقـد عرف عن محمد بن أحمد بن بريك البرفطي (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) أنـه يعلـم الناس مهنة النسخ وقد حصّل من ذلك مالاً كثيراً [6] .

وكان الأطباء بالشام يحرصون على تبادل الكتب الطبية التي ألفوها أو التي كانت بحوزتهم وذلك عن طريق التهادي ، وهي وسيلة مهمة من وسـائل تزويـد المكتبات العامة والخاصة بالكتب المتخصصة [7] .

فابن أبي أصيبعة يذكر أن تصانيف الطبيب موفق الـدين عبـد اللطيـف البغدادي كانت تصله على الدوام ، وقد أرسل له منها أشياء بخطه [8] ، كمـا أن الوزير أمين الدولة أبو الحسن بن غزال قد كتب إلى ابن أبي أصيبعة يطلب منـه نسخة من كتابه (عيون الأنباء) فنسخ له منه نسخة فاخرة وبعث بها إليه [9] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٣ ، ٨٢٨ .

(٢) حاجي خليفة مصطفى بن عبد ا القصطنطيني : كشف الظنون ، دار الفكر بيـروت الطبعـة الأولـى ١٤١٤هـ ج١ ص٣٣١ .

(٣) سعد البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ص١٣٤ .

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ج٧ ص٣٠٩٦ ، ٣١٠١ .

(٥) ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، تحقيق فهيم شلتوت ، مطبوعات معهد البحوث جامعة أم القرى ج١ ص٣٧٠ ، ٧٣٦ .

(٦) ياقوت الحموي :معجم الأدباء ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى١٤١١هـ ج١ ص١٨٨، ١٨٩

(٧) محمد حمادة : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ص١٨٩ ، ١٩٠ ، النشار السيد محمد : تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، الدار المصرية اللبنانيـة الطبعـة الأولـى ١٤١٣هـ ـ ص١٧٣ .

(٨) عيون الأنباء ص٦٩٠ ، ٦٩١ .

(٩) نفسه ص٧٢٥ .

وأهدى الطبيب رشيد الدين الصوري كتاباً من تأليفه في بعـض الوصـايا الطبية إلى ابن أبي أصيبعة ، فرد عليه برسالة ذيلها بقصيدة يشكره فيها على ذلك الكتاب ومنها [(١)] :

لعلم رشيد الدين فـي كـل مـشهد ... منـار عـلا يأتمـه كـل مهتـد
حكـيم لديـه المكرمـات بأسـرها ... توارثهـا عـن سـيد بعـد سـيد
حوى الفضل عـن آبائـه وجـدوده ... فـذاك قـديم فيـه غيـر محـدد
تفرد في ذا العصر عن كل مـشبه ... بخير صفات حـصرها لـم يحـدد
أتتني وصاياه الحسان التـي حـوت ... بنشر كـلام كـل فـصل منـضد
وأهدى إلى قلبي السرور ولم يـزل ... بإحسانه يـسدي لمثلـي مـن يـد
وجدت بهـا مـا أرتجيـه وإننـي ... بهـا أبـداً فيمـا أحـاول مقتـدي
ولا غرو من علم الرشـيد وفـضله ... إذا كان بعد ا في العلم مرشـدي

كما أهدى الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك مصنفه (مفرح النفس) إلـى ابـن أبي أصيبعة وذلك لما بينهما من مودة فكتب إليه قصيدة طويلة منها [(٢)] :

تكـاد لنـور بـدر الـدين ... تخفـي طلعـة الـشمس
حكـيم فاضـل حبـر ... شـريف الخـيم والـنفس
وأدرى النـاس فـي طـب ... وعلـم النـبض والحـبس
....
وقـد أهـدى إلـى قلبـي ... كتـاب مفـرح الـنفس
كتـاب حـل تأييـداً ... بـه فـي عـالم القـدس
تجلـى نـور معنـاه ... لنـا فـي ظلمـة الـنفس
....
وقـد قابلـت مـا يحويـه ... بالتفـضيل والـدرس

---

(١) عيون الأنباء ص٧٠٠ ، ٧٠١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٢ ، ٧٥٣ .

وحول نظام المكتبة الطبية وخزائن الكتب فإن الحديث عنها يأتي من خلال النظام الذي كانت تسير عليه المكتبات العامة والخاصة ، إذ لم يكـن لهـا نظـام مستقل بها ينظم شؤونها الداخلية ، بل هي لا تنفصل في نظامها عـن المكتبـات الأخرى فكان لتلك الخزائن موظفون يديرون شؤونها ولهم مقابل ذلك الجرايـات والرواتب [1] .

ويعد خازن الكتب أشهر هؤلاء الموظفين ، فهو المشرف علـى المكتبـة والمسئول عن كتبها وتنظيم العمل بها [2] ، فقد حدد تاج الـدين الـسبكي مهـام الخازن وواجباته فقال : ((وحق عليه الاحتفاظ بها وترميم شعثها ، وحبكها عنـد احتياجها للحبك ، والضن بها على من ليس من أهلها وبذلها للمحتاج إليهـا ، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يضعف عليهم تحصيل الكتب على الأغنياء .. فليس للخازن أن يعير إلا برهن)) [3] .

ولم تكن هذه الخزائن تخلو من فهرسة لكتبها يسهل علـى طالـب العلـم استعمالها ، فقد وضع تاج الدين الكندي لكتبه الموقوفة في الجامع الأموي فهرسـاً عاماً بها وصنفه حسب كل فن بلغ واحداً وستين وسبعمئة مجلدٍ فجاء على النحـو التالي :

فـــي علـــوم القـــرآن ١٤٠ مجلـــدة

فـــي علـــوم الحـــديث ١٩ مجلـــدة

فـــي علـــوم الفقـــه ٣٩ مجلـــدة

فـي علـوم اللغـة العربيـة ١٤٣ مجلـدة

فـــي علـــوم الـــشعر ١٢٢ مجلـــدة

---

(١) تقي الدين السبكي : فتاوى السبكي ج٢ ص١٠٩ .

(٢) سيد النشار : تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ص١٣٧، ١٣٨ .

(٣) معيد النعم ومبيد النقم ص١١١ .

في علـوم النحـو والتـصريف ١٧٥ مجلـدة

في علوم الأوائل والطب وغيره ١٢٣ مجلدة [١]

وكان نظام الإعارة المتعارف عليه أن الكتب لا تعار إلا برهن [٢] غير أن كثيراً من أهل العلم رغب في إعارة الكتب بقولهم : ((وأن أول بركة العلم إعارة الكتب)) [٣] يقول ابن جماعة في ذلك : ((وإعارة الكتـب والمـشيخة أمـر قـد استحسنه الأولون والآخرون ؛ لما فيه من نشر العلم خاصة وإفادة النـاس عامـة حتى عد من صفات العلماء المحمودة)) [٤] ، ولذلك درج الأطباء في هذا العصر على بذل كتبهم ؛ فقد كان ابن المطران يحسن إلى طلابه ويهبهم الكتب ولا يردها عنهم[٥] ، وحينما أراد الطبيب عز الدين السويدي (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) نـسخة من كتاب منافع الأعضاء لجالينوس بشرح ابن أبي صادق ، وكان نادراً بالـشام ، كتب إلى الطبيب القاسم ابن خليفة ابن يـونس (٦١٦هـ / ١٢١٩م) قـصيدة يمدحه فيها ويطلب الكتاب منه جاء منها :

وامنن ؛ فأنت اخو المكارم والعـلا	بكتـاب شـرح منـافع الأعـضاء
وإعارة الكتب الغريبـة لـم تـزل	مـن عـادة العلمـاء والفـضلاء

فبعث إليه الكتاب وهو في جزأين فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة النقط والضبط [٦] .

وقد تنوعت خزائن الكتب الطبية بالشام فاشتملت على ما يلي :

أولاً : الخزائن الملحقة بالمساجد .

ثانياً : الخزائن الملحقة بالمدارس .

ثالثاً : الخزائن الملحقة بالبيمارستانات .

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٩٨ .

(٢) تاج الدين السبكي : معيد النعم ص٨٨ .

(٣) السمعاني : أدب الإملاء والإستملاء ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ص١٧٥ .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ص١٦٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٥ .

(٦) نفسه ص٧٥٩ .



رابعاً : الخزائن الخاصة .

أولاً : المكتبات الملحقة بالمساجد :

الخزائن الملحقة بالجامع الأموي :

أولاً : خزانة الشيخ تاج الدين الكندي : .

وهي في مقصورة ابن سنان المجاورة لمشهد علي بن زين العابدين [1] ، وقف تاج الدين الكندي كتبه بها [2] ، يقول سبط ابن الجوزي : ((قرأت بخطه فهرس كتبه التي أوقفها على فتاه ياقوت [3] ثم على ولده ، ثم على العلماء ، فوجدتها سبعمائة وإحدى وستين مجلدة : في علوم القرآن مئة وأربعون ، والحديث تسع عشرة ، والفقه تسعة وثلاثون ، واللغة مئة وثلاثة وأربعون ، والشعر مئة واثنان وعشرون ، والنحو والتصريف مئة وخمس وسبعون ، وعلوم الأوائل من طب وغيره مئة وثلاث وعشرون ، وكان معتقه نجيب الدين قد هيأ لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ، ونقل إليها جملة من هذه الكتب)) [4] .

وكان تاج الدين الكندي قد حصل كتبه تلك في رحلة إلى مصر برفقة الأمير عز الدين فروخ شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي [5] ، واشترى من الخزائن المصرية لما بيعت في الأيام الناصرية كتباً نفيسة على قلة ما اشتراه منها [6] ، ولكن هذه الكتب تفرقت وعدمت وبيعت سراً وجهراً [7] ، ولم يبق بالخزانة إلا القليل الرث [8] .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص٧٩ .

(2) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٣ ص٣٠٤ ، ٣٠٥ ، السيوطي : بغية الوعاة ج١ ص٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ .

(3) هو نجيب الدين ياقوت مولى الشيخ تاج الدين الكندي ، كان من الفضلاء ، وله مشاركات في الأدب والشعر توفي (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٢٦ .

(4) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٩٨ .

(5) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص٣٤٥ .

(6) القفطي : أنباء الرواة ج٢ ص١٠ ، ١١ .

(7) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٩٧ ، ٩٨ .

(8) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٧٩ .

ثانياً : خزانة مشهد بن عروة الموصلي ((بالكلاسة [(١)]))

أنـشأ هـذه الخزانـة شـرف الـدين محمـد بـن عـروة الموصـلي (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) [(٢)] ، وقد نسب هذا المشهد إليه ((لأنه كان مخزنـاً فيـه آلات تتعلق بالجامع فعزله وبيضه وعمل له المحراب والخزائن عن يمينه وشماله ، ووقف فيها كتباً [(٣)] ، وكان ممن أوقف كتباً به الحكيم أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي المهندس (٥٩٩هـ / ١٣٠٢م) وقـف كتـاب (الأغاني الكبير) لأبي فرج الأصفهاني بعد أن اختصره فـي عـشرة مجلـدات فضمها إلى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة [(٤)] ، كما وجد كتاب (عيـون الأنباء في طبقات الأطباء) لأحمد بن أبي القاسم ابن خليفة المعروف بـابن أبـي أصيبعة (٦٦٨هـ / ١٢٨٩م) موقوفاً بمشهد ابن عروة الموصلي بالجامع [(٥)] .

ذكرت المصادر أن هاتين الخزانتين حفلتا بأعداد وافرة من كتب الطب في فنونه المختلفة ، فالجامع الأموي كان يزخر بعدد من خزائن الكتب الموقوفة عليه في فنون كثيرة [(٦)] ، وهي في أماكن متفرقة منه ، وفي العـصر الأيـوبي أمـر السلطان المعظم عيسى ابن العادل بأن تجمع في مكان واحد وكان سبب ذلـك أن القاضي جمال الدين يونس بن بدران (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) قد حسّن للـسلطان المعظم عيسى أن يجمع الخزائن التي في الجامع ، في مشهد ابن عروة ، فنقلـت

---

(١) الكلاس : ما يطلى به الحوائط وهو شبه الجص وسمي باب الكلاسة لأنه يفتح على حي الكلاسة ، ابن منظور : لسان العرب ج٦ ص١٩٨ مادة كلس ، قتيبة الشهابي : أبوب دمشق وأحداثها التاريخية ص٢٦ .

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٣٦ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٣٢ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٣٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦١١ / ٦٢٠) ص٤٦٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٠٩ ، ١١٠ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١ / ٦٠٠) ص٤١٣

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٢ .

(٦) منها خزانة المقصورة الفاضلية وقف بها عبد الرحيم بن علي القاضي (٥٩٨هـ / ١٢٤٥م) وكانت تقع تجاه محراب الصحابة بالجامع ، ومنها خزانة التربة الأشرفية ، وضع فيها الملك الأشرف موسى بن العادل كتباً نفيسة من كل كتاب عدة نسخ ، انظر في أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٩٥ ، ١٣١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٤ ص٤٦١ ، تحفة ذوي الألباب ج٢ ص١٢٧ ، النعيمي : الدارس ج٢ ص٢٩١ ، ٢٩٢ .

الخزائن من الزاوية الغربية ، ومن الكلاسة ، ومن أروقة الجامع والخزانتان اللتان بحلقة الحنابلة ، وبنى لها السلطان خزائن في مشهد عروة في شرقه وغربه [1].

ثانياً : المكتبات الملحقة بالمدارس :

مكتبات المدارس الطبية :.

كانت المكتبة الطبية الملحقة بالمدرسة الدخوارية هي أشهر هذه المكتبات ، فقد وقف الطبيب عبد الرحيم بن علي الدخوار كتبه التي بلغ عددها أكثر من مئـة مجلدة في الطب وغيره على مدرسته الطبية [2] لينتفع دارسو الطب بها .

ثالثاً : المكتبات الملحقة بالبيمارستانات :

المكتبة الملحقة بالبيمارستان النوري بدمشق :

لما فرغ السلطان نور الدين محمود زنكي من بناء البيمارسـتان النـوري الكبير بدمشق أوقف عليه جملة كبيرة من الكتب الطبية ، وجعل لهـا موضـوعاً مخصصاً داخل البيمارستان هو الخرستانان اللذان في صدر الإيـوان [3] وذلـك لتكون في متناول أيدي الأطباء وطلبة الطب الذين يدرسون داخل البيمارستان [4]، وهي بلا شك أفضل مكتبة طبية ملحقة ببيمارستان في بلاد الشام .

رابعاً : المكتبات الخاصة :.

مكتبة الطبيب ابن البذوخ :.

أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي (٥٧٥ / ١١٧٩م) ، كانت لـه عناية بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الأمـراض

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٣٦ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٧٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(٤) نفسه ص٦٢٨ .

ومداواتها [١]، كان له اعتناء بكتب أبقراط ، وجالينوس ، ودياسقوريدس ، وله في ذاك قصيدة يمدحهم بها يقول فيه :[٢]

أكرم بكتب جـالينوس قـد جمعـت ... ما قال بقراط والماضون في القـدم
كديـسقوريدس علـم الـدواء لـه ... مسلم عند أهل الطـب فـي الأمـم
فالطب عن ذين مع بقـراط منتـشر ... من بعدهم كانتشار النور في الظلـم
بطـبهم تقتـدي الأفكـار مـشرقة ... ترى ضياء الشفا في ظلمـه الـسقم
لا تبتغي في شـفاء الـداء غيـرهم ... فإن وجدانـه فـي الطـب كالعـدم

مكتبة الطبيب ابن المطران :.

يعد الطبيب أسعد ابن المطران (٥٨٧ / ١١٩١م) من كبار الأطباء فـي بلاد الشام [٣] ومن أشهر من عرف بالطب في الدولة الإسلامية [٤] وكان يمتلـك مكتبة ضخمة في العلوم الطبية تشهد على غزارة علمه وسعة إطلاعه [٥] ، وابـن أبي أصيبعة يحدثنا عن هذه المكتبة بشكل مفصلة فيقول : ((وكانت لموفق الدين ابن المطران همة عالية في تحصيل الكتب ، حتى إنه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه ، وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها ، وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبـداً ولهم منه الجامكية والجراية ،وكان من جملتهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة، وكان خطه في نهاية حسن الخط والصحة والإعراب ، ... وأكثر الكتـب التـي كانت عنده توجد ، وكان صححها وأتقن تحريرها وعليها خطه بذلك . وبلغ مـن كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها أنه جامع لكثير من الكتب الـصغار والمقـالات

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

(٢) نفسه ص٦٢٨ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٨٠ / ٥٩٠) ص٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٤١١ ، ٤١٢ ، المقريزي : المقفى ج٢ ص٩٨ ، ٩٩ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص١٣٥ ، ١٣٦ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٥ .

المتفرقة في الطب ، وهي في الأكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استنسخ كلا منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بمسطرة واضحة [١] .. ، وكتب بخطه أيضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الأجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان أبداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على بـاب دار الـسلطان أو أيـن اتجه...) [٢] .

تعد هذه المكتبة من أضخم المكتبات الطبية الخاصة في الدولة الإسلامية إذ لم يعرف عن أي طبيب آخر أنه امتلك مثل هذه المكتبة النفيسة - فمن عرف عن ابن المطران براعته في الطب ، وعلاقته الحسنه بسلاطين الدولـة الأيوبيـة [٣] وكسبه الأموال الكثيرة والمكانة العالية -[٤] ، يعرف كيف تكونت هـذه المكتبـة المتميزة يضاف إلى ذلك أسلوبه في استخدام النساخ الدائمين الذين ينـسخون لـه الكتب فقد ((كان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبداً)) [5] أي ينسخون له علـى الدوام وكان من شدة عنايته بكتبه أنه يجمع الكتب والمقالات الصغيرة في كتـاب واحد لتسلم من الضياع [٦] وامتازت كتبه بخطها الجميل وحسن لغتها ، فكان ينسخ بعضها ويراجعها بنفسه ويضع توقيعه عليها بسلامتها من الأخطاء والتصحيف[٧].

ولقد كان مصير هذه المكتبة الطبية النفيسة مصيراً مؤلماً ، فبعد وفاة ابـن المطران ((بيعت جميع كتبه)) [٨] ، إذ لم يخلف أولاداً [٩] يعرفون قدرها وقيمتها العلمية يقول ابن أبي أصيبعة : ((وحدثني نسيب له أنه لما توفي – يعنـي ابـن المطران كانت عنده مسودات عدة لمصنفات طبية وغيرها وتعاليق متفرقة فأخـذ

---

(١) يعني هذا حجم الورق المستخدم في الكتابة والنسخ والكتابة .

(٢) عيون الأنباءص٦٥٥ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ح (٥٨٠ / ٥٩٠) ص٢٦٣ / ٢٦٤ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥١ ، ٦٥٩ .

(٥) نفسه ص٦٥٥ .

(٦) نفسه ص٦٥٥ .

(٧) نفسه ص٦٥٥ .

(٨) نفسه ص٦٥٥ .

(٩) نفسه ص٦٥٥ .

أخواته تلك المسودات وضاعت بينهن ، وقال لي إنه رأى عند إحداهن صـندوقاً أرادت أن تبطنه وقد ألصقت في باطنه جملة من هذه الأوراق التـي بخطـه [(1)] ، وقد اشترى القاضي الفاضل والطبيب عمران ابن صدقة وغيرهم من الأطباء عدداً كبيراً منها لما بيعت بالمزاد في سوق الكتب بدمشق [(2)]

مكتبة الطبيب عبد الرحيم الدخوار :

عرف عن الطبيب عبد الرحيم بن علي الدخوار (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) أنه كان مجتهداً في تحصيل العلم فبدأ حياته العلمية في الطب بنسخ الكتب الطبية وبقي مداوماً على هذه الطريقة حتى بعدما مهر في الطـب ، وكـان خطـه موصـوفاً بالجمال ، فكتب به كتباً كثيرة في الطب [(3)] ، يقول ابن أبي أصيبعة : ((وقد رأيت منها نحو مائة مجلدة أو أكثر في الطب وغيره)) . ولقد كانت مكتبة الطبيب عبـد الرحيم الدخوار تزخر بالكتب في علوم عدة ، وقـد أفادنـا ابـن أبـي أصـيبعة بمعلومات مهمة في هذا الجانب حيث يقول : ((وكان يجتمع بالشيخ سيف الدين بن علي بن أبي علي الآمدي ، وكان يعرفه قديماً فلازمه في الاشتغال عليه بـالعلوم الحكمية ، وحفظ شيئاً من كتبه ، وحصل معظم مصنفاته ليشتغل بها مثل كتـاب (دقائق الحقائق) وكتاب (رموز الكنوز) وكتاب (كشف التمويهات في شـرح التنبيهات) وكتاب (إبكار الأفكار) وغير ذلك من مصنفات سيف الدين ، ثم بعد ذلك أيضاً نظر في علم الهيئة والنجوم ، واشتغل بها على أبي الفضل الإسـرائيلي المنجم ، واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج إليها في هذا الفن ، ما لم يكن عنـد غيره ومن الكتب كثير جداً)) [(4)] . وحينما وقف الدخوار داره مدرسة لتعليم الطب جعل بها مكتبته على طلبة الطب بعد وفاته [(5)] .

(1) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(2) نفسه ص٦٥٥ .

(3) نفسه ص٧٢٨ ، ٧٣٢ .

(4) نفسه ص٣٢٨ ، ٧٣٣ .

(5) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٧٢ ، ابن العبري : تاريخ الزمان ص٢٨٠ .

كما يقول عنه أيضاً : ((وكان أبداً لا يفارقه إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبية)) ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهري [1]، المجمل لابن فارس [2]، وكتاب النبات لأبي حنيفة [3] الدينوري [4] .

مكتبة عبد اللطيف البغدادي المعروف بابن اللباد [5] :

كان من أشهر العلماء الذين دخلوا بلاد الشام في القرن السادس الهجري وانتفع الناس به في علوم كثيرة [6] ، وكان قد برز في علم الطب واشتهر به ودرّسه بدمشق وحلب [7] ، وكانت له رحلة إلى مصر وبلاد الروم ثم استوطن بعدها حلب[8] ، وقد صنف في الطب وغيره مصنفات كثيرة جداً . يقول ابن أبي أصيبعة : ((والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة ، وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء)) [9] وقد عزم على الحج ماراً ببغداد فوافته المنية هناك [10] . يقول القفطي : ((فمات في شهور سنة تسع وعشرين وستمائة وبيعت كتبه بحلب)) [11] ، وهي تزيد على مئة

---

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) إمام في النحو واللغة صاحب كتاب الصحاح ، القفطي : إنباه الرواة ج١ ص١٩٤ ، عبد الباقي اليماني : إشارة التعيين ص٥٥ .

(2) ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) من أهل قزوين ، بارع في اللغة والفقه ، صاحب كتاب المجمل ، القفطي : إنباه الرواة ج١ ص٩٢ .

(3) أحمد بن داود الدينوري (٢٨٦هـ / ٨٩٩م) إمام في اللغة والنحو ، والهندسة ، والحساب والهيئة له من كتاب (النبات) ، (والبلدان) وغيرها ، القفطي : إنباه الرواة ج١ ص٤١ ، عبد الباقي اليماني : إشارة التعيين ص ٣٠ .

(4) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٢ .

(5) سندرس منهجه في التأليف الطبي في الفصل الخامس بإذن ا تعالى .

(6) الذهبي : تاريخ الإسلام ح (٦٢٠ / ٦٣٠) ص٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(7) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٣ ، القفطي : أنباه الرواة ج٢ ص١٩٤ .

(8) القفطي : أنباه الرواة ج٢ ١٩٤ ، تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية ج٨ ص٣١٣ .

(9) ابن أبي أصيبعة ص٦٨٣ .

(10) الذهبي : تاريخ الإسلام حووادث (٦٢٠ / ٦٣٠) ص٣٢٤، ٣٢٥ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٢ ص١٨٠ .

(11) أنباه الرواة ج٢ ص١٩٦ .

وخمسين مصنفاً أكثرها في الطب [1] ، وقد اشترى القفطي أشياء منها وهي حسب رأيه في غاية الانحطاط وعدم الكمال [2] ، وهذه هي طريقته غفر ا له في الحط من أقرانه ومعاصريه .

مكتبة الطبيب عمران بن صدقة :.

كان أوحد الدين عمران بن صدقة (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) قد جمع كتباً كثيرة ، وكانت مكتبته تزخر بالكتب النادرة في الطب يقول ابن أبي أصيبعة : ((وحصّل من الكتب الطبية وغيرها مالا يكاد يوجد عند غيره [3] ، وقد ساعده على ذلك ما تحصل عليه من الأموال الكثيرة التي أخذها من الأمراء والملوك مقابل خدمتهم بالطب)) [4] ، ولكن السبب الحقيقي في حصوله على تلك الكتب النادرة هو تمكنه من مكتبة الطبيب ابن المطران بعد أن بيعت في المزاد فاشترى أكثرها وأندرها يقول ابن أبي أصيبعة : ((وحدثني الحكيم عمران الإسرائيلي : أنه لما حضر بيع كتب ابن المطران وجدهم وقد أخرجوا من هذه الأجزاء الصغار ألوفاً كثيرة أكثرها بخط ابن الجمالة ، وأن القاضي الفاضل بعث يستعرضها فبعثوا إليه بملء خزانة منها وجدت كذلك ، فنظر فيها ثم ردها فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم ، واشترى الحكيم عمران أكثرها وقال لي : إنه حصل الاتفاق مع الورثة في بيعها أنهم أطلقوا مع كل جزء منها بدرهم فاشترى الأطباء منهم هذه الأجزاء الصغار على الثمن بالعدد)) [5] .

مكتبة أبي الحسن القفطي :

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٢ ص١٨٠ .

(٢) القفطي : أنباه الرواة ج٢ ص١٩٦ .

(٣) نفسه ص٦٩٦ .

(٤) نفسه ص٦٩٦ .

(٥) عيون الأنباء ص٦٥٥ .

كان أبو الحسن علي بن يوسف القفطي مغرماً بالكتب إغراماً شديداً ، وكان يبذل النفس والنفيس لاقتنائها ، وأنفق وقته في حفظها وترتيبها ، وأصـبحت داره في مدينة حلب محط نظر الوراقين والنساخين ، كانت تجلب له الكتب مـن كـل مكان فيشتريها بأعلى الأثمان [1] ، يقول عنه ياقوت الحموي : إنه كان ((جماعـة للكتب ، حريصاً عليها جداً ، ولم أرفع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجـارتي فيها أشد اهتماماً منه بها ، ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد ...)) [2] يقول ابن شاكر الكتبي : ((جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق ، وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار وزوجة ، وأوصى بكتبه للناصر [3] صاحب حلب ، وكانت تساوي خمسين ألف دينار ولـه حكايات غريبة في غرامه بالكتب)) [4] .

وقد أوردته هنا ضمن أصحاب المكتبات الطبية الخاصة لما عرف عنه بأنه عالم موسوعي فريد أخذ بزمام كثير من العلوم ومنها الطب [5] ، ولـه مـصنفه المعروف (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) ترجم فيه لعدد كبيـر مـن الأطبـاء والحكماء ، وموارده في هذا الكتاب تدل على غزارة مكتبته في هذا الفن [6] .

---

(١) القفطي : أبناء الرواة ص٢٠ مقدمة المحقق .

(٢) معجم الأدباء ج٤ ص٣٨٨ .

(٣) عبد الرحيم بن علي بن سعيد اللخمي وزير السلطان صلاح الدين وكاتبه ومن المقربين إليه ، شارك معه في حروبه ضد الصليبيين له رسائل تدل على براعته في اللغة والنحو والأدب والإنشاء ، الزركلي : الأعلام ج٣ ص٣٤٦ .

(٤) فوات الوفيات ج٣ ص١١٧ ، ١٨ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٤ ص١١٦ .

(٥) الأدفوي : الطالع السعيد ص٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٦) القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء انظر صفحات الكتاب ، نلّيون : علم الفلك عند العرب ص٥٩ .

مكتبة الطبيب الوزير أمين الدولة بن غزال السامري : [١]

كان لهذا الطبيب مكتبة ضخمة حافلة ، فقد عرف عنه حبه للكتب وجمعها[٢] ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه كانت له همة عالية في جمع الكتب وتحصيلها وكانت مكتبة تزخر بالكتب النادرة والفاخرة في شتى العلوم [٣] ، ويذكر ابن أبي أصيبعة أيضاً أنه كان عنده كثير من النساخ يكتبون له على الدوام فلما احتاج نسخة من (تاريخ دمشق) لابن عساكر وهو كبير جداً قد بلغ ثمانين مجلداً ، جمع عشرة نساخ فكتبوه في مدة يسيرة [٤] .

وذكر ابن أبي أصيبعة أن أمين الدولة قد طلب منه نسخة من كتاب (طبقات الأطباء) طلب من أبيه أن يرسل إليه نسخة من الكتاب ، قال ابن أبي أصيبعة يحكي قصة ذلك : ((وكان أبي صديقه وبينهما مودة ، فقال له يوماً سديد الدين بلغني أن ابنك قد صنف كتاباً في طبقات الأطباء ما سبق إليه ، وجماعة الأطباء الذين يأتون إليّ شاكرين منه ، وهذا الكتاب جليل القدر ، وقد اجتمع عندي في خزانتي أكثر من عشرين ألف مجلد ما فيها شيء من هذا الفن ، وأشتهي منك

---

(١) هو وزير الملك الصالح إسماعيل كان سامرياً فأسلم كان من الأذكياء له همة عالية في طلب العلوم ، استوزره الملك الصالح إسماعيل فكان سبباً في ضياع ملكه ، وكانت له أعمال أخرى ذمه عليها معاصريه وزاد سبط ابن الجوزي في ذكر ..... فقال ((ما كان مسلماً ولا سامرياً بل كان يتستر بالإسلام ويبالغ في هدم الشريعة وبلغني أن الشيخ إسماعيل الكوراني رحمه الله تعالى قال يوماً وقد زاره لوبقيت على دينك كان أصلح لأنك تتمسك بدين ، أما الآن فأنت لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... وقد ذكرنا أنه شنق وعجل الله بروحه إلى أسفل الدركات ، وكان شنقه علواً في الحياة بل خفضاً ولعنة في الممات ..)) تنسب إليه المدرسة الأمينية ببعلبك ، أثنى عليه ابن أبي أصيبعة وذكر له من الكتب في الطب كتاب المنهج الواضح في الطب ، (والأدوية المفردة وقواها) و (الأدوية المركبة ومنافعها) ، و (تدبير الأصحاء) ، وغيرها . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٧٨٤، الذهبي : العبر ج٣ ص٢٦١ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨ / ٦٦٤) ص٤٦ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٧٨٤ .

(٣) عيون الأنباء ص٧٢٥ .

(٤) نفسه ص٧٢٥ .

أن تبعث إليه يكتب لي نسخة من هذا الكتاب ، وكنت يومئذ بصرخد عند مالكهـا الأمير عز الدين أيبك المعظمي فامتثل أمره ، ولما وصلني كتاب أبي أتيت إلـى دمشق ، واستصحبت معي مسودات من الكتاب ، واستدعيت الشريف الناسخ وهو شمس الدين محمد الحسيني ، كان كثيراً ينسخ لنا ، وخطه منـسوب فـي نهايـة الجودة ، وهو فاضل في العربية فأخليت له موضعاً عندنا ، وكتب الكتاب في مدة يسيرة في تقطيع ربع البغدادي أربعة أجزاء ..ثم عملت له قصيدة وبعثت به إليـه ..))[1] ففرح به كثيراً وأرسل إلي الهدايا والمـال الـوافر وطلـب منـي بقيـة مصنفاتي[2] ومن القصيدة التي أرسلها ابن أبي أصيبعة :

(١) عيون الأنباء ص٧٢٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٢ ص١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) عيون الأنباء ص٧٢٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٢ ص١٠٦ ، ١٠٧ .

فـؤادي فـي محبـتكم أسـير وأنـى سـار ركبهـوا أسـير[3]

يحـن إلـى العـذيب وسـاكنيه حنينـاً قـد تـضمنه سـعيرا

....

أيامـاً عـم إنعامـاً ويـا مـن لـه الأفـضال والفـضل الغزيـر

لقـد أحييـت ميـت العلـم حتـى تبـين فـي الوجـود لـه نـشور

....

وكم في الطب مـن معنـى خفـي بـشرح منـك لـه ظهـور

وقـد الـرئيس إليـك يومـاً يجـده إليـك مرؤوسـاً يـصير

وهل يحكيـك فـي لفـظ وفـضل ومالـك فيهمـا أبـداً نظيـر

وقـد أرسـلت تأليفـاً ليبقـى علـى اسـمك لا تغيـره الـدهور

فريـداً مـا سـبقت إليـه قـدماً ومولانـا بـذاك هـو الخبيـر

ولكن فـي علومـك فهـو يهـدي كما يهـدى إلـى هجـر التمـور

وحاشـا أن أبكـار المعـالي إذا زفـت إلـى المـولى تبـور

وإن تكـو زلـة أبـديت فيـه فعـن أمثالهـا أنـت الغفـور

أما عن مصير هذه المكتبة النفيسة فقد تلف جميعها يقول سبط ابـن الجـوزي : ((ووجدت له عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة والخطوط المنـسوبة فتمـزق الجميع في زمان يسير وأذهبه ا تعالى في أقل زمن)) [1] .

مكتبة الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماه (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :

كان يحب العلم والعلماء ويقربهم وكان عارفاً بالفقه والطب بارعاً في علـم الهيئة والتاريخ ، اقتنى كتباً نفيسة ، فلما حضرته الوفاة فرق كثيراً من كتبه علـى أصحابه وأوقف بعضها رحمه ا [2]

---

(٣) وفي النسخة التي حققها عامر النجار : البيت : (فؤادي في محبتكم أسير وأنى سار ركبكم أسير)

(١) مرآة الزمان ج٨ ص٧٨٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص١٩٢ .

(٢) ابن حجر : الدرة الكامنة ج١ ص٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .

المبحث الخامس : المجالس الطبية ومنازل العلماء :

كانت المجالس العلمية التي يعقدها الأطباء لتعليم الطب من أهـم الوسـائل والطرق التي كانوا يتبعونها في تعليمهم للطب ، ومن خلال ما ذكرته المـصادر عن هذه المجالس لم تحدد الأماكن التي كانت تعقد بها إلا أنهـا لا تخـرج عـن الأماكن المعروفة لتدريس الطب ، كالمساجد والمدارس الطبية والبيمارسـتانات ، ولكنه من المرجح أن أغلب تلك المجالس كانت تعقد في منازل الأطبـاء إذ لـيس هناك ما يشير من خلال تراجم الأطباء إلى أنها كانت تعقـد فـي المـساجد ، أو المدارس أو البيمارستانات ، بدليل أن أبن أبي أصيبعة كثيراً ما يقول في تراجمه : ((كان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب وخدم بصناعة الطب في البيمارستان النوري)) وهكذا . ومن هنا أبرز تلك المجالس الطبية التي كانت بالشام :

أولاً : مجلس الطبيب شمس الدين أبو عبد ا محمد بن عبدان بن عبد الواحد بـن اللبودي (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) كان له مجلس للاشتغال عليه بـصناعة الطـب وغيرها [١] .

ثانياً : مجلس الطبيب مهذب الدين أبو الحسن علي بـن أبـي عبـد ا النقـاش (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) ، فقد كان له مجلس عام للمشتغلين بالطب بالشام ، وذلك بعد عودته من رحلته إلى العراق لتعلم الطب ،وقبيل رحيله إلى الديار المصرية[٢]

ثالثاً : مجلس الطبيب فخر الدين أبو عبد ا محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر المارديني (٥٩٤هـ / ١١٩٧م) كان من الأطباء الوافدين الـذين

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٢ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٠٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ ، ٦٣٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢١ ص٣٧٧ ، ٣٧٨

كانت لهم مجالس لتعليم الطب ، وقد أفاد بمجلسه هذا كثيراً مـن طلبـة الطـب بالشام[٣]

رابعاً : مجلس الطبيب أبو النجم ابن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بـن قيس بن مالك (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) ، كان طبيباً مشهوراً يقرأ عليه علم الطـب بدمشق [١] .

خامساً : مجلس الطبيب موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) كان يعقد مجلساً عاماً للمشتغلين عليه بصناعة الطب [٢] .

سادساً : مجلس الطبيب رشيد الدين أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن أبـي القاسم بن خليفة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) ، جعل له مجلساً عاماً لتـدريس صـنعة الطب ، واشتغل عليه جماعة ، وكلهم تميز في الطب [٣] .

سابعاً : مجلس الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علـي بـن حامـد الـدخوار (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) كان يعقد هذا المجلس في داره قبل أن يقفه مدرسة للطب [٤]

ثامناً : مجلس الطبيب رضي الدين يوسف بن الحسن الرحبي (٦٣١هـ/١٢٣١م)، كان يعلم الطب ، وقد اشتغل عليه خلق كثير [٥] .

---

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٦٦٢ ، عيسى بك : معجم الأطباء ص٢٦٨ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء: ص٦٦١ .

(٢) نفسه ص٦٧١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٤٠ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ ، ٧٣٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٢ ، ٦٧٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ / ٦٤٠) ص٧٦ ، ٧٧ .

تاسعاً : مجلس الشيخ سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمـدي (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) كان له مجلس علم في داره يعلم فيه فنون العلـم ، وكـان ذلك بعد عزله عن المدرسة العزيزية [٦] .

عاشراً : مجلس القاضي الطبيب أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفـر بن عيسى الخوي (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ، كان يقرأ عليـه عـدد مـن الطلبـة يترددون إليه في مكان إقامته في المدرسة العادلية . [١] .

حادي عـشر : مجلس الطبيب رشيد الدين أبو المنصور بن أبي الفضل بن علـي الصوري (٦٣٩هـ / ١٢٣١م) ، ((كان له مجلس للطب والجماعـة يتـرددون إليه ويشتغلون بالصناعة الطبية)) [٢] .

ثاني عشر : مجلس القاضي رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسـماعيل الجيلي (٦٤٢هـ ١٣٤٤م) ((كان له مجلس للمشتغلين عليـه بـأنواع العلـوم والطب)) [٣] .

ثالث عشر : مجلس الطبيب أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن عبـد الجبـار السلمي (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) ، فقد كان له مجلس عام للمشتغلين عليه بصناعة الطب مستمر عليه حتى وافته المنية يرحمة ا [٤] .

رابع عشر : مجلس الطبيب أبو العباس أحمد بن أبي الفضل أسـعد بـن حلـوان المعروف بابن العالمة (٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) ، ((كان يـشتغل عليـه جماعـة بصناعة الطب)) [٥] .

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٠ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ ، ابن كثير : طبقات الشافعية ج٢ ص٨٢٩ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٩ ، ٧٠٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٧ ، النعيمي : الدارس ج١ ص١٨٨ ، ١٨٩ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ ، ٦٧٢ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٤٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٢٤٧ .

خامس عشر : مجلس الطبيب موفق الدين يعقوب بن غنائم (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) كان يشتغل عليه جماعة من المتطببين وقد انتفعوا به كثيراً [٦] .

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٧ .

الفصل الثالث

مناهج تعليم الطب ، طرقها ووسائلها في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

المبحث الأول : التعليم الطبي وصفات طالب الطب ومراحل التعليم الأولى .

المبحث الثاني : المناهج والكتب المعتمدة في التعليم الطبي عند أطباء الشام .

المبحث الثالث : طرق الأطباء الشاميين ورسائلهم في التعليم الطبي .

المبحث الرابع : الأدوية والعلاجات وأماكن تحضيرها .

الفصل الثالث : مناهج تعليم الطب ، وطرقها ووسائلها في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

تناول البحث بالحديث في الفصل الثاني أماكن تعليم الطب المتمثلة في المساجد والمدارس ، والبيمارستانات ، والمكتبات ، وما كان يعقده الأطباء من المجالس العلمية في المنازل والدكاكين والحوانيت .

وقد ذكرت أنّ تلك الأماكن كانت بمثابة المعاهد العلمية والمدارس المتخصصة في تعليم الطب ، يمارس فيها الأطباء وطلابهم أنواع التعليم النظري والعملي ، ولهم في ذلك وسائلهم وطرقهم ومناهجهم التي اعتمدها أطباء الشام في تعليمهم مهنة الطب ، وفي هذا الفصل سوف أتناول مناهج أطباء الشام وطرقهم في تعليمهم الطب نظرياً وعملياً .

المبحث الأول : التعليم الطبي وصفات طالب الطب ومراحل التعليم الأولى :

بلغ التعليم الطبي في هذا العصر درجة عالية من الرقي والتطور ، فلم يكن يسمح بتعليم الطب إلا لمن هو مؤهل وتتوافر فيه الشروط والصفات اللازمة لذلك، وقد عرف عن الطبيب رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) أنه ((كان يرى أنه لا يقرئ أحداً من أهل الذمة أصلاً صناعة الطب ولا لمن لا يجده أهلاً لها)) [١] لأن الأمانة كانت مطلباً مهماً في متعلم الطب .

ومن المعلوم أن من أراد تعلم الطب وممارسته فإن هناك شروطاً وصفات وأخلاقيات وآداب يجب أن يتحلى بها الطبيب ويلتزمها في تعلمه الطب وممارسته إياه ، وقد أولى العلماء المسلمون هذا الموضوع عناية كبيرة وصنفوا في ذلك مصنفات خاصة تبحث في هذا الجانب [٢]وسوف اقتبس نصوصاً

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٣ .

(٢) من تلك المصنفات كتاب (محنة الطبيب) وكتاب (معرفة محنة الكحالين) لأبي زكريا يوحنا بن ماسويه (٢٤٣هـ/٨٥٧م) الكتابان مفقودان ، وكتاب (امتحان الأطباء) وكتاب (نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء) لحنين بن إسحاق العبادي ، (٢٥٩هـ/٨٧٢م) وقد طبع الكتاب الثاني بتحقيق عبد الرحمن بدوي منشورات معهد المخطوطات العربية الطبعة الأولى الكويت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ، وكتاب (

من أقوال هؤلاء العلماء لأبين أهمية هذا الموضوع والشروط المطلوبة في طالب الطب ومن له حق ممارسة هذه المهنة الشريفة عند المسلمين ، وهي تبين مدى اتفاق علماء المسلمين عامة على تلك المعايير والأخلاقيات ، وهو ما أكد عليـه أطباء الشام وعلماؤها في فترة البحث ، ذلك لأن بلاد الشام كانت خلال القـرنين السادس والسابع الهجريين أكثر البلـدان الإسـلامية عنايـة بتـدريس الطـب وممارسته وكان بها جمع من مشاهير الأطباء ، وجـدير بهـم أن تكـون تلـك الصفات والآداب من أهم ما يلتزمونه ويأمرون به .

يقول ابن المطران [1] إذا أراد الطبيب أن يكون كاملاً في صناعة الطـب وجب عله أن تكون فيه خمسة أشياء :

أولاً : ((**معرفة الأمور العامية والخاصية للصناعة الطبية**)) .

ثانياً : ((**ومعرفة الأمور الذاتية والعرضية لها**)) .

ثالثاً : ((**ومعرفة القوانين التي تستعمل فيها**)) .

رابعاً : ((**أن يكون غرضه الخير والمنفعة**)) .

خامساً : ((**أن يعلو ويزيد على كل من يتعاطى شيئاً من تلك الصناعة**)) .

ومن الكلام السابق لابن المطران يتضح أن هناك صفات وآداباً خلقيـة ، وشروطاً علمية وعملية ومهنية ينبغي لمتعلم الطب والطبيب أن يلتزماها ويعملا بموجبها ، وهذه المعايير هي التي أشار إليها العلماء في كتبهم . يقول محمد بن زكريا الرازي ((ينبغي أن ينظر فيما إذا أفنى الطبيب ما مـضى مـن زمانـه ،

أخلاق الطبيب) لمحمد بن زكريا الرازي (٣١٣هـ/٩٢٥م) وكتاب (أدب الطبيب) لإسـحاق بـن علـي الرهاوي (٣١٩هـ/٩٣١م) تقريباً وقد طبع في مركز الملك فيصل بتحقيق مريزن سعيد عسيري وكتـاب (التشويق الطبي) لأبي العلاء صاعد بن الحسن الطبيب (٤٧٠هـ /١٠٧٧م) تقريباً طبعـه مكتـب التربيـة العربي بتحقيق مريزن سعيد عسيري الطبعة الأولى الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م وكتاب (النافع فـي كيفية تعليم صناعة الطب) لعلي بن رضوان المصري (٤٥٣هـ /١٠٦١م) حققه كمال الـسامرائي مطبعـة جامعة بغداد ١٩٨٦م ، (رسالة في بيان الحاجة إلى الطب والأطباء ووصاياهم) لمحمد بن مسعود بن مصلح الشيرازي (٧١٠هـ / ١٣١١م) حققه محمد فؤاد الذاكري مركز زايد للتراث والتاريخ الطبعة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) .

(١) بستان الأطباء ص٢٩ .

وهمته إذا انفرد وخلا ، فإن كان أفنى دهره بتصفح كتب الأطباء والطبيعيين ، وكانت همته إذا خلا النظر فيها ، فليحسن الظن به ، وإن كان أفنى عمره في شيء غير ما ذكرنا ، وكانت همته إذا خلا الانشغال باللهو والشراب ونحو ذلك فليسئ الظن به ، ومن كان يدمن النظر في الكتب ، فينبغي أيضاً أن ينظر في مقدار عقله وفطنته وهل جالس المتعلمين والمتناظرين ، وهل له قوة في البحث والنظر أم لا ، فإن كان قد أطال صحبة هؤلاء القوم ، واكتسب منهم حظاً من القوة على البحث والنظر ، فينبغي أن ينظر أهو ممن يفهم ما يقرأ أو بالضد ، وإذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها فينبغي أن ينظر هل شاهد المرضى وقلّبهم ، وهل كان ذلك منه في المواضع المشهورة بكثرة الأطباء والمرضى أم لا ...)) [1] .

ويقول ابن هبل في صفات طالب الطب : ((يعرف المطبوع بالحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه ، فمن ذلك أن يكون معتدل الرأس بقياس الصدر ، وأن يكون شكله طبيعياً ، فإن كبر الرأس بقياس الصدر يدل على رطوبة الدماغ وبلادة الذهن ، وصغره على الحدة والطيش والتهور ... ، ومما يستحب في متعلم الصناعة أن يكون حسن الصورة والشكل محبوباً إلى القلوب ، لا عبوساً ولا قطوباً ، وأن يكون معتدل السحنة بين السمنة والهزال .... وأخلاقه محمودة بين السرعة والبطء والجبن والتهور ، متوسط الحال بين الطيش والوقار، وبين الغضب والنباهة ، والتبذل والبخل والتبذر ، ذكي الحواس ، مستيقظ الفطنة ، دين الضمير ، معروفاً بالتستر والعفاف ...)) [2] .

ويقول أيضاً : ((فأما الصناعة الطبية فلشرفها وعظم خطرها كان الحكماء يتخيرون لها التلاميذ بطريقة الفراسة فيختارون من كان حسن الصورة ، متناسب الأعضاء ، معتدل المزاج ، ظاهر الأخلاق ، منتظم الأحوال ، صادق

---

(١) محنة الطبيب مجلة المشرق منشورات أباد جامعة القديس يوسف ١٩٦٠ص٤٧٩ .

(٢) المختارات في الطب نشرته جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد " الدكن " الطبعة الرابعة ج١ ص٥ .

الأحلام ، يتخذونهم كالأولاد والتلاميذ بعضهم لبعض كالأخوة ، لئلا يفوت المعلمين نصيبهم الذي لأجله كانوا يخصون بالتعليم أولادهم ويأخذون عليهم العهود والمواثيق في صيانتها وحفظها من غير أهلها ولزوم قواعد الحكمة ... » [1]

أما علي بن رضوان المصري فيشترط لطالب الطب شروطاً سبعة :

فيقول « الطبيب على رأي أبقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال » .

الأولى : **أن يكون تام الخلق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء جيد الرؤية ، عاقلاً، ذكوراً خير الطبع .**

الثانية : **أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .**

الثالثة : **أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم .**

الرابعة : **أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجر ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء .**

الخامسة : **أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس .**

السادسة : **أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلاّء فضلاً عن أن يتعرض إلى شيء منها .**

السابعة : **أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ، لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الأجنة ويعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه** [2] **.**

وذهب أبو العلاء صاعد بن الحسن الطبيب (٤٦٤هـ / ١٠٧١م) إلى موافقة من سبقه في شروطهم في المتطبب فيقول : « ويجب عليه أن يكون معتدلاً في مزاجه ، طاهراً في نفسه متمسكاً بدينه ، لازماً لشريعته وافر العقل ، قوي الذكاء ، حسن التصور ، معروفاً بصدق اللهجة وأداء الأمانة ، مهتماً بما

---

(١) المختارات في الطب نشرته جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد " الدكن " الطبعة الرابعة ج١ ص٧ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٦٤ ، ٥٦٥ .

يعنيه ، محباً لاصطناع الخير ، ويساوي ظاهره باطنه في أفعال الجميل ، وحسن الخلق غير شره إلى المكسب ولا حاسد على المال ، متأدباً بالسير والأخبار المتقدمة ... سفيفاً رفيق اللسان رحيماً للضعفاء والفقراء ، سابقاً إلى معالجتهم قبل معالجة الأغنياء .. عفيف الطرف والبطن والفرج ، كتوماً للأسرار قليل المزاح والهزل ، غير مغرى بشرب الخمر أو مولع بالفسق والفجور ... » [1]

وقد جمع الطبيب محمود بن مسعود الشيرازي (٧١٠هـ / ١٣١٠م) أقوال من سبقه في هذا الموضوع ، ويعد كتابه (رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم) من أهم الكتب التي ناقشت موضوع علم الطب سلوكاً ومهنة ومنهجاً ، وقد أفرد فيه فصلاً كاملاً عن صفات الطبيب وأخلاقه ، وذكر العديد من الصفات الخلقية والعلمية [2] **والتي منها ما يلي :**[3]

= يجب أن يكون الطبيب مؤمناً با يخاف العقاب ويرجوا من ا الثواب .

= يجب أن تكون علاقته حسنة بشيوخه ومعلميه وأن يشكر لهم حسن تعليمهم إياه

= بعد أن يصبح حاذقاً في الطب فإنه يجب عليه أن يعلم غيره هذه المهنة الشريفة ولا يبخل بها على أحد .

= أن يبذل الطبيب كل طاقته وجهده في علاج المرضى وغايته في ذلك شفاؤهم ، ويجب ألا يكون غرضه عرضاً من الدنيا ، أن يتحرى في ذلك أفضل الطرق وأحسنها في وصف المرض ونوع الدواء .

= ومما هو مؤتمن عليه أنه لا يخبر العامة بالأدوية القاتلة ولا يصفها لهم ، كما أنه لا يصف للنساء الأدوية التي تؤدي إلى إسقاط الأجنة .

---

(١) أبو العلاء صاعد بن الحسن : التشويق الطبي ، تحقيق مريزن عسيري ، مكتب التربية العربي الرياض ص٦٥ ، ٦٦ .

(٢) عسيري : علم الطب أهميته وشرفه ومعاييره الأخلاقية والعلمية عند المسلمين ، معهد البحوث جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١٦هـ ص٦٠ ، ٦١ .

(٣) الشيرازي محمد بن مسعود بن مصلح : رسالة في بيان الحاجة إلى الطب والأطباء ووصاياهم ، محمد فؤاد الذاكري ، مركز زايد للتراث الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ص١٣١ ، ١٣٢ .

= وعليه ألا يفشي أسرار المرضى وألا يطلع عليها أحدا .

= وعليه أن يكون لطيف الكلام طلق الوجه ، متواضعاً مع الفقراء والأغنياء .

= وأن يكون بعيداً عن كل ما يفسد العقل ويذهب بالمروءة .

= مكباً على قراءة الكتب وحفظها .

= ويجب أن يمارس المهنة في البيمارستان ليرى المرضى ويعاشر الأطباء ويحذق في الصنعة .

= لا يأنف من مشاورة غيره من الأطباء في كل ما يشكل عليه من الأمراض والأدوية والحالات .

ومن صفات الطبيب التي أشار إليها الشيرازي قوله : ((وينبغي أن يكون رفيقاً ، ورعاً خاشعاً متواضعاً شفيقاً على المرضى ، وصولاً لذوي القربى ، ويكون أمر من ولي مداواته منه ببال ولا يغفل عنه بحال ، كتوماً للأسرار مجانباً صحبة الأشرار ، وافياً بوعده ، حافظاً لعهده ، صادقاً في مقاله ، مقتصداً في إنفاق ماله ، نظيف الثياب ، لطيف الخطاب ، عفيف النفس ، ذكي الحس ، صائب الرأي ، صادق اللهجة ، حاضر الخاطر ، حسن الباطن والظاهر ، جميل الصورة، جيد المشورة ، معتدل الجسم ، صحيح الجثة ، كثير الإنصاف ، قليل الجزاف ، طيب العشرة ، صافي الدخلة ، نقي الجيب ، أمين العيب ، العدل طريقته ، والحق حقيقته ، غير معجب بنفسه ولا مترفع على أحد من أهل جنسه ، ولا يستبد برأيه إذا ارتأى ، ولا يتعدى الحق إذا رأى ، لا يترفع على الجهال وأن يتواضع له بقدر ما رفعه ا عليه جميل المنظر كريم المخبر ، ودوداً على الناس بصيراً عند القياس لا خاشعاً ولا مناعاً منوعاً ولا ماجناً عابثاً ، ولا ناقضاً للعهود ناكثاً ، لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يصاحب من يعوقه .....)) (١)

أما أطباء الشام في فترة البحث فقد تناولوا هذا الموضوع وأولوه عناية كبيرة وكانت لهم فيه مصنفات مهمة منها ثلاثة كتب للطبيب أسعد بن إلياس بن

---

(١) نفسه ص٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

المطران (٥٨٧هـ/ ١١٩١م) الأول بعنوان ((آداب طب الملـوك))[٢] والثـاني ((كتاب على مذهب دعوة الأطباء)) [٣] والثالث فصل من كتاب ((بستان الأطبـاء وروضة الألباء)) [١] وقد جاء هذا الفصل مختـصراً إلا أن مـا ورد فيـه مـن الوصايا العلمية والعملية ذات قيمة علمية مهمة ، نقلهـا مـن كـلام الأطبـاء والحكماء [٢] .

فهو ينقل ملحة ذكرها جالينوس يقول فيها ((إذا كان الطبيب عالماً كـاملاً كـان يمشي على رجلين ولو كان عالماً غير عامل أو عاملاً غير عالم كان كمن يمشي على رجل واحدة)) [٣]

ومن الصفات الأخلاقية والآداب التي أوصى بها ابن المطران ما نقله من ((أدب الطبيب)) لإسحاق الرهاوي قوله : ((ليحذر الطبيب أن يكون أكيلاً عند أحد من الخاصة أو العامة فإنه ملاق من الناس بغرائب من الوقائع إن أكل كثيـراً أو إن قدم بعض الأغذية على بعض ، وإن شرب في أثناء غذائه الماء ، وكيف يأكل ولم يأكل ويحفظون ذلك ، فليتعمد الإقلال وإن كان هضوماً ، وله أن يتدبر فـي منزله بما شاء)) [٤] .

ومن الشروط العلمية في المتطبب التي نبه عليها ابن المطران في كتابـه أيضاً قوله : ((واعلم أنه يجب أن تنظر في أمر كل دقيقـة وجليلـة مـن هـذه الصناعة وتعود نفسك ألا تصف صفة بالعادة الجارية بين الناس دون أن تنظـر في واحد واحد من الأدوية الموصوفة فيها ، وتنظر في واحد واحد من الأمراض التي يستعمل الدواء بسبب محدثه ، فإذا رأيته موافقـاً اسـتعملته وإن وجدتـه

---

(٢) هذا الكتاب مفقود .

(٣) هذا الكتاب مفقود ، ولعله حاكى فيه ابن بطلان في كتابه المشهور ((بدعوة الأطباء على مـذهب كليلـة ومنة ، وهو من الكتب التي تبحث في النواحي العلمية لدراسة علم الطب ومحنة الطبيب وهو مطبوع بعنايـة بشار زلزل طبع بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية ١٩٠١م .

(١) بستان الأطباء ص٢٨ ، ٣٢ .

(٢) نفسه ص٢٨ ، ٣٢ .

(٣) نفسه ص٢٨ .

(٤) نفسه ص٣٠ .

مخالفاً ألزمت نفسك كشف دقيقه إن كان فيه ، وراجعت الكلام في المفردات فإن صح لك أنه مخالف فلا تهابن رده واحذر من وقوع الغلط عليك في مثـل هـذا المكان)) [٥] .

فهذا توجيه دقيق من ابن المطران لطلابه بتحـري الدقـة التامـة فـي تشخيص المرض ، كل مريض حسب حال مرضه ، وهو يشدد على أنه لا يعمل بكلام من سبقه دون تحري ونظر وتجربة .

وأشار الطبيب عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) إلى ما يجب أن يتحلى به الطبيب من أخلاقيات وما يحتاج إليه من صفات علمية ومهنية فيقول : ((فيحتاج الطبيب أن يكون لطيف الحس ، حسن الحدس ، ذكي القلب ، حديد الذهن ، صحيح الفكر ، جيد الذكر ، صادق القول ، ناصحاً لمـن استنصحه ، كثير المطالعة ، ملازم القراءة ، وقد ذكر جالينوس ... أن الطبيـب يحتاج أن تجتمع فيه أربعة أشياء أحدها : أن يكون ورعاً ذا فطنة ودين وفهم ، والثاني : أن يكون ذا علم وخبرة بطبائع العلل التي يتولى علاجها ، والثالـث : أن يكون ذا علم وخبرة بطبائع الذين يعالجهم ، والرابـع : أن يكـون ذا علـم وخبرة بقوى الأدوية فهي صناعة سنّية ورتبتها عند ذوي الرتب عليّة)) [١]

وقد حرص أطباء الشام على التحلي بتلك الآداب والاتصاف بتلك الصفات، وهو ما ينقله لنا ابن أبي أصيبعة في ترجمته لشيوخه في الطب خصوصاً أو من عاصرهم أو لقيهم من الأطباء في الشام ومصر تجملوا بتلك الصفات ، وتحلـوا بتلك الآداب ، وعلى الرغم من مبالغات ابن أبي أصيبعة في ترجمته إلا أنها تؤكد عناية أطباء الشام بهذا الجانب من شخصية الطبيب وما يجب عليه أن يتصف به من صفات علمية وأخلاقية ، ففي وصف ابن أبي أصيبعة للأطباء كـان ينعـتهم بقوله : وكان ((كبير النفس ، عالي الهمة كثير التحقق ، حسن السيرة ، محبـاً

---

(٥) نفسه ص٢٨ .

(١) امتحان الألباء لكافة الأطباء : ورقة (٤) "أ ب " .

للخير وأهله، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى ، رؤوفاً بالحق طاهر اللسان ›› (٢)

‹‹ وكان فطناً ذكياً متقناً لما يعاينه ، حريصاً في العلم الذي يشتغل فيه ›› (٣) .
عاقلاً كثير الحياء ، حسن الصورة ، كريم النفس ، محباً لفعل الخير ، وكان ملازماً للصلاة والصيام وقراءة القرآن ، ... كان حسن العبارة قوي البراعة ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، وافر المروة ، كثير الفتوة ›› (٤) .

‹‹كان نزيه النفس ، عالي الهمة ، لم يؤثر التردد إلى الملوك ولا إلى أرباب الدولة›› (١) .

‹‹ ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، والأريحية التامة ، والعوارف العامة ، والذكاء الباهر الوافر ، والعلم الباهر ›› (٢).

‹‹ كان كثير الاشتغال محباً للنظر والبحث ، وافر العلم جيد الفهم ›› (٣).

‹‹ وبلغ من الفضائل أعلى الرتب ، وكان كثير الإحسان ، غزير الامتنان ، فاضل النفس صائب الحدس ›› (٤).

ونختم كلامنا بما ذكره صلاح الدين الحموي من وصاياه لطلاب الطب وممارسيه فيقول : ‹‹ واعلم أن هذه الصناعة منحة من ا تعالى ، يعطيها لمستحقيها ، لأنه ، يصير واسطة بين المريض وبين الحق سبحانه وتعالى في طلب العافية له ، حتى تجري على يديه ، فتحصل له الحرمة الجزيلة من الناس ، ويمثل عندهم ، ويشار إليه في صناعته ، ويطمأن إليه فيما يعتمده ، وفي الآخرة الأجر والمجازاة من رب العالمين ، لأن النفع المتعدي لخلق ا عظيم ،

---

(٢) عيون الأنباء ص٦٦١ ، ٦٧٢ .
(٣) نفسه ص٦٥٢ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٧٢٣ ، ٧٥١ .
(٤) نفسه ص٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٦٥٩ ، ٦٧١ ، ٧٥٨ .
(١) عيون الأنباء ص ٦٧٢ ، ٦٧٦ .
(٢) نفسه ص٦٧١ ، ٧٦١ .
(٣) نفسه ص٦٩٧ ، ٧١٧ ، ٧٥٨ .
(٤) نفسه ص٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٧٥٩ .

خصوصاً للفقراء العاجزين ، مع ما يحصل لنفسك من كمال الأخلاق ، وهو خلق الكرم والرحمة ، فيجب عليك حينئذ أن تلبس ثوب الطهارة والعفـة ، والنقـاء والرأفة ، ومراقبة ا تعالى وخاصةً في عبورك على حريم الناس ، كتوماً على أسرارهم ، خصوصاً الملوك ، محباً للخير والدين ، مكباً على الاشتغال في العلوم ، تاركاً للشهوات البدنية غير الضروري ، معاشراً للعلماء ، مواظباً للمرضـى ، حريصاً على مداواتهم ، متحيلاً في جلب العافية إليهم ، وإن أمكنـك أن تـؤثر الضعفاء من مالك فافعل ، ولا يكون غرضك جمع المال إلا تحـصيل الثـواب ، فيحصل لك كلاهما ، واحذر أن تنبه على دواء قتال ، أو كحل يحجب البـصر أو يضعفه ، وا تعالى يوفقك ويوفقنا لما يرضيه))[1] .

وسلك أهل الشام في تعليمهم الطب مسالك متنوعـة وطرقـاً مختلفـة ، فطالب الطب يمر في بداية حياته العلمية بأولى مراحل التعليم وهي المكتب [2] ، فيتعلم القرآن الكريم والكتابة (٣) . وقد أشار الشيزري إلى العمـر الـذي يـدفع بالصبي فيه إلى المكتب فيقول ((ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره المـؤدب بالصلاة)) (٤) وقد خصص أهل الشام مكاتب لتعليم الصبيان القرآن الكريم وأخرى للقراءة والكتابة يقول في ذلك ابن جبير :((وتعليم الصبيان للقرآن بهذه الـبلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين،ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها تنزيهاً لكتـاب ا عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو ، وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حدة ، والمكتب على حدة فينفصل من التلقين إلى المكتب))(٥) ولهذا

---

(١) نور العيون وجامع الفنون ص٦ ، ٧ .

(٢) المكتب : (المكتب والكتاب ، موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب والمكاتب) المكتب موضع التعليم ، والمكتب المعلم ، والكتاب الصبيان ، قال : ومن جعل الموضع الكتاب ، فقد أخطأ ، ابـن منظـور : لـسان العرب ج١ ص٦٩٩ مادة كتب .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ ، ٧٣٧ .

(٤) نهاية الرتبة في طب الحسبة ص١٠٣ .

(٥) الرحلة ص٢٥٠ .

جاد خطه لأن معلم الخط لا يعلم غيره (٦) يقول ابن العديم في قصة تعلمه للخط في المكتب وهو يومئذ بحلب ((فلما بلغت سبعة أعوام حملت إلى المكتب فأقعدت بين يدي المعلم فأخذ يمثل لي كما يمثل للأطفال ويمد خطاً ويرتب عليه ثلاث سينات ، فأخذت القلم وكنت قد رأيته وقد كتب " بسم " ومد مدته ففعلت كما فعل وجاء ما كتبته قريباً من خطه فتعجب المعلم)) (١) .

يقول ابن سيناء عن هذا الأسلوب : ((وكان معلم الخط يصور حروف الهجاء تصويراً لتقريبها إلى أذهان الصبيان وتثبت في عقولهم بحيث يسهل على الصبي استذكار الحرف بسرعة)) (٢) .

أما منهج المكتب فقد أوضح الشيزري طريقة التعليم ، ورتب المنهج الدراسي الذي يدرسه الصبيان بقوله : ((وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن ، بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ، ويدرجه بذلك حتى يألفه طبعه ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة [٣]، ثم أصول الحساب وما يستحسن من المراسلات والأشعار)) (٤) ورتب له اليوم الدراسي وما يأخذه بالمكتب وما يعود به إلى منزله بقوله : ((وفي الرواح

---

(٦) ابن بطوطة : تحفة النظار ص١١٠ ، وانظر في نماذج للمكاتب التي أنشأها أهل الشام لتعليم الصبيان وأشهر المؤدبين بها ، الذهبي : المختار ص٢٧٧ ، ٢٧٨ ، العبر ج٣ ص٣٣٦ ، معجم الشيوخ : ج٢ ص٥٢ ، ٥٣ ، ج١ ص١٠٢ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص٦٥ ، النعيمي : الدارس : ج١ ص٤٩٦ ، ٢٢٥ ، ابن طولون : القلائد الجوهرية ج١ ص٢١٢ ، ابن سعد : الغصون اليانعة ص١٩ ، ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص٢٢٩ ، الصفدي : ج٩ ص٦٥ ، ١٦٢ ، ٢٠٠ .

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٤ ص٤٥٣ .

(٢) نصوص ورسائل ابن سيناء ص٢٥٣ نشرت ضمن كتاب الفكر التربوي عند ابن سيناء للدكتور عبد الأمير شمس الدين الطبعة الأولى ١٩٨٨م الشركة العالمية للكتاب بيروت .

(٣) عرف عن القاضي محي الدين محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ابن الزكي (٥٩٨هـ/١٢٠١م) ((أنه كان يحرص على كتابة عقيدة الغزالي الملقبة بالمصباح ويأمر بتحفيظ الصغار لها)) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٣٢ . ولا ندري أهذا الكتاب يمثل عقيدة أهل السنة أم لا .

(٤) نهاية الرتبة : ص١٠٣ .

يأمرهم المؤدب بتجويد الخط على المثال ، ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظاً غائباً لا نظراً)) (٥)

ويؤكد ما ذهب إليه الشيزري في منهج المكتب الذي كـان يـتعلم فيـه الصبيان ما ذكره ابن أبي أصيبعة في ترجمته لعمه رشيد الدين علي بن خليفـة في أول طلبه للعلم بقوله : ((وأول اشتغال عمي بالعلم أنه كان عند تقي المعلم ، وهو أبو التقى صالح بن أحمد بن إبراهيم بن الحـسن بـن سـليمان العرشـي المقدسي ، وكان تقي الدين هذا يعرف علوماً كثيرة ، وكانت له سيرة حسنة في التعليم في المكتب ، وسياسة مشهورة عنه لم يكن أحد يقدر عليها إلا هو ، ولما أتقن عمي رحمه ا حفظ القرآن عند تقي الدين وعلم الحساب ، شرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه ...)) (١) .

ويروي ابن أبي أصيبعة عنه نفسه وبدايات طلبه العلـم أنـه كـان هـو والطبيب عز الدين السويدي يدرسان في المكتب عند شيخ واحد هو الشيخ أبـي بكر الصقلي(٢) ، وبعد أن يتجاوز الطالب مرحلة المكتب يشرع في تعلـم الطـب ودراسة كتبه ومعرفة فنونه العلمية والعملية (٣) .

وكانت مدة الدراسة التي يقضيها الطالب في مرحلة طلبه العلم مدة غيـر محددة بل الأمر يعود إلى قدرات الطالب العلمية ورغبته في الاستزادة والتميز (٤) ثم يخضع بعد ذلك لامتحان يؤذن له بعده بممارسة مهنة الطب وعلاج المرضى .

---

(٥) نفسه ص١٠٣ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ .

(٢) نفسه ص٧٥٩ .

(٣) نفسه : ص٧٣٦ .

(٤) نفسه : ص٦٣٧، ٦٦١، ٦٧٣، ٦٩٢، ٧٢٨، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨ ، ٧٥٥ .

وكان امتحان الأطباء يخضع لنظم ومعايير دقيقة متعـارف عليهـا بـين الأطباء المسلمين [(٥)] ، وهو ما كان معمولاً به عند أطباء الـشام فـي اعتبـار قدرات الأطباء ، ومعرفة مهاراتهم [(٦)]، ولذا نجد الشيزري يتطرق إلـى مـسألة امتحان الأطباء في عصره ويبين ضرورة ذلك وأن ((ملوك اليونان كانوا يجعلون في كل مدينة حكيماً مشهوراً بالحكمة ثم يعرضون عليـه بقيـة أطبـاء البلـد ليمتحنهم ، فمن وجده مقصراً في عمله أمره بالاشتغال وقراءة العلم ونهاه عـن المداواة)) [(٧)] .

ونجد الطبيب عبد اللطيف البغدادي ينتقد أهل حلب لما دخلهاوكان يعلـم الطب بها [(١)] أنهم كانوا لا يمتحنون الأطباء ليعرفوا الطبيب من غيره [(٢)] ، بـل

---

(٥) عسيري : امتحان الأطباء في المشرق الإسلامي حتى نهاية القرن السابع الهجـري ، مجلـة العـصور المجلد الخامس الجزء الأول ، ١٤١٠هـ ، ص١٤٣ ، ١٥٩ .

(٦) قطاية سليمان : التعليم الطبي عند العرب ، مجلة الباحث ، السنة الأولى ، العـدد (٥/٦) ، ١٩٧٩م ، ص١٢٠ .

(٧) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٩٧ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٠ .

(٢) حكى الفقيه الطبيب أحمد بن خليل الخوي قصة طريفة عمن يتعاطى الطب وليس له بأهل فهو يـذكر أن فقيهاً مشهوراً عارفاً بعلم الطب أراد أن يتطبب ما التفت الناس إليه ولم يقبلوه وما أقبلوا عليه وقالوا الفقيه من أين تعلم الطب ، وكان له رفيق قليل المعرفة كثير الظرافة قال له إذا دخلنا على المريض تبلغني مـا أقـول وتعلمني ما أفعل لعلنا نشبع خبزاً ، قال مبارك ، فدخلوا بلداً عرف الناس الفقيه ورحبوا به وقالوا من هذا قال طبيب أتردد معه إلى المرضى وأستفيد من معالجاته ، وجلس الرجل بجبة جديدة وعمامة كبيرة علـى دكـان عطار لا ينطق بشيء ، وأقبل الناس عليه ورفعت القوارير والفقيه يراها ويقول له ما يكتبه فيها ، وبلغ الأمر صاحب المدينة وقالوا جاهل تصدى لعلم الطب يعالج المرضى بجهل ويداوي وهو ليس لذلك بأهـل ، وكـان للملك طبيب قليل العلم فأحضر الملك الرجل وطبيبه وحضر الفقيه معهم فلما دخلوا على الملك قرب الرجـل وبعد الفقيه وخاف طبيب الملك منه واستشعر من أن يباحثه الرجل فقال له أسألك عن ثلاث مسائل إن أجبتني عنها بصواب فلك أن تعالج في البلد فقال مبارك فقال له كم الأركان فقال أربعة ، قال فكم الأرواح قال ثلاثة ، قال كم الأمزجة فتفكر زماناً وجعل يعد بأصابعه ثم قال تسعة قال الطبيب أحسنت ، وخرجا فقال الفقيه لـه من أين أجبت هذه الأجوبة وأنت دون هذه الأجوبة فقال لما قال كم الأركان وأنا كنت حججت ورأيت أركـان

إن الفوضى قد عمت حلب يقول : ((إن السلاطين في القسطنطينية كانت تراقـب مزاولة الطب وتمتحن الأطباء ، وتفرض عليهم قسم أبقراط [٣] ، وأن مثل هـذا كان جارياً في القاهرة ودمشق وبغداد ، إلا أن الفوضى عمت حلب)) [٤] .

وكان الأطباء بالشام يمتحنون في كتابين مهمين في الطب الأول : لحنين بن إسحاق (محنة الطبيب) ، والثاني : لجالينوس (محنة الطبيب) [٥] وقد عاق الشيزري على أطباء عصره أنهم كانوا يتقاصرون عن أداء الشروط التي أخذها عليهم جالينوس ولا يكادون يفون بها [١] ، وترك لنا الطبيب عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) كتاباً فريداً في امتحان الأطباء [٢] ، صنفه لكي يمتحن به الأطباء في زمنه سماه (امتحان الألباء لكافة الأطباء) يقول فـي مقدمته : ((وبعد فلما كانت عادة المملوك أن يخدم الجناب العالي الصاحبي أعلاه ا بخدمة تُدرس ولا تندرس لأنها تنقل من السطور إلى الـصدور سـلك ذلـك المسلك وعمل هذا المختصر يتبين به معرفة مدعي هذه الصناعة ومقدار فهمـه ويظهر به جودة عمله وعلمه وقسمته إلى أبواب عشرة في كل بـاب عـشرون

البيت أربعة الركن العراقي ، والركن الشامي ، والركن اليماني ، والحجر الأسود ، فقلت أربعة ، ولما سألني عن الأرواح وأنا أحفظ القرآن قلت الأرواح ثلاثة روح القدس ، وروح ا ، والروح الأمين ، ولما قال كـم الأمزجة فتفكرت في حروف قوله كم الأمزجة وجدتها تسعة فقلت تسعة) الخوي : أحمد بن خليل بن سعادة ، ينابيع العلوم ورقة (٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٣) انظر قسم أبقراط ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٥ ، القفطي : إخبار الحكمـاء ،ص٦٤ ، ٦٥، ابن جلجل طبقات الأطباء والحكماء ص١٦ ، ١٧ ، كان هذا القسم مما يؤخذ على سائر الأطباء بالشام ويطلبه المحتسب في امتحان الطبيب ، ومن الملاحظ أن هذا القسم قد أخذ به الأطباء المسلمين مـدة طويلـة، ومـع ظهور المدرسة الإسلامية في الطب لم نرا أحداً استحدث قسماً جديداً يغني عن قسم أبقراط ، الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠٠ .

(٤) مقالة في الحواس مجلة اللغة العربية المجلد (٤٥) ١٩٧٠م ، ص٢٣٢ .

(٥) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠٠ .

(١) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠٠ .

(٢) من الكتب التي صنفها أطباء الشام في هذا الموضوع كتاب (نوادر الألباء في امتحان الأطباء) للطبيب عبد العزيز بن علي المصري (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) صنفه للملك الكامل بن العادل الأيوبي والكتاب مفقود ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠٠ ، ٦٠١ ، البغدادي : هداية العارفين ج١ ، ص٥٧٩ ، الزركلـي : الأعلام ج٤ ، ص٢٣ .

مسألة لا يسع أدنى طبيب إلا أن يكون على خاطره وذكره ولم أذكر إلا المشهور المنصوص ثم ذكرت أجوبتها والمكان الذي أخذت منه ليكون حجـة للـسائل إذا جاوبه المسئول بغير الجواب قيل له هذه المسألة مسطورة ذكرها فلان في كتاب كذا وكذا في موضع كذا وكذا وليس لي في ذلك سوى الجمـع لهـذه المـسائل والتقاطها من كتب الأوائل وسميته ، امتحان الألباء لكافة الأطباء ...)) [٣] .

ولعلنا نكشف من خلال هذا الفصل الطرق والوسائل التي كان يتعلم بهـا الأطباء وكيف كانوا يمتحنون نظرياً وعملياً .

(٣) امتحان الألباء لكافة الأطباء ورقة ٥ (أ / ب) .

المبحث الثاني : المناهج والكتب المعتمدة في التعليم الطبي عند أهل الشام

قبل الحديث عن مناهج الأطباء والكتب المعتمدة في التعليم الطبي عند أهل الشام وطرقهم العلمية والعملية ، سوف نتطرق إلى اختلاف علماء الطب في أهمية دراسة طالب الطب العلوم الفلسفية ، والمنطق ، والهندسة ، وعلم الرياضيات ، والنجوم ، والموسيقى ، وذهابهم في ذلك إلى مذاهب مختلفة بين من يرى أهميتها لطالب الطب ، ومن يقلل من شأنها وفوائدها للطبيب ، وسنبين طريقة هؤلاء الأطباء ومناهجهم وكيف كان موقف أطباء الشام من هذه القضية .

لقد اتسم الطب الإسلامي خلال القرون الخمسة الأولى بالأخذ بالنظرية اليونانية التي تُخضع الطب للفلسفة وتجعله جزءاً منها وعلماً من علومها ، وقد آزر هذه النظرية وكرّس هذا المنهج الطبيب جالينوس لأنه كان طبيباً وفيلسوفاً [1]

يتحدث أبو الفرج علي بن هندو في (مفتاح الطب) عن علوم الفلسفة التي ينبغي للطبيب معرفتها ليكون كاملاً في الصناعة الطبية ، وهو يفصل في هذه المسألة فيقول ((إن جالينوس لتفخيمه أمر الطب جعل الطبيب فيلسوفاً)) [2] ويقول : وقد باحثت أستاذي أبو الخير الخمار [3] في ذلك ، فرأينا في قوله هذا حيفاً وذلك أن الطبيب هو الذي يفيد أبدان الناس الصحة ، والفيلسوف هو

---

(1) مراد إبراهيم : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ص١٣ .

(2) ابن هندو علي بن الحسين ،: مفتاح الطب ومنهاج الطلاب تحقيق علي المنصوري ، مؤسسة البلاغ الطبة الأولى ١٤٢٢هـ ص٨١ .

(3) أبو الخير الخمار : الحسن بن بابا بن سوار بن بهنام نصراني عالم بالطب خبير به عاش في مدينة غزنة ، عرض عليه الإسلام في أول عمره فأبى ، ولما جاوز المائة سنة مر يوماً بمكتب فيه ملهم حسن الصوت يقرأ سورة (الم ، أحسب الناس) العنكبوت فوقف وبكى ساعة وذهب ، فرأى في ليلته تلك النبي صلى ا عليه وسلم يقول له : يا أبا الخير مثلك – مع كمال علمك – يقبح أن ينكر نبوتي ، فأسلم أبو الخير في منامه على يد النبي صلى ا عليه وسلم ولما قام من نومه أظهر إسلامه ، وتعلم الفقه على كبر سنه ، وحفظ القرآن وحسن إسلامه ، البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص٣٦ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء ص٤٢٨ ، ٤٢٩ .

المحيط بحقائق الموجودات ، الفاعل للخيرات .. فلئن يجعل الفيلسوف طبيبـاً ، أولى من أن يجعل الطبيب فيلسوفاً فإن الفلسفة عامة محتوية على الطب ، وغير الطب ، وهي التي تسمى صناعة الصناعات ... وسأزيد قولي بيانـاً : اعلـم أن الفلسفة جزأن نظري وعمليّ :

النظري **: هو المشتمل على علم الطبيعيات ، وهو علم طبائع الأفلاك وكواكبهـا والعناصر الأربعة والكائنات منها ، وعلى علم الرياضيات ، وهـو علـم العـدد والهندسة والتنجيم والموسيقى . وعلى علم الإلهيّات .**

والعملي **: هو المشتمل على السياسات الثلاث وهي سياسة النفس التي هي علم الأخلاق ، وسياسة المنزل ، وسياسة المدينة التي تنتظم بالنبوة والإمامة والملك .**

أما الطبيعيات ، فلا يحتاج الطبيب بما هو طبيب إلى الإحاطة بجميعهـا ، بل يكفيه أن يعلم بعض أجزائها ، وهو ما يتصل بصحة بدن الإنسان ومرضـه ، من العناصر والأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأفعال الصادرة عن القوى وأسباب الصحة والمرض ودلائل الصحة والمرض ، ولا يجب عليه أن يقف على جميع مباحث هذا الجزء ، بل على المباحث التي تخص الطبيب ، وتغني في أمر الصحة والمرض .

وأما العلم الرياضي ، فيحتاج الطبيب منه إلى ما أقول : يحتاج إلى طرف صالح من علم التنجيم ، فقد حكى جالينوس عن أبقراط أنه قـال : ((إن منفعـة علم النجوم من صناعة الطب ليست بيسيرة)) وحقاً قال ذلك ، فإن أمر البحران وأيام البحران لا يتحقق إلا من صناعة التنجيم ... ولا بد في تعلم التنجـيم مـن الهندسة إلا أنه يكفيه منها القدر الذي يقف على حاجته ، ويتوصـل مـن علـم النجوم إلى غرضه ، دون سائر العلوم الهندسية التي لا تكـاد تنحـصر كثـرة وانبساطاً وتنوعاً واتساماً ، أما العدد فلا حاجة بالطبيب إليه ، اللهم إلا أن يقول قائل إن البحارين الكائنة في الأفراد أقوى من الكائنة في الأزواج ، فواجب على الطبيب أن يعرف حال الفرد والزوج ، والسبب في هذا التفاوت ، فإن كان لا بد

للطبيب من العدد ، فله في معرفة هـذا القـدر كفايـة وبـلاغ دون الاسـتكثار والاستغراق .

وأما العلم الموسيقي ، فهو داخل في صناعة الطب بوجه من الوجوه ... غير أني أقول : إن الطب الذي كان على هذا الوجه قد باد واضمحل ، إذا كـان أبقراط في جلالة قدره لم يعرفه ، وإنما أحال به على القدماء قبله فإن اشـتغالنا باستخراجه حصل بعد الأعمار والأدوار ، فينبغي أن يكون كلامنا بحسب الطـب الأبقراطي الموجود عندنا ... ولا يوجب ذلك أن يكون الطبيب هو المتعاطي للنقر والزمر والزفن والرقص ، بل للطب خدم كثيرون كالصيدلاني ، الفصاد ، الحجام، الحقان ، فهو يستعين بهم ، ويكل هذه الأعمال إليهم فكذلك يستعين بالموسـيقار فيما يحتاج إليه من ذلك الباب ... وأما المنطق الذي هو آلة الفلسفة ، وهو علم صناعة القياس والبرهان فمعرفة الطبيب له وغزارته فيه بل إحاطته واستغراقه لجميعه من أوجب الفرائض عليه ولأن الطب الحقيقي هو القياسـي ، ... فهـذا جميع ما يجب على الطبيب تحصيله ، حتى يستحق أن يسمىّ طبيبـاً ولا تكـون معالجته جزافاً ...)) (١) .

وقد ذهب صاعد (٢) إلى ما ذهب إليه ابن هندو في أهمية هـذه العلـوم لطالب الطب ، وما يحتاج إليه الطبيب من تلك العلوم الفلسفية (٣) ويستشهد على صحة قوله بكلام قاله جالينوس في كتاب ذكر فيه مراتب قراءة كتبه لمّـا ذكـر الفلسفة وصناعة الطب فقال : ((إلا أنه ينبغي أن تعلم أن الذي يقـصد هـاتين الصناعتين وأحكامهما جميعاً ، ينبغي أن يكون فيهماً ذهناً جيـد الحفـظ شـديد الحرص محتملاً للتعب محباً له ، وأن يتفق له من السعادة ما اتفق لي في تأدبي منذ صغري مع أبي بعلم الهندسة والحساب ، فإنه لم يزل يؤدبني بـسائر الآداب والرياضيات التي تأدب بها الأحرار ، حتى انتهيت من السن إلى خمس عـشرة

---

(١) ابن هندو : مفتاح الطب ص٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) صاعد : صاعد بن الحسن بن صاعد الطبيب ، من أهل الرحبة وسكن دمشق ، وله مصنفات في الطـب وغيره ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣٤٠ ، الزركلي : الأعلام ج٣ ص٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٣) التشويق الطبي : ص٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

سنة ، ثم أنه أسلمني في تعليم المنطق وقصدي حينئذ لتعليم الفلسفة وحـدها ، فرأى رؤيا دعته إلى تعليمي الطب فأسلمني في تعليم الطب وقد أتت عليّ من السن سبع عشرة سنة ، وأمرني أن أداوم مع تعليمي للطب على ما كنت أخذت فيه من تعليم الفلسفة ، وأولاً أني شغلت نفسي عمري كله في معاني الطب والفلسفة لما كنت أعلم منهما شيئاً له قدر ، على ما اتفق لي من السعادة بما ذكرت من أمر أبي ، وعلى أنه لم أجد أحداً ممن كان يتعلم معي إلا وقد كنت أسبقه إلى تعليم ما كنت أتعلمه)) (١) ثم يقول : ((فهذا دليل واضح من قول هذا الحكيم على أن الحاجة داعية لمن أراد أن يتعلم صناعة الطب إلى تعلم المنطق ، وجمل من العلوم الرياضية)) (٢) .

وكان الطبيب علي بن رضوان المصري من أشهر من دعا إلى هذا المذهب (٣) ، وصاحب القولة المشهورة : ((إن لقب طبيب يجب أن لا يطلق إلا على من يتعاطى الفلسفة والطب معاً ، و إلا فهو ليس طبيباً بل متطبباً)) (٤) ويقول فيما ينبغي أن يتقدم صناعة الطب : ((وقبل أن تشرع في تأملها ابدأ فارتقي في الحساب والهندسة ثم في صناعة المنطق ، ولا تمعن في واحدة من منزلة الصنائع إمعان من يقصد إفناء عمره فيها كله ولكن أمعن حتى تصير لك قوة يتهيأ لك بها أن تتعرف فيما يتلقاك فيها ، وتَوقّ إذا تعلمت صناعة المنطق أن تقع في الهذيان العنادي ، أعني أن تتلق كل قوم بما تعاند ، لكن الزم في كل علم وصناعة أصولها ... وبعد أحكام هذه الأشياء أسلم نفسك في صناعة الطب)) (٥) .

---

(١) التشويق الطبي : ص٧٤ ، ٧٥ .

(٢) نفسه ص٧٥ .

(٣) السامرائي : تعليم الطب في العصور الإسلامية ، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص٣١٩ .

(٤) البختيشوعي : الأحداث النفسانية المقدمة ص١٠ .

(٥) النافع في كيفية تعلم صناعة الطب ، كمال السامرائي ، طبعة جامعة بغداد ١٩٨٦م ص٩٨ .

من خلال استقراء كلام هؤلاء العلماء في هذه المسألة ، يتبين أنهم يهدفون في أغلب الأمر إلى توسيع معارف الأطباء وطالب الطب قبل أن يشرع في دراسته وتعلمه وهم يحذرون في كلامهم من الاستغراق في قراءة هذه العلوم والتعمق فيها وصرف الوقت في قراءة كتبها فابن هندو يقول : ((فإن كان للطبيب من العدد ، فله في معرفة هذا القدر كفاية وبلاغ دون الاستكثار والاستغراق)) (٦) ويقول ((فأما العلم الإلهي فمن الظاهر أن الطبيب من حيث هو طبيب لا يلزمه البحث عنه ، والوقوف على حقائقه)) (٧) ويقول صاعد : ((ويحتاج بعد ذلك أن يكون عارفاً من الحساب بوجه الضرب والقسمة والنسبة من غير تدقيق في ذلك وإشغال الزمان منها بما لا يحتاج إليه)) (١) ويقول في موضع آخر ((ويعلم من النجوم ما لا بد منه مثل علمه بشكل الأرض ووضعها وسط الفلك ...)) (٢) وابن رضوان يقول : ((ولا تمعن في واحدة من منزلة الصنائع إمعان من يقصد إفناء عمره فيها كله ...)) (٣) .

أما عن الأطباء بالشام فإن عنايتهم بعلوم الفلسفة كانت واضحة تماماً ، وكانوا يعتبرونها أساساً من ثقافة الطبيب وعلومه إبان فترة البحث ، ويمكننا أن نقسم طرق تعليم الطب في بلاد الشام خلال هذه الفترة إلى طرق ثلاث هي :.

الطريقة الأولى **: استمرار بعض الأطباء بالأخذ بأسلوب المدرسة اليونانية في التعليم الطبي ، وهو التركيز في بدايات التعليم وخلاله على العلوم الفلسفية واعتبارها جزءاً من علوم الطب ، وهو ما كان سائداً حتى نهاية القرن الخامس الهجري [٤] .**

---

(٦) مفتاح الطب ص٨٤ .

(٧) نفسه ص٨٥ .

(١) التشويق الطبي : ص٧١ .

(٢) نفسه ص٧١ .

(٣) النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ص٩٨ .

(٤) ربما يمثل هذا الاتجاه من الأطباء بالشام ممن ترجم لهم ابن أبي أصيبعة قبل القرن السادس والسابع الهجري ، أبو نصر الفارابي وأبو الفرج جورجيس ابن يوحنا اليبرودي ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠٣ ، ٦١٠ ، ٦١١ .

الطريقة الثانية : **الأخذ بمنهج بعض الأطباء الذين يفصلون بين الطب والفلسفة ولا يرون علاقة بينهما ، وهؤلاء في جملة أطباء الشام قليل (5) .**

الطريقة الثالثة :**وهي طريقة الذين جمعوا بين المنهجين ،فأخذوا بأسلوب المدرسة اليونانية ، وهي التي تعنى بالعلوم الفلسفية دون الإغراق فيها وأخذ ما يحتاج إليه الطبيب منها . وبين العناية بالتجربة والملاحظة والكشف السريري والعمل باليد .**

وقد كان أغلب أطباء الشام من أصحاب الطريقة الثالثة الذين جمعوا بين الطب والفلسفة مع العناية بالتجربة والملاحظة والكشف السريري ، وقد مثل هذا الاتجاه فيما قبل القرن السادس الهجري الطبيب محمد بن زكريا الرازي (٣١٣هـ/ ٩٢٥م) وأبو علي الحسين ابن سيناء (٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) والذي كان لمدرستيهما أثر في تعليم الطب في بلاد الشام خلال فترة البحث ، وهما من الأطباء الذين جمعوا بين الطب والفلسفة في آن واحد ، ولهم في الطب والفلسفة مؤلفات (١) فقد كانا طبيبين ، فيلسوفين ، امتزج عندهما الطب بالفلسفة ، وكان لهذا المذهب التوفيقي بين الطب والفلسفة عندهما أثره في تصور الطب وفهمه على الرغم من أنهما كانا يؤمنان حقيقة بفضل علم الطب عن غيره من العلوم

---

(5) يبرز لنا أصحاب هذا الاتجاه من خلال تراجمهم أنه لا عناية لهم بالعلوم الفلسفية ، وكان أغلبيتهم من الفقهاء أو المشتغلين بالعلوم الشرعية ، نذكر منهم على سبيل المثال :

الطبيب سعد الدين إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي(٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) شيخ الأطباء بالشام ، كان فقيهاً مع براعة في الطب وتقدم فيه ، وكذلك الطبيب مجد الدين عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون التنوخي الحنفي (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) كان فقيه ومدرس في إحدى المدارس للأحناف . ومنهم الطبيب أحمد بن عبد ا بن الحسين الشافعي (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) برع في الطب والفقه على المذهب الشافعي وعمل في البيمارستان النوري ، ودرس في المدارس الفقهية ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ ، ٦٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٣٦٢ ، ٣٦٣ ، البدر العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩هـ / ٦٩٨هـ) ص٢٩١ ، الذهبي : معجم الشيوخ ج٢ ص٤٢١ ، تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ /٦٤٠هـ) ص١٩٠ ، ١٩١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٥ ص٣١٣ ج١٨ ص١٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ج٢١ ص ٢٦٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص٦٥ .

(١) عبد اللطيف البدوي : تعليم الطب عند العرب ، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ١٩٨٩م الجزء الأول ، مطبعة الرشاد بغداد ص٦٨٢ ، ٦٩١ .

كافة ؟ وجعله علماً منفرداً قائماً بذاته له حدوده ورسومه وآلاته . فقد سمى ابن سيناء كتابه (القانون في حد الطب) ، وجعل الرازي الطب علماً منفصلاً عـن الصيدلة فكان يقول للطب باب وللصيدلة باب آخر (الحاوي – باب الـصيدلة -)، وقد كان معظم الأطباء – حتى القرن الخامس – يقسمون الطب إلـى علمـي وعملي ولكنهم لا يخرجون القسم العملي عن دائرة العلم النظري ، وقد نبه ابن سيناء إلى هذا المعنى في أول كتابه القانون (٢) حيث قال : ((إذا قيـل إن مـن الطب ما هو نظري ومنه ما هو عملي فلا يجب أن يظن أن مرادهم فيه هو أحد قسمي الطب هو تعلم العلم ، والقسم الآخر هو المباشرة للعمل كما يـذهب إليـه وهم كثير من الباحثين عن هذا الموضع ، بل يحق عليك أن تعلم أن المراد مـن ذلك شيء آخر وهو أنه ليس واحد من قسمي الطب إلا علماً ، ولكن أحدهما علم أصول الطب والآخر علم كيفية المباشرة ، ثم يخص الأول منهما باسم العلم أو باسم النظر ويخص الآخر باسم العمل ، فنعني بالنظر منه ما يكون التعليم فيـه مفيد الاعتقاد فقط من غير أن يتعرض لبيان كيفية عمل مثل ما يقال في الطـب أن أصناف الحميات ثلاثة ، وإن أصناف الأمزجة تسعة ، ونعني بالعمـل الـذي يفيد التعليم فيه رأياً ، وذلك الرأي متعلق ببيان كيفية عمله ... ، فـإذا علمـت هذين القسمين فقد حصل لك علم وعملي وعلم عملي وإن لم تعمل قط)) (١) .

أما الطبيب رشيد الدين علي بن خليفة وهو احد الأطباء الذين دمجوا بين الطب والفلسفة ومن فرق أهل النظر والقياس فيقول : ((اشتغل بكلام المشهورين الجامعة أولاً ، فإذا حصلت الصناعة فاشتغل بالكتب الجزئية من كلام كـل قائـل عارياً من محبته أو بغضه ، ثم زنه بالقياس وامتحنـه إن أمكـن بالتجربـة ، وحينئذ اقبل الصحيح ، وإن أشكل فأشرك غيرك فيه ، فإن لكن ذهـن خاصـية لمعان دون معان)) (٢) .

---

(٢) إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص١٤ .

(١) ابن سيناء : القانون ج١ ص٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبناء ص٧٤٣ .

وقد حدد ابن النفيس العلاقة بين الطب والعلوم الأخرى بقوله : ((إن في معرفة ما به يشارك الطب غيره من الصنايع النظرية وما بـه خالفهـا زيـادة تعريف لحقيقة الطب فلذلك ذكرنا هذا الفصل هاهنا ... إن العلوم منها مـا هـي مباينة للطب ومنها ما هي مشاركة له ... والمباينة ، منها مباينتهـا لـه فـي الأجزاء المقومة مثل علم الحساب والهندسة ، وللطب في الموضوع والمبـادي والمسائل ، ومنها مباينتها له في أحكام المسائل بأن تكون المسألة فـي الطـب يباين حكمها في علم آخر، والعلم المباين للطب بهذا الوجه قـد يكـون بينهمـا مشاركة في شيء من الموضوع وقد لا يكون كذلك ، والأول كمباينة الطب لعلـم الأخلاق ، فإن كل واحد منهما ينظر في قوى الإنسان الـشهوانية لكـن الطـب يوجب تقوية تلك القوى ، وعلم الأخلاق يوجب إضعافها ، ومن ذلك فلا خلل في أحد العلمين ، وذلك لأن غرض الطبيب تقوية البدن ... وغرض علـم الأخـلاق إصلاح حال النفس ، والثاني كمباينة الطب للفقه في أن الطـب يوجـب شـرب الخمر ، والفقه يحرمه ذلك أن مقصود الطب حفظ الصحة ... وعرض الفقه أن تكون أفعال المكلفين على الوجه المرضي تعالى ، وإنما يكون ذلك باجتنـاب الخمر ، أما العلوم المشاركة للطب فمنها ما بينهما وبين الطب عموم وخصوص ، ومنها ما ليس كذلك ، والأول كالعلم الطبيعي فإن الطب يشاركه في النظر فـي الإنسان وليس أحدهما أعم من الآخر ولا يشاركه في النظر في بـدن الإنـسان والطب أخص من الطبيعي ، والثاني كعلم الأخلاق فإنه يشاركه الطب في النظـر في الإنسان وليس أحدهما أعم من الآخر ولا موضوعاً فوقه ، ونظر الطب فـي بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض ، ونظر علم الأخلاق هـو فـي نفـس الإنسان من حيث لها قوى عملية)) [1] وهو يمثل بكلامه هذا اتجاه أصحاب هذا المنهج .

---

(1) الشامل في الصناعة الطبية ج١ ص١٧ .

وكان للتعليم الطبي في بلاد الشام إبان فترة البحـث اتجاهـات واضـحة وسمات بارزة يتضح من خلالها ظهور المدرسة الإسلامية في التعليم الطبي فمن هذه السمات ما يلي :

أولاً : **العناية بعلوم الفلسفة والمنطق رغم الموقف المتشدد منها .**

ثانياً : **الاهتمام بكتب الأطباء اليونانيين أمثال ابقراط وجالينوس والعنايـة بهـا بشكل خاص .**

ثالثاً : **اعتماد كتب الأطباء الفلاسفة من المسلمين ، أمثال الرازي ، وابن سيناء في التعليم الطبي .**

رابعاً : **اعتمادهم كتب تمثل اتجاهات أخرى فـي التعلـيم الطبـي مثـل كتـاب الزهراوي (التصريف لمن عجز عن التأليف) وهو يمثل اتجاه آخر في التعلـيم الطبي ، فهو ممن يرى دراسة الطب منفصلة عن الفلسفة وغيرها من العلوم [١] كما أنه ينظر إلى مصنفات الأوائل أنها مطولة بلا طائل ومستغلقة .**

خامساً :**اعتمادهم في تعليم الطب على الملاحظـة والتجربـة والتـدريب داخـل البيمارستانات الشامية ، وكان الأطباء المعلمون يؤكدون على ذلك طوال الفترة .**

سادساً : **تدريب الأطباء على العمل باليد ، وقيامهم بالعمليات الجراحية بأنفسهم ، وهو ظاهر من خلال مصنفات بعض الأطباء في هذا العصر (١) .**

---

(٢) إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص١٧ .

(١) كان ممن ذهب إلى أن الطب إنما هو قياس اعتماداً على علوم الفلسفة في اسـتنباط الحقـائق ، الطبيـب الأندلسي أبو مروان عبد الملك بن زهر الأشبيلي (٥٥٧هـ / ١١٦٢م) في كتابه " التيـسير فـي المـداواة والتدبير " عند حديثه عن معالجة " فك المفاصل " : " وأما محاولة ذلك باليد فهو من أعمال بعـض الخدمـة للطبيب وكذلك الفصد والكي وقطع الشريان وما هو شرف من هذه رتبة مثل التشمير ولقط السبل وأعلى رتبة من هذه للخدمة إجادة القدح ، وكلها من اعمال الخدام للطبيب واما الطبيب فمـن شـأنه أن يـدبر بالأغذيـة والأدوية أمر للمريض – ولا يتناول بيده شيئاً من ذلك ، كما ليس من شأنه أن يعقد المعاجن إلا في الضرورة ... وإنما ذكرت من أعمال اليد ما ذكرت لأنه إذا اضطر الطبيب في نفسه أو فيمن يحضر ممن يغتنم الأجـر فيه لا بد له أن يعمل ما يحسن عمله ما خف . وأما ما يكون من الأعمال المستقذرة القبيحة ، كالـشق علـى الحصى فإن الحر لا يرضى لنفسه بعمل ذلك ولا بمشاهدته ، وما أظن أن الشريعة تبيحه إذ فيه كشف العورة ، وكشفها حرام " أبو مروان ابن زهر ، التيسير في المداواة والتدبير تحقيق ميشيل الخوري ، المنظمة العربية

سابعاً : **عنايتهم باللغة العربية والأدب وتعليمها ، مما ساعد على صياغة واستحداث المصطلح الطبي الإسلامي [٢] .**

ثامناً **: الاتجاه النقدي لنظريات وآراء كثير من الأطباء في مؤلفاتهم سواء كان ذلك في كتب الأطباء اليونانيين أو الأطباء المسلمين .**

تاسعاً **: تولي عدد كبير من الأطباء لصناعة الأدوية وتركيبها وتجريبها بأنفسهم .**

عاشراً **: عناية عدد كبير من الأطباء بالعلوم الشرعية مثل الفقه والحديث وغيرها، مما يدل على تأثر الحركة العلمية الطبية بالجو العلمي الذي برزت فيه الدراسات الشرعية غالبة على الحركة العلمية بوجه عام .**

واستكمالاً للحديث السابق [٣] نذكر من السمات السابقة سمتين يبرز من خلالهما موقف أطباء الشام من الفلسفة وعلاقتها بالطب وعنايتهم بعلوم اللغة والنحو وظهور المصطلح الطبي لديهم :

للتربية والثقافة والعلوم دمشق ١٩٨٣م ص٣١٩ ، ٣٢٠ ، وانظر إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة ص١٥ ، ١٦ .

(٢) هناء فوزي : مناهج الأطباء العرب ص١٤٧ .

(٣) سوف يأتي الحديث عن بقية السمات في ثنايا البحث إن شاء ا .

عنايتهم بعلوم الفلسفة والمنطق رغم الموقف المتشدد منها :.

سبق الحديث في الفصل الأول عن موقف العلماء المتشدد من الفلسفة ، وعلم المنطق ، وقراءة كتبها ، وتعليمها ، وتحريم ذلك ، وما صدر فيها من الفتاوى الشرعية من العلماء (١) .

وقد رجحنا من خلال كلامنا هناك أن النهي كان مقصوراً على كتب المنطق والفلسفة حينما ظهر خطرها وشرها على عقائد الناس (٢) ، ومع هذا الموقف الواضح والنهي الشديد من قبل العلماء والسلاطين (٣) إلا أنه وجد عدد من الأطباء بالشام كانوا يدرسون علمي الفلسفة والمنطق ويولونهما عناية خاصة ولهم مصنفات تدل على رسوخهم فيها (٤) وقد عزز هذا الاهتمام بالفلسفة وجود عدد من كبار الفلاسفة المشهورين بها ممن عاش في بلاد الشام إبان فترة البحث ، وكان لهم أثرهم في بقاء الفكر الفلسفي بين طلبة الطب ، أو ممن قرأ عليهم في هذا الفن، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفلاسفة : شهاب الدين السهروردي (٥٨٧هـ / ١١٩١م) وهو من الفلاسفة الكبار الذين تأثر الناس بكتبهم (٥) ، وكان له بالشام تلامذة ، وقد شنع عليه الفقهاء عند السلطان صلاح الدين الأيوبي لفساد عقيدته وأنه إن بقي حياً فسوف يفسد عقيدة ابنه الملك الظاهر ، وأنه يجب قتله ، فحبسه الملك الظاهر في قلعة حلب ومنع عنه الطعام

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين ص٣٣ ، ابن شداد الأعلاق الخطيرة ص٢٣٥ ، ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعيين ج٢ ص٧٠٧ ، ابن الصلاح : فتاوى ومسائل ابن الصلاح ج٢ ص٢٠٨ ، السبكي : فتاوى السبكي ج٢ ص٦٤٤ ، ٦٤٥ .

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين : ص١٢٦ ،٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٢٩٨ ، الأسنوي : طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ص١٦٣ ، السيوطي : بغية الوعاة ص٥١٨ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص٢٢٩ ، ٢٣٤ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٦٣ ، ٦٧١ ، ٧١٧ .

(٥) نفسه ص٦٨٦ .

والشراب حتى مات (٦) قال ابن أبي أصيبعة : ((حدثني الشيخ سديد الـدين بـن عمر قال : كان شهاب الدين السهروردي قد أتى إلى شيخنا فخر الدين المارديني ، وكان يتردد إليه في أوقات وبينهما صداقة ، وكان الشيخ فخر الدين يقول لنـا ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ، ولم أجد أحداً مثله في زماني ، إلا أنـي أخـشى عليه كثرة تهوره واستهتاره ، وقلة تحفظه أن يكون ذلك سبباً لتلافه ... ولمـا بلغ شيخنا فخر الدين الماريني قتله قال لنا : أليس كنت قلت لكم عنه هذا مـن قبل ، وكنت أخشى عليه منه)) (١) .

أما سيف الدين أبو الحسن علي بن علي الآمدي (٦٣٥هـ ـ/ ١٢٣٧م) فقد كان من أكابر الفلاسفة الذي عرف عنهم هذا العلم وبرعوا فيه ، وقـد قـرأ عليه عدد من الأطباء وله فيه مجالس للتعليم كان يعقدها في بيته (٢) وقد كـان سبب عزله عن المدارس اشتغاله بعلم الفلسفة والمنطق ، وتدريسه لها داخـل المدارس الفقهية بالشام (٣) .

ومن الفلاسفة الذين أثروا بتعليمهم للفلسفة الفخر بن البـديع البنـدهي (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) كان أبوه من تلامذة فخر الدين الـرازي ، وكانـت لـه عناية بالفلسفة وعلوم الأوائل وقد كان يسكن في بعض مدارس دمـشق ، وقـد أفسد عقائد بعض الشباب المشتغلين بالمدارس بما لديه من فكر فلسفي ، حيـث كان يجاهر باستنقاص الأنبياء عليهم السلام (٤) .

وتذكر المصادر أن الشهاب النقاش (٦٥٦هـ / ١٢٢٨م) كان زنـديقاً يعرف علم الكلام وطرق الحكماء في إنكار النبوات والازدراء بما أهـل الإسـلام

---

(٦) انظر في تفصيل ترجمته : ابن خلكان : وفيات الأعيـان ج٦ ص٢٦٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص١٣ .

(١) عيون الأنباء : ص٦٤١ ، ٦٤٢ .

(٢) نفسه ص٦٥٠ ، ٦٥١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ص٢٢٩ ، ٢٣٤ .

(٤)أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٢ .

عليه ، وكان يسكن داخل المدرسة النورية [(5)] بدمشق وله مجاس بالجامع عند باب مشهد في قبة يزيد يجتمع عليه جماعة على طريقته يقرؤون عليه (٦) .

ومن هؤلاء الفلاسفة الذين قرأ عليهم الأطباء علم الفلسفة والمنطق (١) الحسن بن محمد بن نجا الغنوي الأربلي الضرير (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، كان رافضياً فيلسوفاً بارعاً في علم الكلام ، فكان الطلبة يترددون إليه في بيته ، من المسلمين ، وأهل الكتاب وغيرهم ، فيتعلمون منه الفلسفة وعلم الكلام (٢) ، وتذكر المصادر أنه رجع في آخر حياته وتاب ، وفي ساعة موته تلى قوله تعالى ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) (٣) ثم قال صدق الله وكذب ابن سيناء كذب ثم خرجت روحه (٤) .

إضافة إلى ذلك كانت كتب الفلاسفة اليونانيين وغيرهم من الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سيناء والرازي وغيرهم متداولة ولهم عليها شروح ومختصرات وتعليقات (٥) ومن الملاحظ أن بعض الأطباء الشاميين كان لديهم ميل كبير إلى علوم الفلاسفة والمناطقة ، وقد أغرقوا في تعلم هذه العلوم ، وقد وقع بعضهم في المحاذير التي نبه عليها العلماء فيمن يتعاطى الفلسفة والمنطق ، فقد عرف عن الطبيب الفيلسوف شمس الدين عبد المجيد بن عيسى

---

(5) هي التي أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق سنة ثلاث وستون وخمسمائة ، وهي من أكبر المدارس الحنفية بالشام ، النعيمي : الدارس ج١ ص٦٠٦ ، ٦١٠ .

(٦) نفسه ص٢٠٠ ، ٢٠١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٧ ، ٧٦٨ .

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ص١٢٦ .

(٣) سورة تبارك آية (١٤) .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص٥٠١ ج٢ ص١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٢٩٨ ، الأسنوي : طبقات الشافعية ص١٦٣ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٩ ، ٦٤١ ، ٦٥٠ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٧١٧ ، ٧٢١ ، تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١ ، ١٦٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٥٤٢ ، ٥٤٣ .

الخسروشاهي (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) ميله الشديد لعلوم الفلسفة وهو من أشهر تلامذة فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) في الفلسفة (٦) ينقل ابن تيمية عنه أنه ((كان قد وقع في حيرة وشك حتى كان يقول ((وا ما أدري ما أعتقد ، وا ما أدري ما أعتقد)) (٧) .

وعلى الرغم من كثرة الأطباء الذين درسوا العلوم الفلسفية واعتنوا بها إلا أنهم جمعوا في منهجهم العلمي الطبي بين الطب النظري اليوناني وبين المنهج التجريبي الذي برز عند أطباء الشام بصورة واضحة وسنبين ذلك من خلال نماذج لأصحاب هذا الاتجاه من أطباء الشام فمنهم على سبيل المثال (١) .

صدقة بن نجا بن صدقة السامري الطبيب كان قوياً في الفلسفة وله فيها مصنفات (٢) .

وكان مهذب الدين الحاجب من مشاهير الأطباء الذين عرفوا العلوم الرياضية وبرعوا في علم الهندسة والنجوم ، وله فيها تصانيف مشهورة ، وقد عمل في البيمارستان النوري بدمشق وهو معروف بدينه وورعه (٣) .

وكان نجم الدين أبو زكريا يحيى بن اللبودي ممن عني بعلوم الفلسفة والهندسة ، وله فيها مصنفات وكان يخدم بالطب الأمراء والأعيان (٤) .

وعرف عن أبي الحجاج يوسف عمران الإسرائيلي الطبيب أنه كان بارعاً في الهندسة وعلم النجوم (٥) .

وكذلك الطبيب رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخرساني الساعاتي كان على معرفة بصناعة المنطق والعلوم الحكمية (٦) .

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(٧) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص٣٢٧ .

(١) سوف نورد هنا من تراجمهم الأطباء ما يدل على عنايتهم بالعلوم الفلسفية .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧١٧ ، ٧٢١ .

(٣) نفسه ص٦٥٩ .

(٤) نفسه ص٦٦٣ .

(٥) نفسه ٦٩٦ .

(٦) نفسه ص٦٦٢ ، ٦٦٣ .

ومن مشاهير أطباء الشام الذين عرف عنهم هذا المـنهج الطبيـب عبـد الرحيم ابن علي بن حامد الدخوار فقد قرأ علوم الفلسفة والمنطق علـى سـيف الدين علي بن أبي علي الآمدي وحفظ كتبه وقرأها عليه ، مثل كتـاب (دقـائق الحقائق) ، كتاب (رموز الكنوز) ، وكتاب (التمويهات في شرح التنبيهات) ، وكتاب (إبكار الأفكار) وغيرها ، كما برع في علم الهيئة والنجوم ، واشـتغل بها على أبي الفضل الإسرائيلي المنجم ، واقتنى آلاتها وكان عنده من كتبها مـا يخص آلة الاسطرلاب عدد غير قليل (١) .

أما الطبيب موفق الدين إسحاق بن القف فقد تعلم الفلسفة علـى شـمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي ، وعلى عز الدين الحسن الغنـوي الـضرير ، وتعلم الهندسة على الشيخ مؤيد الدين العرضي من كتاب أوقليدس ((فهـم هـذا الكتاب فهماً فتح به مقفل أقواله ، وحل مشكل إشكاله)) (٢) .

وكان القاضي أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة الخُوّي الطبيب ممن برع في الفلسفة ، وكان يقرئ الطلاب علم المنطق من كتـاب التبـصرة لابـن سهلان(٣)

أما الطبيب أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المهندس فقد بدأ حياته العلمية بتعلم الهندسة وفنونها كان أول اشتغاله على كتاب أوقليـدس (٤)، ثم كتاب (المجسطي) (٥)، وتعلم علم النجوم ،ثم شرع بعد ذلك فـي تعلـم الطب(٦)

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ ، ٧٣٢ ، اسطرلاب : لفظة فارسية عربت وهي آلـة لقيـاس حركة النجوم ، جيهامي : موسوعة العلوم عند العرب ج١ ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء: ص٧٦٧ ، ٧٦٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ ، ابن سهلان : عمر بن سهلان الساوي عاش في مدينة سـاوة في إيران وتعلم في نيسابور منطقي ، رياضي له كتاب (البصائر النصيرية في المنطق) توفي في حدود سنة (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص١٥١ .

(٤) أوقليدس : من علماء اليونان في الهندسة انظر ترجمة القفطي ص٤٥ ، ٤٧.

(٥) لبطليموس اليوناني ، أخرجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك ، ابن النديم : الفهرست ص٣٢٧ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٩ ، ٦٧٠ .

وعرف عن الطبيب أمين الدين يحيى بن إسماعيل البياسي تميـزه فـي العلوم الرياضية والهندسة وصناعة آلاتها مع إتقانه لعلم الطب (٧) .

وقد عرف عن بعض الأطباء من برع في الموسيقى وتفنن فيها بل ووجد منهم من كان يعلمها لطلابه (٨) .

وإن مما يؤكد استمرار الطريقة اليونانية في تعليم الطب وبقـاء العنايـة بالعلوم الفلسفية عند من يرى أهميتها في تعليم الطب مـا ذكـره محمـود بـن مسعود الشيرازي (٧١٠هـ/١٣١١م) في كتابه (بيـان الحاجـة إلـى الطـب والأطباء ووصاياهم) – وكان الشيرازي ممن درس الطب والفلسفة بالشام وبرع فيها- [١]، فقد كان يرى عدم ضرورتها للطبيب كما ذهب إلى ذلك غيره ، بل إنه يقلل من أهميتها ويرى أن يقتصر منها على ما له صلة بعلم الطب وما له فائدة للطبيب من حيث تقوية فهمه وسعة نظره وقدرته على معرفة الأمراض ووصف العلاج ، يقول الشيرازي مبيناً هذا الاتجاه : ((اعلم أن الطبيب يجـب أن يكـون عنده جملة من العلوم)) :

أحدها **: ((وهو المهم الذي لا بد منه أن يكون عنده من المنطق كمعرفة الكليات الخمس ...)) (٢) .**

العلم الثاني **: من العلوم التي يحتاج إليها الطبيب العلم الطبيعي ، فإن الطب فرع من فروع العلم الطبيعي فلا جرم أن أكثر مباحث الطب لا تـستقر ولا تظهـر إلا بمعرفة العلم الطبيعي .**

العلم الثالث **: الهندسة وحاجة الطبيب إليها قليلة جداً وذكـروا أن الطبيـب قـد يحتاج إلى علم الهندسة ليعرف بها أشكال الجراحات لأن الجراحة المدورة عسرة**

---

(٧) نفسه ص٦٣٧ .

(٨) نفسه ص٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٢٨ ، ٦٣٧ .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج٥ ص١٠٨ ، ١٠٩ ، وانظر تراجم بعض الأطباء الذين عاشوا فـي نهايـة القرن السابع وبداية الثامن الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٢٣ ، ٢٥ ، ابن حجر : الـدرر الكامنـة ج٣ ص٣٧٣ ، ٣٧٥ .

(٢) بيان الحاجة إلى الطب والأطباء ووصاياهم : ص١٢٣ .

البرء ، والجراحة المثلثة وغيرها سهلة البرء إذا كانت لها زوايا منهـا يبتـدئ نبات اللحم .

العلم الرابع **: علم الهيئة وحاجة الطبيب إليه من وجهين أحدهما :أن يعرف وقت شدة الحر وشدة البرد ،فيعرف أن الوقت الصالح لـسقي الـدواء المـسهل أي الأوقات، وثانيها : أن يعرف أحوال البلدان وعروضـها ومـسامتات الكواكـب فيعرف حينئذ طبائع الأهوية والأغذية والمياه بحسب كل بلد .**

العلم الخامس **: علم أحكام النجوم والحاجة إليه من وجوه خمسة .... (١)**

العلم السادس **: علم الألحان وإنما يحتاج الطبيب إليه لترتاض أنامله في حـبس الأوتار ، وذهنه في التنغم ، ويسهل عليه بذلك جس العـروق ، وإدراك الـنغم الموسيقارية التي في النبض .**

العلم السابع **: علم الكهانة والزجر ....(٢) .**

ثم يقول ((واعلم أنّا لا نقول إن تعلم هذه العلوم ضروري في الطـب لأن الإنسان يمكنه أن يتميز في صناعة الطب من غير أن يعرف شيئاً من هذه العلوم لكنا نقول : علمه بهذه الأشياء مما يعينه على الطب ويزيده قوة ومهارة فيه...)) (٣) وقد دلل هذا القول على انحسار هذا الاتجاه عنـد الأطبـاء ولـم يعـد مـن الضرورة تعليم تلك العلوم .

عنايتهم باللغة العربية والأدب وتعلمها :.

يقصد بهذه العناية عند أطباء الشام تعلم اللغة العربيـة والتفـنن فيهـا والتزامهم بالمنهج التعليمي الذي كانوا يرون لزومه في التعليم الطبي ، فقد كان أكثر أطباء الشام خلال فترة البحث يتعلمون اللغة العربية والأدب ومنهم من برع

---

(١) بيان الحاجة إلى الطب والأطباء ووصاياهم ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) نفسه ص١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) نفسه : ص١٢٧ .

فيها وتميز[٤] ولهذا كان مجلس الطبيب عبد الرحيم بن علي الدخوار التعليمـي الذي كان يعقده في داره ، لا يخلو من كتب اللغة التي يحتاج إليها فـي التعلـيم الطبي وتفسير الألفاظ الغامضة والمفردات الصعبة أمثال كتاب الصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس ، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري [١] .

وقد أسهمت هذه العناية باللغة العربية والنحو في صـياغة واسـتحداث المصطلح الطبي [٢] وتعريب المصطلحات وتفسير كثير من مفردات الألفاظ فـي قاموس الأمراض والأدوية اليونانية المترجمة [٣] .

---

(٤) انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٥ ، ٦٤٦ ، ٦٥١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٨٢ ، ٧١٧ ، ٧٢٢ ، ٧٢٨ ، ٧٣٢ ، ٧٥١ ، ٧٥٩ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، الذهبي : تاريخ الإسلام (٦٠١هـ / ٦١٠هـ) ٣٤٩ حـوادث (٦٣١هـ ـ / ٦٤٠هـ) ص٣٠١ ، ٣٠٢ ، معجم الشيوخ ج٢ ص٤٢١ ، تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣٠٥ ، ٣٠٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ص١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ابـن سـعد : الغـصون اليانعـة ص١٠٤ ، ١٠٥ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٢ .

(٢) انظر تفصيلات صياغة هذا المصطلح علي سامي النشار : نشأة الفكـر الفلـسفي فـي الإسـلام ، دار المعارف ١٩٦٦م ص١٣١ ، هناء فوزي : مناهج الأطباء العرب ، دار سعاد الـصباح ، الطبعـة الأولـى ١٩٩٣م ص١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠ .

(٣) مثال ذلك كتاب (اقرباذين القلانيسي) الباب العشرون (تفسير أسامي الأدويـة المركبـة باليونانيـة) والحادي والعشرين (شرح أسامي الأدوية المركبة بالعربية) والفصل السادس عشر من كتاب بستان الأطباء لابن المطران بعنوان (في المصطلحات الطبية) وكذلك كتاب (تفسير كتاب دياسقوريدس) لابن البيطـار . مقالة في أسامي الأدوية المفردة لصدقة السامري ، عيون الأنباء ص٧١٧ وكتاب (ما يقع في الأدوية المفردة من التصحيف) لعبد الرحيم بن علي الدخوار ص٧٣٤ .

الكتب المعتمدة في التعليم الطبي :

يقسم الأطباء علم الطب إلى نظري وعملي (١) ولكل قسم من هذين القسمين طرقه ومناهجه المعتمدة في التعليم (٢) .

ويقصد بالعلم النظري من الطب : علم الأشياء الطبية التي منها يتدرج إلى الجزء العملي ، وبفهمها يتوصل إلى معرفته ، ولا يتعلمها ليعمل بها بل لتكون موضحة للعلم العملي (٣) .

ويقصد بالعلم العملي من الطب : معرفة كيفية إيجاد الأعمال الطبية في الأبدان (٤) .

وهذان القسمان وما يتفرع عنهما هو ما يجب على طالب الطب الإلمام به ودراسته وإتقانه(٥).ولهذا فعلى طالب الطب أن يبذل كل جهده في قراءة ومعرفة كتب هذين القسمين ، ولا يفوته شيء منها وقد أوصى الأطباء تلاميذهم بذلك ، وأنه لا حظ لهم في تعلم الطب ما لم يتقنوا فنون هذين القسمين ، يقول ابن المطران نقلاً عن كتاب رسوم التعاليم :((التعليم ضربان أحدهما يصير به المتعلم ماهراً حاذقاً ،فالأول تعليم الكليات في العلوم والصنائع ، والثاني:مزاولة الجزئيات في كل واحد منهما ومتى لم يصح للمتعلم هذان الأمران لا يصير عالماً أبداً ،لأنه من استعمل أحدهما ولم يستكمل الآخر بقي عليه أمر لم يتمه ولم يكمله)) (٦)

ويشير أبو بكر الرازي إلى هذا المعنى بقوله ((ليس يكفي في أحكام صناعة الطب قراءة كتبها بل يحتاج من ذلك إلى مزاولة المرضى ، إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيراً ، ومن زاول المرضى

---

(١) ابن هندو : مفتاح الطب ص٥١ ، ابن النفيس : الموجز في الطب ص٣١ .

(٢) ابن هندو : مفتاح الطب ص٥١ .

(٣) نفسه ص٥١ .

(٤) نفسه ص٥١ .

(٥) عسيري : تعليم الطب في المشرق الإسلامي ص٢٦ .

(٦) بستان الأطباء : ص٢٩ .

من غير أن يقرأ الكتب يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة لا يشعر بهـا البتـة ولا يمكن أن يلحق بها في مقدار عمره ، ولو كان أكثر الناس مزاولـة للمرضـى ، ويلحقه قارئ الكتب من أدنى مزاولة)) (١) .

ويحسن بطالب الطب قبل قراءة القسم النظري أن يلم بعلم فِرق الطـب ، وما الذي تراه كل فرقة ، وما الفروق التي بينها ، وتفصيلات ذلك كله (٢) ، لأنه لا يستطيع تلقي علم الطب دون معرفة منهج وطريقة كـل فرقـة منهـا (٣) لأن ((العمر قصير والصناعة طويلة)) (٤) وهذه الفِرق هي (٥) .

فرقة أهل التجربة .

فرقة أهل النظر والقياس .

فرقة أهل الحيل التي ترى استخدام الحيلة في التطبيب والمعالجة .

وينقسم الجزء النظري إلى عدة أقسام هي التي يجب على طالـب الطـب معرفتها والإلمام بها وهي تنقسم إلى عدة أقسام يجب العلم بها ، وهي كالتـالي (٦)

أولاً : **العلم بالأمور الطبيعية .**

ثانياً : **العلم بالأسباب .**

ثالثاً : **العلم بالدلائل والعلامات .**

رابعاً : **العلم بأحوال بدن الإنسان .**

---

(١) المرشد ص١١٩ .

(٢) جالينوس : فرق الطب للمتعلمين نقل حنين ابن إسحاق تحقيق محمد سليم سالم الهيئة المـصرية لكتـاب ١٩٧٨م ، ابن هندو : مفتاح الطب ص٥٧ ، ٧١ .

(٣) عسيري : تعليم الطب في المشرق الإسلامي ص٣٧ .

(٤) الرهاوي : أدب الطبيب ص١٤٤ ، ١٤٥ .

(٥) جالينوس : فرق الطب للمتعلمين ص١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ابن هندو : مفتاح الطب ص٥٧ ، ٨٦ . وفي الكتابين تفصيلات عن كل فرقة منها .

(٦) ابن إسحاق حنين: المسائل في الطب للمتعلمين ، تحقيق محمد أبو ريان ، دار الجامعات العربية ١٩٧٨م ج٢ ، ٣ ، ابن النفيس : الموجز في الطب ص٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

ويتفرع عن هذه الأجزاء أمور ومسائل يجب الإلمام بها ومعرفة جزئيتها فمن ذلك (٧) :

- أن يعرف الأركان أو ما يسمى بالاسطقسات (١)

- ومعرفة الأمزجة [٢]، ومعرفة الأخلاط [٣]، ومعرفة الأعضاء [٤]، ومعرفة الأرواح [٥]، والقوى [٦]، والأفعال [٧].

- **كما يجب عليه أن يلم بطرق حفظ الصحة ووسائلها ، ويعرف اختلاف الأمور الطبيعية والخارجية عن طبع الأبدان ، وأن يعرف اختلاف أمزجة البلدان والأهوية والمياه الجارية ، وحال الهواء في كل فصل وما يصلحهم من الأدوية ، وأنواع أغذيتهم ، وطرقهم في الأكل والشرب وعاداتهم في ذلك كله (٨) .**

---

(٧) ابن هندو : مفتاح الطب ص٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ابن النفيس : الموجز ص٣١ ، ٣٧ .

(١) هي جميع الأجسام المتشابهة الأجزاء بما هي أجسام متشابهة الأجزاء مركبة من الاسطقسات الأربعة وهي النار والهواء والماء والأرض ، انظر تفصيلاته جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) هي تسعة المعتدل ، والحار ، والبارد ، والرطب ، واليابس ، الحار الرطب ، والحار اليابس ، البارد الرطب ، والبارد اليابس ، الخوارزمي أبو عبد ا محمد بن أحمد : مفاتيح العلوم ، نهى النجار ، دار الفكر اللبناني ص١٩٨ ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص٣٣٤ .

(٣) هي الشيء الذي به قوام البدن ، وهي أربعة : الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء ، والمرة السوداء ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص٥٦ .

(٤) منها مفردة كالعظم ، والغضروف ، والرباط ، والعصب ، واللحم ، والشحم ، ومنها مركبة تركيباً أولياً كالعضل ، أو ثانوياً كالعين ، ثالثاً كالوجه ، أو رابعاً كالرأس ، ابن النفيس : الموجز ص٣٤ ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣.

(٥) نعني بها جسماً لطيفاً بخارياً يتكون من لطافة الأخلاط كتكون الأعضاء عن كثافتها ، ابن النفيس : الموجز ص٣٥ .

(٦) وهي ثلاثة أجناس ، الطبيعية ، تشكل كل جزء منه بالشكل الذي يقتضيه نوع المنفصل عنه ، أو ما يقاربه من التخطيط والتجويف وغيرها من الصور ، والثالث القوة الحيوانية التي تعد الأعضاء لقبول القوى، ابن النفيس : الموجز ص٣٥ ، ٣٧ .

(٧) ومنها مفردة تتم بقوة واحد كالجذب والدفع ، ومنها مركبة تتم بقوتين ، ابن النفيس : الموجز ص٣٧، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٨) صاعد : التشويق الطبي ص٧٨ ، ابن المطران : بستان الأطباء ص٧٣ ، ٧٤ ، .

- **كما يجب عليه أن يكون على معرفة تامة بالأمراض وأقسامها وأنواعهـا وأسبابها ، والعلامات الدالة عليها والبحارين [1] وأيامها [2] .**
- **وأن يكون على إلمام بالقوى الطبيعية ، ودورها فـي جـسم الإنـسان ، وفوائدها في العلاج ومقاومة الآفات (٣) .**
- **وأن يكون ماهراً في تقدمة المعرفة وأحوال المرضى (٤) .**
- **وأن يكون عالماً بأنواع النبض ، وطرق الاستدلال على الأمراض ، البول وما يتعلق به والبراز وغير ذلك من العلامات (٥) .**
- **وأن يكون على علم تام بعلم الأغذية ، ومنافعها ، ومضارها ، وقواهـا ، وكذلك العلم بالأدوية المفردة ، والمركبة ، وطـرق تركيبهـا ، ومعرفـة منافعها ، ومضارها وقوة (٦) الأوقات التي يستعمل فيها كل دواء (٧)**
- **أما فيما يتعلق بالتشريح فإن طالب الطب بحاجة إليه في معرفـة أجـزاء الجسم وتشريحها ، ومعرفة شكل الأعصاب والأوردة والشرايين ومعرفة خلقة كل عضو يقول ابن النفيس في آخر كتاب شرح تشريح ، القانون إن شرحه هذا ((إنما هو ليفهم المتعلم وتقريب الأمر إليه في التصور)) (٨) .**

---

(١) استخراج يعرض للعليل دفعه بعد اضطراب وقلعه شديد إما بقيء أو خلقة أو عرق أو إدرار أو رعاف ومن بحران محمود ، ومنه بحران رئوي ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٣٧ ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص١٩٩ .

(٢) صاعد : التشويق الطبي ص٧٦ ، ابن النفيس : الموجز في الطب ص٥١ ، ٥٢ .

(٣) حنين ابن إسحاق : المسائل في الطب ص١١ ، ١٢ ، ابن سيناء : القانون ج١ ص٦٦ ، ٧٢ .

(٤) صاعد : التشويق الطبي ص٧٦ .

(٥) ابن المطران بستان الأطباء ص١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩،ابن النفيس :الموجز في الطب ص٥١،٥٢

(٦) صاعد : التشويق الطبي ص٧٧ .

(٧) ابن المطران : بستان الأطباء ص٢٠٧ .

(٨) ابن النفيس : شرح تشريح القانون ص١٧ ، ابن المطران : بستان الأطباء ص١١٩ ، ١٢٣ .

- **كما على طالب الطب معرفة طرق الجراحة ، والعمل باليد عالماً بأدواتها وطرق استخدامها (٩) .**

الكتب المعتمدة عند أطباء الشام في تدريس الطب :

أولاً : كتب أبقراط :.

يقول القفطي : ((وأبقراط إمام معروف مشهور ببعض علـوم الفلـسفة والطب وله فيه مؤلفات شريفة موجزة مشهورة في جميع العالم بين المعتنـين بعلم الطب ، كان يسكن مدينة حمص من أرض الشام ، وكان يذهب إلى دمـشق ويقيم بها للتعلم والتعليم ولا يزال بها موضع يسمى أبقراط حتى الآن ..)) (١) .

وقد ترك أبقراط جملة من الكتب المهمة التي كانت عمدة في التعليم الطبي وهذه الكتب هي (٢) :

١- كتاب الأجنة .

٢- كتاب الأهوية والمياه والبلدان .

٣- تقدمة المعرفة .

٤- كتاب الفصول .

٥- كتاب طبيعة الإنسان .

٦- كتاب أبيديميا ((الأمراض الوافدة)) .

٧- أوجاع النساء .

٨- الأمراض الحادة .

٩- الأخلاط .

١٠- الغذاء .

---

(٩) ابن القف يعقوب بن إسحاق : العمدة في الجراحة الطبية، مجلس دائرة المعارف العثمانية الدكن الطبعـة الأولى ص٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(١) إخبار العلماء ص٦٤ ، ابن النديم : الفهرس ص٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ابن جلجل : طبقات الأطبـاء والحكمـاء ص١٦ .

(٢) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص١٦ ، ١٧ ، ٤٠١ ، ابن رضوان : النافع في كيفية تعليم الطب ص٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٤ ، ٥٥ .

١١- الكسر والجبر .

١٢- كتاب قاطيطريون ((حانوت الطبيب)) .

ثانياً : كتب جالينوس :

هو أحد أكبر الأطباء والفلاسفة المتقدمين اليونـان ، بـرع فـي الطـب والفلسفة وغيرها من العلوم الرياضية (١) يقول ابن أبي أصيبعة عنه : ((كـان خاتم الأطباء الكبار المعلمين ، وهو الثامن منهم ، وأنه ليس يدانيه أحـد فـي صناعة الطب ، فضلاً عن أن يساويه . ذلك لأنه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، وانمحت محاسنها ، فانتدب لذلك ، وأبطل آراء أولئك ، وأيد وشيد كلام أبقراط وآراءه وآراء التابعين له ، ونـصر ذلك بحسب إمكانه ، وصنف في ذلك كتباً مثيرة كشف فيها عـن مكنـون هـذه الصناعة ... ولم يجئ بعده من الأطباء إلا من هو دونه منزلة ومتعلم منه)) (٢) .

ويقول ابن العبري : ((اشتد جالينوس في الطب ، ووضع كتبـاً كثيـرة ، الموجود في أيدي الناس منها الآن زهاء مائة كتاب)) (٣) .

وكانت كتب جالينوس الست عشرة هي المعتمدة في التعليم الطبي التـي رتبها أطباء المدرسة الإسكندرية إلى سبع مراتب (٤) وهي ما يجب أن يقرأه من شرع في تعلم صناعة الطب حسب هذه المراتب (٥) .

المرتبة الأولى **: أربعة كتب وجعلت بمثابة المدخل إلى الطب (٦) وهي :**

---

(١) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٤١ ، القفطي : أخبار العلماء ص٨٦ ، ٨٧ .

(٢) عيون الأنباء ص١٠٩ .

(٣) تاريخ مختصر الدول ص٧٢ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ابن هندو : مفتاح الطب ص٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) الرهاوي : أدب الطبيب ص٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٦) ابن المطران : بستان الأطباء ص٣٠ ، ٣١ .

١- كتاب الفرق .

٢- كتاب الصناعة الصغيرة .

٣- كتاب النبض الصغير .

٤- كتاب جالينوس إلى اغلوقن (٧) .

المرتبة الثانية : **أربعة كتب وهي :**

١- كتاب الاستطقسات .

٢- كتاب المزاج .

٣- كتاب القوى الطبيعية .

٤- كتاب التشريح الصغير .

المرتبة الثالثة : **كتاب واحد هو :**

١- كتاب العلل والأعراض .

المرتبة الرابعة : **كتابان هما :**

١- كتاب تعريف علل الأعضاء الباطنة .

٢- كتاب النبض الكبير .

المرتبة الخامسة : **ثلاثة كتب هي :**

١- كتاب الحميات .

٢-كتاب البحران .

٣- كتاب أيام البحران .

المرتبة السادسة : **كتاب واحد هو :**

١- كتاب حيلة البرء .

المرتبة السابعة : **كتاب واحد هو :**

١- كتاب تدبير الأصحاء .

---

(٧) ابن هندو : مفتاح الطب ص٩٠ .

يقول ابن هندو : ((وظن الإسكندرانيون أن هذه الكتب الستة عشر كافيـة فـي حصول صناعة الطب على طريقة الإيجاز لا على طريقة التوسيع)) (١) ثم يعلـق على ذلك بقوله : ((وأنا أرى أن الإسكندرانيين إنما اقتصروا على الكتب الـستة عشر لا من حيث هي كافية في الطب وحاوية للغرض ، بل من حيث اختـصرت إلى المعلم ،واحتاجت إلى المفسّر، ولم يكن للمـتعلم أن يقـف علـى أسـرارها والمعاني الغامضة فيها من دون مذاكرة ومطارحة ومن دون مراجعة ومفاوضة)) (٢) .

وابن المطران يقسم كتب جالينوس قسمين ، ((منها ما يجـري مجـرى المدخل إلى النظر في علم وعمل الصناعة الطبية وهي الأربعة الأول ، والنـاظر في علم وعمل هي اثنا عشر كتاباً : منها أربعة تنظر في الأشياء الطبية وهي :

كتب **: الاسطقسات ، والمزاج ، القوة الطبيعية ، والتشريح .**

ومنها ستة في الأشياء الخارجة عن الطبيعة وهي :

كتاب **: العلل والأعراض ، والمواضع الآلمة ، والنبض الكبيـر ، والبحـران ، وأيام البحران ، والحميات .**

وواحد منها ينظر فيما يحفظ الأشياء الطبيعية وهو :

كتاب : ((**حيلة البرء)) (١) .**

ويتفق ابن المطران مع غيره من الأطباء (٢) في الترتيب الـذي وضـعه جالينوس لقراءة كتبه (٣) مما يؤكد أن هذا الترتيب كان معمولاً به عنـد أطبـاء الشام وهو منهج التزمه كل من قرأ كتب جالينوس الستة عشر في الطب .

---

(١) ابن هندو : مفتاح الطب ص٩٠ .

(٢) نفسه ص٩٣ .

(١) بستان الأطباء ص٣٠ ، ٣١ .

(٢)ابن جلجل : طبقات الأطباء والحماء ص٤٢ ، الرهاوي : أدب الطبيـب ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ابـن هندو : مفتاح الطب ص٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ابن رضوان : النافع في تعليم صناعة الطب ص٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، هبة ا بن جميع : المقالة الناصرية ص٢٢٣ أ ب ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) القفطي : أخبار العلماء ص٨٦ .

ويعلل كذلك انحصارها في هذا العدد واكتفاء الصناعة الطبية بهذه الكتب ((أنه لما كان غرض الصناعة الطبية حفظ الأمر الطبيعي ورد الشيء الخـارج إلى الحال الطبيعية ، وجب من هذا أن يكون نظر المتعلم في الأمر الطبيعي ومـا يحفظه ، والخارج عن الطبيعة ما يرده ، والأمر الطبيعي الذي من شأن الطبيب أن ينظر فيه هو الاسطقسات ومزاجها والقوى الحادثة عن مزاجها والأعـضاء الحادثة منها. وفي كتاب الاسطقسات ينظر في الأجسام المركبة...)) (٤) ثم يواصل الكلام على باقي الكتب ويبين أهمية كل كتاب والغاية منه لمتعلم الطب(١) ويختم كلامه بقوله ((فهذا غرض الستة عشر كتاباً)) (٢) .

عناية أطباء الشام بكتب مدرسة الإسكندرية :

يمثل هذه المدرسة الطبية الطبيبان الشهيران ((أبقراط)) و((جالينوس))(٣) ، فقد كانت كتبهم معتمدةً في التعليم الطبي حتى نهاية القرن السادس الهجـري (٤) .

وكان لكتب هذين الطبيبين مكانة كبيرة عند أطباء الشام (٥) ومن الملاحظ أن مجموعة من أطباء الشام قد اعتنوا بكتب أبقراط من حيث قراءتها وحفظهـا

---

(٤) بستان الأطباء ص٣١ .

(١) بستان الأطباء ص٣١ .

(٢) نفسه ص٣١ .

(٣) السامرائي : مختصر تاريخ الطب ج١ ص٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، العابد برهان : مختـارات مـن تاريخ الطب ، مطبعة الإتحاد دمشق ١٤١٠هـ ص٦٨ ، ٧٤ .

(٤) عسيري : تعليم الطب في المشرق الإسلامي ص٣٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : ص٦٢٩، ٦٣٧، ٦٦٢، ٦٧٥، ٦٨٨، ٦٩٧، ٧٦١، ٧٦٨ ، ٧٥٩ ، يبـدو أن أطبـاء الشام قد سلكوا في ذلك منهج ابن رضوان في ترك المطولات والاقتصار على ما صنفه أبقـراط وجـالينوس باعتبارهما الكتب النافعة فقط في تعليم هذه الصناعة أما ما عداها فمغلطة وصارفة عن صناعة الطب، ابـن رضوان :النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ص٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧ ، ٨٨، ٩٠،٩١ .

(٦) واعتمادها في تعليم الطب وتقديم الشروح عليها (٧) ، ومنهم من أولى كتـب جالينوس عناية مماثلة قراءة وحفظاً واستظهاراً (٨) ، وهذا يدل على اسـتمرار التأثير العلمي لمدرسة الإسكندرية الطبية على التعليم الطبي خلال هذا العـصر ، فهذه الكتب كانت تدرّس لطلاب الطب المبتدئين في هذه الصناعة ، حيث يـذكر ابن أبي أصيبعة أن ابن القف لما عزم أبوه على تعليمه الطب قال عن بداية تعلم ابن القف صناعة الطب ((فسألني ذلك فلازمني حتى حفظ الكتب الأولية المتداول

حفظها في صناعة الطب)) (١) . وذكر منها كتابين لأبقـراط هـي (الفـصول) وتقدمة المعرفة) (٢) وهذان الكتابان قد لقيا اهتماماً كبيراً من أكثر أطباء الـشام قراءة وحفظاً وشرحاً (٣) يقول الطبيب بدر الدين مظفر بن قاضـي بعلبـك فـي مقدمة شرح الدخوار لهذا الكتاب ما نصه : ((أنني لما قرأت على شيخي الإمام العالم مهذب الدين عبد الرحمن [٤] بن علي الطبيب رحمـه ا كتـاب تقدمـة المعرفة لأبقراط اجتهد عليّ غاية الاجتهاد من فرط محبتي لهذا العلم أن يعرفني جميع ما علمه وحفظه ، وأكثر ما اطلع عليه من كلام جالينوس وغيره ، وشرح ذلك فصلاً فصلا ،وأورد جميع ما عرفه من الأقاويل التي أوردت على معاني كل فصل منها ،وبينه بياناً شافياً متقناً ، ثم إنه رحمه ا ألزمني بعد ذكـره لـذلك وعلمه بفهمي له أن أعقله خوفاً من النسيان ،ونفقة منه على المعاني التي تعب على تحصيلها بنفسه ،ومما اكتسبه من شيخه ابن المطران ،ولتبقـى محفوظـة ينتفع بها على مر الزمان وعاهدني ألا أدفع هذا الشرح ولا أذيعه لمن لا يعرف

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٧ ، ابن الدخوار عبد الرحيم بن علي : شرح تقدمـة المعرفـة ، تحقيق ماهر عبد القادر ، دار المعرفة الجامعية ص١١٣ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٨ ، ٧٦١ ، ٦٣٧ ، ٧٦٨ ، ٦٧٥ .

(٨) نفسه ص٦٣٧ ، ٦٨٢ ، ٧٣٦ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٨ .

(٢) نفسه ص ٧٦٨ .

(٣) نفسه ص٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٧٦٨ .

(٤) هكذا في أصل الكتاب وهو خطأ يبدو من الناسخ .

قدره ، فلما أعان ا ورزقني الإقراء بالمدرسة التي أنشأها لقراءة الطب بدمشق المحروسة وقع بها من الطلبة المستحقين لهذا الشرح والانتفاع به ،ووجدت من الاجتهاد والذكاء عنده ما يوجب عليّ أن أخصه وأمنحه هذا الشرح العظيم الحسن ، وهو الحكيم الأجل كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن مسلم الطبيب وفقه ا تعالى فاستخرت ا تعالى وأودعته هذا الشرح رجاء أن يذكرني بخير عند مطالعته له ..)) (٥) .

وكان ابن النفيس من أكثر الأطباء عناية بكتب أبقراط ، و يؤثر طريقته في ممارسة الطب على غيره من الأطباء ، وكان يقدر كلامه كثيراً (١) وله شروح على بعض كتبه كشرحه كتاب (تقدمة المعرفة) وكتاب (أبيديميا) وكتاب (الفصول) وهي عنده بمثابة مقررات يضعها لمن يقرأ عليه الطب من طلابه (٢)

وكانت كتب جالينوس الستة عشر ، تحظى باهتمام كبير في تعليم الطب ، وكان لزاماً على طالب الطب أن يحفظها ويتقنها (٣) يقول القفطي عن جالينوس وكتبه وأهميتها في وقته : ((.. وهو مفتاح الطب وباسطه وشارحه بعد المتقدمين وله في الطب ستة عشر ديواناً كلها معلقة بعضها ببعض ، شرط على طالب الطب حفظها والاحتفاء بها إن طلب علم الطب من غير برهان)) (٤) .

---

(٥) ابن الدخوار : شرح تقدمة المعرفة ص١٤٣ .

(١) البير زكي اسكندر : درسه على كتاب الشامل في الصناعة الطبية " لابن النفيس " ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي العدد الثاني ص٤١١ ، ٤١٢ ، ابن النفيس : شرح فصول أبقراط مقدمة المحقق ص٦٤ .

(٢) ابن النفيس : شرح فصول أبقراط مقدمة المحقق ص٦٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٧ ، ٦٨٢ ، ٧٣٦ .

(٤) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٨٦ ، قال الطبيب عمر بن علي البذوخ يمدح كتب جالينوس :

وقد كان أطباء الشام يعتمدون من مجموعة كتبه الستة عشر الأربعة الأولى منها كمدخل للمبتدئين في تعلم الطب (٥) ثم يتم استكمال باقي الكتب الستة عشر قراءة وحفظاً (٦) .

وقد كان الطبيب عبد الرحيم بن علي الدخوار يقدر كتب جالينوس ويعظمها ويعرف لهذا الطبيب مكانته وكان له اختصاص بتدريس كتب جالينوس لطلاب الطب (١) . يقول ابن أبي أصيبعة : ((وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه ... فبقيت أتردد إليه مع جماعة شرعت في قراءة كتب جالينوس ، وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيرها ، وكانت كتب جالينوس تعجبه جداً ، وإذا سمع شيئاً من كلام جالينوس في ذكر الأمراض ومداواتها والأصول الطبية يقول هذا هو الطب)) (٢) .

ولعل من اللافت للنظر اختصاص بعض الأطباء بالشام بتدريس كتب أبقراط وجالينوس الطبية كلها ، وحفظها ، وإتقانها ، فمن ذلك ما عرف عن الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب من كثرة اجتهاده في صناعة الطب وشدة حرصه ومواظبته على القراءة والمطالعة لكتب جالينوس ، وجودة فطرته ، وقوة ذكائه ، أن جمهور كتب جالينوس وأقواله فيها كانت مستحضرة له في خاطره ، فكان مهما تكلم به في صناعة الطب على تفاريق أقسامها ، وتفنن مباحثها ،

أكرم بكتب لجالينوس قد جمعت ... ما قال بقراط والماضون في القدم
كديسقوريوس عالم الدواء له ... مسّلم عند أهل الطب في الأمم
فالطب عن ذين مع بقراط منتشر ... من بعدهم كانتشار النور في الظلم
بطبهم تقتدي الأفكار مشرقة ... ترى ضياء الشفا في ظلمة السقم
لا ينبغي في شفاء الداء غيرهم ... فإن وجدانه في الطب كالعدم
لأنهم كملوا ما أصّلوه فما ... يحتاج فيهم إلى إتمام غيرهم

، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٩ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ .

(٦) نفسه ص٦٣٧ ، ٦٩٧ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٩ .

(٢) نفسه ص٦٢٩ .

وكثرة جزئياتها ، إنما ينقل ذلك عن جالينوس ، ومهما سئل عنه في صناعة الطب من المسائل والمواضيع المستعصية وغيرها لا يجيب بشيء من ذلك إلا أن يقول : قال جالينوس ، ويورد فيه أشياء من نصوص كلام جالينوس ، حتى كان يتعجب من ذلك وربما أنه في بعض الأوقات كان يذكر شيئاً من كلام جالينوس ويقول : هذا ما ذكره جالينوس في كذا وكذا ورقة من المقالة الفلانية من كتاب جالينوس ، ويسميه ، ويعنى به النسخة التي عنده ، وذلك لكثرة مطالعته إياها وأنسه بها ..[3] يقول ابن أبي أصيبعة : ((ولقد كنت أراجع شرح جالينوس في ذلك فأجده قد حكى جملة ما قاله جالينوس بأسره في ذلك المعنى ، وربما ألفاظ كثيرة من ألفاظ جالينوس يوردها بأعيانها من غير أن يزيد فيها ولا ينقص . وهذا شيء تفرد به في زمانه)) (١) .

وكان من شدة عنايته بكتب جالينوس أنه كان لديه بعض كتبه باللغة الرومية وهو يلازم قراءتها والاشتغال بها (٢) ، ولعله كان يقارن بين النسخة المكتوبة بالعربية ، والنسخ المكتوبة بالرومية ليكتشف ما قد يحدث من خطأ ونقص في كلا النسختين .

ثالثاً : كتب الأطباء المسلمين المعتمدة في تعليم الطب :.

أولاً : الكتب الأولى الكبار : (الأصول)

١- كتاب (المسائل) لحنين بن إسحاق العبادي : .

وكان حنين ابن إسحاق العبادي (٢٦٤هـ/٨٧٧م) طبيباً ماهراً حسن النظر والعلاج وبارعاً في طب العيون (٣)وهو من كبار تلامذة الطبيب يوحنا بن ماسويه(٤) ، وأحد أشهر المترجمين للكتب اليونانية إلى اللغة السريانية والعربية

---

(٣) نفسه : ص٦٩٧ ، ٦٩٨ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٧ ، ٦٩٨ .

(٢) نفسه ص٦٩٨ ، ٦٩٩ .

(٣) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٦٨ ، ٦٩ ، القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١٧

(٤) نفسه ص٢٥٧ ، ٢٥٨ .

خلال العصر العباسي (٥) يقول ابن جلجل : ((وكان جليلاً في ترجمته ، وهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس ، ولخصها أحسن تلخيص ، وكشف ما استغلق منها ، وله تآليف نافعة بارعة مثقفة ، وعمد إلى كتب جالينوس فاحتذى حذو الإسكندرانيين وصنفها على سبيل المسئلة والجواب وأحسن في ذلك)) (٦) .

وقد أورد ابن أبي أصيبعة قائمة بكتب حنين ابن إسحاق (٧) ويعد كتابه (المسائل في الطب للمتعلمين) أشهر كتبه التي كانت تدرس لطلبة الطب في أول طلبهم (١) .

يقول ابن أبي أصيبعة : ((وهو المدخل إلى صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادئ والأوائل لهذا العلم ، وليس جميع هذا الكتاب لحنين بل إن تلميذه الأعسم حبيشاً تممه)) (٢) .

ولأطباء الشام على هذا الكتاب العديد من الشروح والتعاليق والمختصرات(٣) أما كتابه (العشر مقالات في العين) فقد كان من ضمن الكتب التي كانت تقرأ عند أطباء الشام فيما يخص طب العيون (٤) .

٢- كتاب القانون لابن سينا :.

---

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٦) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٦٨ ، ٦٩ ، القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١٨

(٧) عيون الأنباء ص٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(١) عيون الأنباء ص٧٦٨ ، إعلام الطب العراقي في العصر العباسي الثاني بحث ضمن كتاب دراسات في الطب العربي جامعة بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ١٩٩١م ص١٨٥ ، ١٩٩ .

(٢) عيون الأنباء ص٢٧١ .

(٣) نفسه ص٦٧٥ ، ٦٨٢ ، ٦٦٨ ، ٧٤٣ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٧١٤ ، ٧٣٤ .

(٤) الشيزري : نهاية الرتبة في طب الحسبة ص١٠٠ .

أبو علي الحسين بن عبد ا بن علي بن سينا (٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) الفيلسوف الطبيب (٥) أشهر أطباء الإسلام (٦) صنف في الطب والفلسفة (٧) ويعد كتابه (القانون في حد الطب) من أفضل ما صنف في الصناعة الطبية (٨) وقد نال شهرة كبيرة بين الأطباء المسلمين وهو عمدة في الدراسات الطبية ولا غنى لأي طبيب عنه (٩) .

ويعد كتاب القانون موسوعة طبية ضخمة جمع فيها ابن سينا النظريات الطبية ، والطب العملي ، وهو يمتاز بدقته العلمية وحسن الترتيب والتبويب (١) .

ويبدو أن هذا الكتاب لم تظهر الدراسات عليه في بلاد الشام إلا في منتصف القرن السادس الهجري بحواش وضعها أبو جعفر عمر بن علي البذوخ (٥٧٥هـ / ١٠٨٢م) (٢) ويمكن أن نحتمل أيضاً أن ذلك كان بعد عودة الطلاب الذين تتلمذوا على يد الطبيب أمين الدولة ابن التلميذ في بغداد أمثال ابن المطران وغيره (٣)

ثم بدأ الأطباء يعلمونه (٤) ويعملون عليه الشروح والمختصرات والحواش والتعاليق (٥)

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق أن هناك من الأطباء الوافدين من نشر تعليم كتاب القانون في بلاد الشام ، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن القاضي أبي

---

(٥) القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٤٥ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٣٧ ، ٤٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص١٥٧ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٢ ص٣٩١ ، ١٩٢ ، ماكس مايرهوف : تراث الإسلام ص٤٧١ .

(٧) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص٦٢ ، ٧٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٨) السامرائي : مختصر تاريخ الطب ج١ ص٤٩٤ ، عبد الرحمن الكيالي : ثقافة الأطباء عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) ج١ مجلد ٣٤ ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م ص٢١٨ .

(٩) طه أحمد : الطب الإسلامي ، دار الاعتصام ص٩٥ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٩٥ .

(٢) نفسه ص٦٢٨ .

(٣) نفسه ص٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٦٥٢ .

(٤) ابن أبي أصيبعة :عيون الأنباء ص٦٨٢ ،العيني : عقد الجمان حوادث (٧٩٩هـ/ ٧٠٧هـ) ص١٠٨

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٨ ، ٦٦٨ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ .

الثناء محمد بن أبي الفضل منصور بن الحسن بن إسماعيل العبري المخزومي درسّ القانون لما قدم دمشق في أواخر القرن السادس الهجري (٦) .

وهناك من درس القانون أيضاً على فخر الدين الماردينى لما قدم إلى الشام وقد كان مكيناً فيه متخصصاً في تدريسه (٧) .

وكان أطباء الشام يركزون في تعليم هذا الكتاب على الفن الأول منه والمتعلق (بالكليات) (٨) ، ومن الشواهد على ذلك ما عرف عن الطبيب شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي المحاسن ، شدة عنايته بالقانون ، فكان يحفظ منه الكتاب الأول (الكليات) حفظاً لا مزيد عليه ، مع استيعاب وفهم كامل ، ولهذا يكنى (بالكلي) لحفظه له (١) .

كما أن لابن سينا كتباً أخرى في الطب لم يغفلها الطلاب بالشام ككتاب (القولنج) (٢) (والأرجوزة) المنسوب إليه في الطب (٣) .

٣) كتاب الحاوي لا بن زكريا الرازي :.

محمد بن زكريا الرازي (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) طبيب الإسلام بلا ريب (٤) برع في الطب الباطني والفلسفة (٥) وصنف فيها مصنفات فريدة وخصوصاً مصنفاته في الطب(٦) والمشهور منها كتاب (الحاوي) و(المنصوري) و

---

(٦) نفسه ص٦٨٢ .

(٧) نفسه ص٧٢٨ .

(٨) نفسه ص٦٤٨ ، ٦٦٢ ، ٦٦٨ ، ٧٥٥ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٥ .

(٢) نفسه ص٦٦٢ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص١٨٢ ، ١٨٣ .

(٤) القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٧٨ ، ابن المطران : بستان الأطباء ص٤٥ .

(٥) نفسه ص١٧٨ ، انتقد القفطي الرازي ميله إلى الفلسفة وتأثره بها وتأثيرها على اتجاهه الفكري يقول : ((وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً وألف كتباً كثيرة إلا أنه أوغل في العلم الإلهي وما فهم غرضه الأقصى فاضطرب لذلك رأيه ، وتقلد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة وذم أقواماً لم يفهم عنهم ولا هدي لسبيلهم)) ، إخبار العلماء ص١٧٨ .

(٦) ابن النديم: الفهرست ص٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، السامرائي :مختصر تاريخ الطب العربي ص٤٤٨، ٤٦٤

(الفصول) (٧) إلا أن أهم مؤلفاته في الطب وأشهرها على الإطلاق كتاب (الحاوي) يقول ابن أبي أصيبعة : ((وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب ، وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ، ومن أتى بعدهم إلى زمانه ، ونسب كل شيء نقله إلى قائله ..)) (٨) .

أما ابن خلكان فيصفه بأنه من الكتب الكبار فهو يقع في ثلاثين مجلداً ، وهو عمدة عند الأطباء ينقلون منه ويرجعون إليه (٩) .

وقد كان أطباء الشام يركزون في قراءتهم من هذا الكتاب على الجزء العملي منه لتميزه في هذا الجانب (١) ودليل ذلك أن ابن أبي أصيبعة لما تتلمذ على رضي الدين الرحبي عامين كاملين سنة (٦٢٢هـ و ٦٢٣هـ) بدمشق قرأ عليه عدد من كتب الطب ، ولا سيما فيما يتعلق بالجزء العملي من كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي وغيره ... (٢) وقرأ عليه من كلام الرازي أيضاً في ترتيب تناول الأغذية (٣) .

كما أن ابن القف قرأ على ابن أبي أصيبعة في العلاج من كتب أبي بكر الرازي (٤) ويذكر ماير هوف كلاماً جيداً عن أهمية هذا الكتاب من الناحية العملية لطلاب الطب من ذلك قوله : ((لا شك في أن الرازي كان يجمع في حياته الآراء والمعلومات من كتب الطب التي كان يعكف على قراءتها و النظر فيها

---

(٧) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(٨) عيون الأنباء ص٤٢١ .

(٩) وفيات الأعيان ج٥ ص١٥٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٣٦ ، ٧٧ .

(١) الأهوازي : كامل الصناعة الطبية ج١ ص٥ ، ٦ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٣) نفسه ص٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٤) نفسه ص٧٧٦ .

فيدرجها جنباً إلى جنب مع تجاربه الطبية ، وقد جمعها كلها في أواخر أيامـه ، ويعمل منها هذا الكتاب المدرسي العظيم)) (٥) .

٤) كتاب الملكي (٦) لعلي بن العباس الأهوازي (٣٨٣هـ / ٩٩٣م) :

وهو من مشاهير الأطباء وأبرزهم (٧) ويسمى كتابه هذا (كامل الـصناعة الطبية) (٨) كان من الكتب الطبية المعتمدة في تعليم الطب عند أهـل الـشام (٩) يقول القفطي : ((وهو كتاب جليل وكناش نبيل اشتمل على علم الطب وعملـه ، حسن الترتيب مال الناس إليه في وقته ولزموا درسه إلى أن ظهر كتاب القانون لابن سيناء فمالوا إليه وتركوا الملكي بعض الترك ، والملكي في العمـل أبلـغ والقانون في العلم أثبت)) (١) والذي يشهد بأن أهل الشام كانوا يقرؤونه في أول طلبهم للطب أن الطبيب عبد الرحيم الدخوار أحد مشاهير أطباء الشام ((كان في أول اشتغاله بصناعة الطب قد قرأ شيئاً من الملكي على الـشيخ رضـي الـدين الرحبي)) (٢) .

٥) كتاب (المنهاج) ليحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب **(٤٩٣هـ/١٠٩٩م)**

---

(٥) تراث الإسلام : تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف توماس أرنولد ، تعريب وتعليق جرجيس فتح ا ج٣ بيروت ، دار الطيلق (١٩٧٨م) ص٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(٦) سمي هذا الكتاب بالملكي لأنه صنفه الملك عضد الدولة كي خسرو بن عضد الدولة البويهي ، ابن أبـي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣١٩ ، ٣٢٠ ، ابن العبري : تاريخ الزمان ص٦٩ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباءص٣١٩ .

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢١ ص١٨٧ حاشية (٤) ، السامرائي : مختصر الصناعة الطبيـة ص٣٧٥ ، ٣٧٨ .

(٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ .

(١) إخبار العلماء ص١٥٦ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ .

وهو من المشهورين بعلم الطب علمه وعمله (٣) يقول ابـن العبـري : ((وفي سنة (٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) مات يحيى الطبيب البغـدادي ابـن جزلـة مؤلف كتاب (المنهاج) الشهير الذي تتداوله أيدي أطباء عصرنا)) (٤) .

ثانياً : كتب الجراحة :.

١- كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) **لأبي القاسم خلـف بـن العبـاس الزهراوي (٤٠٤هـ / ١٠١٣م) تقريباً ، كان واحداً من أكابر الأطباء المسلمين الذين عاشوا في بلاد الأندلس (٥) وذاع صيته بين الأطباء في مختلـف الأقـاليم وكتابه هذا يعد مفخرة الطب الإسلامي في باب الجراحة ، وتعد أفكاره فيه تحولاً كبيراً في طرق العلاجات الطبية (٦) وهو أحد الكتب المعتمدة في امتحان الأطباء بالشام (٧) .**

٢- كتاب (العمدة في الجراحة لأبي الفرج ابن القف) :.

ويعد موفق الدين بن إسحاق بن القف (٦٨٠هـ / ١٢٨١م) واحداً من مشاهير الجراحين الكبار الذين عاشوا في بلاد الشام خلال القرن السابع الهجري ومارس الجراحة بنفسه (١) .

وكتابه (العمدة في الجراحة) كتاب تعليمي جعله مرجعاً يستند إليه طلبة الطـب في ممارسة الجراحة ، ويعودون إليه لمعرفة تفصيلاتها فهو ينص على ذلك في مقدمته بقوله : ((فقد شكا إلي بعض جرائحية زماننا قلة اهتمام أرباب هذا الفن بأمر هذه الصناعة ، وأن واحداً منهم لم يعرف سوى تركيـب بعـض المـراهم وإضافة مفرداتها بعضها إلى بعض ، وأنه لو سأله سائل ما هذا المرض الـذي

---

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣٤٣ ، القفطي : إخبار العلماء ص٢٣٩ ، ٢٤٠ ، الزركلي : سـير أعلام النبلاء ج٨ ص١٦١ ، ١٦٢ .

(٤) تاريخ الزمان ص١٢٥ .

(٥) ابن بشكوال : الصلة ص١٦٦ .

(٦) السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج٢ ص١٦٣ .

(٧) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٧ ، ٧٦٨ .

تعالجه وما سببه ولم تداويه بهذه المداواة وما قوة كل واحد من مفرداتها ومـا الفائدة في تركيب هذه المفردات ، ولم تستعمل هي بمفردها ؟ ، لم يكن عنده ما يجيبه عن ذلك سوى أنه يقول رأيت معلمي وهو يستعملها في مثل هذه الصورة فاستعملتها ... ثم اعتذر عنهم بأنه ليس لهم كتاب يرجعون إليه في هـذا الفـن بحيث أن يكون جامعاً لما يحتاج إليه صاحب هذه الصناعة ..)) (٢) .

وتذكر المصادر أن ابن أبي حليقة قد ألزم الجراحين بحفظ كتاب (العمـدة في الجراحة) لابن القف ، بعد أن قام باختبار الممارسين لهذه المهنة في زمانه ، فوجد منهم من لا يعرف أصولها وأعمالها ، فنصحهم به ، وألزمهم بحفظه (٣) .

وهذان الكتابان السابقين كانا أهم كتب الطب الجرائحي التي اعتمد عليها الأطباء في تعليم هذا الفن وممارسته لجميع تلامذة الطب فـي مـشرق العـالم الإسلامي ومغربه .

ثالثاً : كتب طب العيون :.

يخصص الأطباء كتباً لطب العيون دون غيرها من الأعضاء لأهمية هـذا العضو في بدن الإنسان ، يقول ابن النفيس : ((وإنما اختصت العـين بـصناعة دون باقي الأعضاء لصعوبة أمراضها وأوجاعها ، والاضطرار في عمل أدويتها واستعمالها إلى خبرة تامة)) (١) . ومن هذه الكتب ما يلي :

١- كتاب (العشر مقالات في العين)لحنين بن إسحاق العبادي (٢٦٤هـ/٨٧٧م)

---

(٢) العمدة في الجراحة ص٢ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ج١ ص٥٨١ ، طبعـة اسـطنبول ١٩٤١م ج٢ ص٨٨ ، ١٣٢ ، ١٩٤ ، ١٦٨ .

(١) المهذب في الكحل المجرب ، تحقيق محمد ظافر الوفائي ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ص٤٢ .

وهو كتاب عظيم القدر لخص فيه مؤلفه كل مؤلفات جالينوس فـي طـب العيون (٢) ، وهو عمدة لكل الأطباء الذين بحثوا في طب العيون (٣) ، وكان هذا الكتاب مقرراً عند أطباء الشام للتعليم يمتحنهم المحتسب فيه ، فمن وجده عارفاً بما فيه أذن له بالمداواة و إلا فلا (٤) .

٢- كتاب (تذكرة الكحالين) لعلي بن عيسى بن الكحال**(٤٠٠هـ/١٠١٠م) (٥) .**

وهو من الكتب التعليمية المشهورة عند أطباء العيون(٦) ، ينعته ابن أبي أصيبعة بقوله ((وهو الذي لا بد لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه ، وقـد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي قد ألفت في هذا الفن وصار ذلك مستمراً عندهم)) (٧) .

٣- كتاب (المهذب في الكحل المجرب) **لعلي بن أبي الحرم القرشي ابن النفيس (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) وهو كتاب تعليمي فريد ذكر فيه مؤلفه طرائق متنوعـة في التعليم النظري والعملي (١) .**

٤- كتاب (الكافي في الكحل) **لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي (٢) وهو من أشهر ما أُلف في طب العيون عند أطباء الشام في فترة البحث .**

---

(٢) حمارنه نشأت : تاريخ أطباء العيون العرب ، منشورات وزارة الثقافة السورية الطبعة الرابعـة ١٩٩٧م ج١ ص٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) الغافقي : المرشد في طب العيون ، ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ، الحلبـي : الكـافي فـي الكحل وغيرها .

(٤) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠٠ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣٣٣ .

(٦) الحمارنه : تاريخ أطباء العيون العرب ج١ ص٦٠ ، ٦١ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٣٣٣ .

(١) ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ص١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٧٥ .

(٢) ابن أبي المحاسن الحلبي : الكافي في الكحل ص٧٩ ، ٨٠ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

٥- كتاب (نور العيون وجامع الفنون) **لصلاح الـدين بـن يوسـف الحمـوي (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) ، ويعد من أفضل ما ألف في طب العيون عند المسلمين (٣) وهو كتاب تعليمي متميز في أسلوبه ، وتربيته وتبويبه (٤) ومؤلفه من مـشاهير أطباء الشام الذين برعوا في طب العيون (٥) .**

كتب تعليمية أخرى لأطباء الشام المعاصرين لفترة البحث :.

١- كتاب (مقالة في الحواس) **للطبيب موفق الدين عبد اللطيـف البغـدادي (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) (١) وهو أحد مصنفاته التي قرأها عليـه بعـض الأطباء بدمشق (٢) .**

---

(٣) الحموي : نور العيون وجامع الفنون ص٢٦ مقدمة المحقق .

(٤) نفسه ص٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٥) أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٦١ ، لم يحظ صلاح الدين بن يوسف الحموي بترجمـات كافيـة فـي المصادر إلا أن كتابه هذا يكشف عن علم غزير ومهارة طبية كبيرة .

(١) فيصل دبدوب : مقالة في الحواس لعبد اللطيف البغدادي مجلة مجمع اللغة العربية المجلـد ٤٥ ١٩٧٠م ص٢٣٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٥ .

٢- مقالة في الاستفراغ **لعبد الرحيم بن علي بن حامد الدخوار (٦٢٨هـ ـ/ ١٢٣٠م) وكان الطلاب يقرؤونها عليه والبعض كان يحفظها** [٣] **.**

٣- كتاب الأقرباذين **: لداوود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج الإسرائيلي (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) طبيب وعشاب بارع** [٤] **، يقول ابن أبي أصيبعة : ((قرأته عليه وجمعته معه)) (٥) .**

---

(٣) نفسه ص٧٥١ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٤ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ص٧٥٣ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٤ .

المبحث الثالث : **طرق الأطباء الشاميين ووسائلهم في تعليم الطب :**

لا شك أن هذه الكتب وغيرها مما صنفه أطباء الشام ، أو ما قدموه من شروح على كتب القدماء ، إنما يأتي تلقيها وفق مراحل تعليمية متدرجة يمر بها طلاب الطب حرصاً على الاستزادة ورغبة في تنمية معارفهم الطبية . وقد سلك الأطباء في تدريس تلك الكتب طرقاً متعددة ووسائل متنوعة سواء أكان ذلك من الجانب النظري أم من الجانب العملي . ولعلنا نتناول بعضاً من هذه الطرق المستخدمة في التعليم الطبي وكيف كان يؤدى الدرس الطبي من الناحية النظرية والعملية ، وذلك على النحو التالي :.

أولاً : التعليم النظري :

أ- : الملازمة :.

إن من أهم طرق التعليم الطبي ملازمة الأطباء ، وهي طريقة مثلى في التعليم النظري والعملي ؛ إذ ليس للطبيب أن يتعلم كثيراً من طرق ووسائل العلاج والفحص وطرق المداواة إلا بالملازمة الدائمة لشيوخه في هذه الصناعة ، والتي أكثر أجزائها عملي ، فلا يدرك إلا بالملازمة والنظر مع الأطباء والمشاركة لهم في معالجة المرضى ، يقول الخطيب البغدادي : ((أوصيك ألا تأخذ العلوم من الكتب وإن وثقت من نفسك بقوة الفهم ، وعليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الأستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه ، وعليك بتعظيمه وترحيبه)) (١) .

وكان من حرص طلبة الطب على الانتفاع بهذا الأسلوب أنهم كانوا يلازمون شيوخهم ويقرؤون عليهم في السفر والحضر إلى أن يتميزوا ويمهروا(٢)، وكان بعضهم يلازم أكثر من طبيب في أكثر من تخصص ، فيقصد

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ ، ٧٥١ ، الوافي بالوفيات ص١٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

المتميز في طب العيون ويلازمه حتى يتقن علمها وعملها ، ثم يلازم طبيباً آخر في تخصص آخر وهكذا حتى يتمرس في أنواع الطب (١) . ولذا كان ينوه بعض الأطباء بتلامذتهم حينما يرون فيهم التفوق والنجابة (٢) .

ولقد أشرنا سابقاً إلى طريقة الملازمـة والتتلمـذ علـى كبـار الأطبـاء والمشيخة، وأنها السمة السائدة في التعليم الطبي عند أطباء الشام ، إذ لم يذهب أحد منهم إلى ما ذهب إليه ابن رضوان في رفض المشيخة وأخذ الطب من الكتب (٣) بل كانوا على خلاف ذلك تماماً . وهذه الطريقة في التعليم هي ما أجمع عليه جمهور الأطباء (٤) .

ب- الحفظ:.

كانت طريقة الحفظ واستظهار الكتب وسيلة رئيسية في التعلـيم الطبـي وطريقة معروفة بين الأطباء ، وقد أظهر أطباء الشام قدرات كبيرة فـي مجـال حفظ الكتب ، وكانوا يوصفون بشدة الحفظ وقوة الذاكرة (٥) .

وعلم الطب من العلوم التي يستلزم على طالبه أن يتمتع بقوة في الحفـظ يستطيع من خلالها استظهار الكتب الطبية الأساسية ، والقدرة على تذكر المسائل وأنواع الأمراض ومعرفة أوصافها وعلاماتها وأسبابها ، وطرق العلاج المتداولة والأدوية المفردة والمركبة قدر الإمكان ، وتذكر أقوال العلماء وآرائهم في كل ، مرض واختلافهم فيها وهكذا . يقول عبد اللطيف البغدادي في وصيته لتلاميذه : ((وإذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم أن

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦١ ، ٦٩٥ ، ٧٣٦ .

(٢) نفسه ص٦٧٣ ، الذهبي : العبر ج٣ ص٢١٢ .

(٣) انظر حول هذه القضية والخلاف الذي دار بين الطبيبين ابن رضوان ومعاصره ابن بطلان ابن رضوان : النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٦٣ ، ٣٢٦ ، ٥٦٧ ، القفطي : أخبار العلماء ص١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٤) عسيري : تعليم الطب في المشرق الإسلامي ص٧٣ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٧ ، ٧٥١ ، ٧٦٧ .

الكتاب قد عدم وأنك مستغن عنه ، ولا تحزن لفقده)) (١) فهو يؤكد على مسألة الحفظ ويحض عليها .

وقد كان طلاب الطب يستخدمون طريقة الحفظ من أول اشتغالهم بعلم الطب وذلك بحفظ الكتب الأولى المقررة في التعليم الطبي (٢) ومنهم من كان يواظب على القراءة والحفظ للكتب مدة حياته (٣) .

ومع شدة حرصهم على الحفظ إلا أن الحفظ لم يكن مجرداً من الفهم ومعرفة مدلولات ما يحفظون ، ولذا كانوا يوصفون بالذكاء وحدة الفهم والفطنة (٤)

ج- الرحلة ولقاء الأطباء :.

الرحلة في طلب العلم من الوسائل المهمة والسنن التي درج عليها المسلمون في تحصيل العلم منذ فجر الإسلام ، (٥) ثم أخذ العلماء بالرحلة في شتى فنون العلم ، وتُمثل الرحلات العلمية للأطباء في الأقاليم الإسلامية لوناً من ألوان العلاقات العلمية بين الأقاليم والمراكز الإسلامية (٦) ، والذي نقصد هنا هو رحيل الأطباء الشاميين إلى غيرهم من الأطباء في الأقاليم للقراءة عليهم ومعرفة

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩١ .

(٢) نفسه ص٧٣٦ ، ٧٥٥ ، ٧٦٧ .

(٣) نفسه ص٧٢٨ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٢ ، ٦٦٢ ، ٦٣٥ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٥٨ ، الأسنوي : طبقات الشافعية ص٤١٩ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٣ ص٣٣٧ .

(٥) الخطيب البغدادي : أحمد بن علي بن ثابت ، الرحلة في طلب الحديث ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥ تحقيق نور الدين عتر ص(١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨) ، أكرم ضياء العمري : بحوث في تاريخ السنة المشرفة الطبة الرابعة ١٩٨٤م ص٢١٦ ، يقول ابن خلدون عن أثر الرحلة في طلب العلم : ((والرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في العلم ، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم ما ينتحلون من المذاهب والآراء والفضائل ، تارة علماً وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها)) ، المقدمة ص٥٣٩ ، ٥٤٠ .

(٦) انظر الفصل الخامس العلاقات العلمية الطبية بين الأقاليم .

الجديد لديهم والاستفادة من خبراتهم وطرقهم في العلاج ووسائل الكشف ، وهذه بلا ريب وسيلة مهمة وطريقة محمودة بين الأطباء في تبادل المعارف والخبرات فيما بينهم، لذا نجد أن كثيراً من أطباء الشام رحلوا من أجل ذلك (1) ، ورحل إليهم لتقدمهم في الطب (2)

وقد ضرب الطبيب موفق إلياس بن المطران نموذجاً متميزاً في الرحلة لطلب علم الطب فقد ((سافر إلى بلاد الروم لإتقان الأصول التي يعتمد عليها في علم النصارى ومذاهبهم ، ثم عدل بعد ذلك إلى العراق واجتمع بأمين الدولة بن التلميذ، واشتغل عليه بصناعة الطب مدة ، وقرأ عليه كثيراً من الكتب الطبية ، وصار موسوماً بالطب ، ثم إنه عاد إلى دمشق وبقي طبيباً بها إلى حين وفاته))(3)

د – طرق أداء الدرس الطبي :.

تنوعت طرق أداء الدرس الطبي عند الأطباء بالشام فكان لكل شيخ منهم طريقة معينة وأسلوب مختلف في أدائه لدرسه الطبي .

ينقل ابن أبي أصيبعة عن الطبيب محمد بن عبد ا بن مظفر الباهلي طريقته في أداء درسه الطبي فيقول : ((وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعيان الدولة ، يأتي ويجلس في الإيوان الكبير الذي للبيمارستان وجميعه مفروش ، ويحضر كتب الاشتغال ، وكان نور الدين رحمه

---

(1) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤١٢ ، ٦١٤ ، ٦٣٥ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، فممن ارتحل من أطباء الشام في القرن الخامس الهجري الطبيب أبو الفرج جورجيس بن يوحنا بن سهل اليبرودي (٤٠٢هـ/١٠١١م) فبعد أن أتقن بعضاً من فنون الطب على أطباء بلده ((سأل عمن هو إمام في وقته بمعرفة صناعة الطب والمعرفة بها جيداً ، فذكروا له أن ببغداد أبا الفرج بن الطيب كاتب الجاثليق ، وأنه فيلسوف متفنن ، وله خبرة وفضل في صناعة الطب وفي غيرها من الصنائع الحكمية . فتأهب للسفر وأخذ سواراً كان لأمه لنفقته ، وتوجه إلى بغداد وصار ينفق عليه ما يقوم بأوده ويشتغل على ابن الطيب إلى أن مهر في صناعة الطب وصارت له مباحثات جيدة ودراية فاضلة في هذه الصناعة)) .

(2) نفسه ص٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ .

(3) نفسه ص٦٥١ ، ٦٥٢ .

ا قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية ... فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه ثم تجري مباحث طبية ويقري التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب إلى داره)) (١) .

وإذا تأملنا هذا النص يتضح جلياً الأسلوب والطريقة التي كان يسير عليها الدرس الطبي عند هذا الطبيب ، فهناك صنفان من الدارسين .

الصنف الأول : **الأطباء الذين تجاوزوا مرحلة الطلب الأولى ، يدل عليه قوله في النص ((فكان جماعة من الأطباء)) (٢) .**

الصنف الثاني : **التلاميذ الذين ما زالوا في مرحلة الطلب ، ويدل عليه قوله في النص ((والمشتغلين)) (٣) .**

وهناك نوعان أيضاً مما يدرس من المسائل الطبية :

النوع الأول : **مباحث طبية يشارك فيها الأطباء والطلاب وتدور حولها المناقشات والمباحثات (٤) .**

النوع الثاني : **النظر في الكتب وذلك لأن الأطباء درجوا على ألا يعقد الدرس الطبي إلا وكتب الطب مستحضرة أمامهم (٥) .**

ويظهر من خلال النص أن مدة الدرس كانت ثلاث ساعات متواصلة (٦) ، وقد قسم هذا الطبيب يومه إلى ثلاث فترات ، الأولى يزور فيها البيمارستان ويتفقد المرضى ، ثم تكون الفترة الثانية يصعد فيها إلى القلعة ويتفقد مرضى

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٢٨ .

(٢) نفسه ص ٦٢٨ .

(٣) نفسه ص ٦٢٨ .

(٤) نفسه ص ٦٢٨ .

(٥) نفسه ص٧٣٠ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٤ ص٢٤ .

السلطان ، أما الفترة الثالثة فهي الفترة التي خصصها لتدريس طلاب الطب داخل البيمارستان وكانت تبدأ غالباً قبيل صلاة الظهر إلى منتصف النهار (٧) .

وهناك نص مهم آخر يذكره ابن أبي أصيبعة يصف فيه أسلوب الدرس الطبي الذي كان يعقده الطبيب عبد الرحيم الدخوار فيقول : ((وكان إذا تفرغ من البيمارستان ، وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم ، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة ، ولا بد له مع لك من نسخ ، فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين ، وكان يقرأ كل واحد منهم درسه ، ويبحث معه فيه ، ويفهمه إياه بقدر طاقته ، ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضع يحتاج إلى فضل بحث ، أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير ، وكان لا يقرئ أحداً إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقرؤه ذلك التلميذ ، وينظر فيه ويقابل به ، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه ، وكانت نسخ الشيخ مهذب الدين التي يقرأ عليه في غاية الصحة ، وكان أكثرها بخطه ، وكان أبداً لا يفارقه إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهري ، المجمل لابن فارس ، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فكان إذا فرغت الجماعة من القراءة يعود هو إلى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس والمطالعة يسهر أكثر ليله في الاشتغال)) [١]

تكمن أهمية هذا النص في أنه قد حدد لنا طريقة أخرى في أداء الدرس الطبي الذي كان يعقده هذا الطبيب مع طلابه ، فهو يقسم يومه إلى خمس فترات ، الأولى : يتفقد فيها المرضى بالبيمارستان .

الثانية : يتفقد مرضى أعيان الدولة والأمراء .

الثالثة : جعلها لتحضير دروسه التي يلقيها على طلابه .

الرابعة : قد خصصها لاستقبال طلابه لعقد المجلس التعليمي في داره .

---

(٧)علي أحمد : الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في الشرق العربي ص٣١٢ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٢ .

الخامسة: **ما تبقى من النهار وجزء كبير من الليل يقضيه في القراءة والحفظ .**

ولتبيين ملامح المنهج العلمي لهذا الطبيب يمكـن أن نـستنبط أسـلوبه وطريقته من خلال هذا الدرس الطبي ، في النقاط التالية :

أولاً : **إعداده لدرسه إعداداً جيداً وربما ينسخ ما يريد أداءه لطلابه .**

ثانياً : **دخول الطلاب عليه على هيئة مجموعات وقد خصص لكل مجموعة وقت معين .**

ثالثاً : **البحث مع كل طالب فيما يخصه من دروس .**

رابعاً : **كان يحرص على إفهام كل طالب درسه الخاص به قدر الإمكان .**

خامساً : **إشراكه للطلاب المتميزين عنده في مناقشة الدروس الصعبة التي تحتاج إلى مزيد شرح وفهم .**

سادساً : **كان لا يقرئ أحداً من الطلاب إلا ومعه نسخه من الكتاب الذي يقرأ منه عليه .**

سابعاً : **حرصه على تصحيح نسخة لكل طالب إذا وجد فيها غلطاً أو تصحيفاً .**

ثامناً : **لم يكن مجلسه الطبي يخلو من الكتب الطبية واللغوية التي يرجع إليهـا خلال أدائه لدرسه ، ليراجع من خلالها المسائل الطبية ، أو الاختلافات اللغويـة حول معاني بعض الأمراض والأدوية ، ومعرفة الألفاظ المستغلقة التـي يحتـاج فيها إلى كتب اللغة .**

تاسعاً : **كانت لديه فترة راحة خاصة به ، يأكل فيها ، ثم يستأنف بعدها القـراءة والحفظ والمطالعة .**

عاشراً : **وقد تغير أداؤه في درسه الطبي لما مرض وثقـل لـسانه ، فكـان لا يستطيع أن يسترسل في كلامه ، فلما زاد به ثقل لسانه كان الطـلاب يتبـاحثون أمامه وهو يسمع فإذا صعب عليهم شيء أجاب عنه بأقل جواب وأخفـه ، وإذا تعسر عليه الكلام كتبه في لوح أمامه فيقرأه الطلاب (١) .**

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٣ .

وقد اتصف بعض الأطباء في أدائه لدرسه الطبي بطلاقة اللسان وحسن الأداء والقدرة على توضيح المسائل وبيانها (٢) .

فهذا الطبيب موفق الدين يعقوب ابن سقلاب تميز بأسلوبه الفريد في شرحه لمسائل درسه يقول عنه ابن أبي أصيبعة : ((.. فكنت أرى من حسن تأتيه في الشرح ،وشدة استقصائه للمعاني بأحسن عبارة وأوجزها وأتمها معنى مالا يجسر أحد على مثل ذلك ولا يقدر عليه ، ثم يذكر خلاصة ما ذكره ، وحاصل ما قاله ، حتى لا يبقى في كلام بقراط موضع إلا وقد شرحه شرحاً لا مزيد عليه في الجودة)) (١) .

ثانياً : **التعليم العملي** :

أما أداء الدرس الطبي العملي فكان يأخذ طابعاً آخر من التنوع والاختلاف وكان الأطباء يعرضون طرقاً ووسائل متعددة في طرق الفحص والاستدلال على الأمراض ومعرفة دقائقها وطرق علاجها ، وقد كان البيمارستان هو المكان الذي مارس فيه الأطباء تعليم الطب عملياً ، وكان طلاب الطب يمارسون العمل والنظر مع الأطباء والكشف على المرضى ، ويراقبون من خلال ذلك كيفية طرق مشايخهم في الفحص والاستدلال والعلاج فابن أبي أصيبعة يذكر لنا نموذجاً من تلك الدروس التي شهدها بنفسه في البيمارستان النوري بدمشق ، فيقول : ((ورأيته يوماً في قاعة المحمومين ، وقد وقفنا عند مريض ، وجست الأطباء نبضه ، فقالوا عنده ضعف ، ليعطى مرقة الفرّوج للتقوية فنظر إليه وقال : إن كلامه ونظر عينيه يقتضي الضعف ، ثم جس نبض يده اليمنى وجس الأخرى وقال : جسوا نبض يده اليسرى ، فوجدناه قوياً ، فقال : انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه ، قد انفرق العرق الضارب شعبتين ، فواحدة بقيت التي تجس والأخرى طلعت في أعلى الزند وامتدت إلى ناحية الأصابع ، فوجدناه

---

(٢) نفسه ص٧٣١ ، ٧٣٦ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٧ ، ٦٩٨ .

حقاً ، ثم قال : إن من الناس ، وهو نادر ، من يكون النبض فيه هكذا ويشتبه على كثير من الأطباء ويعتقدون أن النبض ضعيف ..)) (٢) فهذا الدرس الطبي العلمي يعكس مدى الدقة التي كان يمارسها الأطباء في طرق الفحص والاستدلال ، وكيف أنه كان يدرب طلابه على ذلك في درس جماعي يأمرهم بممارس جس النبض أمامه ، وبهذا يعرف الطبيب الحاذق من غيره بما يعرف عنه من شدة في البحث والاستقراء للأعراض والبحث في حالة المرضى والدقة التامة في معرفة المرض وما يشكو منه المريض ، لهذا كان في غالب أمره يوفق للعلاج (١) . انظر إلى كلام ابن أبي أصيبعة عندما كان يتدرب على يد عبد الرحيم بن علي الدخوار ، وعمران الإسرائيلي في البيمارستان النوري فيقول : ((وكنت في ذلك الوقت أتدرب معهما في أعمال الطب ... ولقد رأيت من حسن تأتي الحكيم عمران في المعالجة وتحقيقه للأمراض ما يتعجب منه)) (٢) ، وعرف عن الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب أنه كان ((شديد البحث والاستقراء للأعراض ، بحيث أنه كان إذا افتقد مريضاً لا يزال يستقصي منه عرضاً عرضا وما يشكوه مما يجده ، من مرضه حالاً حالا إلى أن لا يترك عرضاً يستدل به على تحقيق المرض إلا ويعتبره فكانت أبداً معالجاته لا مزيد عليها في الجودة)) (٣) .

ومن أهم ما ينبه عليه الأطباء في وصاياهم لطلابهم والمشتغلين عليهم التنبه إلى طرق الاستدلال بالعلامات ((كالنبض والبول والبراز وغير ذلك)) (٤) وهذا الجانب من العلوم الطبية قد أولاه أطباء الشام عناية كبرى ، بل إنه مما

---

(٢) نفسه ص٧٣٢ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٨ .

(٢) نفسه ص٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(٣) نفسه ص٦٩٧ ، ٦٩٨ .

(٤) ابن المطران : بستان الأطباء ص١٢٥ ، ابن النفيس : الموجز ص٥٠ ، ٥٤ .

يميز الطب خلال هذا العصر ، وهذا المنهج العلمي في البحث ومعرفة العلامات قد مارسه أطباء الشام بأسلوب علمي متقدم (٥) .

ويعد ابن المطران أحد أبرز هؤلاء الأطباء الذين مثلوا هذا المنهج العلمي في الاستدلال على الأمراض ،وهو يفرد ثلاثة فصول في كتابه (بستان الأطباء) لهذا الغرض (٦) استوفى فيها أعظم دلائل الأمراض ، وما يجب على الطبيب معرفته منها فمن الأمثلة على ذلك قوله : ((لا ينبغي أن يوثق بطريق الاستدلال من أحوال البول إلا بعد مراعاة شرائط ، يجب أن يكون البول أول بول أصبح عليه المريض ولم يدافع به إلى زمانه طويلاً وبات بايله من الليل ولم يكن شرب ماء ولا أكل طعاماً ولم يتناول صابغاً من مأكول أو مشروب كالزعفران والخيار شنبر فإنهما يصبغان إلى الصفرة والحمرة ، والبقول فإنها تصبغ إلى الخضرة ، والمري فإنه يصبغ إلى السواد والشراب المسكن يغير البول إلى لونه ولا لاقت بشرته صابغاً كالحناء فإن المختضب به ربما انصبغ بوله منه ... ولا يكون تعاطى من الحركات والأعمال والأحوال الخارجة عن المجرى الطبيعي ما يغير من الماء لوناً مثل الصوم والسهر والتعب والجوع فإن هذه كلها تصبغ الماء إلى الصفرة والحمرة والجماع يدسم الماء تدسيماً شديداً أو مثل القيء والاستفراغ فإنهما يبدلان من الواجب من لون الماء وقوامه ، وكذلك إتيان ساعات كثيرة عليه، وكذلك قيل لا يجب أن ينظر في البول بعد ست ساعات عليه لأن دلائله تضعف ولونه يتغير وثقله يذوب ويتغير ويكثف أشد ، على أني أقول ولا بعد ساعة ، وينبغي أن يؤخذ البول بتمامه في قارورة واسعة ولا يصب منه شيء ويعتبره حاله لا كما يبال لكن بعد أن يهدأ في القارورة بحيث لا يصيبه شمس ولا ريح حتى يتميز الرسوب فيتم الاستدلال)) (١) .

---

(٥) ابن النفيس : الموجز ص٤١ ، ٥٤ ، ابن القف : العمدة في الجراحة ج٢ ص١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨.

(٦) بستان الأطباء ص١٢٥ ، ١٤٦ .

(١) بستان الأطباء ص١٣٢ .

ويقول أيضاً : ((الاستدلال الجوهري للبول يكون من ثلاثة أشـياء :اللـون والقوام والثقل لكن يجب ألا يقتصر على هـذا دون أن تعـرف لمـس الخـارج ورائحته..)) (٢) .

ويقول أيضاً : ((الدلائل المأخوذة من البول منتزعة من سـبعة أوصـاف جنس البول ، جنس القوام ، وجنس الصفاء ، والكـدرة ، وجـنس الرسـوب ، وجنس المقدار في القلة والكثرة ، وجنس الرائحة ، وجنس الزبد ، وأمـا مـن أدخل معها اللمس والذوق فقوم لا خلاف معهم)) (٣) .

ويقول : ((إنما كان علم النبض شاقاً لأسباب ثلاثة منهـا أنـه لا يمكـن الإنسان أن يتدرب في لمسه ومجسته حتى يدرك القليل مما يحـدث منـه ، وإن أمكنه فليس في زمان يسير ولا يدركه من راحة في الزمان الطويل بل يحتاج إلى جودة حس وقوة خيال فائقة ، ومدة من الزمن طويلة)) (١) .

فهذه النصوص وغيرها تكشف دقة أخذهم بالمنهج الاستدلالي التجريبـي في معرفة العلامات الدالة على الأمـراض وتعكـس دقـة الأطبـاء المـسلمين ومنهجيتهم وأصالتهم ومدى ما وصلت إليه الحركة العلمية الطبية مـن نـضج أسهم فيه أطباء الشام بنصيب وافر .

ويمكن أن نذكر بعض النماذج لنستجلي أسلوب الأطباء في تطبيـق هـذا المنهج ، فقد كان للأطباء طريقة متبعة في علاج المرضى اتخذها أهل الحـسبة قانوناً يحاسب عليه الأطباء في أعمالهم ، فقد أورد الشيزري نصاً مهماً في ذلك حيث يقول : ((وينبغي إذا دخل الطبيب على مريض أن يسأله عن سبب مرضه ، وعما يجد من الألم { ويعرف السبب والعلاقة والنبض والفارورة } ثم يرتب لـه قانوناً من الأشربة وغيرها ، ثم يكتب نسخة بما ذكره له المريض ، وبما رتبـه له في مقابلة المرض ، ويسلم نسخته لأولياء المريض ، بشهادة من حضر معه

---

(٢) نفسه ص١٣٤ .

(٣) بستان الأطباء ص١٨٢ وهذه الشروط هي التي أكد عليها الطب الحديث عند تحليل البول .

(١) ابن المطران : بستان الأطباء ص١٤٥ .

عند المريض فإذا كان من الغد حضر ونظر إلى دائه ، وسأل المريض ، ورتب له قانوناً على حسب مقتضى الحال ، وكتب له نسخة أيضاً ، وسلمها إليهم ، وفي اليوم الثالث ثم في اليوم الرابع وهكذا إلى أن يبرأ المريض ، أو يموت فإن برئ من مرضه أخذ الطبيب أجرته وكرامته ، وإن مات حضر أولياءه عند الحكيم المشهور ، وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب ، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب أعلمهم ، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك قال لهم : خذوا دية صاحبكم من الطبيب ، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه ، فكانوا يحتاطون على هذه الصورة إلى هذا الحد حتى لا يتعاطى الطب من ليس من أهله ، ولا يتهاون الطبيب في شيء منه)) (٢) .

يتضح من خلال هذا النص الأسلوب المتبع في فحص المريض والطريقة النظامية الدقيقة التي كانت متبعة للحفاظ على سلامة المريض وعلى مهنية الطبيب ويمكن أن نرتب هذه الطريقة وفق مرحلية يمر بها أسلوب الكشف والعلاج وما يترتب عليه :

المرحلة الأولى **: مرحلة الدخول على المريض ويتم فيها ما يلي :**

١. يسأل الطبيب المريض عن سبب مرضه وما يجده من ألم .
٢. يبدأ الطبيب بالكشف الموضعي على المريض ، وقياس النبض ، والنظر في القارورة (شكل البول) .
٣. يعرف من خلال ذلك المرض فيصف له الدواء المناسب له .

المرحلة الثانية :

١. يكتب ذلك كله في نسخة ويسلمه إلى أهل المريض ويشهد عليه .
٢. يتردد الطبيب على مريضه مدة العلاج طالت أم قصرت .

المرحلة الثالثة :

---

(٢) الشيزري : نهاية الرتبة في طب الحسبة ص٩٧ ، ٩٨ .

١- في حالة شفاء المريض يأخذ الطبيب أجرته مقابل شفائه ، وفي حالة موته يعرض أهله الأوراق على رئيس الأطباء ، فإن أجازها أخبرهم وقال : أن الطبيب قد أدى ما عليه وأن ما فعله هو المعروف عند أهل الطب ، أما إذا كان خـلاف ذلك فإن الطبيب ضامن لهم وعليه الدية لأنه فرط وتهاون .

وهناك نماذج توضح بعضاً مما أشرنا إليه سـابقاً مـن وسـائل العـلاج والتطبيقات العملية التي مارسها أطباء الشام ، فابن أبي أصـيبعة يـذكر قـصة مريض كان يعالج في البيمارستان النـوري ، وهـو مـصاب بمـرض يـسمى ((الاستسقاء الزقي)) (١) وقد أجمع الأطباء على بزله يقـول ابـن الـدخوار : ((فحضرنا وبزل الموضع على ما يجب ، فجرت مائية صفراء وابـن المطـران يتفقد نبض المريض ، فلما رأى أن قوته لا تفي بإخراج أكثر من ذلك أمر بـشد الموضع ، وأن يستلقي المريض ولا يغير الرباط أصلاً ، ووجد المـريض خفـة وراحة كبيرة ، وكان عنده زوجته فأوصاها ابن المطران أنها لا تمكنه من حـل الرباط ولا تغيره بوجه من الوجوه إلى أن يبصره ثاني يوم ، فلما انصرفنا وجاء الليل قال زوجها إنني قد وجدت العافية وما بقي بي شيء وإنما الأطباء قصدهم أن يطولوا بي ، فحلي الرباط حتى يخرج هذا الماء الذي بقي ، وأقوم في شغلي فأنكرت عليه قوله ولم تقبل منه ، فعاودها بالقول وكرر ذلك عليها مرات ، ولم يعلم أن بقية المائية إنما جعلوا إخراجها في وقت آخر مراعاة لحفظ قوته وشفقة عليه ، فلما حلت الرباط وجرت المائية بأسرها خارت قوته وهلك)) (١) .

ومن النماذج أيضاً أن ابن أبي أصيبعة حضر مع شيخه الـدخوار فـي البيمارستان النوري علاج مريض وقد أتي به ومعه حمى محرقة [٢] ((وقـوارير

(١) مرض مادي ذو مادة باردة غريبة تتخلل الأعضاء ، فتربو أما الظاهر كلها ، أو مواضع تـدبير الغـذاء والأخلاط ، وأنواعه ثلاثة الزقي ، اللحمي ، والطبلي ، وأردؤها الزقي ، ابن النفـيس : المـوجز ص٢١٤ ، القوصوني : قاموس الأطباء ج٢ ص٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٦ ، ٦٥٧ .

(٢) حمى دائه لا تزال تزداد اشتعالا والتهاباً فيما بين كل يومين ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٣٦ ، انظر عنها بالتفصيل جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص٥٤٧ ، ٥٤٨ .

في غاية من الحدة)) فنظر إلى قوته ، ثم أمر له بشيء من الكافور مقدار معيناً وكتب ذلك في الدستور وأن يشربه ولا يتناول شيئاً غيره ، فلما كان مـن الغـد وجدنا ذلك المريض والحمى قد انخفظت عنه وقارورته ليس فيها شـيء مـن الحدة)) (٣) .

وكان الأطباء يحمدون لمن يعالج المرض بالأدويـة دون الحاجـة إلـى استخدام اليد أو الجراحة أو ما يسمى (بالحديد) ، فقد مدح جالينوس من يفعـل ذلك في كتابه محنة الطبيب فقال : ((رأيت طبيباً يبرئ بالأدويـة الأدواء التـي يبرئها المعالجون بالحديد بالقطع فقد دل ذلك على أن له علماً ودربة وحذقاً)) (٤) .

ويقول ابن أبي المحاسن الحلبي : ((ولتعلم قبل كيفية العمـل أن العـلاج بالحديد ، لا ينبغي أن يكون ، إلا بعد العجز عن مداواة الأمراض المحتاجة إلـى ذلك بالأدوية البسائط والمركبة ...)) (٥) .

وكان العمل باليد أحد أهم فروع الطب العملي الذي كـان يتـدرب عليـه الأطباء ، لعلاج الأمراض التي تحتاج إلى عمليات جراحية (١) مثل البط والـشق والقطع والجبر والخياطة (٢) وغيره وقد عرف بهذا من أطبـاء الـشام حمـدان

---

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣١ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٨ .

(٥) الكافي في الكحل ص٢٧٠ .

(١) ذكر أبو المحاسن الحلبي قائمة عدد من أمراض العين التي يقتصر علاجها على الجراحة والعمل باليد . انظر الكافي في الكحل ص٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٢) ذكرت بعض المصادر قيام بعض الأطباء بالشام بإجراء عمليات خياطة جراحات لبعض النـاس ممـن تعرض لبعض الطعنات بالسيوف والخناجر ، ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ . سـبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٥٠ ، ٥١ ، ١٣٦ ، ٧١٤ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨هـ ـ / ٦٦٤هـ) ص٢٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٥ ص٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢١٩ .

الجرائحي أحد كبار الجراحين في البيمارستان النوري بدمشق (٣) وابـن القـف صاحب كتاب العمدة في الجراحة (٤) ، وقد كان لهما تجارب وممارسات علاجية تدل على براعتهم وتقدمهم في هذا الفن .

كما وضع ابن النفيس في كتابه (المهذب في الكحل المجـرب) عـشرة أمور في جراحة أمراض العين يتضح من خلالها وبصورة في غاية من الدقة ما ينبغي أن يكون عليه الطبيب المعالج والمريض ، في الهيئـة والـشكل وطـرق العلاج وزمنه ، ومكانه ، والخدام والآلات المستخدمة وغير ذلك بأسلوب تعليمي رفيع ، تبين منه مدى ما وصلوا إليه من التقدم العلمي فـي مجـالات العـلاج وطرقه ووسائل الحماية للمريض والدقة في العمل والشروط المـستلزمة لـذلك ،وهذه الأمور كالتالي

أولاً **: هيئة المعالج : أما عند الكحل والتقطير ونحو ذلك فيجب أن يكون متربعاً ليكون شديد التمكن آمنهاً من التزلق ونحوه الذي يخشى معه نفوذ مثـل الميـل ونحوه في العين ، وكذلك عند التشمير وقطع السبل ونحو ذلك [5].**

أما عند القدح : فينبغي أن يكون جلوسه على كرسي أو وسادة ، أو مكان وقدماه معتمدتان كان على الأرض بغاية الثبات ، وذلك لأن إشرافه حينئذ علـى العين وتمكينه من الاتكاء على المهت ونحو ذلك أكثر [1].

ثانياً **: هيئة المعالج : وعند قطع السبل واستعمال القطورات في العين ينبغي أن يكون مستلقياً على قفاه فإن ذلك أمكن لإشراف المعالج على العين وأولـى فـي بقاء ما يقطر فيها ، وأما عند القدح ، والاكتحال بالذرورات فينبغـي أن يكـون جالساً متربعاً ليكون أبعد عن الميل [2].**

---

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٨ .

(٤) نفسه ص٧٦٨ .

(٥) المهذب ص١٦٠ .

(١) المهذب ص ١٦١ .

(٢) نفسه ص١٦١ .

ثالثاً : **هيئة العلاج : أما العمل بالحديد فسيأتي الحديث عنه ، وأما عند استعمال الأدوية : فليفتح العين أولاً ، أما اليمنى : فبالإبهام الأيسر وبظهر السبابة اليمنى ، ممسكاً الميل بالإبهام والوسطى من اليد اليمنى ، وأما اليـسرى : فبالخنـصر اليمنى وبالإبهام الأيسر ، ويوضع الميل أولاً الموق الأكبر ، ثم يعم به الأجفـان إلى اللحاظ ، ويفتله نصف دورة لتنال الأجفان جميع الكحل من الجانبين ،**
أما التقطير : فليفتح العين بالإبهام والسبابة من اليد اليسرى ويسكب القطور من معلقة الميل باليد اليمنى (٣).

رابعاً : وضع المتعالج من المعالج :.

وينبغي أن لا يكون بعده منه بقدر يحتاج أن تكون يد المعالج عند العمـل مستقيمة ، بل لا بد وأن يكون بحيث يحيط الساعد مع العضد بزاوية ، فلا يكون قربه بحيث يموج إلى خروج مرفقي المعالج عـن أضـلاعه ، فـإن الموضـع المتوسط بين هذين أكثر تمكناً (٤).

خامساً : **ثياب المعالج : وينبغي أن لا تكون من السعة بحيث تعيق عن العمـل ، وتستر ما يحتاج إلى كشفه ولا من الضيق بحيث تزاحم المرفق والكشف فتمنـع من سهولة العمل (١).**

سادساً : **الضوء : وينبغي أن يكون القدح ونحوه في ضوء قوي ، وأولى ذلـك الضوء الطبيعي ، فلذلك ينبغي أن يكون ذلك في أوساط النهار وفـي الـصحو ، وإذا لم يكن غبار أو رياح جاز أن يكون الموضع مكشوفاً هذا حال القدح ، وأما بعد الفراغ منه فينبغي أن يكون مرقد المريض شديد الظلمة لمـا نـذكره فـي موضعه ، وأما في مداواة الأرماد ونحوها : فينبغي أن يكون الضوء بحيث يعسر**

---

(٣) نفسه ص١٦٢ .

(٤) نفسه ص١٦٢ .

(١) المهذب ص١٦٢

على المعالج جودة التأمل في أقل منه فإن المريض يتضرر في هـذه الأمـراض بكثرة الضوء [٢].

سابعاً : **الخدام : فينبغي أن يكونوا ذوي فطانة لما يؤمرون به وأن يكون خـادم المعالج من لطف الحركة بحيث لا يؤخر مناولة ما يأمره بمناولته إياه عند تمام لفظ الأمر ، وكذلك ينبغي أن يكون جميع ما يحتاج إليه في العلاج من الأدويـة والآلات ونحوها حاضراً ، وأن يكون خدام المتعالج من الفطانة والرفق به بحيث يكون إمساكهم له عند العمل على الوجه الذي لا يكون معه ألم ، وبغاية الطاعة للمعالج في جميع ما يأمرهم به ، وصامتين فإن الحديث والشغب ربمـا أشـغل المعالج عن فعل شيء من الواجب [٣].**

ثامناً : **وقت العمل : والأفضل في القدح ونحوه أن يكون في انتصاف النهـار ، بعد تناول الغذاء وأخذه في الانهضام ، وأما الكحل والتقطير ونحوهما فـالأولى بها الوقت الأبرد من النهار وقبل تناول الغذاء وبعد لين البطن [٤].**

تاسعاً : **موضع العمل : ينبغي أن يكون مستوراً عن الغبار والـدخان والريـاح معتدل الهواء [لئلا يكرب المعالج ويضجره] ولا يكون من البرد بحيـث يـؤلم المعالج كشف يده [١].**

عاشراً : **آلات العمل : ومنها : الميل ، المكحلة ، والمسن ، وفتاحـة العـين ، والصنانير وغيرها ولهذه الآلات أشكال وصفات متعددة ومتنوعة [٢].**

ومن المعلوم أن العمل باليد والعلاج بالجراحة [٣] يتطلـب أدوات خاصـة تكون عند الطبيب في حالة علاجه بهذه الطريقة .

---

(٢) نفسه ص١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) نفسه ص١٦٣ .

(٤) نفسه ص١٦٣

(١) المهذب ص١٦٣

(٢) نفسه ص١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) عرف ابن القف الجراحة فقال :((هي صناعة ينظر بها تعرف أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعـرض لظاهره من أنواع التفرق في مواضع مخصوصة ما يلزمه ،وغايتها إعادة العضو إلى الطبيعية الخاصة بـه)) العمدة في الجراحة ص٢ .

وكان من أبرز الأدوات الطبية التي أشارت إليها المصادر الأدوات التـي يستخدمها الأطباء لعلاج أمراض العين ؛ فقد برع أطباء الشام في طب العيـون وتميزوا فيه ، واشتهر به أكثر الأطباء الذين عاشوا خـلال القـرنين الـسادس والسابع الهجريين .

ويعد أحمد عيسى بك [٤]من أوائل من تعرض لدراسة الأدوات الطبية التي كانت مستخدمة عند الأطباء المسلمين وذلك في مقالـة سـماها (آلات الطـب والجراحة والكحالة عند العرب) [٥] معتمداً على أهم مصدرين من كتـب الطـب التي ذكرت هذه الأدوات أحدهما (التصريف لمن عجز عن التأليف) لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي والكتاب الثاني (الكافي في الكحل) لخليفة بـن أبـي المحاسن الحلبي إلا أن هناك كتابين مهمين ظهرا بعد ذلك هما الأول : (المهذب في الكحل المجرب) لعلي بن أبي الحزم بن النفيس ، والثاني : (نـور العيـون وجامع الفنون) لصلاح الدين يوسف الحموي ، أوردا فيهما عدداً مـن الأدوات الطبية المستخدمة في علاج أمراض العين ، إلا أنهما يختلفان في عرض هـذه الأدوات واستخدامها ، فابن النفيس يسمي الأداة ثم يصفها وصـفاً دقيقـاً جـداً بحيث يسهل على الصانع صناعتها وعمل مثلها ، وهو يذكر المعدن الذي تصنع منه وكيفية استخدام تلك الأداة والعمل بها . أما صلاح الدين الحموي فإنه يذكر هذه الأدوات في معرض حديثه عن الأمراض التي تعالج باليد ولا يصفها وإنمـا يذكر صورتها فقط ، وهو في هذه الطريقة تبع لأبي المحاسن الحلبي ، إلا أن أبا المحاسن كان أكثر دقة ووصفاً وشرحاً لطرق العلاج باليد واسـتخدام الأدوات ، وتعد هذه الكتب الثلاثة من أعظم ما صنف في تاريخ طب العيون عند المسلمين .

---

(٤) هو طبيب مصري ومؤرخ وأديب عمل في الطب الباطني وشغل مناصب عدة ، وعضو فـي جمعيـات ومجامع علمية له كتب في تاريخ الطب والنبات والبيمارستانات هي من افضل ما صنف في هذا الفن ، توفي سنة ١٣٦٥هـ ، الزركلي : الأعلام ج١ ص١٩١ ، ١٩٢ .

(٥) طبعت هذه المقالة في مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية بدون تاريخ .

الأدوات الطبية في كتاب "الكافي في الكحل"

أفرد صاحبه فصلاً عن العمل باليد والعلاج بالحديد وذكر قائمة بالأمراض التي تعالج بهذه الطريقة ، كما أنه وصف وبشكل دقيق كيفية العلاج ، والأدوات التي تصلح لعلاج كل مرض ، ثم جمع تلك الأدوات في جداول خاصة بين فيها أشكالها وأسمائها (١) ، وجعلها في آخر هذا الفصل ، يقول عن طريقته هذه : ((وإذ قد تم كيفية الأعمال بالحديد ، وتدابير ذلك بمقتضى هذه الجداول فثبت بعدها أسامي الآلات المحتاج إليها في أعمالها وأشكالها ، إذ هي مختلفة الأوضاع لتكون للكحال إذا احتاج إلى شيء منها ، وخاصة ما كان غريباً عن المهني في شكله واسمه فنضع له مثل هذا الشكل الذي يصفه من شمع أو من صبغ أو غير ذلك إذا احتاج إليه ، فهان على الصانع عمله ، ولنكتب على رأس كل آلة اسمها في بيت صغير ، ثم نضع شكلها في بيت آخر ونكتب تحتها كيفية العمل بها ، وإن كان في الآلات شيء معروف مشهور كالموسى والمشراط وغيرهما ، أما أنّا نذكرها أيضاً بحيث يأتي ذكرها ما هو غريب عن أكثر الصناع على نظام ، إن كان ما أحضرنا جميعها ، ونخاف من العدة مالا سمعناه ، ولا كيفية العمل ، فلنعذر في ذلك...)) (٢)

الأدوات الطبية في كتاب (المهذب في الكحل المجرب)

أولاً : أدوات التكحيل :

١ - الميل **: وصفه كالتالي :** ((ينبغي أن يكون طرفيه لطيفة لسكب القطورات في العين ، والطرف الآخر مستديراً يغلظ عند قرب أخره قليلاً بتدريج ، ليكون على هيئة زيتونة لطيفة تملأ ما بين الجفنين عند فتحها للتكحيل ، أما وسطه فيكون مربعاً ، فإن المستدير أقبل للانفتال والدوران في يد الكحّال ، وينبغي أن يكون مع تربعه منقوشاً بما يفيده خشونة ، فإن ذلك أعون على شدة اشتمال الأنامل عليه بما يغوص من لحمها في حفر النقوش ، وأما طرفاه فيكونان أملسين أما

---

(١) انظر الملحق رقم (   ) .

(٢) الكافي في الكحل ص٣١٩ ، ٣٢٠ .

المعاق فليسهل إسالة كل ما يجمع فيها من القطور ولا يحتبس ويسهل انفصاله منها في العين ، وأما الطرف الآخر فليسهل انفصال الكحل منه ، ولتكون ملاقاته للجفن أو المقلة غير محدثة ألماً وقد يجعل للكحل فيكونان متساويين ، وحينئـذ يجعل المربع في حقيقة الوسط إذ لا جانب أولى بقرب ذلك من الآخر ، ولا كذلك إذا كان أحد الطرفين ملعقة ، فإن ذلك أولى بأن يكون المربع قريباً ، ليطول مـا به الكحل)) (١)

ويصنع الميل من الفضة لعلاج سخونة العين ورطوبتها ، ومن الذهب إذا أريد تلطيف المادة ، ومن الأبنوس إذا أريد تلطيف المواد وتحليلها ومن النحاس وهو الأكثر (٢) .

أما طريقة استعماله : فينبغي أن يغسل بعد كل استعمال لئلا تعدي العـين المتقدمة التي بعدها ، وكذلك ينبغي أن يغسل من كل كحل لئلا يفيد عمل الثـاني بأخلاطه بما يتبقى من الأول على الميل (٣) .

٢- المكحلة **: وتصنع من المعادن المناسبة للأكحال ، مثل الذهب والفضة ومـن الخشب الأبنوس . ويكون شكلها مستديرة تسع الكحل أكثر ، وتكون مـع ذلـك مستطيلة يمكن تعويض الميل فيها إلى حيث يعم الكحل القدر المحتاج إليه ... (١) .**

٣- المسن **: يتخذ في الأكثر من حجر المسن ، وذلك لحك شيافات أدوية المـاء والبياض ونحو ذلك ، ولا بد من غسل موضع كل حك إذا أريـد أن يحـك فيـه شياف آخر ، لئلا يخالط الشياف الثاني ما بقي من الأول (٢).**

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٦٣ ، يذكر ابن النفيس في أصل كتابه شكل الآلة التي يصفها إلا أنها لم تصل في النسخ التي حققت ولم يأت فيها الرسومات والأشكال التي أشار إليها ابـن النفـيس فلعـل النـساخ أسقطوها .

(٢) نفسه ص١٦٣ .

(٣) نفسه ص١٦٣ .

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٦٤ .

(٢) نفسه ص١٦٤ .

آلات الجراحة :.

١- فتاحة العين : ((**وتصنع من الفضة والنحاس ، أما وصف شكلها وهـي عبارة عن كُلابان بينهما قدر ما ينزل فيه طرف الخنصر ، يتقاربان على التدريج حتى يقربان جداً عند دائرة يخرج منها على مقابلتهما سـاعد ، وطول الكلابين قدر عرض ثلاثة أصابع وانعطاف رأس كل واحد منهمـا قدر ثلث دائرة على طرفه كرة صغيرة لتكون ملاقاته للجفن غير مؤلمة ، وفائدة الدائرة أن لا ينكسر الكلاب عند تبعيده عـن الآخـر لـو اتـصلا بالساعد، وفي الأكثر تكون هذه الدائرة مخرمة لئلا تثقل وطول الـساعد بطول الإصبع الوسطى أو أزيد بقليل ، وهو مضلع فـإن المـستدير قـد ينفتل في يد الفتاح ، وفي طرفه زائدة أو زوائد مستديرة قطرها يقـرب من ضعف ثخنه ، حتى إذا أمسك الفتاح الساعد بإبهامه وسطاً ووضـع السبابة عن جانبه لتمنعه من الميل وقعت تلك الزائدة على طرفه السبابه من أسفل، فمنعت من خروج اليد عن موضعها من ساعد الفتاح**)) (٣) .

٢- الصنانير : **وصف شكلها :** ((**ينبغي أن يكون ثخنها بقدر يسهل إمـساك جملة منها تقارب العشرة بالأصابع الثلاث ، أعني : الإبهـام والـسبابة والوسطى ولا تدقق جداً فيعسر ضبطها بين تلك الأصابع ، وأما طولهـا فليكن بقدر فِتر ، وكلابها أدق منها ليسهل نفوذه فيما ينفذ فيه ، وطرق الكلاب حاد جداً لئلا يغوص فيه مقدار مالا ينقطع ذلك الجسم عند جذبـه وأما الطرف الآخر من ساعد الصنارة فليكن فيه كرة قطرها أعظم مـن ثخنه لفرد الأنامل إذا انزلقت عن ساعد الصنارة فلذلك أن يكـون هـذا الساعد خشناً بنقوش تجعل فيه يغوص فيها جلد أنامل العمّال**)) (١) .

---

(٣) نفسه ص١٦٥ ، ١٦٦ .

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٦٦ ، ١٦٧ .

٣- المسلخ : ((**ويصنع من الفضة والنحاس ، وطوله بقدر فتر ، أثخن من الميل بقليل ، مضلع الساعد لئلا ينفتل ، والأحسن أن يكون مثمناً وأحد طرفيه مستدق ذو ثلاثة سطوح مثلثة ، قاعة كل واحد منها عند الساعد ، وبقدر نصف ثخينة ، ثم يأخذ في الاتساع بتدريج ، ثم يتدرج في الضيق إلى زاويته ، وهذا المستدق طوله بقدر عقده ، وأوسع موضع في كل مثلث منه لا يزيد على قاعدته بقدر نصفها ، ورأس هذا المستدق غير شديد الحدة حتى يخرج ، وإنما جعل من ثلاثة سطوح لأن المستديرة لا يسهل به السلخ لفقدانه الزوايا المسهلة النفوذ بين الأجسام ، والمسطح كالسيف لا يرفع المسلوخ رفعاً يسهل الانسلاخ ، وما زاد على ذلك من السطوح مثقل**)) (٢) .

٤- المقراض : **وصفته** : ((**هو مقص ذو ساعد بطول إصبع أو أكبر بقليل ورأسه غير حاد لئلا يخرج ، وموضع القص بطول خنصر أو أقل بقليل ، وهو سطح قليل السمك يسهل نفوذه بين الملتحم وبين ما يقطعه من السبل والظفرة ، ولذلك كل ما قل عرضه فهو أجود**)) (٣) .

٥- المقدحة : **وصفتها** : ((**أنها في طول فتر وأثخن من الميل قليلاً وساعدها مضلع والأحسن أن يكون مثمناً ، وأحد طرفيها قد يعمل معلقة يستعمل بدل معلقة الميل ، والطرف الآخر وهو رأسها مستدق بقدر ما يمكن تنفيذه في العين من غير انعواج ، وطوله بقدر ثخن الإبهام ، ويبتدئ مستديراً ، ثم عند قرب طرفه يعمل له ثلاثة سطوح ، في وسط كل واحد منها جزء آخذاً في طوله كالنهر ، وإنما جعل كذلك ليكون طرفه سهل النفوذ لإعانة الزوايا على تفريق الاتصال ، ومع ذلك تكون ملاقاته للماء بسطح له اتساع ما ليكون انزلاقه عن الماء أقل وفائدة النهر فيه :**

---

(٢) نفسه ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) نفسه ص١٦٧ .

أن يمنع الماء من الانزلاق عنه لأجل زيادة التثبت ، وفائدة استدارة أوله : أن يكون فتله وأدارته إلى حيث يجوز وضعه على الماء أسهل » (١) **.**

٦- المهف المجوف: **ومهمته أنه « ينفذ بتجويفه إلى طرف أحد النهار الثلاثة ويكون –في جميع هذا – الرأس دقيقاً جداً ليحتمله جرمه ، فإذا بلغ الساعد أخذ في الاتساع على تدريج إلى آخره ،غطاء يدخل فيه بقدر لا يضع منه بذاته والغرض بذلك أن لا يسقط في هذا التجويف شيء يسده »** (٢) **.**

وقد طور ابن النفيس هذه الآلة فهو يقول « وقد اتخذنا مقدمة رأسها – بدل المثلث من فوق – رقيق كالسيف وفي وسط كل سطح جزء كالنهر وعنقه مستدير فكان أخذها للماء أسهل » (٣) **.**

٧- القمادين : **وصفتها أنها « كالميل الثخين ، إلا أن أحد طرفيها مستعرض بقدر ثخن الخنصر وعلى طول نحو أصبعين أو أكثر بقليل ، وهذا المستعرض محفور فيه كمشراط صغير مهندم فيه ، يلحم على حافاته صفحة تستر المشراط بحيث تكون الجملة كقطعة واحدة ، وفي وسط هذا الغطاء بالطول خرق ينفذ فيه مسمار ، طرفه السافل في أسفل المشراط ، العالي في ذنب سمكة من نحاس أو فضة أو نحو ذلك ، وهذه السمكة بقدر يغطي الخرق ، فإذا أريد إبراز المشراط رفعت السمكة إلى فوق فبرز المشراط بقدر ارتفاعها ، فإذا أريد إخفاء المشراط دفعت السمكة إلى أسفل، وينبغي أن تكون هذه السمكة بقدر لا يرتفع رأسها عن رأس القمادين ، إذا رفعت لئلا يعاوق المرتفع منها عمل المشراط ، والفائدة في إخفاء هذا المشراط أمران أحدهما يعرض له انثلام بمصادمة ما يلقاه**

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٦٨ ، كان المقدح الذي يستخدمه سديد الدين ابن رقيقة يختلف عما كان عند غيره وصفته أنه مجوف له عطفة ليتمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ولذا كان العلاج به أبلغ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣ ، ٧٠٤ .

(٢) المهذب في الكحل المجرب ص١٦٨ .

(٣) نفسه ص١٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

لو كان بارزاً ، وثانيهما : أن من الناس من يهوله عمل الحديـد ، فـإذا قيل له أن العمل إنما يكون بهذه الآلة ، وتأمّل ولم يجد لها حدة ولا مـا يؤلم أذعن حينئذ للعمل ، وإذا قربت هذه الآلة من عينيه أبرز المـشراط وفعل ما ينبغي أن ينفعل)) (١) .

٨- المجرد : ((**ويصنع من الفولاذ لا غير ، وساعده بدقة الميل أو أدق قليلاً وفي وسطه خشونة من نقش ونحوه ليجود خبط الأنامل له وأحد طرفيه كمثلث قائم الزاوية قطرها هو أحد الضلعين الخارجين من الساعد إلـى رأسه ، والضلع الآخر أقصر من الخط الذي هو طرف المثلث ، وقد كسر رأس هذه الزاوية القائمة وجعل ذلك الموضع مستديراً لئلا يعرض مـن رأس الزاوية خدش ونحو ذلك ، وإنما لم يفعل بالزاوية الأخرى كذلك لأن تلك الزاوية تكون عند العمل مرتفعة))(٢) .**

٩- الوردة : ((**وتصنع من الفولاذ ، وهي دائرة قطرها بقدر ثخن الإبهام أو أزيد بيسير ، حادة المحيط ، ولها ساعد يبتدئ منها بدقـة علـى قـدر سمكها واستعراض يفيده قوة ، ولا يزال الاستعراض يقل والثخن يـزداد حتى يصير بآخره مربعاً ، ثم يستدق إلى آخره)) (٣) .**

١٠- الياسمينة : ((**وهي مثل الوردة إلا أن رأس الوردة مستدير ورأس هذه إلى طولٍ كورقة الياسمين)) (٤) .**

١١- المكاوي **:وأجودها أن تتخذ من الذهب (٥) وهي أشكال كثيرة منها:**

١) مكوى : ((**أدق من الميل وعلى طول فتر ، وعلـى طرفـه الـذي يكوى به نصف كرة صغيرة قطرها مثل ضعف ثخنه ، وفائـدتها :**

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٦٩ .

(٢) نفسه ص١٧٠ .

(٣) نفسه ص١٧٠ .

(٤) نفسه ص١٧٠ .

(٥) نفسه ص١٧٠ .

أن يكون ما يلاقي من العضو المقصود كيه كبيراً ، وإنما لم يغلظ المكوى كله كذلك لئلا يعسر حموه)) (١) **.**

٢) مكوى **: ((طرفه الذي يكوى به مثلث كما قلناه فـي المجـرد ، وذلك إذا أريد الكي المستطيل كما في كي الصدغين لـسد طريـق المواد إلى العينين ، وقد يعمل ، وقد يعمل الضلع الذي هو طـرف هذا المثلث محززاً كالمنشار ، وذلك إذا أريد قطع العـرق الـذي يكوى ليكون قطعه أسهل بترديد المكوى عليه))** (٢) **.**

٣) مكوى **: ((طرفه الذي يكوى به كرأس المثقب الذي يعمل بساعد يدار مع الاتكاء عليه حتى يثقب الخشب ونحوه ، وذلك إذا أريـد بهذا المكوى ثقب العظام ، كما في المكوى الذي ينفذ فـي عظـم الأنف عند كي الغرب))** (٣) **.**

١٢- إبر الخياطة **: ويجب أن تكون من الذهب أو الفضة وفي غاية من الصغر والدقة** (٤) **.**

١٣- أنواع الخيوط **: ((أجودها ما يصنع من الإبريـسم** [5]**، ويجـب أن يكون قصيراً لئلا يزيد الألم بجر الطول ، ولا بد أن يكون خالياً من العقد والزوائد لئلا يؤلم))** (٦) **.**

وينبغي أن يكون العمل بهذه الآلات بخفة وسرعة ، وأن يكون بغير ارتعاش ولا ذهول ، ولا تحصل الملكة إلا بدوام العمل والاعتياد عليه (٧) **.**

ومن وسائل علاج العين أيضاً :.

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٧٠ .

(٢) نفسه ص١٧٠ .

(٣) نفسه ص١٧٠ ، ١٧١ .

(٤) نفسه ص١٧١ .

(٥) هو نوع من الحرير الفاخر ، عمارة : قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ص٢٦

(٦) المهذب في الكحل المجرب ص١٧١ .

(٧) نفسه ص١٧١ .

١٤- العصائب : وهي ضماد العين بعد الجراحة ولها عشرة فوائد هي :

١- منع العين من الحركة والتبصر كما يفعل بعد القدح ، وذلـك يعـود المـاء بحركة العين ، لئلا يخرج الروح من الثقب الذي أحدثه المهث ، وذلك إذا فتحت العين قبل انضمامه (١) .

٢-منع العين المؤوقة من الحركة تبعاً لحركة العين الصحيحة التـي تـربط لتبطل حركتها ، كما تعصب العين الصحيحة عند قدح الأخرى (٢) .

٣-منع الدواء من النفوذ إلى المقلة ، وذلك بمنع العين من الانتفاخ ، كما إذا ذررت الأجفان بما له حدة أو يمثل الغثرروت ونحوه ، فإن المقلة تتضرر بما ينزل إليها من ذلك قبل إصلاح الأجفان له ، وأكثر ما يحتاج إلى ذلك في أعين الأطفال ، لأن هذا الغرض لا يتم فيهم بأمرهم بالتغميض (٣) .

٤- حفظ ما يوضع على العين من الأضمدة ونحوها (٤) .

٥- زيادة تحليل المواد بحبس الأبخرة الحارة في العـين فيزيـد فـي قـوة الأدوية(٥) .

٦-حراسة العين من الأهوية ونحو ذلك (٦) .

٧-ضغط العين ودفعها إلى الخاف كما يفعل في علاج الجحوظ ، أورد بعض أجزائها إذا برز كما يفعل في علاج النتوءات (٧) .

٨-منع ما يتوقع حدوثه من الجحوظ والنتوء والانحراف ونحـو ذلـك كمـا تعصب العين عند القيء (٨) .

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٣) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٤) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٥) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٦) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٧) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٨) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

٩-دفع الريبة عن العمال ، كما تعصب العين الصحيحة عند امتحـان بـصر المعالج فلا يتوهم أن البصر بالصحيحة ، كما يفعـل عنـد قـدح إحـدى العينين، أو كشط البياض عنها ونحو ذلك (١) **.**

١٠- منع الأوجاع ، وتسكينها (٢) **.**

١٥- الرفائد **: ومن منافعها « رد الجحوظ والنتوء وفيما يتوقع حدوثه من ذلـك وقد ترفد العين عند قدح الأخرى لما ذكرناه من المنفعتين ... وينبغي أن تكـون الرفادة ذات سمك يعتمد به ليصل إليها قوة ربط العصابة وضغطها لها مع قيـام الأنف تحتها** (٣) **.**

الأدوات الطبـية في كـتاب « نـور العـيون وجامع الفـنـون »

ذكر عدداً من الأدوات المستخدمة في العلاج باليد ومنها :.

١- الوردة **: وهي مبضع عريض مكتوم** (٤) **.**

٢- القمادين (٥) **.**

٣- الفاس (٦) **.**

٤- الإبرة **: وهي للكي تكون معرقفة الرأس يحمى رأسها حتى يحمر ويكوى بها موضع منبت الشعر ، وإن كانت الإبرة من الذهب فهو أجود** (٧) **.**

٥- أدوات لتقصير الجفن وتشميره مكواة (٨) **صنابير** (٩) **القصبتين** (١٠)**.**

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) نفسه ص١٧١ ، ١٧٢ .

(٣) نفسه ص١٧٢ .

(٤) نور العيون وجامع الفنون ص١٦١ .

(٥) نفسه ص١٦١ .

(٦) نفسه ص١٧٥ .

(٧) نفسه ص١٧٩ .

(٨) نفسه ص١٨٠ ، وانظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٩) نفسه ص١٨٢ ، وانظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(١٠) نفسه ص١٨٣ ، وانظر شكله في الملحق رقم ( ) .

٦- المكواة الهلالية لعلاج استرخاء الجفن [١] مكواة أخرى [٢] .

٧- مكواة مجوفة على هيئة ريش النسر من الطرف الواحد الذي يكون بـه الكي لعلاج الناصور [٣] .

٨- قمع رقيق لعلاج الناصور أيضاً [٤] .

٩- مجردة لجرد العظم تصنع من حديد هندي يكون رأسه مدوراً [٤] .

١٠- مثقب يكون طرف الحديدة مثلثاً وعودها مخروطاً [٦] .

١١- المكواة الزيتونية [٧] .

١٢- مبضع لسلخ الجلد [٨] .

١٣- المكواة ذات السكينين [٩] .

١٤- فتاحات العين [١٠] .

١٥- المقدح : يجب أن يعمل من النحاس أحمر أو أصفر ليظهـر فـي العمل ويكون طوله قبضة ونصف دون الرأس الذي تقدح به ، ويكـون طول رأس المقدح الذي يدخل إلى العين بقدر عقدة الإبهام الـذي فيهـا الظفر، ويكون خرزة معمولة في المقدح تحجز بين بدنه ورأسه ، ويكون رأسه مثلثاً غير حاد التثليث ، ليكون كيفما دار المقدح يقع أحد التثليـث

---

(١) نور العيون ص٢٣٤ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٢) نفسه ص٢٣٥ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٣) نفسه ص٢٤٣ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٤) نفسه ص٢٤٤ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٥) نور العيون ص٢٤٥ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٦) نفسه ص٢٤٥ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٧) نفسه ص٢٥٩ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٨) نفسه ص٢٦٣ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٩) نفسه ص٢٦٤ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(١٠) نفسه ص٣١٣ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

على الماء فيخطه ، وحدته لئلا يعقر الطبعة العينية ، وغلظ ما بين المسلة والإبرة الغليظة [1] .

١٦- مقاص [2] .

١٧- مقراض [3] .

١٨- سنارة لجذب الشرايين [4] .

١٩- مكواة سكينة [5] .

٢٠- إبر الخياطة [6] .

٢١- أنواع الخيوط المستخدمة في خياطة العين خيوط من ابريسم أو من أوتار العود [7] .

بقي أن نشير إلى بعض الآلات التي أكد الشيزري على ذكرها ، وهي مما يمتحن بها الأطباء وتكون تحت مراقبة المحتسب ، فهناك آلات جراحة عامة وآلات الكحالين والمجبرين والجرائحيين وغيرهم وهذه الأدوات كما يلي .

كلبات الأضراس ، مكاوي الطحال ، وكلبات العلق ، وزراقات القولنج وزراقات الذكر ، وملزم البواسير ، ومخرط المناصير ، ومنجل النواصير ، وقالب التشمير ، ورصاص التثقيل ، ومفتاح الرحم ، وبوار النساء ، ومكمدة الحشا ، وقدح الشوصة [8] .

ومن آلات الكحالين صنابير السبل ، والظفرة ، محك الجرب ، ومباضع الفصد ، ودرج المكاحل [9] .

---

(١) نور العيون ص ٤٢١ ، انظر شكله في الملحق رقم ( ) .

(٢) نفسه ص ١٨٠ ، لم يذكر له صورة .

(٣) نفسه ص١٨٣ ، لم يذكر له صورة .

(٤) نفسه ص٢٦٣ ، لم يذكر له صورة .

(٥) نفسه ص٢٦٣ ، لم يذكر له صورة .

(٦) نفسه ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٧) نفسه ص١٦٣.

(٨) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٩٨ ، ٩٩ .

(٩) نفسه ص٩٩ .

ومن آلات الجرائحيين :.

دست المباضع ويكون فيه الأدوات التالية : مباضع مـدورات الـرأس ، والموربات ، والجربات ، وفأس الجبهة ، ومنشار القطـع ، ومجرفـة الأذن ، وورد السلع ، ومرهمدان المراهم ، ودواء الكندر القاطع للدم [1] . ومـن الآلات الطبية الجراحية في كتاب (العمدة في الجراحة) لابن القف ما يلي :

١- آلة الكي والأفضل أن تكون من الذهب [٢] .

٢- المكوى الزيتوني [٣] .

٣- المكوى السكيني [٤] .

٤- المكوى المسمى بالنقط [٥] .

٥- المكوى السكيني الصغير الحجم [٦].

٦- مكواة دقيقة تدخل من أنبوب نحاس لكي الضرس [٧].

٧- المكوى المسماري [٨].

٨- مكواة صغيرة مسمارية [٩].

٩- أنبوبة من نحاس حادة الرأس خاصة لإزالة الثؤلول [١٠] .

١٠- مكواة بصورة الحلقة على قدر الخرزة [١١] .

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) العمدة في الجراحة ج٢ ص١٦١ .

(٣) نفسه ج٢ ص١٦٢ .

(٤) نفسه ج٢ ص١٦٢ .

(٥) نفسه ج٢ ص١٦٤ .

(٦) نفسه ج٢ ص١٦٥ .

(٧) نفسه ج٢ ص١٦٥ .

(٨) نفسه ج٢ ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(٩) نفسه ج٢ ص١٧١ .

(١٠) نفسه ج٢ ص١٧١ .

(١١) نفسه ج٢ ص١٧٢ .

١١- الآلة المسماة بالحقب (آلة لاستخراج جسم غريب من الأذن) [١٢]

١٢- مرود [١]**.**

١٣- صفار نحاس [٢]**.**

١٤- مبضعاً دقيقاً [٣]**.**

١٥- السنارة العمياء [٤]**.**

١٦- المقص [٥]**.**

١٧- مبضع لطيف [٦] **.**

١٨- المنشار الخيطي هو أن يفتل خيط من الكتان يكون له ثخانة ويعقد عقداً يكون بين كل عقد وعقد قدر أصبعين ويربط بطرف خيط دقيق يدخل في خرم الإبرة (وذلك لعلاج اللحم النابت في الأنف) [٧]

١٩- منقاش [٨] **.**

٢٠- كلاليب [٩] **.**

٢١- الكلاب المبردي [١٠]**.**

٢٢- مكواة عدسية [١١]**.**

---

(١٢) نفسه ج٢ ص١٩١ .

(١) العمدة في الجراحة ج٢ ص١٩١ .

(٢) نفسه ج٢ ص١٩١ .

(٣) نفسه ج٢ ص١٩١ .

(٤) نفسه ج٢ ص١٩١ .

(٥) نفسه ج٢ ص١٩١ .

(٦) نفسه ج٢ ص١٩٢ .

(٧) نفسه ج٢ ص١٩٣ .

(٨) نفسه ج٢ ص١٩٥ .

(٩) نفسه ج٢ ص١٩٦ .

(١٠) نفسه ج٢ ص١٩٦ .

(١١) نفسه ج٢ ص١٩٨ ، ١٩٩ .

٢٣- آلة يكبس بها اللسان شبيه بالسكين ليسلها حد من الجانبين تصنع من الفضة أو الذهب أو النحاس وتستخدم عند علاج اللوزتين [١٢].

٢٤- آلة مقعرة شبيهة بالملعقة يكون تقعرها متمكناً [١] .

٢٥- آلة من رصاص تكون أغلظ من المرود [٢] .

٢٦- صنارة لطيفة [٣] .

٢٧- محقب لطيف [٤] .

٢٨- أنبوبة نحاس أو فضة لصيف [٥] .

٢٩- مرود من حديد طويل يكوى به [٦] .

٣٠- الزرافة لحقن المثانة [٧] .

٣١- القاثاطير ، آلة مجوفة دقيقة لعلاج من حبس بوله تصنع من ذهـب أو فضة أو نحاس [٨]

وهناك نماذج علاجية كثيرة ذكر فيها ابن القف أنواع شتى مـن الأدوات الطبية المستخدمة في إجراء العمليات الجراحية ، وبدون شك أن تلـك الأدوات كانت حاضرة لديهم جاهزة للاستخدام قد تمت صناعتها مسبقاً وإعدادها للعمل ، فهو يذكرها ويذكر طرق استخدامها [٩] .

---

(١٢) نفسه ج٢ ص١٩٩ .

(١) العمدة في الجراحة ج٢ ص٢٠١ .

(٢) نفسه ج٢ ص٢٠١ .

(٣) نفسه ج٢ ص٢٠١ .

(٤) نفسه ج٢ ص٢٠١ .

(٥) نفسه ج٢ ص٢٠١ .

(٦) نفسه ج٢ ص٢٠١ .

(٧) نفسه ج٢ ص٢٠٢ .

(٨) نفسه ج٢ ص٢٠٨ .

(٩) نفسه ج٢ ص١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ .

- ومن الآلات المستخدمة أيضاً في علاج الأسنان المسمار وهـو آلـة توضـع الأدوية في طرفها ثم توضع على السن المريضة [١٠] .

(١٠) ابن البيطار : المفردات ج١ ص٥١ .

المبحث الرابع : الأدوية والعلاجات وأماكن تحضيرها :.

يقسم الأطباء الأدوية إلى دواء مركب ودواء مفـرد ، ويقـصد بالـدواء المفرد ما ليس فيه تركيب صناعي(1) وتكون في الغالب إما نباتية أو حيوانية أو معدنية(2)

وقد عدد ابن النفيس أجود أنواع هذه الأصناف فهو يذكر أن أجود الأدوية والعلاجات من المعدنيات ((ما أخذ من المعادن المشهورة بالجيد منهـا كـالزاج الكرماني والتوتيا الهندي ، وكان مع ذلك من الشوائب غير مكسورة الكيفيـات الخاصة بها)) (3) وأفضل الأدوية النباتية : ما جنى بعد استكماله وقل أخذه فـي الذبول ، وكلما كان الأصل أقل تشنجاً و الغصن أقل تـشنجاً وأكبـر وأسـمن ، والفواكه أشد اكتنازاً وأرزن وأنبل فهو أفضل ، خاصة ما اجتنـي فـي صـفاء الهواء، وكان منبته مشرقاً ريحيّاً ، وأجود أخذ الأصل عندما يريـد الـورق أن يسقط ، وأقوى الأدوية النباتية قوة هي الجبلية ثم البرية ثم البستانية ، وأضعفها النهرية وكلما كان من ذلك ريحه أذكى ولونه أصبغ وطعمه أظهر فهو أفضل (4) ((أما الحيوانية : فأفضلها ما أخذ من حيوان شاب صحيح في الربيـع ، وخيـر أجزاء الحيوان ما أخذ بعد ذكاة ذلك الحيوان ، وأما المأخوذ من حيـوان ميـت وخاصة ما كان موته بمرض فرديئه)) (5) .

يذكر الحلبي كلاماً مجملاً عن الأدوية وماهيتها والغرض منها فيقول ((لما كان غرض المداواة إفادة الصحة ، اضطر المداوي إلى معرفـة مـادة الـصحة ومادتها ضربان : الواحد الذي فيه تكون الصحة وهي : أبدان الناس ، والآخـر

---

(1) ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ص١٧٢ ، ١٧٣ ، ابن المطران : بستان الأطبـاء ص٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(2) ابن القلانسي : أقرباذين ابن القلانسي ص٢٠ .

(3) المهذب في الكحل المجرب ص١٩٠ ، ١٩١ .

(4) نفسه ص١٩١ .

(5) نفسه ص١٩١ .

الذي به تكون الصحة وهي الأدوية وسائر الآلات ، فوجب على من تعرض على المداواة معرفة الأدوية التي يداوي بها وقواها وأجناسها لا محالة)) (٦) .

وقد نبه الأطباء على أهمية هذه الصناعة وحذروا من الإخلال بها وتجاوز قوانينها وأنها أمانة عظيمة لا ينبغي التفريط فيهـا ولا الخيانـة والغـش فـي أعمالها(١) قال أبو العطار الهاروني : ((أنه لا ذنب أعظم من ظلم الناس ، وأخذ أموالهم بغير حق لاسيما من كان ضعيفاً أو مسكيناً ولا عقل له ولا أمر ولا نهي ، كمثل مريض قد أشرفت نفسه على الهلاك فيستدعي طبيباً حاذقاً عالمـاً دينـاً متحرزاً في أقاويله راجياً وجه الله تعالى وثوابه فيما يقصده من مداواته ، فيكتب له ورقة تطمئن بها جوارحه على أنها يكون بها برؤه مع عنايـة الله تعـالى ، واتكل فيها على الصيدلاني ، أعني العطار ، فقد رجع الأمر إليـك فـلا إثـم إن فرطت إلا عليك فهل تستحسن أنت لو كنت مريضاً أن تفرط في حقك وأنت تعلـم أن هذا التفريط مؤد إلى إتلاف المال والروح ، وأنت تعلم قدر العقـاب مـن الله تعالى على هذين الذنبين)) (٢) .

ولقيت الصيدلة وصناعة الأدوية بالشام عناية فائقـة وذلـك لارتباطهـا بالطب وما وصل إليه من تطور ، فهناك عدد غير قليل من الأطباء كانـت لهـم شهرتهم في مجال صناعة الدواء (٣).

ولا شك أن خضوع هذه الصناعة إلى رقابة المحتسب قد أسهمت في منع عدد كبير من المنتحلين لهذه الصناعة عن ممارستها ، لما فيها من أوجه الغش والتدليس وقد أوضح الشيزري ذلك في كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة فقال : ((وتدليس هذا الباب كثير لا يمكن حصر معرفته على التمام ، فرحم الله من نظر فيه وعرف استخراج غشوشه ، فكتبها على حواشيه تقرباً إلى الله تعـالى

---

(٦) الكافي في الكحل ص٤٢٣ .

(١) أبو العطار الهاروني أبي المنى داود أبي النصر : منهاج الدكان ودستور الأعيـان ص١٥ ، ١٦ ، فـي أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان ، مكتبة جزيرة الورد ، حققه محمد رضوان الطبعة الأولى .

(٢) نفسه ص١٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٥ ، ٦٥٩ ، ٦٣١ ، ٦٧٠ ، ٧٠٣ ، ٧٦١ .

فهي أضر على الخلق من غيرها ؟؛ لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة ، والتداوي على قدر أمزجتها ، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج فإذا أضيف إليها غيرها أخرجها عن مزاجها ، فأضرت بالمريض لا محالة ، فالواجب على الصيادلة أن يراقبوا الله عز وجل في ذلك)) (١) .

ويحذر الشيزري الصيادلة من الغش في الأدوية ومزجها بمواد أخرى لما فيه من الأضرار بالمرضى ، وعدّد صوراً من الغش في الأدوية والعقاقير ، ثم ذكر نماذج كثير منها ، كما حذر أيضاً من تداول كتاب (كيمياء العطر) (٢) وأمر بإحراقه إن وجد لأن أكثر من يمارس الغش في هذه الصناعة ينقل عنه (٣) .

ولعبد الرحمن بن أبي بكر الجويري الدمشقي (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) كتاب ((المختار في كشف الأسرار ، وهتك الأستار)) ذكر فيه أربعة فصول عن الغش والدجل في صناعة الأدوية والعقاقير وهو يكشف عن كثير من طرق ووسائل الغش ويؤكد أن هذه الصناعة عظيمة القدر جليلة المنفعة لا يتعاطاها كل أحد (٤) .

ومما يلفت النظر إليه العناية من الشيزري والجويري وذكرهما لنماذج من الغش في الأدوية والعقاقير وبيان وسائل الغش وتدوينه في كتبهم ونشره ، وذلك يدل على أن غايتهم من ذلك نشر الوعي الصحي ، وبيان خطر هذا الأمر وأنهما على إلمام تام بهذه الصناعة .

ومن جانب آخر فقد كان الأطباء والعشابون يعتمدون في صناعة الدواء على عدد من الكتب الطبية المشهورة في هذا الميدان مثل كتاب (القانون في حد

---

(١) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٤٢ .

(٢) للكندي أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران (٢٦٠هـ / ٨٨٣م) تقريباً من علماء المسلمين في الكيمياء ، ومن فلاسفة العرب والمشاهير تقدم في الطب والهندسة والفلك له مصنفات كثيرة جداً في الفلسفة والطب والكيمياء والفلك وغيرها ، ابن النديم : الفهرست الطبعة الثالثة ، دار المسيرة ١٩٨٨م ، ص٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ص٥٢ .

(٣) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٤٧ .

(٤) الجويري : المختار في كشف الأسرار ص١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

الطب) ، (والحاوي) ، (والكامل) ، (والمنصوري) ، (والذخيرة) ،(والكفاية)(٥) وهذه الكتب وغيرها هي التي تعارف عليها الأطباء والصيادلة في صناعة الدواء وما ينفع منها لكل مرض .

وكان يدخل في مناهج الأطباء والمعارف التي يدرسونها تعلم الأدوية وأنواعها ومنافعها ومضارها وأسمائها وصفاتها وغير ذلك (١) معتمدين في ذلك على مشاهير الأطباء والعشابين في زمانهم .

فابن أبي أصيبعة يذكر أنه قرأ على ابن البيطار كتابه في تفسير أسماء الأدوية لدياسقوريدس (٢) أحد أهم الكتب المعتمدة في الأدوية المفردة (٣) وقد صرح ابن البيطار في مقدمة شرحه لهذا الكتاب الغاية من تأليفه بقوله ((... أما بعد فإني لما وقفت من كتاب الفاضل دياسقوريدوس على ما تقصر عنه همم جماعة من المتشوقين ورأيت استعجام أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المتعلمين وعامة الشادين وتواري حقائقه عن غير واحد من الشجارين والمتطببين ، عزمت بعون الله تعالى على تقريب المرام في ترجمته وتسهيل المطلب في تفسير أسماء أدويته لا تشف عن وجه مقاصده قناع عجمته وإبرازه كالبدر في هالته ...)) (٤) .

أما رشيد الدين أبي الفضل بن علي الصوري (٦٣٩هـ/ ١٢٣١م) فله طريقة علمية مثلى في دراسة النباتات والأعشاب التي يتم استخلاص الأدوية منها، فكان يخرج إلى أماكن وجود النباتات حول دمشق مثل جبل لبنان وغيره ، وكان يصطحب معه مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها ، وتنوعها ، ثم يقوم بدراسة النباتات ، ومقدار ورقها وأغصانها ، وأصولها ، ويأمر المصور برسمها على تلك الحالة ، ويأمره بالدقة في نقلها ، كما أنه يتتبع مراحل نمو

---

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٢٧٣ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٢ .

(٢) نفسه ص ٦٠١ .

(٣) ابن البيطار : تفسير كتاب دياسقوريدوس ص٧٤ ، ٧٥ مقدمة المحقق .

(٤) نفسه ص١٠٩ .

النبات فيأمر المصور بتصويرها في مراحل كمالها وظهور بذورها ويصورها في وقت ذواها ويبسها ، ويصورها أيضاً على تلك الحالة ، فكان لهذه الطريقة فوائد عظيمة في معرفة خواص ومنافع النبات خلال مراحل نموه (١) .

أما فيما يتعلق بأماكن صناعة الأدوية فإن المصادر لم تحدد أماكن خاصة لا يمكن الخروج عنها في صناعة الدواء ، بل أن هناك أماكن متعددة يتم صناعة الدواء وتحضيره بها فقد ورد في المصادر ذكر بعض هذه الأماكن ومنها :

أولاً : البيمارستانات **: فإن الصيدلية أو " الشراب خانة " جـزء يـدخل ضـمن المرافق التي تحتوي عليها البيمارستانات الـشامية ، ويـتم صـناعة الأدويـة والعقاقير والمعاجين والمراهم وغيرها من الأدوية المفردة والمركبة بهـا ، ثـم صرفها على من بداخل البيمارستان من المرضى أو من يأتي إليـه مـستوصفاً فيعطى ما يحتاج إليه من الدواء (٢) .**

ثانياً : دكاكين العطارين :

وهم ليسوا أطباء في الأصل وإنما هم أصحاب خبرة في صناعة الـدواء ومعرفة تركيباته (٣) .

ثالثاً : بيوت الأمراء والأعيان :

فإن المصادر تذكر أن ست الشام بنت أيوب بن شـادي أخـت الـسلطان صلاح الدين الأيوبي كانت تعمل في بيتها كل سنة بألوف من الـذهب الأشـربة والأدوية والعقاقير ثم تفرقها على الناس طلباً للأجر من ا تعالى (٤) .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣.

(٢) ابن جبير : الرحلة ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٣) العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩ / ٦٩٨) ص ، الذهبي : معجم الشيوخ ج١ ص٨٦ ، المختار مـن تاريخ الجزري ص١٩٨ ، ١٩٩ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ص١٧ ، ٥٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٩٢ .

ويمكن أن نذكر الأدوات التي كان يستخدمها الصيادلة والعشابون لصناعة الأدوية في حوانيتهم (1) وهي ما استطعنا جمعه من المصادر ، ومن ضمن تلك الأدوات ما يلي :

- **أبزن : الحوض من النحاس معرب [٢].**
- **أتون : الموقد [٣].**
- **أنبوب لنفخ المساحيق . موقد النار .**
- **أجانة : المركن والمئجنة هي الخشبة التي يوقد بها القصار يقول أجن القصار الثوب أي دقه [٤].**
- **آجرة حارة .**
- **برنية زجاج : قوارير في خان واسعة الأفواه [٥].**
- **بستوقة : القلة من الفخار [٦].**
- **بوتقه .**
- **ترس من العضار .**
- **جام : هو الجامة الدان وعاء لحفظ الأشياء [٧].**
- **حرّاق :ما يحرق فيه أو ما يقدح به النار أو موضع الفلايين والفحامين [٨].**
- **دكشاب : لم أعرفها .**

---

(١) ابن القلانيسي : أقرباذين القلانيسي ص٣٩ ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ج١ ص١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٦٩ ، السويدي : تذكرة السويدي ص ٣٣٣ ، ٣٦٠ ، الحلبي : الكافي في الكحل ص٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ . ٥١٠ ، ٥١١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج١٣ ص٥١ ، مادة (بزن) .

(٣) نفسه ج١٣ ص٧ .

(٤) نفسه ج١٣ ص٨.

(٥) نفسه ج١٣ ص٥٠ ، المطرزي : المغرب ص٤٢.

(٦) شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص٢٢ .

(٧) الجواليق : المعرب من الكلام الأعجمي ص٩٥ حاشية (٤) .

(٨) ابن منظور : لسان العرب ج١٠ ص٤٢ مادة (حرق) .

- دن .
- رحا .
- رفادة : القدر العظيم الضخم ومن معانيه خرقة يرفد بها الجرح وغيـره [1].
- سراج .
- سكين خشب أو زجاج .
- طابق محمي (حجارة) .
- طنجير .
- طاشدان الزجاجين : هو الطشت إناء من نحاس [2].
- ظرف : وعاء كل شيء [3].
- فنجانه .
- فلكة دبوق .
- فتيلة كتان .
- قارورة خضرا .
- قدر حجارة .
- قدر مصاعفه .
- قدح : من الآنية [4].
- قمع عادي .
- قمع تبخير .
- قمقمة من حديد .
- قنينة زجاج طويلة العنق .
- كرباس : جمعه كرابيس وهو القطن [5].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج٣ ص١٨١ ، ١٨٢ مادة (رفد) .

(٢) شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١١٢ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ج٩ ص٢٢٩ مادة (ظرف) .

(٤) نفسه ج٢ ص٥٤٥ مادة (قدح) .

- **كوز خزف .**
- **ليفة .**
- **منخل حديد .**
- **مخلاة .**
- **مغرفة مغربلة .**
- **مرود .**
- **هاون أسرب .**
- **هاون حجارة .**
- **هاون خشب .**
- **هاون مجلي .**
- **موقد النار .**
- **مِدق .**
- **فرن .**
- **قدر برام .**
- **أدوات تقشير من حديد أو زجاج .**
- **مصفى .**
- **ملعقة فضة رقيقة .**
- **فخارة لينة .**
- **مدهن فضة لين الحرف .**
- **إناء يسمى قرعة .**
- **قوارير من زجاج ومنها القوارير المكتبة (وهي آنية ذات غطاء تستعمل للتقطير) .**
- **إناء من زجاج .**
- **غضارة .**

---

(5) نفسه ج6 ص195 مادة (كربس) .

- قدر نحاس .
- حلة خوص .
- مصفى من خرقة كتان .
- مغرفة حديد .
- مقلى حديد .
- قفة للعصر .
- قدر للقلي .
- كوز فقاع .
- قصيرية فخار .
- مهراس من نحاس .
- أنبوب يستنشق المريض به الدخان والدواء المصفى عن طريق الفم .
- كوز حديد يسد رأسه بطين الحكمة .
- موقد مستدير له باب واحد .
- مساحق مثل ((الدستج)) .
- قوارير للحرق تطين بطين الحكمة .
- قدر حديد مثقوب الغطاء .
- قدر من طين ((فخار)) .
- كوز فخار جديد .

وقد أشار بعض العشابين والصيادلة إلى بعض الأدوات والأواني التي يحفظ فيها الدواء بعد تمام صناعته ، منها ما ورد ذكره في المصادر مثل : (١) .

- إناء من نحاس أحمر مسدود الرأس .
- ويحفظ أيضاً في زجاجة أو صيني ، أو غضارة مدهون الباطن .
- ويحفظ أيضاً في الزجاج والقُلي .

(١) ابن القلانسي : أقرباذين ابن القلانسي ص٣٩ ، السويدي : تذكرة السويدي ص٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، الحلبي : الكافي في الكحل ص٥٠٠ ، ٥٠١ .

- ومن أدوات الحفظ أحقاق الأبنوس .
- ويحفظ أيضاً في القرون .
- ويحفظ في الرصاص الأسود .
- وفي العاج .
- ومنها آنية من الفضة والقصدير .
- قوارير خاصة من الزجاج وغيره .
- زجاجة ضيقة الفم يسد رأسها بالشمع .
- إجانة ملطخة بالعسل والدهن الجيد .

وقد خضعت صناعة الدواء إلى منهجية علمية وشروط دقيقة تتفق مع منهجهم العلمي في التجربة والقياس وهو المنهج الذي سلكه أطباء الشام في صناعة الدواء(1) يقول بعض الأطباء : ((الأمراض لها أعمار ، والعلاج يحتاج إلى مساعدة الأقدار ، وأكثر صناعة الطب حدس وتخمين ، وقلما يقع فيه اليقين ، وجزآها القياس والتجربة ، لا السفسطة وحب الغلبة ؛ ونتيجتها حفظ الصحة إذا كانت موجودة ، وردها إذا كانت مفقودة ؛ وفيها يتبين سلامة الفطر ، ودقة الفكر ويتميز الفاعل عن الجاهل ، والمجد في الطلب عن المتكاسل ، والعمّال بمقتضى القياس والتجربة ، عن المحتال على اقتناء المال وعلو المرتبة)) (2) .

والأدوية المفردة والمركبة تعرف قواها بطريقتين : الأولى التجربة والثانية القياس :

فالتجربة هي : معرفة قوة الدواء قبل الاستعمال .

أما القياس : فهو الاستدلال على قوة الدواء من خلال لونه ، ورائحته ، وطعمه وغير ذلك (3) .

---

(1) هناء فوزي : مناهج الأطباء العرب ص١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٤٣ .

(3) ابن النفيس : الموجز في الطب ص٧٨ .

ويحدد ابن النفيس شروطاً يستوثق من خلالها على صحة التجربة للدواء

أحدها : خلو الدواء عن كل كيفية خارجة ، كالعفونة والتسخين بالنار .

ثانيها : أن تكون التجربة على الشيء الذي ينسب ذلك الدواء إليه .

وثالثها : أن تكون التجربة في علل متضادة ، فتنفع في علة وتضر في ضدها فلو نفع في الضدين أو ضرهما ، لم يدل ذلك على مزاج .

رابعها : أن يعلم أن ضرره لا لإفراطه ، بل لموافقة المرض في المزاج .

خامسها : أن تكون التجربة في علة بسيطة .

سادسها : أن يكون صدور فعله قبل مفارقته ، و إلا ففـي الأكثـر يكـون ذلـك بالعرض .

سابعها : أن يكون صدور ذلك عنه دائماً وأكثرياً ، فإن الأقل قد يكون إتفاقياً .

ثامنها : أن يكون تأثيره بما هو دواء لا بأن يزيد في الـدم ويـسخن أو يولـد السوداء فيبرد (١) .

وسعى أطباء هذا العصر إلى استخدام التجريب في صناعة الدواء وذلـك من خلال قيامهم بأعمال التجريب على الحيوان بهدف معرفة الدواء وصـلاحيته للعلاج يقول ابن المطران : ((وكما أن الدواء فعل ذلك الفعل فلا بد وأن يكـون خلق دواء آخر ينفع هذا العضو ويقاوم هذا الداء فقس عليه بالتجربة ، ولم يزل يطلب في كل يوم أو كل وقت حيواناً فتعطيه الدواء الأول ثم الثـاني فـإن دفـع ضرره فقد حصل مراده ، وإن لم ينفع فيه طلب غيره ، حتى وقـع علـى ذلـك الدواء)) (٢) فابن المطران هنا يدعو إلى استخدام التجريب فـي معرفـة قـوى الأدوية ومنفعتها وتجريب ذلك على الحيوان قبل استخدامه لعلاج الإنسان ، هذا في حد ذاته تطبيق عملي لهذا المنهج العلمي الرفيع الذي كان متبعاً عند الأطباء بالشام خلال فترة البحث .

---

(١) المهذب في الكحل المجرب ص١٩٣ .

(٢) بستان الأطباء ص٣٤ ، ٣٥ .

وقد أكد ابن البيطار في مقدمة كتابه الجامع لمفردات الأدوية على اتباعه لهذا المنهج وذلك باعتماده على المشاهدة والتجربة (٣) ، وأن هدفه من هذا الكتاب ((التنبيه على كل دواءٍ وقع فيه وهم أو غلط المتقدم أو المتأخر لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل ، واعتماده على التجربة والمشاهدة)) (٤) .

ولهذا نجد لابن تيمية رأياً مؤيداً للمنهج التجريبي الذي كان يتبعه هؤلاء الأطباء خلافاً لما ذهب إليه الفلاسفة من تجارب لا تقوم في أصلها على نص متواتر أو تجارب صحيحة فهو يقول في ذلك : ((ولكن ما يدعي في تجارب الأطباء من الأدوية أقرب إلى التسليم مما يدعونه في تجاربهم الرصدية ، وذلك لاشتراك كثير من الأطباء في تجربة الدواء الواحد ، وأيضاً : فلكثرة وجود ما يدعي فيه التجربة من النبات ، وتواطؤ المجربين له . وليس كذلك ما يدعونه من فلسفتهم ، فإنا رأينا تجارب الأطباء على غير منوالهم ، وعلمنا صدقها كثيراً وليس القصد إلا إعلام بفساد تأصيلهم فقط و إلا فالأطباء في تجاربهم أسد حالاً منهم ، لأن القوم إنما يذكرون دواء موجوداً يمكن تجربته كثيراً لوجوده ، ولكثرة المحتاجين إليه ممن يصيبه ما يقال أن ذلك الدواء يؤثر فيه شفاء وا فاعل ذلك الشفاء في ذلك الدواء ...)) (١) .

وهناك قواعد ووصايا مهمة أشار إليها الأطباء مما يجب أن تراعى عند تعاطي الأدوية واستخدامها بعامة ، ولعلنا أن نلمح إلى شيء منها مما ذكره أطباء الشام في كتبهم يقول عبد اللطيف البغدادي : ((ينبغي أن يراعى في العلاج السن، والعادة ، الفصل ، الصناعة ، فلا يسهل بالدواء شيخ كبير ولا طفل صغير ولا من به ذرب البطن [٢]، ولا صاحب كد وتعب ولا قيم حمام ، ولا

---

(٣) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ص٣ ، ٤ .

(٤) نفسه ص٣، ٤ .

(١) الرد على المنطقيين ص٣٩٣ .

(٢) هو استطلاق البطن ويحدث إما من فساد الطعام أو من سدود تحدث في العروق .. جيرار جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص٦٥٨ ، ٦٥٩ .

ضعيف القوة ولا ضعيف البدن جداً ولا سمين جداً ، ولا أسود ، ولا من به قرحة ولا في شدة الحر البرد ولا من يعتاد الدواء)) (٣) .

ومن الوصايا التي أكد عليها ابن المطران علاج مرض بدواء فيه منـافع ومضار ، أنه إذا زاد فأصبح ضرره أكثر من نفعه فلا يـستخدم ، وإذا تـساوى ضرره ونفعه فابن المطران يرى عدم استخدامه ، وإذا زاد نفعه على ضره فهذا يستخدم عنده ولكن بحذر (٤) .

وانظر إلى تحرزه وأخذه الحذر عند استخدامه الدواء ووصيته للأطباء في ذلك : ((وأمثل لك مثالاً الطبيب بمنزلة رجل والدواء المسهل بمنزلة بيـت فيـه كتان فإن دخل الرجل بسراجه متحفظاً يوشك أن يتخاص ولا يحرق البيت ، فإن دخل بصلف واستهزاء لم يقرب من سلامة البيت وأقسم لك با أني ما سـقيت دواء مسهلاً إلا واشتغل بالي قبله بأيام وبعده بأيام ، فإنما هي سموم ، فكيـف حال مدبر السم وساقيه لطلب المنفعة به ؟ وليس إلا التحفظ والرجوع إلـى ا تعالى بالدعاء والتوفيق والخلاص ..)) (١) .

ومن القواعد المهمة في العلاج بالدواء ما نبه عليه ابن النفيس بقولـه : ((أنّا لا نؤثر على الدواء المفرد مركباً إن وجدناه كافياً ، ولكنا قد نـضطر إلـى التركيب، أما لإصلاح كيفية دواء مفرد لحدته ، أو طعمه ، أو رائحته ، أو لتقوية قوته ، أو لإضعافها ، ....)) (٢) .

وهذه قاعدة جليلة في العلاج قد نبه إليها أكثر الأطباء (٣) وهي التـدرج في العلاج من الضعيف إلى القوي ومن المفرد إلى المركب ، فـلا ينتقـل مـن

---

(٣) الطب في الكتاب والسنة ص٥٤ .

(٤) بستان الأطباء ص٢٩ .

(١) بستان الأطباء ص٦٣ .

(٢) الموجز ص١٢٣ ، المهذب في الكحل ص٢٠٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٢١ ، أبو العلاء صاعد : التشويق الطبي ص١١٤ .

العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره ، ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عنـد تعذر الدواء المفرد وهكذا (٤) **.**

ومن القواعد المهمة كتابه الـدواء الموصـوف فـي نـسخة المـريض ((الدستور)) وعدم إهماله ذلك بتاتاً (٥) **.**

بقي أن نذكر نصاً مهماً يظهر من خلاله ما كـان يـضعه الأطبـاء مـن تعليمات وإرشادات دوائية تراعى عند صناعة الدواء المركب وكيفية الاستخدام : ((على استخراج الأدوية المركبة , ينبغي إذا رأيت مركباً أن تفحص مـن قـوى أدويته واحداً واحدا وتنظر ماذا وقع فيه من كل واحد منها وهـل هـو مطـابق لضماناته فما كان مطابقاً نسبته إلى فعله ، وما لم يكن مطابقاً نظرت إلى مـاذا وضعه الواضع فيه ، فإن كان الإصلاح لبعض القوى التي تفرطه علـى مقـدار الحاجة عرفته أيضاً ولا يزال يفحص ويبحث حتى يحصل له كل ما فيـه علـى جهته قد فهمت غرض واضعه على الكمال ، إن كـان مـصيباً . أو قـدرت أن تستخرج غلطه إن كان مخطئاً وأنا أضرب لك مثالاً على التحقيق ، مـا ذكرتـه ولكن المثال نتيجة هذا القرص ، بزر كرفس ، ستة مثاقيل أنيسون ، ستة مثاقيل افسنتين ، أربعة مثاقيل دار صيني ، أربعة مثاقيل مصطكى ، أربعة مثاقيل فلفل جنة بيد ستر ، أفيون كمد مثقالان ، عجنها بالمـاء الـشربة التامـة مثقـال ، والتخمير ستة أشهر ، منافع هذا القرص ، للغشي الشديد ولكل نفخة في المعدة وللتلهب ، ولمن يتقيأ طعامه ، وللأوجاع الباطنة ، ولأصحاب الهيضة [1]ولمـن به ذرب أو قروح في الأمعاء ، ولأصحاب علة الطحال ، مضرة هذا القـرص : يضر الأعضاء التي بها ضعف في أنفسها أعني في جواهرها ، كيفية سقي هـذا القرص : لمرض مرض : فما ذكرنا يسقي للغشي الشديد بالسكنجين ، ولنفخـة

---

(٤) عبد اللطيف البغدادي : الطب في الكتاب والسنة ص٥٤ ، ٥٥ .

(٥) ابن المطران : بستان الأطباء ص٢٨ .

(١) مرض يعرض من التنجيم ومن مشرب الماء الكثير على المالح لأن الفواق يسترضي عند ذلـك وينـدفع الأخلاط نحو الأمعاء وأصحابه يشربون الماء ويتقيئون ... جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج٢ ص١٥٧٥ ، القوصوني : قاموس الأطباء ج١ ص٢٤٤ .

المعدة مع شراب مخروج قدر أربع أواق ، وللتلهب بالماء البارد ، عـن تقيـأ طعامه بماء قد أغلي فيه العسل ، ولأصحاب الهيضة بالماء البارد ، ولمـن بـه ذرب أو قروح في الأمعاء بطبخ حب الآس ، ولمـن بـه علـة فـي الطحـال بالسكنجين ، كيفية وضع هذا القرص وكميته..))(٢) .

فهذا النص فيه ذكر لعناصر ذلك الدواء المركـب ونـسبة كـل عنـصر مستخدم فيه ، ومنافع هذا الدواء ومضاره والأمراض التي ينفع في علاجهـا ، وطريقة شربه وما يجب على المريض فعله عند استخدامه مع كل مرض ، فهذه وصفة إرشادية متكاملة شبيهة بما عليه الطب في العصر الحديث .

كما أن هناك نص آخر في طرق أخذ الدواء يقـول : ((وأن احتجـت أن تزيده تقطيعاً فضع فيه عند عقده رطلاً من خل صادق الحمضة ، والمأخوذ منـه كل يوم أوقيتان بخمس أواق من ماء فاتر ، ويكون الغذاء بقلية ساق أو قريص ، فإن عدمها فهذه البقول الموجودة ، واليوم الذي يؤخذ الدواء في غده يكـون الغذاء بقليه في أول الطعام ، والصواب الاقتصار عليها ولا يتعشى تلك الليلة (١) .

فهذا النص أيضاً إشارة إلى توجيه المـريض إلـى الطريقـة الـسليمة لاستخدام الدواء من حيث الوقت المناسب لتناوله ونوع الطعام الذي يأكله قبـل الدواء وبعده والكمية المناسبة في ذلك .

---

(٢) ابن المطران : بستان الأطباء ص٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(١) ابن المطران : بستان الأطباء ص٦٤ .

الفصل الرابع :

العلاقات العلمية الطبية بين الشام والأقاليم الإسلامية

ا بحث الأول : العلاقات العلمية الطبية مع مصر .

ا بحث الثا : العلاقات العلمية الطبية مع الحجاز واليمن .

ا بحث الثالث : العلاقات العلمية الطبية مع العراق والمشرق الإسلامي .

ا بحث الرابع : العلاقات العلمية الطبية مع الصليبيين .

ا بحث ا امس : العلاقات العلمية الطبية مع المغرب والأندلس .

الفصل الرابع :

العلاقات العلمية الطبية بين بلاد الشام والأقاليم الإسلامية :

تؤدي العلاقات العلمية دوراً مهماً في نمو الحركة العلمية وازدهارها وتطورها ، ويسهم من يفد من العلماء في الحركة العلمية بالتدريس والتأليف والمشاركة في أوجه النشاط العلمي .

وكانت بلاد الشام إبان الحروب الصليبية محط أنظار العلماء ، وقد وجد العلماء الوافدون إليها الكثير من السبل المعينة على طلب العلم ، ولقي من استقر بها من العلماء من الإكرام ، والإنعام ، والرعاية الشيء الكثير ؛ يقول : عبد اللطيف البغدادي : ((ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الإحسان الصلاحي جمعاً كثيراً)) [1] ، ويروي القفطي قصة نزول الطبيب أبو الحكم المغربي الأندلسي إلى دمشق فيقول : لما ((كره العراق ، وفارق على نية قصد المغرب ، فلما حل بظاهر دمشق سير غلاماً له ليبتاع منها ما يأكلوه في يومهم وأصحبه نزراً يكفي رجلين ، فعاد الغلام ومعه شواء وفاكهة وحلوا وفقاع وثلج ، فنظر أبو الحكم إلى ما جاء به ، وقال له عند استكثاره أوجدت أحداً من معارفنا ؟ فقال : لا وإنما ابتعت هذا بما كان معي وبقيت منه هذه البقية فقال : أبو الحكم هذا بلد لا يحل لذي عقل أن يتعداه ، ودخل وارتاد منزلاً يسكنه ، وفتح دكان عطار يبيع العطر ويطب ..)) [2] .

وتعد الرحلة العلمية ولقاء المشيخة مصدراً مهماً ، وطريقة أصيلة في طلب العلم [3] ، وهي من السمات الواضحة في العلاقات العلمية بين الأقاليم ، وكان من الدوافع في استقطاب العلماء رغبة الكثير منهم في الرحلة إلى الشام ، ومنهم من

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٦ .

(٢) إخبار العلماء ص٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٣) البغدادي أحمد بن علي بن ثابت : الرحلة في طلب الحديث ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ص١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

صحب السلاطين في معاركه ضد الصليبيين [1] وقد أتاح لهم ذلك المشاركة فـي الحروب ، ومداواة المرضى والجرحى [2] .

ونستطيع القول أن بلاد الشام قد استفادت مـن رحيـل العلمـاء إليهـا ، ووفودهم عليها من الأقاليم ؛ خصوصاً بغداد ومصر والأندلس ، وبمـا قَـدِم بـه هؤلاء الأطباء من فكر طبي ومنهجية علمية جديدة .

وسوف يتناول الحديث في هذا الفصل العلاقات العلمية مع أبـرز الأقـاليم الإسلامية التي كانت تربطها ببلاد الشام صِلاتٍ علمية في فترة البحث من خـلال المباحث التالية :

المبحث الأول : العلاقات العلمية مع مصر .

المبحث الثاني : العلاقات العلمية مع العراق والمشرق الإسلامي .

المبحث الثالث : العلاقات العلمية مع الحجاز واليمن .

المبحث الرابع : العلاقات العلمية مع المغرب والأندلس .

المبحث الخامس : العلاقات العلمية مع الصليبيين .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ ، ٦٥٦ ، ٧٩١ ، ابن سعيد : الغصون اليانعة ص١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ ، ٦٥٦ ، ٧٩١ .

المبحث الأول : العلاقات العلمية الطبية مع مصر :.

كانت مصر والشام إبان الحكم الأيوبي والمملوكي تمثلان وحـدة سياسـية واحدة [(١)] ؛ ولهذا اختلفت العلاقة بين هذين الإقليمين عن غيرهما من الأقاليم سواء من خلال الرحلة وتنقل الأطباء ، أو من خلال جهود السلاطين والأعيان في بناء المرافق الطبية ، وتسبيل الأوقاف عليها [(٢)] من خلال قيام بعض الأطباء بالتدريس فيها والتردد عليها ؛ فالأطباء كانوا يرحلون من مصر إلى الشام ، ويتنقلون بينهـا وذلك بحسب ما يربطهم بالسلاطين من علاقاتٍ ومودة [(٣)] ، وما يجدونه منهم من إكرام وإنعام ، أو ما يوكل إليهم من أعمال تتيح لهم فرصة الإقامـة والتـدريس وعلاج المرضى [(٤)] .

ومن هذا المنطلق نجد سلاطين الـدولتين الأيوبيـة والمملوكيـة ينـشئون المرافق الطبية في الإقليمين دون اعتبار لإقليم بعينه [(٥)] ؛ حيث نـرى الـسلطان صلاح الدين الأيوبي حينما سيطر على مصر بنى بها البيمارستان الصلاحي فـي القاهرة [(٦)] ، والبيمارستان بالإسكندرية [(٧)] ، وفي العصر المملوكي نجد الـسلطان منصور بن قلاوون سلطان مصر يأمر ببناء بيمارستان في الخليل وهكذا [(٨)] .

---

(١) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليـك ص٢٩ ، ١٦٥ ، ١٨٩ ، ٢٨٣ ، أحمـد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ص١١٧ ، ١٥٠ ، ١٧٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج١ ص٤٥ ، ٤٦ ، ابن الأثير : البـاهر ص١٧٠ ، أحمـد عيـسى : تـاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٢٠٦ ، ٢١٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٩٠ ، ٥٩٨ ، ٦٦٣ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٤) نفسه ص٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩٨ .

(٥) يذكر سبط ابن الجوزي أن السلطان صلاح الدين لما نزل شـمال الموصـل ، وحاصـرها ، وطالـت محاصرته لها أصابه حينها مرض خيف عليه منه فتحول على محفة إلى حران ، وهناك بنى داراً سـماه دار العافية ؛ ويبدو أنها كانت بيمارستاناً صغيراً ، مرآة الزمان ج٨ ص٣٨٤ ، ٣٨٥ ، أبو شامة : الروضـتين ج١ ص٤٥ ، ٤٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣٤٩ ، الأنيس الجليل ج١ ص٥٣٧ .

(٦) أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

(٧) نفسه ص٨٢ .

(٨) العليمي : الأنيس الجليل ج٢ ص١٤٢ .

والجدير بالذكر أن السلاطين في الدولتين الأيوبية والمملوكية قد قاموا بدور مهم وكبير في تنشيط الحركة العلمية الطبية من خلال بناء البيمارستانات ، وتعيين الأطباء واستقطابهم ، وتقريبهم ، وبذل الأعطيات لهم [(١)] ، كما أننا نلحـظ تلـك العلاقة القوية والمتينة التي تربط الأطباء بالسلاطين ، فكان بعـضهم لا يفـارق السلطان سفراً ولا حضراً [(٢)] ، ونجد بعضهم يكتب بعض مصنفاته باسم السلطان إما لما بينهما من مودة ، أو طلباً للعطاء والمال ، أو إظهاراً لكتابه [(٣)] .

ومما يؤكد تلك الوحدة العلمية الطبية تخصيصهم رئيساً للأطباء ممن يعينه السلطان ، أو غيره فيتولى رياسة الطب في الإقليمين ، وذلك خلال فتـرات فـي الدولتين الأيوبية والمملوكية ، يقوم بامتحان الأطباء والإشراف على الممارسـين هذه المهنة الشريفة [(٤)] .

ومن اللافت للنظر أن ابن أبي أصيبعة - وهو يترجم للأطباء في الإقليمين - يحار في نسبة بعض الأطباء إلى أحدهما، رغم معاصرته كثيراً ممن ترجم لهم، فتجده ينسب الطبيب إلى الإقليم الذي خدم فيه ،وقضى فيه مدة طويلة ،ومات فيه ، وهذا هو الغالب على طريقته في كتابه [(٥)] .

ومن جانب آخر كان الأطباء يهدفون من ترددهم وتنقلهم بين مصر والشام القراءة على كبار الأطباء ، وحضور مجالسهم الطبية ومباحثـاتهم ، وممارسـة المهنة خدمة للسلاطين وطلباً لعام ؛ ولعل هذا الأمر يعكس مدى الدور الذي تلعبه العلاقات العلمية في تطوير مهنة الطب وتبادل المعارف الطبية ، ومعرفة طـرق العلاج ووسائل التعليم والممارسة .

ولعلنا من خلال ذكر النماذج نستجلي تلك العلاقة ، ومدى التأثير والتـأثر الذي يحدث جراء ذلك ؛ فمن هؤلاء الأطباء الذين قاموا بدور في بنـاء جـسور

---

(١) ابن أبي أصيبعة : ص٦٥٢ ، ٧٥١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٦٣٥ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ابن سعيد : الغصون اليانعة ص١٠٤ ، ١٠٥

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص

(٤) نفسه ص٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٧٢٨ .

(٥) نفسه ص٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٦٠١ .

العلاقة بين الإقليمين : الطبيب علي بن خليفة بن يونس ابن القاسم بن خليفة الخزرجي (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) وهو من الذين رحلوا إلى القاهرة ودرسوا على أطبائها ثم عاد إلى الشام [١] .

ومنهم الطبيب خليفة بن يونس السعدي (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) وهو واحد من الأطباء الذين أكثروا التردد إلى الشام ، وكانت تربطه بأطبائها علاقات وصداقات[٢]

ومن الأطباء المصريين يعقوب بن إسحاق المحلي (٦٠٥هـ /١١٢٨م) اليهودي ، رحل إلى دمشق سنة (٥٩٨هـ /١٢٠١م) ، وجرت بينه وبين أطباء الشام مناقشات ومباحثات في كثير من المسائل الطبية آثر بعدها العودة إلى مصر، وقد صنف هناك كتابه مزاج دمشق وصفتها وتفاوتها من مصر وأنها أصح وأعدل، وله مسائل طبية كان قد سئل بها الأطباء بدمشق لما أقام بها [٣] .

ومنهم الطبيب : أبو شاكر بن أبي سليمان (٦١٣هـ /١٢١٦م) خدم بالطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب لما طلبه للخدمة عنده ، فكان يصحبه في فترة حروبه مع الصليبيين، ثم غادر إلى الشام مع ابنه الكامل إلى مصر وبقي في خدمته مدة [٤] .

وممن ارتحل إلى مصر وقرأ على أطبائها : رضي الدين الرحبي يوسف بن حيدره بن الحسن الرحبي (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) اجتمع بالطبيب موفق الدين بن جميع ودارسه مسائل في الطب [٥] .

ومن الأطباء المصريين أسعد الدين عبد العزيز بن أبي الحسن علي (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) اشتغل بالطب : على أبي زكريا يحيى البياسي لما قدم على الديار المصرية ، وقد قام برحلة إلى الشام ، يقول ابن أبي أصيبعة : ((وأول

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ ، ٧٥٠ .

(٢) نفسه ص٧٣٦ .

(٣) نفسه ص٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ص١٦ ، ٨٨ ، ٨٩ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٢ ، ٦٧٣ .

اجتماعي به كان بدمشق ، في مستهل رجب سنة ثلاثين وستمائة ... واجتمعت به أيضاً بعد ذلك بمصر ...)) [(١)] .

أما الطبيب نجم الدين أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبـدان (٦٦٦هـ ـ / ١٢٦٧م) ، فقد توجه إلى الديار المصرية في صحبة الملك الصالح نجـم الـدين أيوب ، وقد علت مكانته عنده ، وتولى في دولته مناصب رفيعة ، وعاد بعدها إلى الشام [(٢)] .

ومن الأطباء المصريين أيضاً أبـو سـعيد بـن موفـق الـدين يعقـوب (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) أحد نصارى القدس ، قرأ الطب على أطباء الشام أمثـال رشيد الدين بن علي بن خليفة ، ومهذب الدين عبد الرحيم بن علـي الـدخوار ، وخدم بطبه المعظم عيسى ، وكان لا يفارقه سفراً ولا حضراً ، وقـد أقـام فـي صحبة المعظم بدمشق مدة ثم عاد بعدها إلى القاهرة ، وخدم الملك الكامل محمـد والملك الصالح نجم الدين أيوب تسع سنين ، وقد وافته المنية بدمشق بعد رحيلـه إليها لعلاج الملك الصالح لما طلبه ، وقد جرى بينه وبين الأطباء مناقشات حـادة حول علاج السلطان كانت سبباً في غضب السلطان عليه ، وقد أصابه لأجل ذلك الفالج[(٣)] ومات بعدها بأيام [(٤)] .

ومن أطباء الشام الذين ارتحلوا فتح الدين أبي الجمال عثمـان ابـن أبـي الحوافر الدمشقي المصري (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) . [(٥)]

ومن الأطباء الذين زاروا مصر الطبيب موفق الدين عبد السلام الحمـوي (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) درس الطب بالشام ، وخدم به السلاطين ، وقام برحلة إلى مصر مكث هناك مدة وعاد بعدها إلى مدينة حماة ، وبقي بها إلى حين وفاته [(٦)] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠٠ ، ٦٠١ .

(٢) نفسه ص٦٦٣ .

(٣) هو استرخاء أي عضو كان ، وفي الفرق اللغوي ، استرخاء شق من البدن طـولاً ، ابـن النفـيس : الموجز ص١٤٩ ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج٢ص١١٢٤ ، ١١٢٥ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٩٩ ، ٦٠٠ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١/٦٤٠) ص٦٣٨ .

ومن الأطباء الذين رحلوا إلى القاهرة واستوطنها وذاع صيته بها الطبيب مهذب الدين إسماعيل بن أبي الفضل بن خلف التنوخي الحموي (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) [١]

ومن الأطباء الذين زاروا مصر الطبيب محمد بن أبي الرجاء بن أبي الزهر ابن أبي القسم التنوخي الدمشقي المعروف بابن السلعوس (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) سمع بها الحديث الشريف ووافته المنية بها [٢] .

ومن هؤلاء الأطباء رشيد الدين بن يعقوب القدسي (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) : من النصارى بالقدس درس الطب بالشام ، وخدم به ملوك بني أيوب في الشام ومصر [٣] .

كذلك أبو الفضل بن أبي سليمان بن داود بن أبي المنى (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) من أهل الكرك خدم بطبه الملك الكامل في القاهرة ومات بها [٤] .

أما رشيد الدين بن الفارس بن أبي الخير بن داود بن أبي المنى بن أبي فانه (٦٦٠هـ /١٢٦١م) فإنه ممن قرأ الطب بالشام ، ورحل إلى القاهرة ، وخدم الملك الكامل محمد والملك الصالح نجم الدين والمعظم عيسى وتوران شاه ، وقد قرأ عليه ابن أبي أصيبعة الطب بمصر ، واجتمع به هناك[٥] ، ومن هذه الأسرة وكذلك أبو شاكر بن داود بن أبي المنى بن أبي فانه خدم بطبه ملوك بني أيوب وحظي عندهم[٦] .

ومن هؤلاء الأطباء مهذب الدين محمد بن أبي خليفة (٦٧٩هـ /١٢٨٠م) كان من أسرة علمية أسلم وسمى نفسه محمداً ، وكان طبيباً مقرباً من الملك

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٥ ، ٧٥٧ .

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٩ ص١٨٥ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٧٠ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٩٩ ، ٦٠٠ .

(٤) نفسه ص٥٩٠ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٩٠ ، ٥٩٨ ، أحمد عيسى : تاريخ النبات ص٧٣ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٩ ، ٥٩٠ .

الظاهر بيبرس الصالحي وطبيبه الخاص ، وكانت تربطه بابن أبي أصيبعة علاقة ومودة ؛ يقول ابن أبي أصيبعة : ((... وصلني كتابه وهو في معسكر المنصور الظاهري في شهر شوال سنة (٦٦٧هـ / ١٢٦٨م))) ، ويقول فيه : أنه وجد بمصر نسخة من هذا الكتاب الذي ألفته في طبقات الأطباء ، وقد اقتناها ، وصارت من جملة كتبه التي احتواها وبالغ في الوصف .. وكان في أول كتابه الواصل إلي :

وإني امرؤ أحببتكم لمحاسن .:. سمعت بها والأذن كالعين تعشق [1]

فرد عليه ابن أبي أصيبعة بقصيدة منها [2]

أتاني كتاب وهو بالنقش مونق ... وفيه المعاني وهي كالشمس تشرق

كتاب كريم أريحي ممجد ... صبيح المحيا نوره يتألق

هو السيد المولى المهذب والذي ... به قد زها في العلم غرب ومشرق

حكيم حوى كل العلوم بأسرها ... وما عنه باب للمكارم يغلق

....

إذا ذكرت أوصافه في محافل ... فمن طيبها نشر من المسك يعبق

حوى قصبات السبق في طلب العلا ... ومن رام تشبيهاً به ليس يلحق

....

ولو أن جالينوس كان لوقته ... لقال : بهذا في التطبب يوثق

....

ولو رمت أحصي ما حواه من العلا ... عجزت ولو أني البليغ الفرزدق

....

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٩٨ .

(٢) نفسه ص٥٩٨ ، ٥٩٩ .

ومنهم أيضاً الطبيب أحمد بن محـسن بـن مـل الأنـصاري البعلبكـي (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) اللغوي الفيلسوف من أهل بعلبك تعلم في العراق ومصر ، وبقي في أسوان من صعيد مصر ، ثم رجع إلى الشام وبقي بها إلى حين وفاته [٣]

المبحث الثاني : **العلاقات العلمية الطبية مع الحجاز واليمن :.**

تذكر المصادر أن منطقة الحجاز قد تعرضت إلـى العديـد مـن الأوبئـة والأمراض [١] ، والكوارث خلال فترة البحث [٢] ؛ إلا أنها لم تشر إلى أي جهـد يذكر للأطباء في هذا الأمر ، كما أننا لم نجد لأي من سلاطين الدولتين الأيوبيـة والمملوكية جهوداً في مقاومة هذه الأمراض والأوبئة – رغم خضوع إقليم الحجاز لسلطيتها ولم تشر – كذلك - أنهم قاموا ببناء مرافـق طبيـة كالبيمارسـتانات ، والمحاجر الصحية وإرسال الأطباء ، سوى إشارة ذكرها اليونيني وغيره من قيام الملك الظاهر بيبرس سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) بتجديد البيمارستان الذي بناه الخليفة المستنصر با سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م) [٣] ضمن عمارته للمسجد النبـوي حـين

---

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٣ ص٥٧٢ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص١١٦ ، ١١٧ .

(١) ابن فهد نجم الدين محمد بن محمد :إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ،مركز البحث وإحياء التراث جامعة أم القرى ج٢ ص٥٠٩، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٦٩، ٥٧٠، ج٣ ص٤٥، ٤٦، ٥ ، ١٠١ .

(٢) أبو شامة:ذيل الروضتين١٩٣،١٩٢،١٩١،١٩٠،ابن كثير :البداية والنهاية ج٦ ص٢٠٣،٢٠١، ٢٠٤

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ج٣ ص٤٩ ، الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد : شفاء الغرام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ج١ ص٣٣٧ ، والخليفـة المستنـصر العباسي هو : منصور بن محمد بن أحمد ولـد سـنة (٥٨٨هـ ـ/١١٩٢م) ، وبويـع بالخلافـة سـنة (٦٢٣هـ/١٢٢٨م) ، وله محاسن كثيرة منها بناءه المدرسة المستنـصرية وعمـارة الجوامـع والـربط والأسبلة وغرها ، ابن الفوطي كمال الدين عبد الرزاق : الحوادث الجامعة والتجارب النافعـة فـي المئـة السابعة ، دار الفك الحديث بيروت ص٣٢ ، ٣٥ ، ٨٠ ، ٨١ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البـشر ج ص ، الكتبي ، الوافي بالوفيات ج٢ ص١٦٩ ، وانظر عن البيمارستان المـدني أحمـد عيـسى : تـاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٢٦٥.

احترق [٤]وأرسل مع الصناع الذين أوفدهم للبناء والعمارة الطبيب مجير الدين أحمد بن الحسين بن تمام [٥]،وأخذ معه الأدوية ، والأشربة لعلاج المرضى [٦] .

أما مكة فقد أنشأ بها شرف الدين : أحد مماليك الخليفة المستنصر با العباسي بيمارستاناً يقع قريباً من باب الزيارة في الجانب الشمالي للمسجد الحرام[١]

وفي ظل ندرة المعلومات وقلتها لم يتبين شيء من معالم العلاقة العلمية الطبية بين الشام والحجاز ؛ وهو ما يعكس ضعف الصِلات والعلاقات العلمية في هذا الجانب ؛ إلا أن هذا لا يمنع أن يكون هناك علاقات علمية حية في علوم أخرى تربط الشام بالحجاز .

أما بلاد اليمن فالمصادر لم تفصح عن صورٍ من العلاقات العلمية الطبية بين الإقليمين - في فترة البحث - ؛ سوى رحيل بعض الأطباء الشاميين ، ومشاركتهم في المجالات العلمية والطبية هناك فمن هؤلاء الأطباء :

محمد بن أحمد بن علي الحموي (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) تقريباً ، كان معاصراً لأحد ملوك الدولة الرسولية : عمر بن أبي النصر بن يوسف بن علي الرسولي ، وله من الكتب في الطب كتاب : ((البيان في كشف أسرار الطب للعيان)) [٢]

وممن دخل اليمن من أهل الشام الطبيب أبو بكر بن يعقوب بن سالم الديري الرحبي الشاغوري (٧٠٤هـ /١٣٠٤م) [٣] شيخ الطب في زمنه [٤] : ((كان

---

(٤) يقول أبو شامة في ((سنة أربع وخمسين وستمائة احترق مسجد المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ابتدأ الحريق من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد القومة إلى خزانته ومعه نار فعلقت في الآلات ثم اتصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبت قبلة فأعجلت الناس عن قطعها فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد جميعها ..) ذيل الروضتين ص١٩٤ .

(٥) بعد البحث لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٦) ذيل مرآة الزمان ج٢ ص٣٢٥ ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٦٥ / ٦٨٨) ص١٦٨ .

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج١ ص٢٣٧ وانظر عن هذا البيمارستان أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ص٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٤٨٦/ف/١٠٤٦) ، ونسخ مصورة بمعهد التراث بحلب رقم (٨٨٥) .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص٥٠١ .

(٤) الذهبي : معجم الشيوخ ج٢ ص٤٢١ .

ماهراً في العلوم حتى كان يقرئ ثلاثين درساً في ثلاثين علماً)) [5] ، ولما ضـاق به العيش بدمشق خرج في صحبة أحد التجار إلى اليمن [6] فذاع صـيته هنـاك

وأقبل عليه الطلبة ، وعلت منزلته لدى الملك المؤيد ، ثم عاد بعدها إلى مـصر، ومات بها [1] وهذا خلاف ما ذكره الذهبي ، والصفدي أنه مـات بـاليمن سـنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) [2].

---

(٥) ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص٥٠١ .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٠ ص٢٦٧ .

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص٥٠١ .

(٢) الذهبي : معجم الشيوخ ج٢ ص٤٢١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٠ ص٢٦٧ .

المبحث الثالث : العلاقات العلمية الطبية مع العراق وبعض أقاليم المشرق الإسلامي :.

على الرغم من حالة الركود التي مر بها الطب في العراق خلال القـرنين السادس والسابع الهجريين [١] ، إلا أن هناك من الأطباء من بقيت لهم شهرتهم في الطب يقصدهم الطلاب للأخذ عنهم [٢] .

فكان من الأوائل الذين ارتحلوا إلى بغداد الطبيب أبو الفضل إسماعيل بـن أبي الوقار قاصداً بغداد للقراءة على أفاضل الأطباء بها ، وليجتمع بمن لقي مـن العلماء هناك [٣] .

كما رحل أبو الحكم عبد ا بن المظفر عبيد ا الباهلي الأندلسي الطبيـب المؤدب إلى بغداد ، والبصرة ، وكان له ببغداد مكتب يعلم فيه الصبيان [٤]

وارتحل مهذب الدين أبو الحسن علي بن النقاش (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) إلى بغداد قاصداً القراءة على أمين الدولة هبـة ا ابـن صـاعد ابـن التلميـذ (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) حيث لازمه مدة ،ثم عاد إلى دمشق فجلس لتعليم الطب [٥]

وكان رضي الدين يوسف بن حيدرة بن الحـسن الرحبـي (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) قد تنقل وسافر طلباً لعلم الطب ، إلى بغداد وغيرها ، ورحل إلى مصر ولقي فيها من أكابر الأطباء أمثال موفق الدين بن جميع واستفاد منه كثيراً[٦]

أما الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك (٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) فإن ابن أبي أصيبعة ذكر عنه أنه عمل طبيباً بالعراق في بيمارستان مدينة الرقة ، ومكث مدة هناك، وصنف كتابه (الرقة وأهويتها) [٧] .

---

(١) السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج١ ص٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ ، ٦٤٠ ، ٧٥١ .

(٣) نفسه ص٦٣٠ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦١٤ ، الـصفدي : الـوافي بالوفيـات ج١٧ ص٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤.

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ .

(٦) نفسه ص٦٧٢ ، ٦٧٣ .

(٧) نفسه ص٧٥١ .

ورحل بعض الأطباء لتعلم الفلسفة والمنطق ؛ فهذان الطبيبان مهذب الـدين ابن الحاجب ، وموفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي رحلا سـوياً إلـى شرف الدين الطوسي الفيلسوف في مدينة الموصل ، فوجداه قد توجه إلى مدينـة طوس فأقاما هناك مدة [1] ، ثم خرج ابن الحاجب إلى ابـن الـدهان المـنجم [2] واجتمع به وأخذ عنه في التنجيم ، وحل ما يسمى بالزيج [3]وأتقن قراءته عليه [4]

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن عمه الطبيب رشيد الدين أبو سعيد بن خليفة قد عزم على الارتحال في أول حياته العلمية وهو شاب إلى الموصل للاشتغال علـى كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس [5] الفيلسوف الطبيب ، فلم تأذن له أمـه بذلك فترك [6] ؛ ويبدو أن ورود الفيلسوف شرف الدين الطوسـي علـى الـشام وإقامته مدة في دمشق كان قد أتاح لبعض الأطباء بالشام القراءة عليه في الفلـسفة وعلوم الهندسة ، والعلوم الرياضية ، مما ساعد على نشر هذين العِلْمين بالشام [7]

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(٢) نفسه ص٦٥٩ ، كان ممن عرف بعلم التنجيم بالعراق وقصده الأطباء من الشام وغيرها للقراءة عليه كان يعرف بأبي شجاع ويلقب بالنقيب ، بغدادي الأصل أقام في الموصل عشرين سنة ، ورحل إلى دمـشق أيام السلطان صلاح الدين فأكرمه وأحسن إليه ، كما أكرمه القاضي الفاضل وبقية الرؤسـاء فـي الدولـة الأيوبية وخصصوا له مرتباً شهرياً يقدر بثلاثين ديناراً ، وعرف عنه التدين والتنسك وكثرة الصيام ، كـان يعتكف في جامع دمشق أربعة أشهر وأكثر من ذلك ، وقيل أنه من أجله عملت المقصورة التي بالكلاسـة ، وله مصنفات كثيرة منها الزيج المشهور ، وكتاب المنبر في الفرائض ، وكتاب في غريـب الحـديث فـي عشرة مجلدات، وكتاب في الخلاف، وكان له شعر كثير ، حج في آخر حياته ورجع إلى بغداد فمات بها بعد أن غاب عنها أربعين سنة.

(٣) هو كتاب يحسب سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم . أعني حساب الكواكب لسنة سنة ، الخـوارزمي : مفاتيح العلوم ص٢٣٠ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(٥) رياضي ، وفلكي ، وطبيب مشهور أتقن كثيراً من العلوم وبرع في العلوم الفلسفية ، ودرس هذه العلوم في بلده الموصل وكان الطلاب يرحلون إليه لطلب هذه العلوم ، نفسه ص٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ .

(٦) نفسه ص٤١٢ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٩ ، ٦٧٠ ، القفطي : أخبار العلماء ص٢٧٨ .

أما شمس الدين أبو عبد ا بن عبد ا بن اللبودي (٦٢١هـ /١٦٢٤م) فقد سافر إلى بلاد العجم واشتغل هناك على نجيب الدين أسعد الهمداني بالعلوم الحكمية ، وفي الطب على أكابر علمائها [١] .

كما تمثلت العلاقات العلمية – كذلك – في العديد من الأطباء العراقيين الذين وفدوا على بلاد الشام ، وأثروا الدراسات الطبية ، وأثروا فيها ، وقاموا بتدريس طلابها فنون الطب ، وكان لبعضهم تأثيراً ملحوظاً في مجال التعليم والتأليف وأساليب ومناهج التدريس ؛ ولعل المتتبع لحركة التعليم ورحيل الأطباء الشاميين إلى العراق يدرك مدى تأثير أطبائها في وسائل ومناهج التعليم الطبي ، ويمكن أن نلاحظ أن مشاهير أطباء الشام كان أغلب شيوخهم هم أطباء بغداد .

ولعلنا نستعرض عدداً من هؤلاء الأطباء الوافدين لندلل على ما ذكرناه ؛ فمن هؤلاء الفيلسوف الطبيب نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن السري المعروف بابن الصلاح (٥٤٥هـ/١١٥٠م)[٢] ، كان قد استوطن دمشق ، وجلس لتدريس الطب، واستفاد منه جملة من الأطباء ، وأسهم بجد في نشر علمي الطب والفلسفة [٣].

ومن الوافدين أيضاً الطبيب المشهور : محمود بن المبارك بن علي بن المبارك الواسطي البغدادي المعروف بالمجير (٥٩٢هـ /١١٩٥م) [٤] أحد أذكياء زمنه ، برع في علوم الأوائل ، واشتغل بها في بغداد ، وخرج منها لما شنعوا عليه بالفلسفة ، واتجه إلى دمشق ونشر بها الطب [٥] ، ((واتصل بامرأة من بنات الملوك وبنت له مدرسة جاروخ ..)) [٦] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٦٧ ، ٦٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ ،

(٤) القفطي : أخبار العلماء ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/٦٠٠) ص١١٦ ، ١١٧ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/٦٠٠) : ص١١٧ ، بناها جاروخ التركماني برسم العلامة محمود بن المبارك الواسطي ، النعيمي : الدارس ج١ ص٢٢٥ ، ٢٢٦ .

وممن وفد على بلاد الشام من أطباء بغداد الطبيب الشهير فخر الدين محمد بن عبد السلام بن عبد الساتر المارديني (٥٩٤هـ /١١٩٧م) كان شيخه في الطب أمين الدولة ابن التلميذ وفي الفلسفة النجم أحمد بن الصلاح [١] وابن المارديني ممن برع في فهم كتاب القانون لابن سينا ، وكان مكيناً فيه [٢] ، وكان لقدومه بلاد الشام أثر في نشر كتاب القانون لابن سينا من خلال مجالسه التي يعقدها بدمشق لتدريس الطب [٣] ، ومن أميز من أخذ الطب عليه بالشام الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار وهو ممن قرأ عليه القانون وصححه معه [٤] .

وكان من طلابه الطبيب الكبير سديد الدين محمود بن عمر بن رقيقه الذي لازمه حق الملازمة ، واشتغل عليه وصحبه ، وكان من أخص طلابه الذين درسوا على يديه [٥] ، ومن طلابه المتميزين أيضاً الطبيب رضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وقد أخذ عنه كتاب القانون ، فكان يقدر كلام ابن سينا في الطب ويعتمد عليه [٦] وله حواش وتعليقات على كتبه [٧]

---

(١) القفطي : إخبار العلماء ص١٨٩ ، ١٩٠ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١ / ٦٠٠) ص١٦٧ ، ١٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ابن اللتمش أبو حفص عمر بن الخضر : تاريخ دنيسر ، تحقيق إبراهيم صالح ، دار البشائر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ص١٨٠ .

(٢)الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١ / ٦٠٠) ص١٦٧ ، ١٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٥٥ ، ٢٥٦.

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/٦٠٠) ص١٦٧ ، ١٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/٦٠٠)ص١٦٧ ، ١٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣ ، ٧٠٤ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ / ٦٤٠) ص٢٤٧ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٢ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٣ ص٣٣٧ .

وكان الطبيب حسنون النصراني أحد أطباء مدينة الرها المشهورين ، خدم الطب في مدن العراق ، ثم رحل إلى الشام ، وأقام في حلب واستقر بها حتى توفي سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م) [١] .

وكذلك الطبيب يعقوب بن سقلاب المقدسي المشرقي الملكي (٦٢٥هـ - ١٢٢٧/م) [٢] يقول القفطي :((ولم يكن عالماً وإنما كان حسن التجربة والمعالجة المارستانية))[٣]نزل القدس ، واستوطنها ،وعمل في بيمارستانها، جعله السلطان المعظم عيسى ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب طبيبه الخاص، ورحل في صحبته إلى دمشق لما ملكها فكان لا يستغني عنه، وكان يحمله معه في محفه لما أصابه داء النقرس [٤]،وبقي في صحبة السلطان حتى توفي،ثم مات هو بعد ذلك[٥]

وكان الطبيب عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ/١٢٣١م) من أشهر الوافدين على الشام خلال العصر الأيوبي[٦] ، وقد قام بدور واضح في التدريس والتعليم وله أثر بارز في الحركة العلمية بصورة عامة ، وفي حركة التعليم الطبي بوجه خاص ؛وذلك من خلال التأليف ،والبحث والتدريس ،وعقد المجالس الطبية لذلك[٧]

وكان القاضي بهاء الدين ابن الثناء محمد بن أبي الفضل منصور بن الحسن بن إسماعيل الطبري المخزومي ممن دخل إلى دمشق وجلس للتدريس بها يدرس كتاب القانون لابن سينا [٨] .

---

(١) القفطي : إخبار العلماء : ص١٢٢ .

(٢) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٨ .

(٣) النعيمي : الدارس ج١ ص٢٢٥ ، ٢٢٧ .

(٤) ورم ووجع في مفاصل وأصابع الرجلين وفي إبهامهما ، ابن السويدي : الطب العربي ص٢٤٦ حاشية رقم (١) .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١/٦٠٠) ص١١٦ ، ١١٧ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٣ ، ٦٨٦ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٢ ص١٨٠ ، القفطي : إنباه الرواة ج٢ ص١٩٣ ، ١٩٦ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٢ ، بعد البحث لم أجد لهذا الطبيب ترجمة فيما استطعت الإطلاع عليه من المصادر .

من الوافدين الذين استفادوا وتعلموا الطب بالشام : عماد الدين محمـد بـن عباس بن أحمد الربعي الدنيسري (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) [١] شارك فـي الحركـة العلمية الطبية بشكل فعال من خلال معالجة المرضى في البيمارستان النوري ،[٢] وتدريس الطب ، وتعد المدرسة الطبية الدنيسرية التي أنشأها في دمشق من أعظم الإسهامات التي قدمها هذا الطبيب للحركة العلمية من خلال ما تركته من أثر على التعليم الطبي في بلاد الشام [٣] .

وكان لبعض الأطباء الوافدين مساهمات في الحركة العلمية بعامة سواء في الطب أو غيره من العلوم ؛ فقد عرف عن الفقيه إسماعيل بن إبراهيم بن غـازي بن علي الماردينى المعروف بابن الفلوس (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) تميز في الطب والحساب والمنطق والعربية ، وقد اتجهت مشاركاته إلى التدريس فـي المـدارس الفقهية في مصر والشام [٤] .

ونزل حلب ، واستوطنها الطبيب الموصلي علي بن أبي الفتح بن يحيى ابن الكناري (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) روى عنه جماعة من أهل حلب ومات بها [٥] .

وكان عمر بن إسماعيل بن مسعود الرحبي الفارقي (٦٨٩هـ /١٢٩٠م) طبيباً متكلماً [٦] يقول النعيمي عنه : إنه زار دمشق ، ودرس في المدارس الفقهية التي للشافعية ، وهو ممن برز في علوم كثيرة منها الطب [٧] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦١ .

(٢) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٢ ، العلموي : مختصر تنبيه الطالب ص١٣٧ .

(٣) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ص٢٦٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص٣٥٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٤ ص١٨٩ ، ١٩٠ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٩ ص٦٦ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ج٢ ص٣٧٧ ، القرشي : الجواهر المضيئة ج٢ ص١٤٤ ، ١٤٥، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ /٦٤٠) ص٣٠١ ، ٣٠٢.

(٥) الذهبي :تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١/٦٤٠) ص١٩٠، ١٩١، المنذري :التكملة لوفيـات النقلـة ج٣ ص٤٩٥ .

(٦) الذهبي : العبر ج٣ ص٣٧٠ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٣٢١ .

(٧) النعيمي : الدارس ج١ ص٣٥١ ، ٣٥٢ .

وامتدت هذه العلاقة إلى باقي مدن الشرق وكان الأطباء بالشام يرتحلـون إليها ؛ فالمصادر تذكر أن الطبيب محمد بن عبدان بـن عبـد الواحـد اللبـودي (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) رحل إلى بلاد العجم وأخذ عن علمائها في علوم الحكمة [(١)] كما سافر القاضي أحمد بن خليل بن سـعادة بـن جعفـر بـن عيـسى الخـوي (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) قاصداً القراءة على الإمام فخر الدين أبو عبد ا محمد بن عمر بن الحسين الرازي المعروف بابن خطيب الري (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) [(٢)]، كما قصده الطبيب الفيلسوف :عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) وهو من أجل تلاميذه ، وأشهرهم بالشام [(٣)] ؛ ويبدو أن هؤلاء الأطبـاء الثلاثـة كانت تركزت رحلتهم على طلاب الفلسفة وعلم المنطق[(٤)] ؛ ومما يؤكد هذه العلاقة العلمية أن فخر الدين بن خطيب الري [(5)] قد ألف كتاباً أهداه للسلطان العادل أبـي بكر بن أيوب ، وأرسله إليه من بلاده الري ذكر ذلك في مقدمة كتابه قائلاً : ((فإني وإن كنت ساكناً في أقاصي بلاد الشرق إلا أني سمعت أهل المـشرق والمغـرب مطبقين متفقين على أن السلطان المعظم العادل المجاهد سـيف الـدنيا والـدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أفضل سلاطين الحق واليقين أبا بكربن أيوب لا زالت راياته في تقوية الحق ، والمذهب والصدق ، متصاعدة إلى عنان السماء ، وآثـار أنوار قدرته ومكنته باقية بحسب تعاقب الصباح والمساء ، أفضل الملوك وأكمـل السلاطين في آيات الفضل ، وبينات الصدق ، وتقويـة الـدين القـويم ونـصرة الصراط المستقيم ، فأردت أن أتحفه بتحفة سنية وهدية مرضية ؛ فأتحفـه بهـذا

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٣، الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١/٦٣٠)ص٦٧ ، ٦٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ ، ٦٤٧ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ / ٦٤٠) ص٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٨ ، ٦٤٩ ، تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١ ، ١٦٢ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(5) نفسه : ص٤٧٠ .

الكتاب الذي سميته بـ (أساس التقديس) على بعد الدار وتباين الأقطار ، وسألت ا الكريم أن ينفعه به في الدارين بفضله وكرمه ..)) [٦] .

وارتحل مفضل بن إبراهيم بن أبي الفضل الدمشقي الطبيب (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) إلى بلاد القفجاق [١] بهدف التطبيب للملك بركة خان [٢] ، فخدمه بالطب ، وحصل منه على أموال كثيرة ، ولما عاد إلى دمشق عرضت عليه رياسة الأطباء فأباها ، وكان طبيباً ورعاً ، ديناً ، حاذقاً فيه صلاح وحسن اعتقاد [٣] .

---

(٦) أساس التقديس ص١٣ ، ١٤ .

(١) يقال لها أيضاً القبجاق أو القبشاق هي تقع في منطقة البحر الأسود والقوقاز أهلها من الترك ، يترحلون من مكان لآخر كعادة البدو ، وأكثر الرقيق من الأتراك من هناك ، القلقشندي : صبح الأعشى ج٤ ص٤٥٨ .

(٢) حاكم الدولة المغولية المسلمة هو حفيد جنكيز خان وله دولة واسعة الأطراف ، تحالف معه السلطان الظاهر بيبرس ضد المغول الوثنيين بفارس ، العيني : عقد الجمان حوادث (٦٤٨/٦٦٤) ص٧٧ ، ٩٩ ، ٩١ ،٩٩ ، ١٠٨،

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٤ ص٣٣٣ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٤٩٤ ، ٤٩٥ .

المبحث الرابع : العلاقات العلمية مع الصليبيين :.

لقي موضوع العلاقات العلمية الطبية بين الشرق والغرب عناية كبيرة من الباحثين والمختصين [1] الذين سلطوا الضوء على نوعية التأثير العلمي للعلوم الطبية ودراسة المعابر التي دخل الطب الإسلامي منها أوروبا ، وتركزت هذه الدراسات حول دخول الطب أوروبا ، من خلال جلب الأطباء ، وترجمة الكتب ، ونقل التجارب والتقاليد الطبية ، وبناء البيمارستانات ، وغير ذلك [2] .

وتأتي بلاد الشام في الدرجة الثالثة من حيث التأثير العلمي في المجالات الطبية [3] ؛ ولعل ذلك يعود إلى أسباب أهمها قلة ما نقلته المصادر التاريخية عند المسلمين و الرحالة والمؤرخين الصليبيين عن الطب والأطباء في فترة البحث وتركيزهم على جوانب الصراع والمعارك بين الجانبين [4] ، ويرى بعض الباحثين أن السبب في هذا يرجع إلى أنه ربما أن الصليبيين استنكفوا أن يأخذوا هذه العلوم من أعدائهم ، أو أن انشغالهم بالحرب كان سبباً لذلك ، أو أنهم لم

---

(١) انظر على سبيل المثال : أحمد طه مكي : الطب الإسلامي ، سعيد عبد الفتاح عاشور : الطب الإسلامي في الجامعات الأوربية في فجر عصر النهضة ، محمود الحاج قاسم : الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات طبعة جدة ١٩٨٧م عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ترجمة فيليب صابر القاهرة ١٩٧٧م ، محمد كامل حسين : (في الطب والأقرباذين) ضمن كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، القاهرة ١٩٨٧م ، حنيفة الخطيب : الطب عند العرب طبعة بيروت ١٩٨٨م .

(٢) زيغريد هونكه :شمس العرب تسطع على الغرب ص١٣٦ ، ١٤٥ ،ميخاييل جمعان : المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية ،السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج٢ ص١٩٥،٢٢٨، محمود الحاج قاسم :معابر الطب العربي إلى العرب ،مجلة تاريخ العرب والعالم ،مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي ، السنة السادسة العددان ٧١، ٧٢،١٩٨٤م ١٤٠٥هـ ٥٨، ٦٥

(٣) الجليلي : تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى ، والنهضة الأوربية مجلة المجمع العربي العراقي مجلد ٣٢ ج٣-٤ ١٤٠١هـ / ١٩٨١هـ ص١٩٢ ، ١٩٣٠ .

(٤) عوض محمد مؤنس : الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ، الشروق للدعاية والإعلان الطبعة الأولى ١٩٩٩م ص١٠٧ ، ١٠٨ .

يكونوا مهيئين علمياً وحضارياً لينهلوا من علوم المسلمين [5] وهذا مـا يرجحـه الباحث .

ولعل الحديث عن العلاقات العلمية الطبية بين المسلمين والصليبيين يتطلب الإشارة إلى حالة الطب في المناطق التي خضعت للصليبيين بعد دخـولهم الـشام واستقرارهم بها في الفترة الممتدة من سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) وحتى سقوط بيت المقدس بيد السلطان صلاح الـدين سـنة (٥٨٣هـ ـ/١١٨٧م) [1] واسـتمرار الصراع بين الجانبين حتى جلاء الصليبيين تماماً في نهاية القرن السابع الهجـري [2] .

فما حكاه أسامة بن منقذ عن حالة الطب الذي قدم به الصليبيون إلى بـلاد الشام يعكس لنا صورة حقيقية عن الطب الفرنجي فهو يذكر قصة مفادهـا : ((أن صاحب القنيطرة وهو من أمراء الفرنجة طلب إلى عمي أن يرسل إليـه بطبيـب عربي فأرسل إليه طبيباً يقال له ثابت فما غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا ما أسرع ما داويت المرضى . قال : أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة وامرأة قد لحقها نشاف ، فعملت للفارس لبيخة ففتحت الدملة ، وصلحت ،وحميت المـرأة ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم هذا ما يعرف شـيئاً يـداويهم وقال للفارس ، أيهما أحب إليك تعيش برجل واحدة أو تموت بـرجلين ، فقـال : أعيش برجل واحدة قالوا أحضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً . فحضر الفـارس والفأس ضربة واحدة وأقطعها فضربه وأنا أراه ضربة واحدة ما انقطعت . ضربة ثانية فسال مع الساق ومات من ساعته ، وأبصر المرأة فقال هذه امرأة في رأسها

---

(٥) أحمد طه مكي : الطب الإسلامي ص١٢٣ ، براور يوشع : الاستيطان الصليبي في فلـسطين ، مملكـة بيت المقدس ، ترجمة عبد الحافظ البنا ص٦١٠ ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، أعدت هـذه الدراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربيـة والعلـوم والثقافـة " يونسكو " الفصل الرابع في الطب والأقرباذين محمد كامل حسين ص٢٦١ .

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج٣ ص٣٣٠، ٤٠٠، أبو الفداء : المختـصر ج٢ ص٣٥٩ ،٣٦١ العيني : عقد الجمان حوادث (٦٨٩/٦٩٨) ص٥٤ ، ٥٥ ، ٦٥ .

(٢) عبد الفتاح عاشور : تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص١٥٠ ، ٢٤٠ ، ج٢ ص٧٥٣ ، ١٠٣٣ .

شيطان قد عشقها . احلقوا شعرها فحلقوه ، وعارت تأكل مـن مـأكلهم : الثـوم والخردل . فأخذ الموسى وشق رأسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس، وحكه بالملح فماتت في وقتها ، فقلت لهم بقي لكم إلي حاجة . قالوا لا فجئت وقـد علمت من طبهم ما لم أكن أعرفه)) [٣] .

وقد حكى أيضاً أن غليام دبور صاحب طبرية أثناء رحلة من عكـا إلـى طبرية ، وكان برفقتهم معين الدين أنز ، عن فارس في أوروبا مـرض مرضـاً أشرف فيه على الهلاك فجيئ إليه بقسٍ كبيرٍ وهم يتوقعون شـفاء هـذا الفـارس بمجرد أن يضع القس يده عليه ، فلما رآه قال :((أعطوني شمعاً فأحضرنا له قليل من شمع ،فلينه ، وعمله مثل عقد الإصبع ،وعمل كل واحدة في جانب أنفه، فمات الفارس فقلنا له قد مات قال نعم كان يتعذب سددت أنفه حتى يموت ويستريح)) [١]

وهناك صور أخرى لطب الإفرنج تعكس المـستوى الطبـي فـي الـبلاد الأوروبية خلال العصور الوسطى [٢]

ومع هذا فإن روح الإنصاف لدى أسامة ابن منقذ لم تغـب ؛ فهـو ينقـل قصص نجاح بعض الأطباء الفرنج في علاج بعض الحالات المرضية المستعصية ، ويذكر أن أحد فرسانهم قد أصابه فرسه في ساقه بجروح كثيرة ، وأخذ الجراح يضع المراهم عليها وهي لا تكف تنزف ، حتى جاء طبيب آخر إفرنجي فـأزال عنه تلك المراهم وجعل يغسلها بالخل الحاذق [٣]، حتى كف دمها وبرأ بعدها [٤] .

---

(٣) الاعتبار ص١٦٢ ، ١٦٣ .

(١) الاعتبار ص١٦٧ .

(٢) انظر زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص٢١٩ ، ٢٢٠ ميخاييل جمعان : المـؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربي من خلال الحروب الصليبية ص٢٩٧ ، عبد الفتاح عاشور : الطـب الإسلامي في الجامعات الأوروبية في فجر عصر النهضة ص٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

(٣) وقوة الخل تمنع التعفن وتقوم بتقطيع الأخلاط وتلطيفها جهامي : موسوعة مـصطلحات العلـوم عنـد العرب ج١ ص٦٠٢ ، ٦٠٣ .

(٤) الاعتبار ص١٦٣ ، ١٦٤ ، مما يدل على ذلك ما ذكره الصفدي من قصة المهذب أبو سعيد بن المنـى ابن أبي فانه عندما كان في القدس وكان ملك الفرنج قد أسر رجلاً من المسلمين من كبار قادة صلاح الدين اسمه الفقيه عيسى ، فلما مرض أرسل الملك إليه الطبيب أبو سعيد لعلاجه مذكر له أنه إن أطلقه من أسره

ويروي قصة أخرى عن نجاح طبيب في وصف دواء لمريض كان به داء الخنازير فشفي به [1] وقد جرب أسامة ابن منقذ هذا الدواء بنفسه فنفع من به ذلك الداء [2] .

ويمكن الجمع بين رأي ابن منقذ ورأى بعض الدارسين الذين يصفون الطب الصليبي بالتخلف [3] أو من يرى عدم موضوعية هذا القول أن ابـن منقـذ لمـا وصف بعض أساليب الصليبين العلاجية بالتخلف [4]بصورة ساخرة [5] إنما كـان ذلك في فترة مبكرة من قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام ، أما ما نقله من قـصص في نجاح بعض الأطباء في علاج بعض الأمراض المستعصية فيمكن أن يعاد ذلك إلى استفادة الصليبيين من احتكاكهم الحضاري بالمسلمين ، وما اكتـسبه بعـض الأطباء الفرنج من الطرق والوسائل العلاجية في بلاد الشام ، وهذا الاحتمال يؤكده قول زيغريد هونكة : ((أن النبلاء الصليبيين كانوا لا يثقون مطلقاً بفـن العـلاج

وأخرجه من سجنه فإنه يشفى ولا علاج له غير ذلك ، فلما أخرجه من السجن عوفي الفقيه فقال الملك لـه إن جاء فدائه أعطيناك منها ألف دينار فلما جاءت أعطاه ألف دينار فأعطاها أبو سعيد للفقيه عيسى فأخذها وتوجه إلى دمشق ، ويذكر أن الطبيب سليمان ابن المني قد ظهر له من النجامة أن صـلاح الـدين يملـك القدس في اليوم الفلاني ، وفي السنة الفلانية فقال لوالده المهذب أبو سعيد امض إلى صلاح الدين وبـشره بذلك ، فذهب إليه ودخل إلى الفقيه عيسى وأخبره بذلك فاستبشر وتوجه به إلى الـسلطان وبـشره ففـرح السلطان وأنعم عليه وقال له : ((متى يسر الله ما ذكرت اجعلوا هذا العلم الأصفر والنشابة فـوق داركـم ، فالحارة التي أنتم فيها تسلم جميعها في خفارة داركم)) ، وقد تحقق ما ذكره الطبيب بأمر الله تعالى فأنفذ له ما وعده به ، واستدعاه ، وقام له ، وأكرمه ، وأوصى بإكرامه ، ابن أبي أصيبعة ص٥٨٨ .

(١) الاعتبار ص١٦٤ ، مرض الخنازير غدة صلبة متحجرة مثل الجوزة تكون في كيس وتأتي كثيـراً فـي العنق والإبط والأربية ، القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٣٢ .

(٢) نفسه ص١٦٤ .

(٣) مونتجمري وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ترجمة حسين أحمد أمـين ط القـاهرة ١٩٨٦م ص٩١ ، عبد الله الربيعي : أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحـروب الـصليبية ص١١٥ ، برهان العابد : مختارات في تاريخ الطب ص٤٠ .

(٤) الاعتبار ص١٦٢ ، ١٦٣ .

(٥) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص٢١٦ .

الشائع عند أبناء جلدتهم بل يؤثرون دوماً في الأرض المقدسة الأطباء العرب في مداواة التهاباتهم الجلدية واضطراب معدهم وآلامهم الأخرى)) [٦] .

ومما يدلل على هذا القول أن الملك عموري الأول (٥٧٠هـ / ١١٧٤م) كان يعتمد في الطب على الطبيب أبي سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فانه وابنه وهم من نصارى القدس الذين عرف عنهم براعتهم في الطب [١].

ومن الملاحظ أن الأطباء كانوا يتمتعون بحالة من الحرية في التنقل والحركة بين مدن الشام والأراضي التي كان يسيطر عليها الصليبيون دون شروط أو معوقات [٢] .

وقد عانى الصليبيون بعد دخولهم بلاد الشام من جملة من الأمراض التي كانت منتشرة في صفوف الجند المقاتلة [٣] ؛ وكانت مهمة الأطباء توفير الرعاية الصحية للجند وللوافدين من أوروبا [٤] .

وكانت حاجة الصليبيين إلى علاج مرضاهم والمصابين والجرحى قد دفعتهم إلى بناء بيمارستانات لتؤدي هذه المهمة ؛ ولذلك كان من أوائل هذه

---

(٦) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص٢١٧ ، جميعان : المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية ص٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٧ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٣ ص٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٧ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٣ ص٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٣) السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج١ ص٣٣٦ ، ٣٧٠ ، مؤنس عوض : الحروب الصليبية دراسة تاريخية نقدية ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) مؤنس عوض : الحروب الصليبية دراسة تاريخية نقدية ص١٢٤ ، ١٢٥ ، من طريف ما يحكى أن القاضي حسام الدين أبو الحسن ابن قاضي القضاة أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرازي الحنفي (٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) أحد أكابر العلماء والقضاة ووجهاء الناس ، أسرته الفرنج وباعوه ، فلما كان في قبرص ادعى من نفسه أنه طبيباً كما تقول الرواية ، فلما مرض صاحب قبرص فطلبه لعلاجه فداواه من مرضه وعوفي فأطلق لأجل ذلك سراحه ، وأعاده إلى بلاده ، البدر العيني : عقد الجمان ح (٦٩٩ / ٧٠٧) ص٨٩ ، ٩٠ ، ومن ذلك أيضاً أن الملك الصليبي بلدرن الثالث ملك بيت المقدس (٥٥٨هـ / ١١٦٢م) لما مرض أرسل إليه رايموند الثالث (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) حكم طرابلس طبيباً اسمه البدان فقام بعلاجه إلا أنه لم يفلح فمات في مرضه هذا الصفدي : الوافي بالوفيات ج١١ ص٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٢ ص٩١ .

البيمارستانات التي أنشئت في بيت المقدس بيمارستان القديس يوحنا المعمـدان ، وهو من البيمارستانات التي أنشئت قبل دخول الصليبيين إلى بيت المقدس ، وكان يرتاده المرضى والمصابون للعلاج [٥] وتشير بعـض المـصادر إلـى أن هـذا البيمارستان قد زادت مرافقه وكثر مرتادوه [١] يقول بنيامين التطيلـي : ((وفـي القدس مستشفيان يتسعان لإيواء أربعمائة من فرسان الاسبتارية [٢] عدا المرضـى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة وبعد الممات)) [٣] ، ومن الدارسين مـن قرر أن العلاج بهذا البيمارستان كانت قائمة على الأساليب والطـرق العربيـة ، وهناك بيمارستان آخر للألمان أسس في فترة ما قبل عام (٥٣٨هـ ـ/١١٤٣م)[٤] وأنشأ بيمارستاناً آخر لعلاج مرضى البرص [٥] وقد وجد عدد من البيمارسـتانات في بعض المدن والإمارات الصليبية مثل طرابلس والرها [٦] .

---

(٥) علي السيد : القدس في العصر المملوكي ص٢٤٧ ، مؤنس عوض : الحروب الصليبية دراسة تاريخية نقدية ص١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، السامرائي : مختصر تاريخ الطب العربي ج١ ص٣٣٦ ، ٣٧٠ .

(١) مؤنس عوض : الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ص١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) يطلق عليهم في المصادر الإسلامية (الداوية) وهم أصحاب المستشفيات لانشغالهم في التطبيب وكان هذه الفرقة تمارس الأعمال الخيرية ، وتساهم في رعاية القادمين من أوربا والعنايـة بهـم وتمريـضهم ، اليوسف عبد القادر: علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخـامس عـشر ، المكتبـة العصرية بيروت ١٩٦٩م بدون طبعة ص٩٠ ، ٩١ .

(٣) الرحلة ص٩٩ ، . ينقل بعض الدارسين وصفاً لهذا البيمارستان من خلال مصادر أجنبيـة أن أسـقف وزيروخ الذي زار القدس سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) وهـذا البيمارسـتان فقـال : ((تقـوم الكنيـسة والبيمارستان في الجهة الجنوبية من كنيسة القيامة ، ولا يستطيع إنسان وصف جمال هـذين المكـانين ، والبيمارستان مزود بالغرف والأسرة المهيأة لخدمة المرضى ، ولم نتمكن من معرفة عدد المرضـى الـذين يرقدون فيه ، ولكن لا حظنا أن عدد الأسرة كان يفوق الألف سرير)) والحقيقة أن هذا الوصف يعتوره كثير من المبالغات ، إذ لم يكن عدد الأسرة في البيمارستان النوري بهذا العدد وهو أكبر بيمارستان عرفته بـلاد الشام والعالم الإسلامي في ذلك الوقت إضافة إلى ضعف الطب في الممالك الصليبية كما مر معنا ، فلا ندري لم هذه المبالغات غوانمة : تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ص١٣٤ .

(٤) موسى عوض : الحروب الصليبية دراسة تاريخية نقدية ص١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) نفسه ص١٢٧،البرص :بياض ناصع غائر في اللحم ،القمري : التنوير في الاصطلاحات الطبية ص٣٠

(٦) نفسه ص١٢٧ .

ويبدو التأثير واضحاً في البيمارستانات التي أنشأها الصليبيون في بلادهـم من خلال حديث ابن جبير عنها ورؤيته لها حين قال : ((وأبصرنا للنصارى فـي هذا الطريق كنائس معدة لمرضى النصارى ولهم في مدنهم مثل ذلك على صـفة بيمارستانات المسلمين ، وأبصرنا لهم بعكا وبصور مثل ذلك)) [(٧)] .

ولعل ما نقله ابن جبير عـن صـفة بيمارسـتاناتهم وأنهـا علـى هيئـة بيمارستانات المسلمين يدل على أنها كانت تتشابه معها فـي صـفتها ومرافقهـا المعمارية ونظامها الداخلي [(١)]

وهناك أيضاً جانب آخر يمكن أن تبرز فيه جوانب التأثير إن وجدت وهي الجوانب التعليمية إلا أن المصادر لم تسعفنا بشيء من ذلك ، وقد جازف بعـض الباحثين حين قال : أنه كان بطرابلس مدرسة طبية يصفها أنها أعظم مدرسة طبية في الإمارات الصليبية ؛ وهو بهذا يؤكد وجود مدرسة للطب عند الصليبيين فـي الفترة التي كانت تسيطر فيها على بعض المدن الشامية [(٢)] ، والحق أنه لم يكـن هناك مدرسة للطب بطرابلس متخصصة على غرار مدارس الطب بدمشق ، وإنما كان ذلك بيمارستاناً يرتاده المرضى للعلاج [(٣)] و زاد باحث آخـر أنهـم كـانوا يباشرون دراستهم للطب بعد تعلم اللغـة العربيـة وإتقانهـا [(٤)] ؛ ورغـم نـدرة المعلومات الواردة عن هذا الموضوع فمن المحتمل أنه كانت تعقد بعض الدروس الطبية داخل هذا البيمارستان إلا أنها لم تكن بالمستوى الذي كانت عليه المـدارس الطبية الإسلامية .

---

(٧) الرحلة ص٢٨٣ .

(١) محمد علي عبد الحفيظ: الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير في الأدب جامعة القاهرة ١٩٧٥م ص٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٢) سالم سيد عبد العزيز : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ص٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٣) مؤنس عوض : الحروب الصليبية دراسات تاريخية نقدية ص١٢٧ .

(٤) تدمري عبد السلام : الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى دار فلسطين بيـروت ١٩٧٣ ص٦٩ .

أما فيما يتعلق بترجمة كتب الطب من العربية إلى اللاتينية فإن هناك شبه إجماع بين الدارسين على أن الحروب الصليبية لم يكن تأثيرها في مجال الدراسات الطبية خاصة ، وترجمة الكتب كما كان من خلال بلاد الأندلس وصقلية[5] ، إذ لم يترجم من كتب الطب إلا كتاب : (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن عباس الأهوازي ، وقد تمت ترجمته في مدينة أنطاكية على يد ستيفن الأنطاكي[1] ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب المعتمدة عند أهل الشام في تعليم الطب ، وهو عمدة لدى الأطباء في العلاج [2] .

وثمة كتاب آخر تُرجِم في أنطاكية أيضاً خلال القرن السابع الهجري هو كتاب (سر الأسرار في طب العيون) كان ذلك سنة (٦٤٦هـ / ١١٤٧م) [3]

وجملة القول في هذا الأمر أن التأثير الحضاري الذي خرج به الصليبيون من بلاد الشام لم يكن قاصراً على الطب فقط ، بل إن الجوانب الأخرى الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعمرانية ، والعسكرية كان التأثير فيها أكثر وضوحاً[4] .

---

(5) جميعان : المؤثرات الثقافية والشرقية على الحضارة العربية من خلال الحروب الصليبية ص١٤٤ ، الجليلي : تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى والنهضة الأوربية مجلة المجمع العربي العراقي مجلد ٣٢ ج٣ ، ٤ ص١٩٢ ، ١٩٣ ، أحمد طه مكي : الطب الإسلامي ص١٢٣ .

(1) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب طبعة بيروت ١٩٨٤م ص٢٨١ ، الجليلي : تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى والنهضة الأوربية ، مجلة المجمع العربي العراقي مجلد ٣٢ ج٣ ، ٤ ص ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

(2) القفطي : إخبار العلماء ص١٥٦ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ .

(3) حمارنه سامي : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ص٢٠٢ ، عبد المهدي : الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى طبعة عمان ١٩٨٠م ص٤١ وحاشية رقم ١٥٣ ص٤١ ، ٤٢ .

(4) براور يوشع : الاستيطان الصليبي في فلسطين ((مملكة بيت المقدس)) ترجمة عبد الحافظ البنا ص٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، جميعان : المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية ص١٥٨ ، ٢٩٣ ، العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، أعدت هذه الدراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، الربيعي عبد ا بن عبد الرحمن: أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية ص٤٧ ، ٩٥ ، ١٣٥ ، ١٧١ ، عاشور :

المبحث الخامس: **العلاقات العلمية مع المغرب والأندلس :**

ظلت العلاقة العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب والأندلس وثيقة جداً ؛ فالأندلسيون والمغاربة لا ينقطعون عن السفر والترحال إلى المشرق لطلب العلم ، وعلى الرغم مما وصلت إليه الحركة العلمية هناك ، فإن الأندلسيون والمغاربة لا يزالون ينظرون إلى علوم الشرق وعلمائها نظرة إعجاب وتقدير[1] .

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت الكثير من الأطباء في المغرب والأندلس للارتحال إلى المشرق الإسلامي ما كان يلقاه طلاب العلم من الإكرام والإنعـام ، وما يجدونه من السبل المعينة على طلب العلم [2] وهو ما نوه إليه ابن جبير فـي رحلته إلى الشرق ، وكان في صحبته الطبيب أحمد بن حـسان الغرنـاطي [3] ؛ حيث قال ((فمن شاء الفلاح من ناشئة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ، ويتغـرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيـشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها ؛ فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهـاد، ولا

المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية طبعة القاهرة ١٩٦٣م ، مونتجمري وات : فضل الإسـلام على الحضارة الغربية ترجمة حسين أحمد أمين القاهرة ١٩٨٦م .

(١) زعرور إبراهيم : القضاة والأندلسيون في بلاد الشام مجلة دراسات تاريخية عـدد ٥٣ ، ٥٤ ، سـنة ١٩٦٥م ص٦١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء ص٦٨٦ .

(٣) هو الطبيب : أحمد بن حسان الغرناطي (٥٨٧هـ /١١٩١م) من أهل غرناطة بالأندلس ، كان طبيبـاً مجيداً في فنون الطب . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء ص٥٣٥ .

عذر للمقصر، ولا من يدين بالعجز والتسويف،... فهذا المشرق بابه مفتوح لـذلك فادخل أيها المجتهد بسلام ، وتغنم الفراغ والانفراد قبل علاق الأهل والأولاد..))[٤]

وكان للأطباء الذين ارتحلوا إلى المشرق الإسلامي ، واستقروا في الـشام جهوداً واضحة في تنشيط الحركة العلمية[٥] فقد اتسمت العلاقات العلمية في هـذه المرحلة بالقوة،وأسهم عدد من الأطباء الأندلسيين المغاربة في التدريس والتأليف[٦]

والخدمة في البيمارستانات الشامية [١] وقد راجت مؤلفاتهم وآراؤهم الطبية بالشام فمن ذلك كتاب : (التصريف لمن عجز عن التأليف) لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي القرطبي الأندلسي ؛ وهو من الكتب التي طارت في الآفاق ، وكان لـه تأثير على مسيرة الطب عند المسلمين [٢] ، وقد اعتمده الأطباء مصدراً أصيلاً في علم الجراحة والعمل باليد ، وكان كتاباً منهجياً للأطباء بالشام يمتحنون فيه لمـن أراد ممارسة الجراحة من الأطباء [٣] .

وفي مجال الصيدلة كانت لهم جهود جادة ونافعة من خلال تصنيف الكتب في الأدوية المفردة والمركبة ؛ فأبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي (٥٧٦هـ /١١٨٠م) كان خبيراً بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة يصنعها بنفسه ويصفها للمرضى [٤] .

ويعد الطبيب العشاب : عبد ا بن أحمد المالقي المعروف بـابن البيطـار (٦٤٦هـ /١٢٤٧م) أحد أعلام الأطباء الصيادلة المسلمين الأندلـسيين الـذين

---

(٤) الرحلة ص٢٥٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٧ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٧ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٧ ، ٦٣٧ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٠٧ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٧ ، ٦٣٧ .

(٢) الخطابي محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي بيـروت الطبعـة الأولى ١٩٨٨م ج١ ص١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، عامر النجار : فـي تـاريخ الطـب فـي الدولـة الإسلامية ص١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) الشيزري : نهاية الرتبة ص١٠١ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٢٨ .

رحلوا إلى المشرق الإسلامي ، وكان ما صنفه من كتب ، وما أظهره من تفـوق في ميدان علم الصيدلة والنبات [5] نموذجاً حياً على العلاقات العلمية الطبية بيـن الإقليمـين خلال القرن السابع الهجري [6] .

ويمكن أن نذكر نماذج من مشاهير الأطباء الأندلسيين والمغاربـة الـذين تمثلت من خلالهم العلاقات العلمية بين الإقليمين ، وبرزت جهودهم في الحركـة العلمية في فترة البحث فمنهم :

الطبيب أبو الحكم المغربي الأندلسي المرسي عبد ا بن مظفر بن عبد ا (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) برع في علوم الأوائل ورحل إلى المشرق ودخل العـراق وعرف بعلمه فقصده الطلاب يقرءون في العلوم الحكمية ، ثم غادر بغداد ، ونزل دمشق ، واستقر بها لما رأى ما بها من الخيرات يقول : ((هذا بلد لا يحل لـذي عقل أن يتعداه)) ، وفتح له دكان عطارة يبيع العطر ويطِب [1] .

ومن الأطباء : أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي البياسي (٥٤٤هـ / ١١٤٩م) وكان ممن استوطن دمشق ، وشارك بالتدريس في الطب وغيـره مـن العلوم التطبيقية[2] .

ومنهم : أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد ا بن حـسان الغـساني الأندلسي (٦٠٣هـ / ١٢٠٦م) أسهم بجهد بارز في التعليم والتطبيـب للطـلاب والمرضى [3] .

وكان ممن وفد على الشام في أوائل القرن السابع الهجري الطبيب الأندلسي العشاب والنباتي أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرح النبـاتي المعـروف بـابن الرومية (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) كانت له عناية بالنباتات المشرقية ، لذا قـام فـي رحلته هذه بمعاينة النباتات الشامية مما لم ينبت في أرض المغرب ، فكان ينظـر

---

(5) نفسه ص ٦٠١ .

(6) سوف تأتي له ترجمة مفصلة في الفصل الخامس بإذن ا .

(1) القفطي : إخبار العلماء ص٢٦٥ .

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٧ .

(3) ابن أبي أصيبعة : ص٦٣٠ ، ٦٣١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٠١ / ٦١٠) ص٣٤٩ .

في أشخاصها ومنابتها وأشكالها ، وقد لقي السلاطين الأيوبيين فحاز منهم الإكرام والإنعام (٤) .

ومنهم : الطبيب يوسف بن يحيى بن إسحاق السبتي المغربي (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) نزيل حلب ، أصله من أهل سبته بالمغرب ، قرأ الطب في المغرب ، وتفوق فيه ، وكان عالماً بالعلوم الرياضية ، (٥) ، وقد دخل مصر واجتمع بالطبيب موسى بن ميمون القرطبي (١) ، وقرأ عليه في علم الطب ، ثم رحل إلى الشام ، وأقام بحلب ، وكان له مجلس تعليم للطب بحلب يحضره الطلبة المقيمين بها والواردين عليها ، إضافة إلى ممارسته التطبيب لخاصة الناس بحلب(٢) ؛ حكى القفطي أنه كان بينهما مودة وصحبة قال : ((وكانت بيننا مودة طالت مدتها)) (٣)

وتبرز أهمية هذا الطبيب في مشاركته الفعلية في التعليم الطبي وجلوسه للطلاب الذين يقصدونه للقراءة عليه من خارج حلب ، أو المقيمين بها ، ومشاركته في علاج الخاصة والعامة وأرباب الدولة الظاهرية بحلب (٤) .

ومن الوافدين على الشام العالم الكيميائي الطبيب : أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون التيفاشي (٦٥١هـ / ١٢٥٣م) رحل إلى المشرق وزار القاهرة ودمشق ، ودخل العراق وفارس ، قرأ الطب على الموفق عبد

---

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٣٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٠٧ ، المقري : نفح الطيب ج١ ص٦٣٤ .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص٢٤٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٦ .

(١) هو : أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي من اليهود الذين أسلموا في المغرب رحل إلى المشرق وكان بارعاً في الطب أخذ رياسة الطب في الديار المصرية وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يرى له ويستطبه وكذلك ابنه الأفضل ، صنف مقالة في حفظ الصحة للسلطان صلاح الدين الأيوبي انظر ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٢ .

(٢) القفطي : أخبار العلماء ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٣) نفسه : ص٢٥٧ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : يون الأنباء ص٢٥٧ .

اللطيف البغدادي، واللغة العربية على تاج الدين الكندي بدمشق ، ثم كانت وفاتـه بالقاهرة [5]

---

(5) ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٣٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٨ ص٢٨٨ ، المقـري : نفـح الطيب ج٢ ص٣٣٢ .

الفصل الخامس

الإنـتـاج العلمي لأطبـاء بـلاد الشام زمن الحروب الصليبـيـة :

ا بحث الأول : **دراسة لمناهج التأليف في العلوم الطبية خلال هذا العصر .**

ا بحث الثا : **دراسة لمشاهير الأطباء في بلاد الشام خلال هذا العصر .**

المبحث الأول : دراسة لمناهج التأليف في العلوم الطبية خلال فترة البحث :

تميزت بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بكثرة الأطباء الذين تجمعوا بها وأسهموا في حركة التعليم والتأليف في الطب وغيره من العلوم ، ويمكن لنا بعد إلقاء نظرة شاملة على اتجاهات التأليف وطرقه وأساليبه عند أطباء الشام أن نستخلص بعض السمات والقواعد المهمة [1] التي سارت عليها طرائق التأليف والإنتاج العلمي عندهم .

أولاً : الأمانة العلمية :

وهي تبرز واضحةً من خلال أمانة نقل النصوص وعزوها إلى قائلها ، فابن المطران مثلاً ينقل في كتابه عن عشرات الأطباء فيحيل كل كلام ينقله إلى صاحبه وكتابه فإذا أراد ذكر رأيه أشار إليه بقوله (لي) [2] تعليقاً منه على الكلام المذكور يقول في مقدمته : ((إني جامع لنفسي في كتابي هذا تذاكر مما أطالعه وأسمعه من الشيوخ وأنسخه من الكتب الطبية)) [3] .

ولقد ذكر ابن البيطار منهجه في مقدمة كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية في العرض الأول من هذا الكتاب قوله : ((... وأسندت في جميع ذلك الأقوال إلى قائليها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها واختصصت بما تم لي به الاستبداد وصح لي القول فيه ووضح عندي عليه الاعتماد)) [4] .

وفي العرض الثاني يقول : ((صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين ، وأحرره عن المتأخرين فما صح عندي بالمشاهدة والنظر ..)) [5] .

ثانياً : الاتجاه إلى التحليل والاستنباط الدقيق :.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما ننقله من شرح عبد الرحيم بن علي الدخوار على تقدمة المعرفة قال أبقراط : ((وإني أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل

---

(١) ماهر عبد القادر : دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي ، دار المعرفة الجامعة ص٢٣٨ .

(٢) بستان الأطباء ص٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٥ .

(٣) نفسه ص٢١ .

(٤) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ص٣ .

(٥) نفسه ص٣ .

الطبيب سابق النظر ...)) قال ابن الدخوار : ((وأعلم أن تقدمة المعرفة وتقدمة الإنذار وسابق العلم وسابق النظر كل واحد من هذه الأربعة له معنى ، أما تقدمة المعرفة فهي عبارة عن أن تتقدم إحاطة الطبيب بجميع جزئيـات الطـب ، لأن المعرفة مخصوصة بإدراك الجزئيات ، أما تقدمة الإنذار فهي أخص من تقدمـة المعرفة لأن الطبيب ما ينذر إلا ببعض ما علمه منها ، وتقدمة المعرفة أعم ، أما سابق العلم وسابق النظر ، فهو يقدم إدراك الأمور الكلية وتحـصيلها وذلـك لا يجدي المريض ولا الطبيب شيئاً ، فإن أهل صناعة الطب يعرفون صناعة الطب على وجه كلي ... أما سابق النظر فهو مطابق لسابق العلم إذ اسم النظر والعلم يطلقان على إدراك الأمر الكلي ، فهما من الأسماء المشتركة)) [(١)] .

وابن النفيس ينظر إلى هذا القول لأبقراط بأسلوب أكثر عمقاً وتحليلاً حيث يقول : ((... لفظ النظر يقال على معان ، المشهور منها ستة ، أحـدها تأمـل الشيء بالعين ، وثانيها الانتظار ، وثالثها المقابلة ، ويقال دور منـاظرة إلـى متقابلة ، ورابعها العناية ، يقال نظر ا إلى فلان أي اعتنى بـه ، وخامـسها الفكر والروية ، يقال كذا فيه نظر أي فيه فكر ، وسادسها العلم ... ولذلك يسمى الجزء العلمي من الطب بالجزء النظري ...)) [(٢)] .

ثالثاً : وضوح الحس النـقدي وطرح الآراء :

وذلك حسب ما أثبتته الملاحظة والتجربة وأقر به النظر الصحيح [(٣)] .

رابـعاً : شمولية التصنيف في جميع فروع الطب والصيدلة :.

حيث تناولوا أغلب الجوانب الطبية ، وذلك بما صنفوه من كتب بعـضها يأخذ جانب الموسوعية [(٤)] وبعضها في جزئيات من العلوم الطبية ، ومنهـا مـا يخص أنواع الأمراض وطرق علاجها والوقاية منهـا وأخـرى تتنـاول بعـض

---

(١) الدخوار : شرح تقدمة المعرفة ص١٤٩ .

(٢) ابن النفيس : شرح تقدمة المعرفة ، تحقيق ماهر عبد القادر ص٣٠ .

(٣) سوف يأتي الحديث عن هذا قريباً .

(٤) مثل كتاب " الشامل في الصناعة الطبية " لابن النفيس .

المعارف الطبية المتعلقة بطرق الكشف والعلامات [١] أو التصنيف في دقائق من المسائل الطبية [٢] أو أمراض بعينها [٣] وكثيراً ما نجد اهتمـام أطبـاء الـشام بالتشريح كعلم لا غنى للطبيب الممارس عنه فهم يفردون له أبواباً أو فصولاً أو مصنفات تناولته بصورة مستقلة [٤] .

وسوف نتناول بالتفصيل جوانب مما صنف فيه أطبـاء الـشام كنمـاذج لدراسة بعض من ملامح المنهج التأليفي والنقدي عند أطبـاء الـشام وطـرقهم المتنوعة في تناول المباحث الطبية وفروعها وذلك من خلال ما يلي :

أولاً : التأليف في الطب الوقائي وحفظ الصحة :

كانت الكتابة في الطب الوقائي وحفظ الصحة من أهـم الفـروع الطبيـة التي ألف فيها الأطباء في الدولة الإسلامية [٥] ، إذ من الممكن القول : إن ثلـث ما صنفه الأطباء المسلمون إنما هو في الطب الوقائي وحفظ الصحة وذلك لمـا له من أهمية في علاج الأمراض والوقاية منها ، ويتفـرع عـن هـذا الجانـب مباحث عدة ، كالتأليف في الأوبئة والأهوية [٦] وأسباب العـدوى ومـا يتعلـق

---

(١) على سبيل المثال كتاب (العلل والأعراض لأحمد ابن أسعد ابن العالمة)، (ومقالة فـي الاسـتفراغ) لعبد الرحيم الدخوار وكتاب في (طب السوق) لعلي بن خليفة بن يونس الخزرجي ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٧ ، ٧٥٨ .

(٢) مقالة في (حد الطب) ومقالة في (المزاج) ومقالة في (العطش) ومقالة في (الماء) لعبد اللطيف البغدادي ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٧٣٦ ، ٧٥٠ .

(٣) مثل " مقالة في القولنج " لعفيف بن عبد القاهر الحلبي " رسالة في وجع المفاصل " لمحمد بـن عبـدان اللبودي ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ ، ٧٦٧ .

(٤) مثال ذلك : المقالة الثالثة من كتاب العمدة في الجراحة لابن القف (كتاب الكفاية بالتشريح) لعبد اللطيف البغدادي وكتاب (شرح تشريح القانون) لابن النفيس والجملة الأولى من الفصل الثاني من كتاب (الكـافي في الكحل) لأبي المحاسن الجلي .

(٥) أحمد فؤاد باشا : الطب الإسلامي أساس العلوم الطبية المعاصرة دراسة تأصيلية، مجلة تراثيات يصدرها مركز تحقيق التراث بالقاهرة ، العدد الثالث ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ص٢٧ ، ٥١ .

(٦) من هذه الكتب (مقالة في مزاج الرقة وأهويتها وأحوال أطبائها) للمظفر بن عبـد الـرحمن البعلبكـي (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) وكتاب (مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها عن مصر وأنها أصح وأعدل) ليعقوب بـن

بالصحة العامة [1] وطرق الوقاية من الأمراض وطرق تدبير الحبالى والأطفـال والكهول والمسافر[2] والرياضة والنوم والاستحمام والغذاء والجماع [3] وغيـر ذلك.

وقد تناول أطباء الشام هذا الموضوع وصنفوا فيه مصنفات جادة وقويـة فمن ذلك كتاب (المقالة الناصرية في تدبير الصحة) لأسعد الدين ابن إلياس ابن المطران (٥٨٧هـ / ١١٩١م) وتشتمل هذه المقالة على خمسة فصول [4] هي :

الأول : في الرياضة .

الثاني : **في الاستحمام .**

الثالث : **في المطعم والمشرب .**

الرابع : **في النوم واليقظة .**

والخامس : **في الجماع .**

إسحاق المحلي (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) وكتابان مفقودان ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٣ ، ٧٥٥ ، ٧٥٧ .

(١) ورد في كتب الطب النبوي مباحث في حفظ الصحة وما أرشدت إليه الأحاديث الشريفة الدالة على عظيم أثر هذا الموضوع على الصحة العامة ، انظر على سبيل المثال ، عبد اللطيف البغدادي : الطب في الكتـاب والسنة ص١٧٧ ، ١٧٩ ، وأبي الحسن الحموي : الأحكام النبوية ص١٢١ ، ١٤١ .

(٢) من المصنفات في هذا المعنى كتاب (تدبير الأبدان في السفر للسلامة من المرض والخطر) لعلي بـن موسى بن جعفر بن محمد بن الطاووس الفاطمي (٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) منه نسخة في دار الكتب المـصرية برقم (١٣٨٨/ طب ف / ١٠٥٥) انظر : ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص٣٥٦ ، الزركلي : الأعـلام ج٥ ص١٧٦ ، ١٧٨ .

(٣) ابن النفيس : الموجز في الطب ص٥٥ ، ٧٦ .

(٤) نسخة منه في مكتبة أحمد الثالث باستنبول برقم ٣١٤٤ / ف ٩٩٩ وتوجد منه نسخة في مكتبـة الأسـد بدمشق برقم ٧٣٦ (طب حساب) ملف / م عدد ورقها ٣١ ورقة ، وأخرى بمعهد التراث العلمي بحلب تحت رقم ١٠٧١ (طب) وعدد ورقها ٩١ و ٣١ سطراً . انظر فهرس المخطوطات المصورة في معهد التـراث العلمي بحلب .

كما أفرد ابن المطران في كتابه بستان الأطباء فصلاً يشتمل على عدد من الفوائد والوصايا النافعة في حفظ الصحة ودفع المرض [٥] .

ويعد كتاب «جامع العرض في حفظ الصحة ودفع المـرض » [١] لموفـق الدين يعقوب بن إسحاق بن القف الكركي (٦٨٥هـ ـ / ١٢٨٦م) أفـضل مـا صنفه

أطباء الشام في هذا الموضوع يقول في مقدمته مشيراً إلى طريقته وأسلوبه في التأليف لهذا الكتاب : « لما علمت ما يتعبد ا به خلقه من العبادات البدنيـة ، وأوجب عليهم من التكاليف الشرعية ، ووجدت بأن ذلـك الإثبـات لا يكـون إلا بحفظ صحة الأبدان ، ولا يتأدى إلا بسلامة حيوة (حيـاة) الإنـسان (ونعمـة عافيته) رأيت أن حفظ الصحة ضـرب لازب (لازم) لأن مـا لا يوصـل إلـى الواجب إلا به فهو واجب ، فأحجمت عن الخاطر ما أتعبته صـروف الزمـان ، وجمعت متفرقه بقدر الإمكان ، ووضعت مختصراً في حفظ الصحة قـل حجمـه وجل علمه ، واستقرت قواعده وعمت فوائده ، يقتصر في علم حفـظ الـصحة عليه ويفتقر في تدبير الأمزجة إليه ، وأقبلت فيه على الاختصار وأعرضت عـن الإطالة ، وجعلته في نهاية الإيجاز خوف الملالة ، فلا يسأمه المتأمل الناظر ولا يمله الجليس المحاضر .. » [٢] وقد صدق فيما ذكره فقد حشد فيه كل ما يتعلق بحفظ الصحة وفروعها وجعله في ستين فصلاً ، وامتاز بشموليته ودقته ووفرة معلوماته [٣] .

---

(٥) ابن المطران : بستان الأطباء ص٧٣ ، ٧٩ ، ومن وصاياه الطريفة في هذا الفصل قولـه فـي أفـضل الأماكن والأوقات للاستذكار والحفظ : « رأيت على ظاهر كتاب تذاكير العلماء تأليف الحـسن بـن موسـى الدينوري بخطه ، خير المواضع للتعليم الغرف للبعد عن عفونات السفل ورطوناته المكدرة للأذهان وبخاراته المغلظة لمن يحتاج أن أيكون لطيفاً منه ، وخير الأوقات للحفظ الأسحار ، لأن الإنسان يكون بعيد عنه الغذاء ، بعيد عهد بالحوائج النهارية جديد الذهن جديد الفؤاد » ص٧٨ .

(١) طبع بتحقيق سامي خلف حمارنه منشورات الجامعة الأردنية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

(٢) جامع العرض ص٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) نفسه ص٧٢ .

ولقي الموضوع أيضاً عناية المصنفين في طب العيون فهم يـذكرون مـا يخص حفظ صحة العين خصوصاً ، تناولوه بعد ذكر الأمور العامـة فـي حفـظ الصحة وذلك بشيء من الإعجاز [٤] .

ثانياً : التصنيف في طب العيون :.

يختلف طب العيون عن غيره من فروع الطب الأخرى ، فالأطبـاء عـادة يخصصون له كتباً مستقلة [١] وذلك لأهميته ودقة مباحثه لصعوبة أمراض العين وأوجاعها والاضطرار في عمل أدويتها واستعمالها إلى خبرة تامة [٢] وقد غاب على أكثر أطباء الشام معرفتهم بطب العيون والكحالة وتميزهم في هذا الفرع إذ لا تكاد تجد منهم طبيباً إلا له معرفة بطب العيون أو شهرة في الكحالة [٣] وكان لأطباء الشام إسهامات متميزة في التأليف في طب العيون أضافوا مـن خلالهـا إضافات علمية وعملية لم يسبقوا إلى مثلها [٤] ومما صنفه أطباء الشام في طب العيون نذكر منها كتاب (الكافي في طب العيون) أو (تذكرة الكحالين) لرشـيد الدين أبي الفضل بن علي الصوري [٥] وكتاب (المهذب في الكحل المجرب) [٦] و(مفتاح الشفاء في طب العين) [٧] ، والكتابان لعلي بن أبي الحزم بن النفيس ،

---

(٤) ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ص١٢٥ ، ١٥١ ، أبي المحاسن الجلي : الكافي فـي الكحـل ص٨٤ ، ١٠٣ ، صلاح الدين الحموي : نور العيون ص١١٩ ، ١٤٧ .

(١) لم تكن تخلو كتب الطب والصيدلة الشاملة من فصول تتناول أمراض العين ومداواتها .

(٢) المهذب في الكحل ص٤٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٢ ، ٦٣٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٢ ، ٧٠٤ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٨ ، ٧٣٦ ، ٧٥١ ، ابن حجر الدرر الكامنة ج٢ ص٣٦٦ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص١٥١ ، ١٩٦ ، ٣٣٦ .

(٤) انظر المهذب في الكحل المجرب ص١٣ ، ١٨ ، نور العيون ص٢٧ ، ٣١ ، الكافي في الكحل ص١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٥) منها بعض الأوراق في المكتبة الظاهرية برقم (٢١٤٣ / طب) قديم / ٢٨ / ج منه نـسخة مـصورة بمعهد التراث العلمي بحلب رقم (١٥٠) .

(٦) مطبوع بتحقيق محمد ظافر الوفائي ومحمد رواس قلعة جي الطبعة الثانية منه ١٤١٤هـ .

(٧) مطبوع منه نسخة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ٧٩٤ / طب .

جاء في مقدمة كتابه الشفاء : ((قد كتبت في علم الكحل وسميته مفتاح الشفاء في العين ، فإن علم الطب من أشرف العلوم لأن موضوعه بدن الإنسان ... ومن

الطب ما هو أشرف كالعلم بالكحل)) [1] وليس بغريب على ابن النفيس أن يصنف كتابين في تخصص واحد [2] .

ومنها : (القانون في علم العيون) لعلي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي[3] و (الكافي في الكحل) [4] لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي ، ولعل ما يميز هذا الكتاب اشتماله على جملة من الرسوم التوضيحية والخرائط والجداول التي لم يسبق إلى مثلها [5] .

ومنها كتاب : (نور العيون وجامع الفنون) [6] لصلاح الدين يوسف الكحال الحموي ، فقد أضاف إلى كتابه رسوماً وأشكالاً للأدوات الجراحية التي كان يستخدمها في جراحة العين وهي تختلف في أشكالها عن آلات الجراحة عند أبي المحاسن الحلبي وهما طبيبان متعاصران [7] .

ثالثاً : التأليف في علم الجراحة [8] :

---

(١) انظر المختصر لابن النفيس مقدمة المحقق ص٦٩ ونسخة بمعهد التراث بحلب برقم (٨١٣) .

(٢) نفسه ص٦٩ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٥ ص٣٦٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٧١ .

(٤) طبع بتحقيق محمد ظافر الوفائي محمد رواس قلعه جي الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

(٥) الكافي في الكحل ص١٥ ، وانظر في الرسوم والجداول في الملاحق رقم (   )

(٦) طبع بتحقيق محمد ظافر الوفائي ومحمد رواس قلعه جي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ .

(٧) نور العيون ص٣١ وانظر الرسوم في الملاحق رقم (   ) .

(٨) يعرفها ابن القف بقوله ((الجراحة صناعة ينظر بها في تعريف أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعرض لظاهره من أنواع التفرق في مواضع مخصوصة وما يلزمه وغايتها إعادة العضو إلى الحالة الطبيعية الخاصة به)) العمدة في الجراحة ص٤ .

قدّم الأطباء الشاميون في مجال طب الجراحة إسهامات واضحة وإنجازات علمية كبيرة ، وذلك من خلال تميزهم في الطب العملي والعمل باليـد أو فيمـا صنفوه في الجراحة العامة أو جراحة العين [٩] .

ويكفي أن نذكر كتاب : (العمدة في الجراحة) [١] لأبي الفرج موفق الدين يعقوب بن إسحاق بن القف الكركي (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) لندلل علـى تطـور علم الجراحة وتقدم فن التأليف لديهم ، فابن القف قد ضاهى بكتابه هـذا كتـاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لخلف بن عباس الزهراوي [٢] وأثبت فيـه براعته في معرفة أصول صناعة الجراحة وقدرته العلمية والعملية [٣] .

جعل ابن القف كتابه في عشرين مقالة ، وطريقته فـي عرضـه لهـذه المقالات أنه يأتي بمقالته التي يريد الحديث عنها ويقوم بتقسيم هذه المقالة إلى عدة فصول ومن ثم يتناولها فصلاً فصلا [٤] .

ونلاحظ أنه قليلاً ما يذكر موارده التي يأخذ عنها ، فهو يحيل أحياناً إلـى جالينوس أو أبقراط أو ابن سينا أو الرازي أو ابن الأهوازي أو الزهـراوي ولا يذكر كتبهم إلا قليلاً . وغالباً ما يحيل إلى كلام الأطباء دون ذكر أسمائهم بقوله : قال الأطباء ، أو ذكر بعض الأطباء الأوائل وهكذا .

---

(٩) سوف يأتي الحديث عنه قريباً .

(١) انظر القسم الثالث من (التصريف) المقالة الثلاثون عن ((الجراحة)) تحقيق عبد العزيز ناصر الناصـر وزميله ، مطابع الفرزدق ، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

(٢) يذكر ابن القف في مقدمته : أن الجراحين المعاصرين له شكوا إليه قلة العارفين بصناعة الجراحة وأنهم طلبوا منه تصنيف كتاب في هذا الفن ليكون مرجعاً لمن يعمل في هذه الصناعة ، وقد أشار إلى سبب طلبهم ((.. بأنه ليس لهم كتاب يرجعون إليه في هذا الفن بحيث أن يكون جامعاً لما يحتاج إليه صاحب هذه الصناعة)) وهذا القول يدل على أن كتاب الزهراوي لم يكن بين أيديهم بينما هو أحد موارد ابن القف في كتابـه هـذا ، وهو الكتاب الوحيد الذي يمتحن به الأطباء بالشام في طب الجراحة ، فلا ندري ما سبب قولهم هذا . انظـر العمدة ج١ ص٢ الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠١ .

(٣) سامي حمارنه :التقنية وصناعية النافعة الطبية في كتاب الجراحة لابن القف ، الأبحاث وأعمال المـؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي ،الكويت ،العدد الأول ،الطبعة الثانية١٤٠١هـ/١٩٨١م ص٢١٤، ٢٢٣

(٤) العمدة في الجراحة ج١ ص٤ ، ١٠ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ٢٠٥ .

كما نجد ابن القف يعتمد كثيراً في وصـف الأمـراض وطـرق علاجهـا بالأدوية أو بالجراحة إلى ما ذكره الزهراوي في (التصريف) وخـصوصاً فـي الجزء الذي يخص الجراحة [٤] ، ولكنه تميز عنه بالتفصيل في عرض الأمراض وطرق العلاج بالحديد [١] . والمتأمل يدرك أن كتاب (العمدة في الجراحة) لـم يحظ بعناية الدارسين [٢] كما حظي به كتاب (التصريف) رغم براعـة مؤلفـه وتميزه ، بل إنه من العدل أن نقول أن ابن القف هو أعظم جـراح جـاء بعـد الزهراوي بدون منازع حتى زمنه .

رابعاً : التأليف في الأدوية المفردة والمركبة :

كانت السمة الغالبة على أطباء الشام أنهم كانوا يجمعون بـين صـناعتي الطب والصيدلة ، غير أنه غاب عليهم الجانب التطبيقي العملي فكانت شـهرتهم بالطب أكثر من شهرتهم بالصيدلة [٣] ولهذا نجد أن معظم أطباء الشام كانت لهم كتب في الصيدلة ، هي من أميز ما صنف في هذا العلم ، وقد تنوعـت أسـاليب التأليف في الصيدلة عند أطباء الشام على النحو التالي :

أولاً : التأليف في الأدوية المفردة .

ثانياً : التأليف في الأدوية المركبة (الترياق) [٤] .

ثالثاً : تخصيص فصل مستقل في كتب الطب الشاملة للأدوية المفردة والمركبة .

رابعاً : الاهتمام بالأوزان والمكاييل المستخدمة في صـناعة الأدويـة المفـردة والمركبة وعقد فصول خاصة بها .

---

(٤) كمال السامرائي : مختصر تاريخ الطب ج٦ ص١٢٠ .

(١) العمدة في الجراحة ج٢ ص١١٧ ، ٢٠٦ .

(٢) يبدو للباحث أن سبب ذلك هو طغيان شهرة الزهراوي وانتشار كتابه ، الأمر الذي لم يتوفر لابن القـف ولا لكتابه .

(٣) إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص٢٤٩ .

(٤) مشتق من تيريون باليونانية وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ويقال له بالعربية الـدرياق وهـي الأدوية المركبة المتعددة المنافع ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص١٩٥ ، القوصوني : قاموس الأطبـاء ج١ ص٢٩١ ، ٣١٦ .

خامساً : العناية بأسماء الأدوية وتفسيرها .

ويمكن أن نتبين ذلك من خلال جهود الأطباء بالتأليف في كل جانب .

أولاً : الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة :

ومنها : كتاب (الأدوية المفردة) لموفق الدين أسعد بن إلياس بن المطـران (٥٨٦هـ / ١١٩١م) [١] .

- **كتاب (الأدوية المفردة على حروف أبجد) أي على الترتيـب المعجمـي للطبيب محمد بن عبد الكريم المهندس (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) [٢] .**
- **(التذكرة الهادية في الطب) [٣] (مختصر مفردات ابن البيطـار الكبيـر) لإبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان السويدي (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) .**
- **(المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة) لمحمد بن عباس بن أحمـد الربعي (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) [٤] .**
- **(اختصار كتاب الأدوية المفردة لحامد بن سمحون) و (اختـصار كتـاب الأدوية المفردة لابن وافد) وهما للطبيب عبد اللطيف البغدادي .**
- **وكتاب (الأدوية المفردة) رشيد الدين بن أبي الفضل الصوري استقـصى فيه ذكر الأدوية المفردة [٥] بأنواعها وهو مزود بصور ورسوم ملونة .**

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(٢) نفسه ص٦٧١

(٣) منه نسخ مخطوطة كثيرة في العالم ، منها نسخة في إيران ، مجلس شوراي بـرقم (٢٠٨٢) ،صـورة منه بمعهد التراث بحلب برقم (٧٣١) ، وأخرى في تركيا – مغيسا برقم (١٧٥٨) الجـزء الأول فقـط . اختصره عبد الوهاب أحمد بن علي الأنصاري الشعراني (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) وطبـع بـشرحه وتعليقـه محسن عقيل ، دار المجتبى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . انظر في باقي النسخ المخطوطة : فهرس المخطوطـات المصورة بمعهد التراث بحلب ص٢٠١ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ ، ٧٦١ ، منه نسخة مخطوطة في الأحمدية بحلب برقم (١٧٣٢) ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٠٠ .

(٥) نفسه ص٦٩٩ ، ٧٠٣ .

- **كتاب (النبات في الأدوية المفردة)** [٦] **لعلي بن أبي الحزم ابن النفيس .**
- **(مختصر الأدوية المفردة لابن البيطار) محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي** [١]**.**
- **(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي** [٢]**.**
- **كتاب (مفرح النفس) لابن قاضي بعلبك** [٣] **.**

---

(٦) يقول يوسف زيدان أن هذا الكتاب هو جزء من كتاب (الشامل في الصناعة الطبية) خاصة وأنه لم يذكره أحد ممن ترجم له ضمن مؤلفاته في الطب فمن المرجح أن الناسخ له اعتقد أنه كتاب مفرد في النبات . انظر المختصر في علم أصول الحديث (مع دراسة شاملة لمؤلفات ابن النفيس) الدار المصرية النباتية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٨٠ ، ٨٦ .

(٢) قدمت دراسات كثيرة جداً ومفصلة على هذا الكتاب لما له من أهمية كبرى في مجال الأدوية المفردة انظر مثلاً تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ، الأدب ح . شحاته طبعة أوراق شرقية ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ص١٨٩ ، ١٩٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٥ .

ثانياً : الكتب المؤلفة في الأدوية المركبة :

مما صنف في الأدوية المركبة كتاب (اقرباذين ابن القلانسي) [1] لبدر الدين محمد بن بهرام القلانسي السمرقندي (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) [2] وقد عرض ابن القلانسي منهجه وطريقته في كتابه هذا والسبيل إلى استخدامه في مقدمته حيث يقول : ((... فجمعت هذا المختصر في الأدوية المركبة التي تمس الحاجة إليها ، مع سهولة وجودة مفرداتها وسرعة اتخاذها ، وذكرت فيه الأشياء العملية ، وسائر الأشياء المذكورة ذكراً واسعاً ، وانتخبت هذه الفوائد والتقطتها من الكتب المشهورة، المعتمدة عليها وهي : القانون ، والحاوي ، والكامل ، والمنصوري ، والذخيرة ، والكفاية ، وفردوس الحكمة وأمثالها . وأوردت فيه ذرواً من نسخ الإمام العالم قوام الدين قدوة الفضلاء صاعد المهني ، ومن نسخ الإمام الفاضل مشرف الزمان المارستاني ، وأعلمت كل باب نقلته ، كله أو قله ، بعلامة دالة عليه فالقاف علامة القانون – والحاء علامة الحاوي – والفاء علامة فردوس الحكمة – والكاف علامة الكامل – والميم علامة المنصوري – والذال علامة الذخيرة ، وجعلته مشتملاً على تسعة وأربعين باباً)) [3] .

ويمكن أن نستفيد من هذا النص أن ابن القلانسي كان على اطلاع واسع وكبير بما هو مصنف في الأدوية من خلال المصادر التي انتخب منها مادة كتابه وغالبية هذه الكتب هي ما اعتمده أطباء الشام في التعليم الطبي فترة البحث ، ثم انظر إلى منهجيته الدقيقة في أمانة النقل من المصادر ، ثم وضعه لكل كتاب رمزاً دالاً على اسم الكتاب الذي ينقل منه ، وهي طريقة فريدة وأسلوب متقن في

---

(١) صدر عن معهد التراث العلمي بحلب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م بتحقيق محمد زهير البابا قدم له بدراسة جيدة عن تاريخ الأرقرباذين من حيث البدايات ، وأشهر ما صنف فيها عن اليونان وفي الدولة الإسلامية إلى عصر بن القلانسي ، ثم بين أهمية الكتاب ومنهج صاحبه طريقته في التأليف ، وبعض الملاحظات عليه . انظر ص٥ ، ١٦ .

(٢) ابن القلانسي : أقرباذين ص١٧ ، ١٨ .

(٣) نفسه مقدمة المحقق ص٨ .

دلالة القارئ على النصوص التي اقتبسها من مصادرها ، وهذا يعكس عناية ابن القلانسي بكتابه ، ولذا خرج هذا الكتاب كأفضل كتاب صنف في الأدوية المركبة حتى القرن التاسع الهجري .

ومن الكتب المصنفة في الأدوية المركبة (الترياق) للطبيب عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) [١] وكتاب (تركيب بعض الأدوية النافعة) لعمران صدقة الإسرائيلي (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) [٢] وكتاب (الأقرباذين في الأدوية المركبة) لمحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري (٧٣٩هـ / ١٣٢٨م) [٣] فصل عن الأدوية المركبة ودرجات وكيفية تركيبها [٤] لأحمد بن خليل بن سعادة الخوي الطبيب (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) [٥] .

وكتاب (نظم الترياق الفاروقي) لعماد الدين إبراهيم بن محمد السويدي [٦]، وكتاب (تعاليق في صفات الأدوية المركبة) لعبد المنعم بن عمر بن عبد ا الحلياني [٧].

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٤ ، ٦٩٥ ،

(٢) نفسه ص٦٩٧ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٢٢ ، ابن رافع السلامي : الوفيات ج١ ص٧٢ .

(٤) من كتاب ينابيع العلوم ورقة (٢١٦ب / ٢٢١أ) في آخر هذا الفصل يذكر قصصاً مهمة يذكر فيها أن منشأ الترياق إنما هو بالملاحظة والتجربة وأن ذلك هو الذي بنا عليه الأطباء معارفهم (٢٢١أ) .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ ، ٦٤٧ .

(٦) نفسه ص٧٦١ .

(٧) نفسه ص٦٣٠ .

ثالثاً : تخصيص فصل في كتب الطب الشاملة للأدوية المفردة والمركبة :

وهي طريقة معروفة ومشهورة سارت عليها أكثر المصادر الطبية الشاملة[1] كما في كتاب (الموجز)[2]و (الشامل) [3] لعلي بن أبي الحرم بن النفيس (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) ومن ذلك كتاب (المنهج الواضح في الطب) لأمين الدولة أبو الحسن بن غزال (٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) [4] والكتاب مؤلف من خمسة كتب جعل الكتاب الثاني منه للأدوية المفردة وقواها والثالث للأدوية المركبة ومنافعها [5] يشمل هذا المنهج أيضاً كتب طب العيون [6] والجراحة [7] وغيرها .

رابعاً : الاهتمام بالأوزان والمكاييل المستخدمة في صناعة الأدوية المفردة والمركبة :

فإنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب الأدوية المفردة أو المركبة من فصل أو باب في هذا الجانب ، والغاية من ذلك أن يعمل به أصحاب هذه الصناعة فلا يزيدون ولا ينقصون في المقادير المقررة [8] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ .

(٢) الموجز ص٧٧ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٦٧ .

(٣) الشامل انظر ما طبع من هذا الكتاب من الجزء الأول إلى الجزء التاسع بتحقيق يوسف زيدان ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٣ .

(٥) نفسه ص٧٢٨ .

(٦) انظر الكافي في الكحل لخليفة بن أبي المحاسن الجلي ص٤٢٣ ، ٤٩٥ ، المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس ص١٨٩ ، ٢٤٨ ، نور العيون وجامع الفنون لصلاح الدين الحموي ص٥٣١ ، ٦١٣ .

(٧) العمدة في الجراحة لابن القف ج٢ ص٢٢٣ ، ٢٦٥ .

(٨) انظر على سبيل المثال : اقرباذين ابن القلانسي ص٢٩١ ، ٢٩٧ ، مختصر تذكرة السويدي ص٣٦١ ، ٣٦٦ ، ابن القلانسي : الموجز في الطب ص١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ابن المطران : بستان الأطباء ص٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ابن القف : العمدة في الجراحة ج٢ ص٢٣١ ، ٢٣٥ ، وفي كلامه إشارات مهمة إلى الفرق بين أنواع المكاييل والأوزان بين الشام ومصر وبين مدن الشام كحلب ودمشق وحماة ج٢ ص٢٣٤

، ٢٣٥ ، الكافي في الكحل لخليفة بن أبي المحاسن الحلي ص٦٨٠ ، ولعبد اللطيف البغدادي أربع مقالات في هذا الموضوع هي مقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة المركبات ، ومقالة في موازنة الأدويـة والأدواء من جهة الكيفيات ، ومقالة في تعقب أوزان الأدوية ، ومقالة تتعلق بموازين الأدوية الطبية في المركبات ، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٦٩٥ .

وأخيراً هناك بعض السمات العامة للتأليف في الأدوية المفردة والمركبة والتـي يجدر الإشارة إليها ، ومنها :

- ظهور أثر المدرسة الأندلسية على المؤلفات في علم النبات والأدوية [(١)] .

- اتجاه الأطباء والعشابين الشاميين إلى دراسة النباتات الشامية بدقة ، يتـضح ذلك من الجهود التي قدمها ابن البيطار في كتابه الأدوية المفردة ، ورشيد الدين الصوري في دراساته حول نباتات الشام [(٢)] .

- الاتجاه إلى الترتيب المعجمي للأدوية ومسمياتها في أغلب مـا صـنف فـي الأدوية المفردة والمركبة [(٣)] .

- ومنها أيضاً الترتيب حسب الأمراض التي تصيب جسم الإنـسان بـدءاً مـن الرأس إلى القدمين ، وذكر الأدوية النافعة للأمراض التي تصيب كل عضو .[(٤)]

---

(١) إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة ص٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠١ ، ٧٠٢ ، إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطـب والـصيدلة ص٢٥٢ ، وكان ابن البيطار يشير في كتابه (الأدوية المفردة) إلى كثير من النباتات التي شاهدها في الشام انظر مثلاً ج١ ص٧٧، ٧٩، ٩٥، ١٤١، ٢٤١ ، ج٢ ص٢٥٧، ٢٥٩، ٢٩٢، ٤١٣، ٤٤٣ ، ٤٨٦

(٣)ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ ، ابن البيطار في كتاب (الأدوية المفردة) رتب على حـروف المعجم .

(٤) سار على هذه الطريقة عماد الدين السويدي في كتابه (التذكرة الهادية) .

خامساً : التصنيف في الطب النبوي :

أسهم أطباء الشام وعلماؤها في هذا العصر بالتأليف في هذا الجانب من العلوم الطبية ، وكانت لهم فيه مصنفات جادة ذات قيمة علمية كبيرة .

ومن المعلوم أن أغلب الذين صنفوا في الطب النبوي إنما تتركز جهودهم على الأحاديث الواردة في كتب السنة ، وما دلت عليه هذه الأحاديث من توجيهات نبوية وإرشادات صحية ودوائية ذات أثر كبير في مجال الطب والعلوم الطبية .

وعلى الرغم من أن هناك شيئاً من التباين والاختلاف في وجهات النظر بين المؤرخين الذين درسوا الطب النبوي [1] إلا أن ما صنفه علماء الشام في الطب النبوي يعطي دلالات واضحة وقوية على أهمية الطب النبوي ، وعظم دلالاته وما أرشدت إليه الأحاديث النبوية ، وأنه كان مصدراً يعتمد عليه الأطباء في طرق ووسائل العلاج المستخدمة لديهم ، ولهذا تجد أن بعض من صنف في الطب النبوي من أطباء الشام قد يبوب لبعض فصول كتابه في الطب النبوي على طريقة التأليف في كتب الطب الأخرى كأن يقول مثلاً :(فصل في حفظ الصحة)

---

(١) انظر في ذلك ما يذكره ابن خلدون حول هذه القضية فيقول (والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل يقصد به الطب في البادية – وليس من الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عادياً للعرب أو وقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع أحواله التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه ، اللهم إلا إذا استعمل على وجهة التبرك وصدق العقد الإيماني ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، وابن القيم يقول : ((وليس طبه صلى الله عليه وسلم كطب الأطباء ، فإن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة ، وكمال العقل ، وطب غيره أكثره حدس وظنون وتجارب)) ورأي ابن القيم هو الرأي الصواب في هذه المسألة إذ إن الدليل يسنده في هذا الأمر يقول عليه الصلاة والسلام (ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء) الحديث ، ففي هذا الحديث توجيه نبوي إلى أنه ما من داء إلا وله دواء ، دافعاً بذلك إلى البحث والنظرة العلمية والتنقيب على أسباب الداء ومواطن الدواء. المقدمة ص٤٧٩ ، ٤٨٠ ، زاد المعاد ص٢٧ ، خالد أحمد الحربي : الأسس الابستمولوجية لتاريخ الطب العربي رؤية معرفية في تاريخ الحضارات ، دار الثقافة العلمية الإسكندرية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ص١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

أو (فصل في شرب الأدوية المسهلة) [١] وهذا يعكس مدى فهم هؤلاء الأطباء لمدلولات الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب .

ويمكن أن نعرض لأشهر الكتب المصنفة في الطب النبوي خلال فترة البحث ، والطريقة التي كتبت بها تلك المصنفات ، لنؤكد ما ذهبنا إليه في كلامنا السابق .

أولاً : كتاب (الطب في الكتاب والسنة) [٢] للطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي وهو أحد مشاهير الأطباء بالشام ، ومن كبار علمائها الذين برز دورهم في الحركة العلمية الطبية ، وممن تميز بكثرة المصنفات في العلوم الطبية وغيرها إضافة إلى أن عبد اللطيف البغدادي قبل أن يكون طبيباً بارعاً كان عالماً بالعلوم الشرعية في الحديث والفقه والتفسير وغيرها من العلوم [٣] وهذه الموسوعية العلمية جعلت من كتابه في الطب النبوي يختلف في منهجية تأليفه عن غيره من الكتب الأخرى ، فقد ظهرت آثار ثقافته الطبية على طريقة تبويبه وتوظيفه للنصوص النبوية لهذا الكتاب ، فقد قسم كتابه إلى ثلاثة فنون :

الفن الأول : في الطب علمه وعمله[٤] :

ففي هذا المحور يورد الأحاديث الدالة على هذا الفن من خلال التقسيمات التي ذكرها ، فهو يقول : فالطب ينقسم إلى جزء علمي وجزء عملي ، والعملي أجزاؤه ثلاثة : العلم بالأمور الطبيعية ، والعلم بأحوال بدن الإنسان ، والعلم بالعلامات [٥] والناظر كمثال إلى تحليله للمزاج كأحد الأمور الطبيعية يدرك مدى

---

(١) عبد اللطيف البغدادي : الطب في الكتاب والسنة ص٤ ، ٧ ، ١١ ، أبو الحسن بن تقي الحموي : الأحكام النبوية في الصناعات الطبية ص٢٦٢ .

(٢) طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد المعطي أمين قلعه جي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٣ ، ٦٨٩ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٣٨٥ ، تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣١٣ .

(٤) الفن الثاني في الأدوية والأغذية ، الفن الثالث في علاج الأمراض ، ولكل فن تقسيماته انظر ص٥٧ ، ١٧٧ .

(٥) الطب في الكتاب والسنة ص٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

فهمه العميق للطب النبوي فهو يقول : ((... فأعدل أمزجة الحيوان مزاجاً : مزاج الإنسان ، وأعدل مزاج الإنسان : مزاج المؤمنين ، وأعدل المؤمنين مزاجاً : مزاج الأنبياء عليهم السلام ، وأعدل الأنبياء مزاجاً : مزاج الرسل ، وأعدل الرسل مزاجاً : مزاج أولي العزم ، وأعدل أولي العزم مزاجاً : مزاج محمد صلى الله عليه وسلم قلت : والسبب الذي صار النبي صلى الله عليه وسلم أعدل الخلق مزاجاً فإن من قواعد الأطباء أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن ، فكلما كانت أخلاق النفس أحسن كان مزاج البدن أعدل ، وكلما كان مزاج البدن أعدل كانت أخلاق النفس أحسن ...)) [1] .

كما أنه في كثير من مباحث الكتاب يستدل بأقوال الأطباء كأبقراط ، والحارث بن كلدة ، وابن سيناء وغيرهم ، وحينما يتناول الأدوية يدرج أقوال الأطباء مقارناً بين أقوالهم ، وما جاء في الطب النبوي ، ليؤكد توافق ما ذهب إليه الطب النبوي مع ما يذكره الأطباء في كتبهم .

وقد ناقش العديد من المسائل الشرعية المتعلقة بالطب ، وأورد فيها بعض أقوال العلماء والراجح فيها [2] .

ثانياً : (كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها) [3] للمحدث الشيخ محمد بن يوسف البرزالي (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) [4] جمع فيها أربعين حديثاً في الطب سمعها البرزالي من شيخه عبد اللطيف البغدادي بالشام يقول : ((فسألته أن أقرأها عليه ، فأنعم وشرعت في قراءتها ، فلما وصلت أبواب الطب ، سألته أن يوضح لي مشكلها ويبين لي ما تضمنته من المعاني

---

(١) الطب في الكتاب والسنة ص٤ .

(٢) نفسه ص١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣١ ، ج٣ ص٢٢ ، ٤٠ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠١

(٣) طبع بتحقيق عبد الله كنون نشر في مجلة المخطوطات العربية المجلد (١٨) الجزء الأول ربيع الثاني ١٣٩٢هـ ص٨٣ ، ١٤٩ .

(٤) هو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الأشبيلي الحافظ ، محدث الشام ، رحل إلى الحجاز ومصر وأصبهان وخراسان والجزيرة وأكثر من سماع الحديث ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية بيروت ج٤ ص١٤٢٣ ، العبر ج٣ ص٢٢٨ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ص٥٠١ .

الشريفة ، والحكم الفاضلة المنيفة فأنعم وتفضل وأصاب في شرحها وذكر فيـه من غرائب الحديث ، ما لم يذكره في شرحه الكبير من غريب الحديث ، فوافـق ذلك أن جاءت أربعين فاستأذنته في إفرادها بأسانيدها إلى النبي صلى الله عليـه وسلم ، وأن أذكر بعد الأحاديث شرحها ، فأذن لي في روايتها عنه كذلك)) [1] .

وهي أربعين حديثاً منتخباً في الطب النبوي من سنن ابن ماجـة ، كانـت طريقته في شرحها أنه يقف عند معاني الألفاظ الغامضة فـي الحـديث ويـذكر المعنى الكلي للحديث ومقاصده ، ثم يشرع في ذكر ما ورد فـي الحـديث مـن توجيهات طبية وإرشادات نبوية لعلاج الكثير من الأمراض [2] .

ثالثـاً : كتاب (الأمراض والكفارات والطب والرقيات) [3] للحافظ المحدث محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ، جمع فيه ما صح عنده من الأحاديـث فـي الطب عند النبي صلى الله عليه وسلم [4] وقد اكتفى مصنفه للدلالة على مقصود الحديث أن جعل لكل حديث عنواناً يشرح مقصود الحديث ، وما فيه مـن دلالات طبية ، وذلك على سبيل الاختصار .

رابـعـاً : كتاب (الأحكام النبوية في الصناعات الطبية) لأبي الحسن علي بن عبد الكريم بن طرخان بن تغر الحموي ، (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) فهذا الكتاب يتألف من جزأين ، جمع فيهما مؤلفه ما وقف عليه من الأحاديـث النبويـة المتعلقـة بأمور الطب ، وقد قسمه إلى عشرة أبواب ، يذكر فيها الأحاديث الواردة في بيان أصل الطب ، ويذكر الأمراض وعلاجاتها ، وما يتعلق بحفظ الـصحة ، وهديـه عليه الصلاة والسلام في ذلك كله ، والأدوية ومنافعها ، ومـا ورد فيهـا مـن الأحاديث الطبية ، وطريقته في كتابه هذا قريبة من طريقة عبد اللطيف البغدادي في كتابه (الطب في الكتاب والسنة) فهو يتناول الحديث بالـشرح المفـصل ، وما فيه من المسائل الطبية ، مستدلاً على صحة ما يذهب إليه من كلام الأطبـاء

---

(١) الأربعين الطبية ص٧ ، ٨ .

(٢) نفسه ص٨، ٩ .

(٣) طبع بتحقيق أبي إسحاق الأثري ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٤) الأمراض والكفارات ص١٦ .

أمثال جالينوس وأبقراط وابن سيناء والرازي وغيرهم من الأطباء ، ولعل ما يميز أسلوبه في الشرح للأحاديث أنه يتناول المصطلح الطبي ويفسر كثيراً من المعاني والألفاظ المستغلقة من خلال معاجم اللغة ، وكتب الأطباء ، وكلام المفسرين وشرّاح الحديث [1] مما أعطى لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة بين كتب الطب النبوي ، وهو ينقل بذلك المفهوم السائد عن الطب النبوي من كونه مجرد إرشادات وتوجيهات تتعلق بالصحة وعلاج بعض الأمراض ، إلى كونه واحداً من أهم الموارد العلمية التي يستنبط منها الأطباء كثيراً من معارفهم في أمور العلاج وأنواع الأدوية .

سادساً : التأليف في تاريخ تراجم الأطباء :

من أوائل الكتب المصنفة في طبقات الأطباء والحكماء كتاب (تاريخ الأطباء والحكماء) [2] لإسحاق بن حنين (٢٩٨هـ / ٩١٠م) [3] أحد مشاهير الأطباء والمترجمين للتراث اليوناني في العصر العباسي الأول [4] ومنها كتاب (طبقات الأطباء والحكماء) [5] لسليمان بن حسان بن جلجل (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) الطبيب الأندلسي البارع [6]، ويأتي بعده كتاب (الفهرست) [7] لابن

---

(١) الأحكام النبوية ص١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٨ ، ١٩٠ .

(٢) نشره روزنتال محققاً في مجلة المشرق سنة ١٩٥٤م ، ومنه نسخ متعددة في العالم منها : نسخة في استنبول – حكيم أوغلي ضمن مجموعة برقم (٦٩١/٤) من الورقة (١٢٥ /أ إلى ١٢٦ / أ) من عام ٨١٩هـ .

(٣) طبيب ورياضي ومترجم يتقن اليونانية والسريانية ، أسلم وتفقه وخدم الخلفاء العباسيين ، البيهقي : حكماء الإسلام ص١٨ ، ١٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٨٢ ، ٨٣ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٥) طبع بتحقيق فؤاد سيد عام ١٩٥٥م .

(٦) طبيب صيدلاني له عناية بالأعشاب والنباتات والترجمة لعلمائها خدم هشام ابن الحكم أحد خلفاء بني أمية بالأندلس وحضي عنده ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٩٣ ، ٤٩٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٢ ص٨٧ .

النديم [1](٤٣٨هـ/١٠٤٧م) ثم مصنف الطبيب عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع[2] (٤٥١هـ/١٠٥٩م) الذي سماه (مناقب الأطباء)[3] ويأتي بعدها كتاب(تاريخ حكماء الإسلام) [4] لظهير الدين علي بن زيد بن محمد البيهقي (٥٦٥هـ/١١٦٩م) [5] أحد أطباء بلاد المشرق في القرن السادس الهجري .

أما في القرنين السادس والسابع الهجريين فإن بلاد الشام قد تميزت بظهور ثلاثة مصنفات في تاريخ الأطباء وتراجمهم هي أفضل ما صنف من الكتب في هذا الباب والتي سنعرض بدراسة موجزة عن أهميتها وطرق ومنهاج مصنفاتها وهي كالتالي :

أولاً : كتاب : (بستان الأطباء وروضة الألباء) [6] لموفق الدين أسعد بن إلياس ابن المطران [7] يعد هذا الكتاب من الكتب التي أرخت للطب والأطباء وحفظت لتاريخ الطب معلومات ذات قيمة كبيرة في مجال الدراسات الطبية والحضارية ، فهو يحوي الكثير من أقوال وآراء علماء الطب في الأمراض وطرق مداواتها ، والتوجيه لكثير من القضايا الطبية ، وأخبار الأطباء ، يقول ابن أبي أصيبعة عن سبب تأليفه : ((وكان هدف مؤلفه أن يكون جامعاً متضمناً لملح ونوادر

---

(٧) طبع عدة طبعات منها طبعة دار الميسرة ، تحقيق رضا .

(١) هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق من أهل بغداد ، كان معتزلياً متشيعاً ، وكتابه الفهرست من أفضل كتب التراجم ، الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٩ .

(٢) من أهل ميافارقين كانت بينه وبين الطبيب ابن بطلان صداقة وصحبة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢١٤ ، أحمد عيسى بك : معجم الأطباء ص٩٣ ، ٩٤ .

(٣) ذكر فيه أحوال الأطباء ومآثرهم ، صنفه سنة ٤٢٣ ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٢١٤ .

(٤) طبع هذا الكتاب عدة طبعات بهذا الاسم أو باسم آخر (تتمة صوان الحكمة) .

(٥) من أسرة علمية رحل في طلب العلوم الشرعية الحكمية وحاز علوماً عدة ، وترك مصنفات كثيرة ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢١ ص١٢٢ .

(٦) نشر نص الكتاب في طهران سنة ١٣٤٨هـ بتحقيق : مهدي محقق ، جعل له مقدمة مطولة بالفارسية وله تحقيق آخر قام به د. عبد الكريم أبو شويرب ١٤٢٦هـ نشرته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس .

(٧) سوف تأتي له ترجمة وافية في هذا الفصل

وتعريفات سمعها أو جمعها من أمهات كتب الطب » [1] وهو أول مصنفات ابـن المطران في الطب ومن الموارد المهمة التي أخذ منها ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء ، وينقل عنه نقولات كثيرة ، قد لا يشير إلى ذلك أحياناً [2] .

وقد سلك فيه مؤلفه طريقة مشوقة للقارئ ، فهو يذكر الأمراض والأدوية المناسبة لها من خلال الكتب الطبية المشهورة في ذلك ، ثم يذكر اسـم الكتـاب ومؤلفه، ويشير إلى ذلك بعبارة دالة على ذلك كأن يقول إشارة ، أو تعريف ، أو مطلب ، أو تنبيه ، أو نكتة ، أو توقيف ، أو سؤال ، أو جواب ، أو وصية ، أو حكاية ، أو ملحة ، وكلها اقتباسات من مصادر وأمهات كتب الطب ، ولـه آراء خاصة به يناقش فيها بعض آراء الأطباء السابقين له وهو يتنقل في ذلـك مـن كتاب لآخر ، ويربط الأمراض والحديث عنها بعضها ببعض ، وقد يجد المتصفح لهذا الكتاب أن ابن المطران يضيف رأيه في حالات كثيرة نقـداً وتـصحيحاً أو إضافة علمية ضمن تجارب وآراء له يشير إلى ذلك بقوله (لي) ، فـي أمانـة تامة فيما ينقله من كتب الأطباء وإسناد الأقوال إلى أصحابها [3] وقد ساعد ابـن المطران في ذلك أنه كان يملك خزانة كتب نفيسة لم تكن عند غيره من أطبـاء عصره ، فكانت تحوي مئات الكتب الطبية ، وقد قسم كتابه هذا إلـى جـزئين ، الجزء الأول : يتكون من سبعة عشر فصلاً لعل أبرز هذه الفـصول فـصل أدب الطبيب ، وما أورد فيه من معلومات تتعلق بصفات طالـب الطـب ، وتعليمـه النظري والعملي ، وأهمية التجربة والبحث في مجال التعليم الطبي[4] ولـه فـي هذا الجزء ثلاثة فصول في ذكر قصص لأطباء اليونـان والمـشرق والمغـرب والأندلس ، برز فيها إعجابه بعدد من الشخصيات الطبية التي يـذكر آراءهـم ،

---

(1) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(2) حمد رضا الثبيتي : دمشق في عصرها الذهبي ، مجلة المجمع العلمي العربي ١٣٤١هـ جمادي الأولى مجلد ٣ ص٤ .

(3) برهان العابد : مختارات من تاريخ الطب ص٥٢ .

(4) بستان الأطباء ص٢٨ ، ٣٥ .

ويحكي قصصاً من طرقهم في العلاج والمداواة [١] وهناك فصل فـي (تكـوين الجنين) على الرغم من قصره فإن فيه آراء نقدية وحوارات علمية مفـيدة [٢] .

وبالجملة فإنه قد خصص فصول الجزء الأول للأصول الأولى ، والقواعد الأساسية لمتعاطي مهنة الطب .

أما الجزء الثاني : فقد عقد فصوله الستة عشر لأنواع الأمراض حـسب أعضاء الإنسان ، وما يصيبها من مرض ، ثم الأغذية والأدوية المفردة والمركبة والعمل باليد ، في ترتيب منطقي علمي للأسلوب المتبع لديهم في العلاج ، وهي البدء بعلاج المرض بالغذاء ، ثم الدواء المفرد ، ثم المركب ، ثم الجراحة كآخر طرق العلاج المتبعة ، ثم جعل في آخر كتابه فصلاً للمصطلحات الطبيـة التـي أوردها واختلف في معناها عند الأطباء اليونان وغيرهم وما يقابلها في العربية ، في نموذج واضح للدلالة على جهود الأطباء في إيجاد الترجمة الصحيحة للألفاظ اليونانية وغيرها فيما يسمى المصطلح الطبي العربي [٣] .

وقد أفادنا هذا الكتاب بمعلومات قيمة في تصحيح كثير من القـضايا فـي تاريخ الطب كتحديد سنة وفاة بعض الأطبـاء ، أو تـاريخ إنـشاء بيمارسـتان (ميافارقين) [٤] أو ذكر قصص أو كتب لكثير من الأطباء هي الآن فـي عـداد المفقود ، كما أنه يتطرق إلى طرق الفحص والعلاج وذكر الكثير مـن الأدويـة المفردة والمركبة وأسمائها ، يتبين منه ما وصل إليه الطب في عصره ، وتأثير

---

(١) بستان الأطباء ص٣٦ ، ٧٢ .

(٢) نفسه ص١٤٩ ، ١٥٤ .

(٣) هناء فوزي : مناهج الأطباء العرب ص١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

(٤) بستان الأطباء ص٣٩ ، ٤٥ ، قال ابن المطران : ((هذه حكاية زاهد العلماء أبي سعيد بأن مارستان فيما فارقين ، فإن كانت صحيحة فما يقال عن الرازي من أنه كان في جملة من اجتمع على بناء هذا البيمارسـتان العضدي غير صحيح ، وإن كان ذلك صحيحاً فهذه الحكاية مصنوعة غير أني أقول أن لا شبهة أن تكون هذه الحكاية صحيحة لأن أبا سعيد لم يكن رجلاً مجازفاً في القول ولأن الرازي ذكر كثيراً في كتبه مـا رآه مـن ملامح المارستان ، ويذكر الكتاب المؤلف المسمى تجارب البيمارستان ، فهذه دلائل تحقق الحكايـة وتكـذب القائلين بأنه هو الاسم البيمارستان)) بستان الأطباء ص٤٥ ، ٤٦ .

الطب اليوناني والفلسفة على حركة الطب في زمنه ، وهو يذكر أيضاً حالات مرضية غريبة كالمرأة ذات اللحية والرجل بقرن في ظهره ، والكتاب يظهر الارتباط العلمي الوثيق بين الأطباء العرب والمسلمين في العراق والشام ومصر والأندلس ، وتنوع معارفهم وانتقال كتبهم والوقوف على ثقافاتهم ، فهو يظهر إعجابه بالطب الأندلسي ، وخصوصاً طب بني زهر فيقول : ((قد رأيت في كتب هؤلاء القوم من الأشياء الغريبة البديعة والواقعات الطريفة العجيبة والتجارب الجليلة والمعاني المبتكرة الفاضلة والاختبارات الجامعة الضابطة والمداواة السهلة النافعة ما يرغب في احتشادها والانعكاف عليها دون غيرها من كتب المتأخرين ...))[1] وبالجملة فهو يشتمل على معلومات قيمة ونوادر من أخبار الأطباء ، والحقيقة أن هذا الكتاب يحتاج إلى مزيد خدمة من الباحثين في هذا المجال من خلال تحليل كثير من النصوص الواردة فيه والاستفادة منها في إثارة عدد من القضايا المتعلقة بتاريخ الطب وإنجازات الأطباء المسلمين .

ثانياً : كتاب (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (٦٢٤هـ / ١٢٢٦م) .[2] وهو من الكتب المهمة في هذا الميدان يقول مصنفه في مقدمته مبيناً منهجه وسبب تأليفه له : ((... وقد عزمت بتأييد الله على ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء في كل قبيلة وأمة وذكر حديثها إلى زماني وما حفظ عنه من قول انفرد به أو كتاب صنفه أو حكمة عليه مذكورة ونسبت إليه فإني رأيت ذلك من الأمور التي جهلت والتواريخ التي هجرت وفي قوله هذا اعتبار بمن مضى وذكر من خلف ، وهو اعتبار أرجوا به الثواب ... إن شاء الله تعالى وقد قفيته ليسهل تناوله والله الموفق))[3] فهو يشمل تراجمه أغلب الحكماء الذين ذكرتهم المصادر من الأمم السابقة إلى زمانه

---

(١) بستان الأطباء ص٦٨ .

(٢) هو جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني من بلدة قفط من أرض الصعيد بمصر من مشاهير علماء اللغة والنحو والأدب عاش معظم حياته بحلب وله كتب في اللغة والشعر والتراجم ، الأدفوي : الطالع السعيد ص٤٣٦ ، ٢٣٨ ، الكتبي : فوات الوفيات ج٣ ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) القفطي : إخبار العلماء ص٢ .

من اليونان والرومان والفرس والهنود والنصارى واليهود والعرب والمسلمين حتى زمانه مستوعباً ذلك الكم الكبير من العلماء ، يذكر كل ما يتعلق بالعالم وسيرته ورحلاته وأقواله في الحكمة ومصنفاته ، وقد رتب علمائه على حروف المعجم كي يسهل تناوله [1] ولم يصل إلينا من هذا الكتاب إلا مختصره لمحمد بن علي بن الزوزني المسمى (المنتخبات الملتقطات من كتاب تاريخ الحكماء) [2] وقد فقدت منه تراجم كثيرة ، هو أحد مواد ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء ، وكثيراً ما ينقل عنه ولم يرد بعضها في النسخة المطبوعة [3] ومما يوحي بسعة تراجم الكتاب قوله في ترجمة سليمان بن حسان الأندلسي المعروف ابن جلجل (٣٨٤هـ/ ٩٩٤هـ) ((وكان له تطلع على علوم الأوائل وأخبارهم وله تصنيف في تاريخ الحكماء لم يشف فيه عليلاً وكيف وقد أورد من الكثير قليلاً ومع هذا فقد كان حسن الإيراد))[4]

ثالثاً : **كتاب:(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لأبي العباس أحمد بن قاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) وهو أفضل كتاب صنف في طبقات الأطباء على الإطلاق [5]،فهو يترجم لأكثر من أربعمئة طبيب على اختلاف مللهم ومذاهبهم وأجناسهم ينقل معلومات ثرية عن أخبارهم وحياتهم وأشعارهم ورحلاتهم وحكمهم وأقوالهم[6]ومصنفاتهم ودورهم العلمي وتجاربهم الطبية**

---

(١) القفطي : إخبار العلماء ص٢ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ج٢ ص٥٣٦ ، راجع نلينو : علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ص٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٠٥ ، ٤٧١ ، ٤٨٢ ، ٦٥٣ .

(٤) القفطي : إخبار العلماء ص١٣٠ .

(٥) برهان العابد : مختارات من تاريخ الطب ص٥٤ .

(٦) هناك من جاء بعد ابن أبي أصيبعة وصنف في تراجم الأطباء مثل كتاب (روضة الألباء في تاريخ الأطباء) لداود بن ناصر الموصلي (٧٢٦هـ /١٣٢٥م) تقريباً وقد وقفت على نسخة هذا الكتاب فوجدته نسخة مختصرة من كتاب عيون الأنباء ، لم يأتي فيها بجديد ، بل إنه قد أخل بأجزاء كثيرة من الكتاب لأنه لم يحسن طريقة الاختصار التي اتبعها ، ولكن المفيد فيه أنك تجد سنوات وفاة بعض الأطباء التي سقطت من

والعلاجية يقول عن السبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب :((أنه لما قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث أصولها وتطلبها، منذ أول ظهورها إلى وقتنا هذا ،وكان فيهم جماعة من أكابر أهل هذه الصناعة، وأولي النظر فيها والبراعة ،ممن قد تواترت الأخبار بفضلهم ، ونقلت الآثار بعلو قدرهم ونبلهم ، وشهدت لهم بذلك مصنفاتهم ، ودلت عليهم مؤلفاتهم ،ولم أجد لأحد من أربابها ولا من أنعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم على الولاء ،رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ،ومعرفة طبقاتهم على توالي أزمنتهم وأوقاتهم ،وأن أودعه أيضاً نبذاً من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم ،وذكر شيء من أسماء كتبهم ،ليستدل بذلك على ما خصهم ا تعالى به من العلم ،وحباهم به من جودة القريحة والفهم ، فإن كثيراً منهم وإن قدمت أزمانهم وتفاوتت أوقاتهم ،فإن لهم علينا من النعم فيما صنفوه ،والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ووضعوه ،ما هو تفضل المعلم على تلميذه والمحسن إلى من أحسن إليه ..)) [1] .

وقد ابتدأ كتابه بدراسة وافية عن نشأة الطب والخلاف القائم في هذه المسألة بين الأطباء ، ويستدل في عرض هذه القضية بكلام بعض أطباء الشام ممن عاش في القرن السادس كابن المطران وابن النقاش لأهمية ما يذكرانه في هذه المسألة .. ثم تناول بعدها الحديث عن مبدأ ظهور هذه الصناعة ثم طبقات

النسخ المطبوعة من عيون الأنباء مذكورة فيه ، ولم تسلم من الخطأ أيضاً ، وهناك كتاب آخر لم يصل إلينا لمحمد بن إبراهيم بن مساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني عنونه (روضة الألباء في أخبار الأطباء) ويبدوا أن الكتابين هما كتاب واحد ومن المرجح أنه لابن الأكفاني لما عرف عنه من كثرة المختصرات في مؤلفاته وا أعلام ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٢٥ ، ٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٢٧٩ ، ٢٨٠ ، نللينو : علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى المكتبة الثقافية الدينية ص٦٧ ، انظر الدراسة التي قدمها أسامة عانوتي في كتابه ابن أبي أصيبعة تعريف وتقويم دار النفائس الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص٢٣ ، ٢٥ ، قدم ماهر عبد القادر دراسة قيمة عن ابن أبي أصيبعة ومنهجه في عيون الأنباء في كتابه الطب العربي رؤية استمولوجية دار المعرفة الجامعية ١٣٧ ، ١٨٦ .

(١) عيون الأنباء ص٧ ، ٨ .

الأطباء اليونانيين وذكر مشاهيرهم قبل الإسلام ، ثم الأطباء الذين عاشوا في ظل الإسلام إلى زمنه ورتبهم حسب بلدانهم التي مارسـوا فيهـا هـذه المهنـة [(١)] والناظر لموارده في هذا الكتاب يرى غزارة مكتبته وغناها بالكتب فهو ينقل منها حرفياً ، مما يؤكد وجودها بين يديه .

ولعل أميز ما في هذا الكتاب الجزء الذي كتبه في تراجم الأطباء الشاميين ومن الذين عاصرهم في الشام ، ومن رحل إليها من الأقاليم ، وشيوخه الـذين قرأ عليهم في الطب ، فهو يرصد صورة حية عن الحركة العلمية الطبيـة فـي عصره بشكل دقيق جداً ، يبرز منها المقومات الأساسية في تطور الطب ورقيـه في عصره كأماكن العلاج ، البيمارستانات مثلاً أو الدكاكين أو الأماكن المخصصة لتعليم الطب نظرياً وعملياً والأساليب المتنوعة في تعليم الطب ومناهجه وطـرق الأطباء في علاج المرضى وما كان يشاهده من ذلك بنفسه [(٢)] كما ظهرت فيـه عناية ابن أبي أصيبعة بأثر الوضع السياسي من خلال علاقة الأطباء بالسلاطين وارتباطهم بهم ، وأثر تلك العلاقة على تطور مهنة الطب وتسنم الأطباء المكانة المرموقة لديهم [(٣)] أضف إلى ذلك أنه من خلال تلك التراجم قد كشف عن جوانب مهمة وغامضة في حياة الحكام والسلاطين الفكرية والاجتماعية مما لم يذكر في أكثر كتب المؤرخين للحروب الصليبية [(٤)] .

---

(١) أمين أسعد خير ا : الطب العربي مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به المطبعـة الأميركانية بيروت ١٩٤٦م ص٣٨ .

(٢) يعد كتاب عيون الأنباء أهم مصدر اعتمد عليه البحث في إثراء مادته العلمية لما فيه من معلومات غزيرة وثرية .

(٣) عيون الأنباء ص٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣٥ ، ٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٥٢ ، ٦٦٠ .

(٤) نفسه ص٦٣٥ ، ٦٤٦ ، ٦٥٢ ، ٦٦١ ، ٦٦٣ ، ٦٧٠ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٧٣١ ، ٧٠٥ ، ٧٥٩ .

سابعاً : الاتجاه النقدي عند أطباء الشام :.

يمكن أن نبرز الاتجاه النقدي عند أطباء الشام من خلال الإلماح إلى أساليب وطرائق التأليف عندهم ، وذلك من اتجاهين هما :.

الاتجاه الأول : تقديم الشروح والتعاليق والحواشي على كتب القدماء ، فهذه الأساليب في التأليف هي الأكثر شيوعاً عند أطباء الشام ، فمفهوم الشرح عندهم لا يعني مجرد إعادة القديم وإنما مراجعة وتنقيح المسائل وتصحيح الأغلاط ونقد المحتوى [1] ويبدو أن الدافع لهذا الأسلوب هو صعوبة الكتب المشروحة ، فيكون الشرح تسهيلاً وتقريباً للمعنى ، أو أنه جاء في أصله مختصراً فيقوم الشارح ببسط القول فيه ، وقد يكون الإعجاب بهذه الكتب ومؤلفيها دافعاً قوياً لانتهاج هذا الأسلوب في التأليف ، ولهذا نلاحظ أن أكثر الشروح عند أطباء الشام تتركز على كتب أبقراط (تقدمة المعرفة)[2] و(الفصول)[3] وكتاب جالينوس (الأعراض)[4] وكتاب (القانون في حد الطب)[5] لابن سيناء وكتاب (المسائل)[6] لحنين ابن إسحاق .

فمن أشهر هذه الشروح (شرح تقدمة المعرفة) لبعد الرحيم بن علي الدخوار [7]وشرح آخر لهذا الكتاب للطبيب عبد اللطيف البغدادي يقول في مقدمته: ((إن كل واضع كتاب علمي على جهته المعدلة ... فقصده تسهيله على المتعلم بثلاثة أوجه)) .

الأول : أن يجتنب اللفظ الوحشي والملبس والمغلظ ، ويجتهد أن يصور المعنى في نفس المتعلم بغاية الامكان .

---

(١) هناء فوزي : مناهج الأطباء العرب ص١٥٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٧ ، ٦٨٨ ، ٧١٩ ، ٧٦١ ، ٧٦٨ .

(٣) نفسه ٦٣٧ ، ٧١٩ ، ٧٦١ .

(٤) نفسه ص٦٦٣ .

(٥) نفسه ص٧١٤ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ .

(٦) نفسه ص٦٦٢ ، ٦٦٣ .

(٧) أصدره مركز البحوث القومي والمخطوطات بتحقيق ماهر عبد القادر ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م عن دار المعرفة الجامعية من الشروح المهمة التي وصلت إلينا .

والثاني : أن يثبت الرأي بالحجج الممكنة والأدلة الواضحة .

والثالث : أن يرتب الموضوع ترتيباً يسهل حفظه ولا يصعب ضبطه [(١)] .

ففي الكلام السابق يحدد البغدادي طريقته العلمية في الشرح ، من حيث تقريب المعاني وتسهيلها واعتماد الأدلة الواضحة ، والترتيب والتبويب ليصل المعنى إلى المتعلم بأيسر طريق .

أما التعاليق والحواشي فالباعث على هذا النوع من التأليف هو الاستدراك على المؤلف وملاحظة ما فاته فيه ، بأسلوب نقدي - لما ورد في الكتاب - أو تفسيري لما في الكتاب من المصطلحات والمسائل العلمية [(٢)] وغالباً ما تكون التعاليق خارج أصل الكتاب في جوانب الصفحات ، أو من زيادات المصنف أو القراء أو النساخ وهي كثيراً ما تكون غير معزّوه .

بقي أن نشير إلى أسلوب الاختصار في التأليف ، فابن المطران يحدد الأسلوب الأمثل لطريقة اختصار الكتب فيقول : ((يحتاج المختصر أن يكون فاعلاً ثلاثة أشياء ، يكون مستنبطاً لصفة ما هو واصف ، متماً مستوفياً لمعانيه ، موجزاً اللفظ في إيجاز الجمع لإيجاز الحذف)) [(٣)] .

وتختلف طريقة التبويب والتنظيم من طبيب لآخر حسب منهجية كل طبيب وطريقته في التأليف ، فالبعض يقسم كتابه إلى أنماط والنمط يقسم إلى جمل والجملة تنقسم إلى أبواب والباب ينقسم إلى فصول [(٤)] وآخر يقسمه إلى جمل والجملة إلى فصول [(٥)] ونوع ثالث يقسم كتابه إلى مقالات والمقالة إلى أبواب وهكذا [(٦)] .

---

(١) البغدادي : شرح تقدمة المعرفة ص٢ ، ٣ .

(٢) ابن البيطار : تفسير كتاب ديا سقريودس ص٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) بستان الأطباء ص٣٠ .

(٤) ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ص٥٠٧ ، ٥١٥ .

(٥) أبو المحاسن الحلبي : الكافي في الكحل ص٧٧٣ .

(٦) صلاح الدين الحموي : نور العيون ص٩ ، ١٠ ، ١١ .

الاتجاه ثانياً : الاتجاه النقدي ولاستدراك على آراء السابقين وتصحيح أقوالهم وبيان ما وقعوا فيه من الأخطاء وتصحيحها ، مما أظهر تفوقهم العلمي وثمرة المنهج التجريبي الذي طبقه الأطباء المسلمون .

وقد سبق الحديث في الفصل الثالث عن العناية التي لقيتها كتب الأطباء اليونانيين [1] وحرص أطباء الشام عليها والعناية بها ، وبالرغم من هذه العناية إلا أنهم أخضعوها للمراجعة والنقد والنظر في الآراء التي ذكروها ، مما يعطي دلالات واضحة على نضج المنهج النقدي عند أطباء الشام ، وعدم أخذ كلام الأطباء السابقين على أنه من المسلمات [2] .

ولعل هذا الموضوع قد تناوله عدد من الباحثين المعاصرين بالدراسة وبصورة أكثر توسعاً [3] إلا أن غايتنا هو تقرير هذا المنهج وإظهاره ضمن مناهج الأطباء في هذا المجال ، وسوف نذكر بعض النماذج التي تفصح عن هذا الاتجاه وتبين هذا المنهج من خلال ذكر الآراء الطبية النقدية التي عارض بها أطباء الشام أو نقضو بها كلام من سبقهم من الأطباء .

أولاً : ابن المطران وآراؤه النقدية :.

كان ابن المطران طبيباً بارعاً طاف البلاد لطلب الطب [4] ووقف على عدد كبير من المصنفات التي كانت تحتوي عليها مكتبته بدمشق [5] وقد ظهر منهجه النقدي في شخصيته الطبية التي تميز بها وذلك من خلال ممارساته العملية [6]

---

(١) انظر الرسالة ص٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٢) كعدان : علاج الكسور عند العرب ص٩ .

(٣) منهم علي سامي النشار في كتابه (مناهج البحث عند مفكري الإسلام) دار المعارف ١٩٦٦م ، وجلال محمد عبد الحميد موسى (منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية) دار الكتاب اللبناني ١٩٨٨م ، وهناء فوزي عامر (مناهج الأطباء العرب) دار سعاد الصباح ١٩٩٣م ، غازي حسين عناية (مناهج البحث العلمي في الإسلام) دار الجيل بيروت ١٩٩٠م .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٨١ / ٥٩٠) ص٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٤١١ ، عيون الأنباء ص٦٥٥ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٤ ، ٦٥٦ .

كما أنه سجل العديد من الآراء النقدية في كتابه (بستان الأطباء) التي يتبين من خلالها اتجاهه النقدي ، وأسلوبه المتأدب في نقد الآراء والاستدراك عليها واعتماد النقد الموضوعي الذي يتجه إلى نقد الرأي دون النظر إلى قائله ، وإليك بعض النصوص في ذلك . يقول : ((من كلام حنين في الاعتذار عن جالينوس قال أنا قائل لكم معشر القراء لكتابي هذا متى قد رأيتم في كتب الحكماء قال جالينوس أو أفلاطون [(١)] أو أرسطو أو غيرهم فلما وجدتموهم قد راموا بيان أمر ببرهان من الأشياء الداخلة في باب دينهم وما يعتقدونه فلا يلتفتون إليه ، فإنهم يقولونه ليستحسنونه عنه الناس ولأنه رأي قد اعتقد منذ زمن طويل)) [(٢)] فابن المطران يقول أن الحكماء كانوا ينقلون كلام جالينوس وأفلاطون وأرسطو دون إمعان النظر في أقوالهم مما لهم عليه برهان أو لا ، وإنما كان نقلهم منهم لأن الناس استحسنوه ولأنه رأي قد اشتهر منذ زمن طويل[(٣)]

وبرغم إعجاب ابن المطران بطب ابن زهر [(٤)]الأندلسي [(٥)] إلا أنه وجه بعض النقد لآراءه الطبية يقول ابن زهر :((يجب لأخذ الترياق أو الزمرد أن لا تأخذ عليه غذاء مأكولاً و إلا مشروباً حتى تمر عليه سبع ساعات إلى ما حول ذلك))[(٦)] يقول ابن المطران : ((وهذا الرجل على جلالة قدره وكبر شأنه قد ذكر الزمرد بأنه يقوم مقام الترياق الفاروق في تذاكره ، ولم يكن لنا نحن تجربة ، وما يكون قوله هذا من غير خبرة وعناية شديدة ، الأول تجربته ، أما قوله مستعمل الترياق لا يقرب غذاء مأكولاً ولا مشروباً حتى تمر عليه سبع ساعات

---

(١) أحد كبار الفلاسفة والحكماء اليونان وأقدمهم وأكثرهم شهرة ، القفطي : إخبار العلماء ص١٣ ، ٢٠ .

(٢) بستان الأطباء ص٣٩ .

(٣) نفسه ص٣٩ .

(٤) عبد الملك بن زهر بن عبد الملك الأشبيلي (٥٥٧هـ / ١١٦١م) من أمهر الأطباء الأندلسيين عرفت أسرته بالطب والحكمة ، من أشهر مصنفاته كتاب (التيسير في المداواة والتدبير) ، ابن أبي أصيبعة : عيون النباء ص٥١٩ ، ٥٢١ .

(٥) بستان الأطباء ص٦٨ .

(٦) نفسه ص٦٤ .

فإنما يعني أنه إذا كان اختار التبريد ، أما الملسوع والمضطر فلا حاجة للتأخير ، بل كلما قدمت استعماله باعدت صاحبه عن الخطر)) [1] .

وأمامنا نص نقدي طويل استدرك فيه ابن المطران على ما نقلـه بعـض أطباء عصره وما جرى بينهم من نزاع حول (قضية النطفة وتخلـق الجنـين) وذهاب كل فريق إلى رأي تعصب له ونصره ، فهو يفند هذين المذهبين ويحـرر ما يراه صواباً في هذه المسألة ، يقول : منوهاً بذلك ((وكان الفاضل الذي جرت المذاكرة معه يميل إلى تصحيح الرأي وينصره وأن المذهبين يفتقران إلى تحرير وتقرير والاشتغال بتصحيح أحدهما وإبطـال الآخـر قبـل شـرح الحـال فيـه قصور..))[2] .

ثانياً : عبد اللطيف البغدادي وآراؤه النقدية :.

ينقد عبد اللطيف البغدادي ما ذهب إليه جالينوس في تركيب العظام وهـو يمهد بنقده إلى أنه اعتمد على مشاهداته لتل من الجثث ، واستناداً إلى ذلك بـدأ في تحرير كلام جالينوس وتصحيح معلوماته [3] قائلاً ((ومن العجيب ما شاهدنا أن جماعة ممن ينتابني في الطب وصلوا إلى كتاب التشريح فكان يفسر أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان .. فرأينا تلاً من رمم له مـسافة طويلـة ... فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها فأفادنا علماً لا نستفيده من الكتب – إما أنّها سكتت عنها أو لا يفي لفظها بالدلالة عليه أو يكون ما شاهدناه مخالفاً لما قيل فيها والحس أقوى دليلاً مـن الـسمع فـإن جالينوس وإن كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيـه فإن الحس أصدق منه . ثم بعد ذلك يتخيل لقاوه مخرجاً إن أمكن ، فمـن ذلـك عظم الفك الأسفل فإن الكل أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عند الحنـك ،

---

(1) بستان الأطباء ص٦٤ .

(2) بستان الأطباء ص١٤٩ ، ١٥٠ ، انظر النص بطوله ملحق رقم (   ) .

(3) كلمة ساقطة (استعنا) .

وقولنا الكل نعني به هاهنا جالينوس وحده فإنه هو الذي باشر التشريح بنفـسه وجعله دأبه ونصب عينه ، وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج إلى لسان العرب والذي شاهدنا من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز أصلاً واعتبرناه ما شاء ا من المرات في أشخاص كثيـرة تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده إلا عظماً واحداً من كل وجه ، ثم أننا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ما شاهدناه منه وحكيناه ولأن مكنتنا المقادير بالمساعدة وضعنا مقالـة فـي ذلـك يحكي فيها ما شاهدناه وما علمناه من كتب جالينوس ثم إني اعتبرت هذا العظم بمدافن بوصبير القديمة فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفـصل ولا درز ومـن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة إذا تقادم عليها الزمان أن تظهر وتتفـرق وهذا الفك الأسفل لا يوجد في جميع أحواله إلا قطعة واحدة وأمـا العجـز مـع العجب ذكر جالينوس أنه مؤلف من ستة أعظـم ووجدتـه أنـا عظمـاً واحـداً واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظماً واحداً ثم إني اعتبرته فـي جثـة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته في سائر الجثث على ما قال إلا في جثتين فقط فإني وجدته فيهما عظماً واحداً وهو في الجميع موثق المفاصل ولست واثقاً بذلك كما أنا واثق باتخاذ عظم الفك الأسفل)) [(١)] .

وليس هذا النص هو الوحيد الذي يكشف عن المنهجيـة النقديـة عنـد البغدادي بل أن هناك شروح كثيرة واختصارات على كتب أبقـراط وجـالينوس وابن سيناء والرازي وغيرهم يظهر من مسمياتها هذا الجانب النقدي عنده منها كتاب (الرد على خطيب الري في شرحه بعض كليات القانون) و(مقالـة يـرد

---

(١) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانة بأرض مصر ص١٠٣ ، ١٠٤ ، نستفيد من هذا النص إشارات مهمة ومفيدة في الحركة العلمية منها .

أولاً : وجود معظم كتب جالينوس الطبية بين أيدي الأطباء بالشام ومصر خلال فترة البحث .

ثانياً : بقاء بعض كتب جالينوس إلى القرن السابع الهجري لم تترجم إلى العربية حسب قول البغدادي وعلمه .

ثالثاً : منهجيته في مشاهداته وحرصه على تكرار ذلك وتأكيده بمشاهدات غيره لها .

رابعاً : إخباره بتخصص لهذه المسألة يدل على أهميتها وقوله هذا يعد سبقاً علمياً له لم يكن عند غيره .

فيها على كتاب علي بن رضوان المصري في اختلاف جالينوس وأرسطو طاليس) وكتاب (حل شكوك الرازي على كتب جالينوس) [1] .

ثالثاً : ابن البيطار ومنهجه النقدي :

يمكن أن نكشف عن منهج ابن البيطار النقدي من خلال كتـاب (الإبانـة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) [2] فهو معجم في الأدوية المفردة نقد به كتاب (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) [3] لأبي علـي يحيـى بـن عيسى ابن جزلة البغدادي (٤٩٣هـ / ١١٠٠م) وقد استل من هـذا الكتـاب المسائل التي تثير النقاش والنقد وقام بترتيبها على الترتيب المعجمي ، فوصـل عدد هذه المسائل إلى مئة وإحدى وثلاثون مسألة جعلها على ثلاثة أنواع النوع الأول : في التسميات والتحريف في المصطلحات ووضعها في غير موضعها من الكتاب والخلط بين مصطلحين أو أكثر بسبب الاشتراك في التـسمية ، والنـوع الثاني : في التحليلات ، وذلك بوصف دواء بما ليس له من الصفات ، والنـوع الثالث : في المنافع وذلك بإعطاء دواء مّا ما ليس له من المنافع العلاجية [4] .

وتبدو طريقته في نقد ابن جزلة واضحة المعالم ، فهو يبدأ بـذكر القـول الذي غلط فيه ابن جزلة ، ثم يردف بعدها برأيه في المسألة والقـول الـصحيح فيها ، وهذا الأسلوب من النقد قائم عنده على مـا ينقلـه مـن كتـب الأطبـاء والصيادلة أو ما ظهر له من خلال التجربة والملاحظة والدراسات التي قام بهـا على أنواع شتى من النباتات الشامية وغيرها [5] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٥ ، وصل إلينا منها كتاب شرح تقدمة المعرفة لأبقراط مطبـوع وكتاب شرح مسائل حنين بن إسحاق ببرلين برقم (٨٨١) .

(٢) قدم إبراهيم مراد دراسة وافية عن هذا الكتاب ومنهج ابن البيطار في نقده انظر بحوث في تاريخ الطـب والصيدلة عند العرب ص٤٦٥ ، ٥٨٦ ، منه نسخة بمعهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم ٧٨ طب مصورة عن مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ٣١ طب .

(٣) منه نسخة مصورة بمركز البحث وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى تحت رقم ١٢٩ طب .

(٤) إبراهيم مراد : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة ص٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٥) نفسه ص٤٨٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

وهذا الكتاب من أجل كتب ابن البيطار وقد قدمه في مجالس تعليمية لطلابه وأشار في أخره إلى أنه أملاه بدمشق .

كما تتبع بالنقد في كتابه الجامع بعض أقوال الرازي فهو يقول : ((اعلم أن الرازي قال في الحاوي : أن من الإذخر نوع أجامي وعزاه إلى الفاضل جالينوس، وتقوّل عليه ما لم يقله قط جالينوس وتابعه في ذلك جماعة من الأطباء كالشيخ الرئيس ، وصاحب المنهاج ، وصاحب الإقناع وغيرهم من المصنفين ، وغلط فيه بغلطة بينة ..)) [1] .

وقد أشار ابن البيطار إلى هذا المنهج النقدي في كتابه الجامع وأنه قد فصّل القول في مصنفه (الإبانة والإعلام) حيث يقول : ((قد تكلمت على هذا الموضع وأشباهه من الأغاليط في الأدوية المفردة في كتاب وضعته وسميته بالإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام)) [2]

رابعاً : ابن اللبودي يحيى بن عبد الله ، ومنهجه النقدي :.

برز الاتجاه النقدي لدى بن اللبودي من خلال كتابه (تحقيق المباحث الطبية في تدقيق المسائل الخلافية) وهذا الكتاب يمثل أفضل نموذج للمنهج النقدي عند أطباء الشام في أسلوبه وطريقته ومنهجيته النقدية ، وهو يكشف عن قدرة ونضج العقلية النقدية لدى الأطباء المسلمين وانتهاجها الدقة والموضوعية ، وجعل مناط التحاكم في طرح المسائل الخلافية إلى الدليل العلمي الذي ينص على الآراء وينقضها ويذكر الأقوال ويثبت صدقها وصحتها وموافقتها ، بالدليل النظري ، أو التجربة والملاحظة ، وهو يذكر في مقدمته انفراده وانحيازه بآراءه النقدية عن معاصريه وأقرانه من الأطباء وقد نص على ذلك فقال : ((ورأيت أن بعض المصنفات مطولاً مملاً ، والبعض مختصراً مخلاً ، ومع ذلك فلا يستدل به على زيادة تحصيل مصنفه وبيان تحقيقه في البحث ، لأن

---

(١) الجامع لمفردات الأدوية ج١ ص٢٢ ، تابع كلامه لاستكمال سبب وقوعهم في ذلك ص١٢ .

(٢) الجامع لمفردات الأدوية ج١ ص٢٢ .

أكثرها نقل من غير تعليل ، ما نجزت عن إتباع جماعة الأصحاب إلى الإنفـراد بالإتيان بالأمر العجاب الذي منحني ا سبحانه وتعالى به ولـم يـشاركني فـي تصنيفه أحد ممن تقدمني)) [١] **.**

وقد سلك في أسلوبه النقدي طريقة الفقهاء [٢] **في النقد وتتبـع الأقـوال وتحرير المسائل يقول في مقدمته : ((... وهو أني جمعت من المـسائل التـي اختلف فيها كبار الأطباء وأفاضل الحكماء مثل أبقراط ، وجالينوس من المتقدمين والرازي ، والرئيس من المتأخرين ، وتكلمت في المسألة على كل واحـد مـن الطرفين وترجيح ما أمكن ترجيحه منهما ، وسلوك الحق بذلك من غير هـوى ، وذلك على المناهج الخلافية والقوانين المرعية في المباحـث الحكميـة وهـذه المسائل وإن كانت مدونة الصور في كتب الطب مع ذكر بعض التعليـل ، إلا أن غالب تعليلها لم يذكر ، والمختار من الطرفين فيها لم يحرر ، فصرفت قسطاً من زماني إلى الفكر فيها واستنساخ دقائق معانيها حتى جائت بأحسن تقرير وترتيب وبألطف ترتيب وتحرير ...))** [٣] **.**

وتناول الكتاب دراسة خمسين مـسألة خلافيـة [٤] **حررهـا ورد علـى أصحابها وذكر الأدلة في الرد على منتحليها وما يرجحه في كل مسألة** [٥] **وهذه نماذج لبيان طريقته وأسلوبه في عرض المسائل ونقدها :**

المسألة الأولى **: (في بيان أن الصحة غير مندرجة تحت الحال والملكة خلافاً لما قاله ابن سينا ، والدليل في المسألة من وجوه ...)** [٦]

---

(١) تحقيق المباحث الطبية ورقة رقم (٣ ، ب) .

(٢) وقد أشار إلى هذا الملمح في منهجية الكتاب ، ابن أبي أصيبعة : ذكره ضمن مصنفاته بهذا العنوان (تحقيق المباحث الطبية في تدقيق المسائل الخلافية ، على طريق مسائل خلاف الفقهاء) وهي إشارة إلـى أن مصنفه قد أخذ بطريقة الفقهاء في عرض المسائل ومناقشتها والرد عليها وذكر الراجح منها ، عيون الأنبـاء ص٦٦٨ .

(٣) تحقيق المباحث الطبية ورقة رقم (٣) (أ - ب).

(٤) نفسه ورقة رقم (٤) (أ – ب) ،(٥) (أ – ب) ،(٦) (أ – ب) ، (٧) (أ)

(٥) نفسه ورقة رقم (٧) (أ – ب) ، (٨) (أ – ب) ، (٩) (أ – ب) .

(٦) نفسه ورقة رقم (٧) (أ – ب) ، (٨) (أ – ب) ، (٩) (أ – ب) .

المسألة الثالثة عشرة : **(أن خط الاستواء ليس بمعتدل خلافاً للشيخ أبي علي بن سينا ، ودليلنا في المسألة من وجهين ...)** [(١)] **.**

المسألة الرابعة عشرة : **(أن المني أحر من الدم خلافاً للرازي)** [(٢)] **.**

المسألة السادسة عشرة : **(الكبد أرطب من الرئة في الرطوبة الغريزية خلافاً لجالينوس ...)** [(٣)] **.**

المسألة التاسعة والعشرون : **(أول عضو يتخلق القلب خلافاً لأبقراط)** [(٤)] **.**

المسألة الحادية والثلاثون : **العضو الرئيس على الإطلاق القلب خلافاً لجالينوسودليلنا من وجهين ..)** [(٥)] **.**

المسألة الخامسة والثلاثون : **(وقد يكون الشيء من الحركات لا بالكيف خلافاً لفاضل المتأخرين أبي علي بن سينا رحمة ا عليه فإنه قال في كتاب القانون ..)** [(٦)] **.**

المسألة الثامنة والثلاثون : **(ليس للبدن قوة خادمة زايدة على القوى الأربع الخادمة التي هي الجاذبة الماسكة والهاضمة الدافعة خلافاً لابن رشد)** [(٧)] **.**

لقد برهن هذا الكتاب على مكانة ابن اللبودي العلمية وقدرته النقدية ، وهو يصرح في خاتمته بعدم استيفائه لكل المسائل الخلافية التي أراد ذكرها ولو أمد ا له في العمر فسيصنف كتاباً آخر يستوفي فيه بقية المسائل الخلافية سالكاً الطريقة نفسها في كتابه هذا [(٨)]

---

(١) تحقيق المباحث الطبية ورقة رقم (٢٥) (أ – ب) ، (٢٦) (أ – ب) ، (٢٧) (أ – ب) ، (٢٨) (أ – ب) .

(٢) نفسه ورقة رقم (٢٨) (ب) ، (٢٩) (أ) .

(٣) نفسه ورقة رقم (٣٠) (أ) .

(٤) نفسه ورقة رقم (٥٩) (أ – ب) ، (٦٠) (أ – ب) ، (٦١) (أ – ب) .

(٥) نفسه ورقة رقم (٦٢) (أ – ب) ، (٦٣) (أ – ب) ، (٦٤) (أ – ب) ، (٦٥) (أ) .

(٦) نفسه ورقة رقم (٦٩) (أ – ب) ، (٧٠) (أ) .

(٧) نفسه ورقة رقم (٧٥) (ب) ، (٧٦) (أ – ب) ، (٧٧) (أ – ب) .

(٨) نفسه ورقة رقم (٩٩) (ب) .

خامساً : ابن النفيس وآراؤه النقدية :

يعد الاتجاه النقدي سمة بارزة في شخصية ابن النفيس الطبية وهذه النزعة النقدية تعد ركيزة أساسية للمنهج العلمي عند المسلمين [1] ، فقد نظر لآراء السابقين بعين النقد ، فلم يقبل أقوالهم [2] دون نظر وتمحيص بل كان يعتمد أساساً على منهج البحث والاستدلال والتجربة والملاحظة فهو يحدد منهجه هذا في أول كتابه شرح تشريح القانون بقوله : ((أما منافع كل واحد من الأعضاء ، فإنا نعتمد في تعرفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم ، ولا علينا وافق ذلك رأي من تقدمنا أو خالفه)) [3] .

يقول في إثبات منافع الأعضاء : ((قد منع قوم من الأولين منافع الأعضاء، وقالوا إنها لم تخلق لمنفعة بعينها وأنها هي وغيرها إنما وجدت بالاتفاق ... فإذا اتفق منها أجزاء اجتمعت فصارت مثلاً أرضاً أو سماء أو فرساً ونحو ذلك فإن صلح ذلك للبقاء بقي ، فإن صلح مع ذلك للنسل نسل ، واستمر نوعه بالتوالد وما لم يصلح لذلك فني وفسد . ولا امتناع عند هؤلاء في أن يوجد ما نصفه إنسان ونصفه سمكة أو بغل نحو ذلك ... والحق أن هذا باطل)) [4] .

وقد اتخذ ابن النفيس موقفاً نقدياً صارماً من جالينوس فهو ينتقده في مسألة تشريح الأسنان فيقول : ((وقد شنع جالينوس على من يجعلها عظاماً وجعلهم سوفسطائية واستدل هو على أنها عظام بما هو عين السفسطة ،وذلك لأنه قال : ما هذا معناه : ((إنها لو لم تكن عظاماً لكانت عروقاً أو شرايين أو لحماً أو عصباً ونحو ذلك ، ومعلوم أنها ليست كذلك وهذا غير لازم ، فإن القائلين بأنها ليست بعظام يجعلونها من الأعضاء المؤلفة لا من هذه المفردة

---

(١) شحاده عبد الكريم : ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي ، العدد الثاني ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص٣٨٥ .

(٢) رسالة الأعضاء ص٥٣ .

(٣) ابن النفيس : شرح تشريح القانون ، تحقيق سليمان خطايه الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ص٥٣ .

(٤) نفسه ص٢٥ .

ويستدلون على تركيبها بما يشاهد فيها من الشظايا ، وتلك رباطيةً وعـصبية ، قالوا : هذا يوجد في أسنان الحيوانات الكبار ظاهراً)) [1] .

ويعلل بعض الباحثين السبب الذي جعل ابن النفيس وغيره يوجهون نقدهم إلى جالينوس دون أبقراط ، هو أن مؤلفات جالينوس تـشتمل علـى التعلـيلات العلمية أكثر من كتب أبقراط التي اعتمدت على الإيجاز والإجمال [2] .

وهو يعارض أيضاً بعض النظريات التي نقلها ابن سيناء في التـشريح ، ومن ذلك معارضته لقول ابن سيناء في أن للقلب ثلاثة بطون [3] ويعلـق علـى ذلك بقوله : ((هذا كلام لا يصح ، فإن القلب فيه بطنان فقط أحدهما مملوء بالدم ، وهو الأيمن ، والآخر مملوء بالروح وهو الأيـسر ، ولا منفـذ بـين هـذين المنفذين البتة و إلا كان الدم ينتقل إلى موضع الروح فيفسد جوهرها والتشريح يكذب ما قالوه..)) [4]

ويتابع ابن النفيس كلامه في معارضة ابن سيناء وما ترتب علـى قولـه السابق من أخطاء رد عليها وبين خطأه فيها بل هو يقول أحياناً رداً على بعض أقوال ابن سيناء : ((وهذا عندنا من الخرافات)) [5] .

كما ظهر الاتجاه النقدي عند ابن النفيس من خلال ما طرحه من نظريات علمية في كتابه (المهذب في الكحل المجرب) وطرحه لنظرية الإبصار وعرضه لمذاهب العلماء فيها ، فهو يعرض لآراء العلماء السابقين في كيفيـة الإبـصار فأفرد فصلاً لذلك بعنوان (مذاهب العلماء في الرؤية) . يقول : وللفلاسفة في إدراك المبصرات رأيان : أحدهما : رأي الرياضيين وأكثر الأطباء وهـو : أنـه يكون بشعاع يخرج من العين ويلاقي المبصر .

---

(١) ابن النفيس : شرح تشريح القانون ص٩٣ .

(٢) هناء فوزي : مناهج الأطباء العرب ص١٦٠ .

(٣) ابن النفيس : شرح تشريح القانون ص٣٨٨ .

(٤) نفسه ص٣٨٨ .

(٥) نفسه ص٣٨٩ .

وثانيها :رأي أكثر الطبيعيين : وهو أنه يكون بوصول شبح المرئي إلى العين ..[1]

ثم إنه يفرد فصلاً آخر لحجج القائلين بهذه الآراء [2] ويقوم بتوجيه النقد لهذه الآراء في فصل آخر مستقل بعنوان ((إبطال آراء المخالفين ودحض حججهم ونصرة الحق الذي هو مذهبنا واعتمادنا عليه)) [3] فمن أقواله في ذلك : ((أما حجة أصحاب الشعاع فبطلانها ظاهر من وجوه أما الأولى : فإن رؤية البعيد إنما تتم بزيادة تحديق يلطف الروح ، لا لطول مسافة سفره وأما الثانية : فإن المسوس البصري يجوز أن لا تشترط فيه الملاقاة ... أما بطلان قول من قال أن الرؤية تتم بوقوع شبح المرئي على الرطوبة الجليدية [4] أو على سطح الطبقة العنكبوتية فذلك لأن الرطوبة الجليدية والطبقة العنكبوتية مستويين بالجسم الأسود الذي نشاهده في الحدقة وذلك الجسم مانع من وصول الشبح إلى هاتين ...)) [5] ثم عقد فصلاً رابعاً لشرح نظريته وتحقيق وتثبيت مذهبه في مسألة الإبصار ومفصّل القول فيها ثم هو يعرض في فصلين آخرين ما قد يرد من شكوك وشبه حول مذهبه في هذه المسألة وحل تلك الشكوك والشبه والرد عليها ، وبيان ما يراه صواباً في المسألة حسب الذي تبناه [6] والذي نلاحظه هناك أنه لم يأت على ذكر أسماء القائلين بهذه الآراء وكتبهم وهل هي آراء الأطباء اليونانيين أو العرب والمسلمين .

---

(١) ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ص٦٨ .

(٢) نفسه ص٨٨ .

(٣) نفسه ص٩١ .

(٤) انظر معناها تفصيلاً ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج١ ص٦٨٩ ، ٦٩٠، ٦٩١

(٥) ابن النفيس : المهذب في الكحل المجرب ص٩٢ ، ٩٣ .

(٦) نفسه ص٩٦ ، ٩٧ .

ومع هذا الملمح النقدي القوي إلا أن الناظر يجده ينـتهج الموضـوعية وحسن الأدب في الرد على المخالفين ، فهو حين يخطئ رأياً أو يثبت بطلانـه ، يعقب بعبارات مثل والأرجح أنه من عمل النساخ أو يقول : وهي أشياء يـسيرة ظننا أنها من أغاليط النساخ [1] .

ولم يكن هذا الاتجاه النقدي قاصراً على النماذج السابقة ، بل هناك مـن أطباء الشام من له مصنفات ذات اتجاه نقدي يظهر من عناوينها الفكرة النقديـة إلا أن أكثرها لم يصل إلينا أو لم يكتب لنا الإطلاع عليها ، وهي في عداد الكتـب المفقودة فمن هذه الكتب كتاب (الرد على شرح ابن صادق لمـسائل حنـين) ، وكتاب (ما يقع في الأدوية المفردة من التصحيف) [2] وأيضاً مقالة (يرد فيهـا على رسالة أبي الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفـة في تناولها) [3] لعبد الرحيم بن علي الدخوار (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) ، وكتاب (هتـك الأسـتار فـي تمويـه الـدخوار) لأحمـد بـن أسـعد ابـن العالمـة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) وهو تعاليق وتجارب[4] يتبين من عنوانه أنـه يـرد علـى شيخه الدخوار بعض آراءه وتجاربه ، وكتاب (إيضاح الرأي السخيف من كـلام الموفق عبد اللطيف) ليحيى بن محمد بن عبدان بن عبـد الواحـد اللبـودي (٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)[5] وكتاب (حل شكوك نجـم الـدين بـن المنفـاخ علـى الكليات)[6] وكتاب (الرد على التاج للغاوي في الأدوية المفردة) لرشـيد الـدين الصوري (٦٣٩هـ / ١٢٣١م) [7]

---

(١) ابن النفيس : رسالة الأعضاء ص٥٣ .

(٢) منه نسخة في استنبول حكيم أوغلي تحت رقم (٥٧٤) وقد بذل الباحث جهداً كبيراً للحصول عليها مـن خلال مركز الملك فيصل وبالمراسلات الشخصية ولكن دون جدوى .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ .

(٤) نفسه ص٧٥٨ .

(٥) نفسه ص٦٦٨ .

(٦) نفسه ص٧٦٧ .

(٧) نفسه ص٧٠٣ .

المبحث الثاني

دراسة لمشاهير الأطباء في بلاد الشام خلال فترة البحث

إن من أقوى الأدلة على ازدهار الحركة العلمية الطبية وتفوقها في هذه الفترة ذلك العدد الكبير من الأطباء الذين عاشوا في بلاد الشام وأسهموا في نمو الحركة العلمية وتطورها .

ومن خلال ما استطعت جمعه فإن أكثر من مئة وعشرين طبيباً عاش في بلاد الشام إبان فترة البحث ، وشارك أغلبهم في الحركة العلمية الطبية ، ومارسوا هذه المهنة الشريفة ، وقاموا بعلاج المرضى وتدريس الطلاب وتصنيف الكتب ، وسوف نكشف في تراجم موجزة عن أبرز هؤلاء الأطباء الذين عاشوا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (١) وقد ظهر من خلال هذه التراجم أثر المشيخة وملازمة الأطباء في نمو حركة التعليم الطبي وتأثير الشيوخ في التلاميذ الذين أخذوا عنهم نظرياً وعملياً وامتداد هذا التأثير في الأطباء الذين تتلمذوا عليهم في مرحلة لاحقة .

---

(١) راعيت في ترتيب هذه التراجم على الأقدم وفاةً قدر الامكان .

أطباء القرن السادس الهجري :

١- الطبيب : أحمد بن محمد ابن الصلاح :

أحمد بن محمد بن السري المعروف بابن الصلاح (٥٤٨هـ /١١٥٣م) أعجمي الأصل من أهل همذان سكن بغداد [١] ، واستدعاه إلى الشام حسام الدين تمرقاش بن الغازي بن أرتق صاحب ماردين [٢] فأكرمه وبقي عنده مدة ثم توجه بعدها إلى دمشق ونزل بضيافة الطبيب الدمشقي أبي الفضل إسماعيل ابـن أبـو الوقار والذي يبدوا أنه كان من شيوخه في بغداد لما رحل إليها لطلب الطب [٣] ، عرف عنه تقدمه في الفلسفة وتضلعه فيها [٤] .

وقد أثّر وجوده في تدريس الفلسفة ونشرها بين أطباء الشام [٥]صنف في الفلسفة كتباً منها (مقالة في الشكل الرابع من أشكال القياس الحملي) وكتـاب (في الفوز الأصغر في الحكمة) [٦] ولم يصل إلينا شيء منها .

٢- أبو الفضل إسماعيل بن أبي الوقار :

أبو الفضل إسماعيل بن أبي الوقار ، كان حياً حتى سنة ٥٥٤هـ ، وقام برحلة إلى بغداد طلباً للطب فقرأ على كبار أطبائها ، ولم يعد إلى دمشق إلا وقد حاز قسطاً كبيراً من علوم الطب علماً وعملاً ، وقد وصف بحدة الذكاء وحـسن سيرته ، وهو ممن خدم السلطان نور الدين محمود بن زنكي بالطب مع جماعـة الأطباء بالشام [٧] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ص٣٩٦ ، ٤٠٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٥ ، ٦٣٨ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ ، ابن القلانسي : تاريخ دمشق ص٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ .

(٦) نفسه ص٦٣٨ .

(٧) نفسه ص٦٣٥ .

٣- الطبيب : مهذب الدين ابن النقاش :

مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد ا عيسى بن هبة ا النقـاش (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) بغدادي المولد والمنشأ ، وبها اشـتغل بالطـب علـى الطبيب المشهور أمين الدولة هبة ا بن صاعد بن التلميذ ولازمه في الطـب ، فعلا شأنه فيه ، اشتغل بعلم الحديث في بغداد وسمع من علمائها ، وبـرع فـي الأدب واللغة . وكان يحسن الفارسية [(١)] قال الصفدي :أنه خرج من بغداد لمـا شنعوا عليه أنه كان يتهاون بأمور الشرع ومداومة شرب الخمر ورفع أمره إلى الوزير ابن هبيرة [(٢)] على أنه يتكلم في القرآن بما لا يجوز ذكره فأهـدر دمـه فخرج من بغداد متجهاً إلى الشام[(٣)] أقام بدمشق وعرف بين الأطباء [(٤)] اتـصل بالسلطان نور الدين محمود وعمل ضمن كتّابه ، وترسل له إلى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة . [(٥)]

كان له مجالس تعليمي في الطب وتخرج على يديه عـدد مـن الأطبـاء المشاهير كمهذب الدين ابن الحاجب وغيره [(٦)] وكان العماد الأصـفهاني ينعتـه بتميزه بالطب ويقول : ((ومن شدا شيئاً من الطب يتبجح بأنه قـرأ عليـه)) [(٧)] خدم بصناعة الطب السلطان نور الدين محمود [(٨)] ، كانت بينه وبين أبو المظفر أسامة ابن منقذ مراسلات شعرية طريفة فمن ذلك ما كتبه إليه أسامة بن منقـذ يستهديه دهن البلسان شعراً منها

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٧ .

(٢) وزير عباسي دخل بغداد واشتغل بالعلم على مذهب الإمام احمد بن حنبل رحمه ا وتقدم في فنون العلم وتقلد الوزارة فكان أشهر الوزراء في البلاد العباسي ، من كتبه (الإيضاح عن معـاني الـصحاح) و (المقتصد) ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٦ ص٣٣٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٢٥٥ .

(٢) الصفدي :الوافي بالوفيات ج٢١ ص٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٧ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات صج٢١ ، ص٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(٦) النبداري : سنا البرق الشامي ص٣٠٥ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٦ .

ركبتي تخدم المهذب في العلم وفي كل حكمة وبيان
وهي تشكو إليه تأثير طول العمر في ضعفها وطول الزمان
فلها فاقة إلى ما يقويها على مشيها من البلسان
كل هذا علا له ما لمن جاز الثمانين بالنهوض يدان
رغبة في الحياة من بعد طول العمر والموت غاية الإنسان

وبعد أن وصلته هذه القصيدة بعث إليه بدهن البلسان [1] ، أدرك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فكان من المقربين إليه ، [2]وصاغ فيه الأديب الشامي الوهراني [3]مقامة أدبية مشهورة [4] ، قضى أكثر حياته بدمشق حتى أدركه الموت فدفن بقاسيون [5] ولم يترك في الطب مصنفات على شهرته وتميزه فيه .

٤- الطبيب : عفيف بن سكرة الحلبي :

عفيف بن عبد القاهر بن سكرة اليهودي الحلبي من أسرة أكثرهم من المشتغلين بالطب ، لم يذكر ابن أبي أصيبعة سنة وفاته وإنما ذكر أنه كان قد ألف مقالة في (القولنج) [6] قدمها للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة أربع وثمانين وخمسمائة [7] فمن المرجح أن تكون وفاته بعد هذا التاريخ .

٥- الطبيب : موفق الدين ابن المطران :

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٦ ، ٦٣٧ .

(٢) نفسه ص٦٣٧ .

(٣) أبو عبد ا محمد بن محرز بن محمد الوهراني (٥٧٥هـ / ١١٧٩م) أحد الفضلاء الظرفاء والأدباء كان من أهل الإنشاء وله شهرة في عمل المقامات والرسائل ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص٣٨٠ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢١ ص٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٥) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص٢٩٥ .

(٦) مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح ، القوصوني : قاموس الأطباء ج١ ص٩٧ ، جهامي : موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب ج٢ ص١٢١٥ ، ١٢١٩ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٨ .

موفق الدين أسعد بن إلياس بن جرجس بن المطران (٥٨٧هـ /١١٩١م) شيخ الأطباء بالشام [8] يقول ابن أبي أصيبعة ((أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها)) [1] ولد ابن المطران ونشأ بدمشق ، من أسرة معروفة بالطب ، درس علوم اللغة والأدب على الشيخ تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسين الكندي ، وتفوق فيها ، وقام برحلة علمية لطلب الطب إلى بلاد الروم ، ثم منها إلى بغداد للاجتماع بمشاهير أطبائها كأمين الدولة بن التلميذ فقرأ عليه واستفاد منه ثم قفل راجعاً إلى دمشق ، واشتغل أيضاً على مهذب الدين ابن النقاش لما كان بدمشق ، وبرز في الطب وتميز فيه حتى ذاع صيته وعلت منزلته ،فخدم بطبه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ،وحظي عنده وكانت له المنزلة العالية لدى السلطان ولا يفارقه سفراً ولا حضراً ،ولقي منه الإكرام والعطاء الوافر[2] ومع كونه يزهو بنفسه إلا أن السلطان صلاح الدين كان((يحترمه ويجله لما قد تحققه من علمه))[3] وقد أسلم ابن المطران [4] وهو عند السلطان صلاح الدين فأحسن إليه وأكرمه وزوجه إحدى حظايا داره ، وكان لحسن علاقته بالسلطان يقضي للأطباء مصالحهم ويتوسط لهم في أعطياتهم ، وكانت له همة عالية وحرص شديد على جمع الكتب الطبية ونسخها وترجمتها

---

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٩ ص٤٠ ، ٤١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٨١ / ٥٩٠) ص٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٢ .

(٤) يقول ابن العبري معبراً عن أسفه لإسلام ابن المطران ((وفي هذه السنة – يعني سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م) مات الموفق أسعد الطبيب الدمشقي المشهور بابن المطران الذي هجر النصرانية وأسلم حباً للدنيا الزائلة ، واقتنى أموالاً وافرة وزف إليه صلاح الدين إحدى جواريه ما لبث أن مات واضمحل ذكره ، على أثر موت صلاح الدين شوهدت امرأته مع فتى عزيز عليه يطوفان بيوت الظباط ويستعطيان)) تاريخ الزمان ص١١٤ وانظر قول الصفدي وقارن بين النصين ((توفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بقاسيون على قارعة الطريق عند دار زوجته موزة ولما مات اشترت داراً وبنت إلى جانبها مسجداً وعمرت له تربة وهي تعرف بدار موزة وكانت صالحة زاهدة عابدة)) الوافي بالوفيات ج٩ ص٤٠ ،٤١ .

وكان يبذل لأجل ذلك أموالاً كثيرة وجهداً كبيراً ، واشتغل بتدريس الطـب وقـرأ عليه جملة من الطلبة الكبار كان من أميزهم وأشهرهم عبد الـرحيم بـن علـي الدخوار ، الذي لازمه حتى في بعض أسفاره ومارس معه المهنة عملياً داخـل البيمارستان النوري وكانت له اليد الطولى في علاج المرضى [1] ، وقد ترك من الكتب الطبية ما يلي :.

كتاب (المقالة الناصرية [2] في حفظ الأمور الصحية) [3] صنفها للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهي مقالة موجزة مختصرة [4] تـشتمل علـى جملة من الأمور المتعلقة بحفظ الصحة كالرياضة ، والاستحمام ،وطرق الأكـل والشرب، و النوم واليقظة ، والجماع [5].

وكتاب (اختصار كتاب الأنوار للكسدانيين) إخراج أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية [6]، وقد فرغ من تصنيفه سنة إحدى وثمانين وخمسمئة [7] .

ومنها كتاب (الأدوية المفردة) أشار إلى عزمه على تصنيف هذا الكتـاب في بستان الأطباء ، وذكر أنه سوف يسد به النقص الذي يراه سائداً فـي تلـك الفترة في كتب الأدوية المفردة يقول منوهاً بذلك ((وكنت قد عزمـت علـى أن أضع كتاباً أصف فيه كيفية عمل هذه الأشياء أجمع ما يوجد فـي الأقراباذينـات فدهمتني الأسفار والبعد عن الكتب التي يحتاج مثل هذا الأمر الجليل إلى التطلـع

---

(1) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، الـصفدي : الـوافي بالوفيـات ج٩ ص٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٤١١ ، ٤١٢ .

(2) ذكر ابن أبي أصيبعة أنه وجد نسخة الكتاب بخط ابن الجمالة كاتب ابن المطران عنوانه ((المقالة النجمية) في التدابير الصحية)) وفسر ذلك أن ابن المطران قد صنفها لنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الـدين ولأنها لم تكتمل إلا بعد وفاة نجم الدين جعلها باسم ولده ، عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(3) منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق برقم ٧٣٦ (طب حساب) ملف / م عدد ورقها ٣١ ورقـة وأخـرى بمعهد التراث العلمي بحلب برقم (١٠٧١) (طب) ٩١ ورقة .

(4) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٨ ، ٦٥٩ .

(5) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد التراث العلمي بحلب .

(6) أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم الكلداني المعروف بابن وحشية عالم بالفلاحة والكيمياء والفلـك أصحاب الحيل توفي سنة (٣٥٠هـ / ٩٦٠م) ، ابن النديم : الفهرست ص٤٣٣ ، ٥٠٤ .

(7) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٨ ، ٦٥٩ .

فيها وأن تكون حاضرة فاحتجت إلى أن أضيف ذلك أيضاً إلى المجموع ، فإن فسح الله في الأجل فسأنتصب له انتصاباً يستحقه وأخرجه إلى مصنف مفرد إن شاء الله تعالى، وإن أتى أمر الله الذي لا يرد كنت قد ذكرت في كتابي هذا ما ينتفع به خير من أن يبقى الأمر على عماه وغمومه وتبدده في الكتب ، وشيوع مطلبه ، وحاجته إلى همم لا أراها في أهل هذا الزمان » [1] ، يذكر ابن أبي أصيبعة أنه شرع فيه ولم يتمه [2] .

ومن كتبه أيضاً كتاب (آداب طب الملوك) [3] ومن عنوانه تظهر طرافة هذا الكتاب ، فلعل الذي دفعه إلى تأليفه كثرة اتصال الأطباء في هذا العصر بالملوك والسلاطين ، ولا ننسى أنه كان يعمل طبيباً لدى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وله مصنفات أخرى مات قبل أن يتمها [4].

٦- الطبيب : يحيى بن إسماعيل الأندلسي :

ومنهم أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي البياسي (٥٤٤هـ/١١٤٩م) تقريباً ، من أفاضل الأطباء ، أصله من بلاد المغرب ، ورحل إلى المشرق وأقام مدة بالقاهرة ، ثم توجه إلى الشام وقرأ الطب على مهذب الدين ابن النقاش ، تميز بكثرة نسخه لكتب الطب ، ومهر في النجارة ، وعمل آلات الهندسة ، كان ممن خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي بالطب فأكرمه وقرر له جامكيته ، بقي بدمشق إلى حين وفاته [5] و المصادر لم تذكر أنه ترك مصنفات في الطب أو في غيره من العلوم .

---

(١) بستان الأطباء ص٣٢ ، ظهر بعد موت ابن المطران بالشام عمالقة في الأدوية المفردة والمركبة كابن البيطار والصوري وغيرهما .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ .

(٣) نفسه ص٦٥٩ .

(٤) نفسه ص٦٥٩ .

(٥) نفسه ص٦٣٧ .

٧- الطبيب : أبو الحجاج الإسرائيلي :

أبو الحجاج يوسف الإسرائيلي من أهل فاس [(١)] رحل إلى الديار المصرية وأخذ الطب بمصر على الطبيب موسى بن ميمون [(٢)]القرطبي ثم ترك مصر ورحل إلى بلاد الشام فأقام بحلب في خدمة الملك الظاهر غازي ابن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان له بها مجلس لتدريس الطب يؤديه حتى مات بها ، من مصنفاته في الطب (رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها) كتاب (شرح الفصول لأبقراط) [(٣)] .

٨- الطبيب : مهذب الدين بن الحاجب :

مهذب الدين ابن الحاجب (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م) أحد مشاهير الأطباء بالشام ومن المعتنين بالنحو والأدب ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وكان شيخه بالشام الطبيب مهذب الدين بن النقاش ، قام برحل علمية إلى الموصل للأخذ عن شرف الدين الطوسي في الفلسفة وإلى ابن الدهان لطلب علم التنجيم فلم يظفر بهما ، كان كثير الاشتغال ، وله معرفة بالهندسة وفنونها ، وقد عمل في خدمة الساعات التي في الجامع الأموي [(٤)]، ومارس الطب وعلاج المرضى داخل البيمارستان النوري بدمشق ، ثم خدم بالطب صاحب حماة تقي الدين عمر حتى

---

(١) مدينة مشهورة في بلاد المغرب وحاضرة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٤ ص٣٢٠ .

(٢) مغربي الأصل رحل إلى مصر وكان من كبار الأطباء بها يهودي ، كان السلطان صلاح الدين يستطبه قيل أنه أسلم وارتد ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٢ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٦ ، لم يذكر ابن أبي أصيبعة سنة وفاة وترجمة تدل على أنه عاش في أواخر القرن السادس الهجري .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ ، ٦٦٠ ، الساعاتي : علم الساعات والعمل بها ص٩ .

توفي ورحل بعدها إلى مصر وخدم هناك بطبه السلطان صلاح الدين يوسف بـن أيوب حتى توفي ، وخرج منها إلى حماة في خدمة الملك المنصور بن تقي الدين عمر وبقي عنده مدة عامين توفي بعدها هناك [٥] .

٩- الطبيب : محمد بن عبد الكريم المهندس :

أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الـرحمن الحـارثي الدمـشقي ، (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) ، كان عالم بالهندسة والطب ، برع في التجارة ، وقـرأ الهندسة والرياضيات . واشتغل بالفلك وعمل الأزياج ، ثم انتقطع للطب و قـرأ الكتب الستة عشر لجالينوس على أبي المجد محمد بن أبي الحكم ، وأخذها عنه إجازة [١].

وزار مصر ، وسمع شيئاً من الحديث بالإسكندرية سنة (٥٧٢) [٢] وكان له في دمشق عطاءين في الشهر الواحد أحدهما : على طبه فـي البيمارسـتان الكبير

والثاني : على قيامه بإصلاح ساعات الجامع الأموي [٣] .

له مصنفات في الطب وغيره منها : (الأدوية المفـردة) علـى حـروف أبجد، و (مقالة في رؤية الهلال) و (الحروب والسياسة) و (مختصر الأغاني) وله شعر وإلمام بالنحو والأدب . كما له معرفة بنقش الرخام وضرب الخـيط . عاش نحو سبعين سنة [٤] .

١٠- الطبيب : أبو النجم ابن مالك النصراني :.

أبو النجم بن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالـك النصراني (٥٩٩هـ /١٢٠٢م) كان مـشهوراً بالطـب ومحمـود الطريقـة

---

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٥٩١ / ٦٠٠)

(٢) الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ ، النعيمي : الدارس ج٢ ص٣٨٧ .

(٤) ابن أبي أصيبعة وعيون الأنباء ص٦٧١.

والمعالجة ، أصله من قرية من أرض حوران أخذه أحد الأطبـاء إلـى دمـشق صغيراً ، ولما كبر علمه صناعة الطب حتى أجاد فيها وذاعت شهرته ، كان من المقربين إلى السلطان صلاح الدين يخدمه ويعالج في الدور السلطانية ، من كتبه في الطب (الموجز في الطب) [5] .

(5) نفسه ص٦٦١ .

أطباء القرن السابع الهجري :

١- الطبيب : عبد المنعم الجِلْياني :

عبد المنعم بن عمر بن عبد ا الجلياني الغساني الأندلسي (٦٠٣هـ /١٢٠٦م) [١] الطبيب ، الشاعر ، الأديب ، كان يقال له ((حكيم الزمان)) أصله من أهل جليانة بالأندلس ، حيث ولد بها سنة (٥٣هـ/١٢٣٣م) ، وانتقل إلى دمشق ، وأقام فيها إلى حين وفاته [٢] كان طبيباً كحالاً ماهراً ، مارس الطب في دكان له باللبادين ، وزار بغداد سنة (٦٠١هـ / ١٢٠٤م) ، وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يحترمه ويجله ، وله فيه المدائح العجيبة في أساوبها ، وتسمى (منادح الممادح و روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر) [٣] [٤] أتمها سنة (٥٦٨هـ/١١٧١م) وله شعر ونثر كثير جمع في عدة دواوين ، صنف في الطب(تعاليق في الطب) و(صفات أدوية مركبة)، وقد غاب عليه الشعر والأدب فشغلته عن علم الطب ولو تفرغ له لبلغ فيه شأو عظيماً، كان يطب في الجيش السلطاني[٥]، ويعمل طبيباً بالبيمارستان النوري بدمشق [٦].

---

(١) ابن سعيد : الغصون اليانعة ص١٠٤ ، ١٠٥ ، في روضة الألباء لكافة الأطباء أن سنة وفاته (٦٠٩هـ / ١٢١٢م) ورقة رقم ٨١ (أ) ولعل الصواب مع ابن سعيد .

(٢) ابن أبي أصيبعة : ص٦٣٠ ، ٦٣١ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٠١ / ٦١٠) ص٣٤٩ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣١،٦٣٠ ، الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث (٦٠١ / ٦١٠) ص١٣٤، ١٣٥ .

(٥) ابن سعيد : الغصون اليانعة ص١٠٤ ، ١٠٥ ، يقول في وصف بعض صفات الطبيب

بذلت وقتاً للطب كيلا	ألقى بني الملك بالسؤال
فكان وجه الصواب لي أن	أصون نفسي بالابتذال
لا بد للجسم من قوام	فخذه من جانب الاعتدال
وأقرب من العز في اتضاع	واهرب من الذل في المعالي

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٣٤ .

(٦) نفسه ص٦٣٤ .

٢- الطبيب : عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي :

موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي حمد السلمي (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) كان في أول أمره فقيهاً بالمدرسة الأمينية [١] ثم بالجامع الأموي ، ثم تفرغ لدراسة الطب على إلياس بن المطران حتى أتقنه وصار من المتميزين فيه ، ثم تصدر لتدريس الطب ، فكان له مجلس عام للمشتغلين عليه [٢]، ومما ميز موفق الدين أنه كان يخص بطبه الفقراء ويعالجهم وينفق عليهم ويأخذ لهم الأدوية والأغذية بدون مقابل ، وكان ممن عمل في خدمة الملك العادل أبي بكر بن أيوب وحاز عنده المنزلة العالية ، مارس الطب مع جماعة الأطباء في البيمارستان النوري [٣] ، وقد وصل إلينا من كتبه رسالة في محنة الأطباء بعنوان (امتحان الألباء لكافة الأطباء) .

وقد جعله في عشرة أبواب في كل باب عشرين سؤالاً :

الباب الأول : في النبض .

الباب الثاني : في البول .

الباب الثالث : في الحميات والبحارين .

الباب الرابع : في العلاقات الجيدة والمخوفة .

الباب الخامس : في الأدوية .

الباب السادس : في المداواة .

الباب السابع : فيما يسأل عن الكحال .

الباب الثامن : فيما يسأل عنه الجرائحي .

الباب التاسع : فيما يسأل عنه المجبر .

الباب العاشر : في مسائل هذه الصناعة .

---

(١) تنسب إلى أمين الدين لمشتكين (٥٤١هـ / ١١٤٦م) من مدارس الشافعية المشهورة ولي التدرس بها عدد من العلماء الشافعية ، النعيمي : الدارس ج١ ص١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧١ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٢٦٨ .

وهذا الكتاب من أنفس الكتب وأندرها مما وصل إلينا في باب امتحان الأطباء [1]

٣- الطبيب : المظفر بن ناصر الحمصي :

المظفر بن علي بن ناصر القرشي الحمصي (٦١٢هـ/ ١٢١٥م) كان من المشهورين بالفضل والعلم ، شيخه في الطب رضي الدين الرحبي ، قرأ القانون لابن سينا على أبي الثناء محمود بن أبي الفضل منصور بن الحسن بن إسماعيل الطبري المخزومي حينما قدم دمشق وشرع في تعليم هذا الكتاب ، كانت له عناية بالأدب والقراءة فيه على الشيخ تاج الدين الكندي ، كان يعالج المرضى احتساباً ويكره التكسب بالطب ، مارس التجارة ، وكان يتردد مع جملة الأطباء على البيمارستان النوري بدمشق وقرر له فيه رواتب ،و لتقدمه في الطب كان يطلبه الملوك والأمراء ، ترك العديد من المصنفات الطبية منها :[2] كتاب (اختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحاق) و (اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي ولم يتمه) و كتاب (تعاليق على الكليات من كتاب القانون لابن سينا) و (مقالة في الاستسقاء) و كتاب (شرح لبعض كتاب العلل والأعراض لجالينوس) و (الرسالة الكاملة في الأدوية المسهلة) و (تعاليق في الطب) و (تعاليق في البول) و (مقالة في الباءة) [3] و من المؤسف أنه لم يصل إلينا شيء منها .

---

(١) منه نسختان في مكتبة سامي حداد برقم (٤٦ ، ٤٧) ، فهرس المخطوطات الطبية العربية في مكتبة سامي إبراهيم حداد ، وضعه فريد سامي حداد ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ص٨٠ ، ٨١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٢ .

(٣) كحالة : معجم المؤلفين ج١٢ ص٣٠٠ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢١٧ ، الزركلي : الأعلام ج٨ ص١٦٤ .

٤- الطبيب : رشيد الدين بن خليفة :

رشيد الدين علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة الخزرجي ابن أبي أصيبعة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) عم ابن أبي أصيبعة صاحب عيون الأنباء ، وقد أفاض في الترجمة وذِكْر قصة أسرته وطلبها العلم ، فجده خليفة بن يونس كانت له همة عالية في العلم وله ولدان هما القاسم و علي أبوه وعمه ، رحل بهما والدهما إلى الديار المصرية لما استولى عليها السلطان صلاح الدين فوصل إلى مصرو دفع بوالديه إلى تعلم الطب وعلومه ، فكان القاسم بن خليفة بن يونس والد ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة (٦٤٩هـ / ١٢٥١م) الابن الأصغر يلازم أبا الحجاج يوسف ويشتغل عليه بصناعة الكحل ويمارس معه عملها في البيمارستان الذي بالقاهرة فتميز وأتقن ، كما أنه قرأ على غيره من أعيان الأطباء بمصر أمثال الطبيب موسى القرطبي وغيره [١] ولما ذاع صيته في الطب انتقل هو وأبوه إلى بعلبك وأقام عند الملك الأمجد بهرام شاه يخدمه بالطب فأجرى له الرواتب وأحسن إليه [٢] وبالجملة كانت تربطه بالسلاطين الأيوبيين والأمراء علاقة متينة فخدمهم بطبه في الدور السلطانية ، والقلعة ، والبيمارستان النوري ، وحظي لديهم ونال منهم الهبات والأعطيات [٣] وقد مدحه بعض الذين داواهم بقصيدة منها :

لسديد الدين في الطب يد	**لم تزل تنقذ طرفاً من قذى**
كم جلت عن مقلة من ظلمة	**وأماطت عن جفون من أذى**
لا يعاني طب عين في الورى	**قط ر إلا حاذق كان كذا**
يا سيح الوقت كم من أكمه	**بك أضحى مبصراً ذاك وذا**
في آرائك للداء دوا	**وبألفاظك للروح غذا**
لك عندي منن لو أنني	**شاكر أيسرها يا حبذا**

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ .

(٢) نفسه ص٧٣٧ ، ٧٣٨ .

(٣) نفسه ص٧٣٧ ، ٧٣٨ .

أما علي بن خليفة بن يونس فقد كان ملازماً لجمال الدين بن أبي الحوافر[1] واشتغل عليه بصناعة الطب حتى تميز فيه وقرأ عليه في أبرز الكتب الطبية التي يبدأ بها طلبة الطب [2] وقد بدأ حياته العلمية كغيره من الطلاب يدخل المكتب ويتعلم القرآن والحساب ثم يشرع بعد ذلك في أخذ العلوم الطبية [3] .

وكان حريصاً على البحث والإطلاع وممارسة المهنة ، فكان يدخل البيمارستان في القاهرة وينظر إلى الأطباء ويشاهد طرائقهم في الكشف والعلاج ويستفيد من ذلك [4] .

وقد تميزت هذه الأسرة بطب العيون [5] فعلي هذا كان أبرز أسرة ابن أبي أصيبعة في طب العيون ، تعلمه بمصر على الطبيب نفيس الدين [6] أبو القاسم بن الزبير ، وكان يلازمه في هذا التخصص حتى برع فيه وعمل معه داخل البيمارستان وباشر المرضى وأجرى معه العمليات الجراحية [7] كما أنه حرص على التعلم والاستفادة من العلوم الأخرى كالنجوم والموسيقى وعلوم الفلسفة والمنطق ، وكان من أبرز شيوخه في هذه الفنون الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، وسديد الدين داود بن أبي البيان سليمان الإسرائيلي وعلم الدين قيصر أبي القاسم بن عبد الغني وغيرهم [8] وقد عرف عنه الجد والمثابرة

---

(1) أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ، بارع في الطب كان أول طلبه لعلم الطب على أطباء دمشق ورحل عنها إلى الديار المصرية وبها مات سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٥٨٤ ، ٥٨٦ .

(2) نفسه ص٧٣٦ .

(3) نفسه ص٧٣٦ .

(4) نفسه ص٧٣٦ .

(5) نفسه ص٧٣٦ .

(6) هو القاضي نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولمي برع في الكحالة وعمل في البيمارستان الناصري بالقاهرة ، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٥٨٦ .

(7) نفسه ص٧٣٧ .

(8) نفسه ص٧٣٧ ، ٧٤٠ .

في طلب العلوم وكانت المدة التي قضاها في مصر عشرين سنة يدأب في القراءة والبحث حتى نبغ وتميز [1] رحل مع أبيه عائداً إلى الشام ، والتحق بدرس الطبيب الشهير رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي وجالسه وقرأ عليه ، ثم دخل البيمارستان النوري وباشر المرضى مع جملة الأطباء ، وكان منهم في ذلك الوقت موفق الدين ابن المطران ، و موفق الدين عبد الرحيم بن علي بن الدخوار [2] كانت له عناية بعلوم اللغة العربية والأدب ، فتتلمذ على مشاهير أهل اللغة في وقته ، مثل زين الدين بن معطي [3]، وتاج الدين بن حسن الكندي [4] ، إضافة إلى معرفته باللغة الفارسية والتركية [5] .

وكانت تربطه بالسلاطين والملوك علاقة قوية يجالسهم وينادمهم وتنقل معهم في رحلاتهم وأسفارهم [6] ، وولي في أخر عمره التطبيب في البيمارستانين اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود يطب فيهما ، وفي القلعة ، وله على ذلك الرواتب والجرايات ، كما كان يطب لست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ويتردد إلى دارها وله على ذلك الرواتب الثابتة [7] ، وكان تلاميذه يترددون إليه في مجلسه التعليمي ، وأكثر من درس عليه الطب برع وتميز [8] ترك رشيد الدين علي بن خليفة جملة من الكتب في الطب وغيره منها: (كتاب في الطب) صنفه لبعض تلاميذه في الأمراض التي تحدث كثيراً وطرق مداواتها بالأشياء السهلة الموجودة التي قد اشتهر التداوي بها ، وكتاب (الاسطقسات) وكتاب (تعاليق ومجربات في الطب) و (مقالة في نسبة النبض

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٧ .

(٢) نفسه ص٧٣٧ ، ٧٣٨ .

(٣) أبي الحسن بن عبد المعطي المغربي الشامي النحوي واللغوي له كتب في اللغة منها (الفصول الخمسون) القفطي : إنباه الرواة ج٤ ص٤٤ ، ٤٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٤ ص٦٦ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٧ ، ٧٣٨ .

(٥) نفسه ص٧٣٧ ، ٧٣٨ .

(٦) نفسه ص٧٣٩ ، ٧٤٠ .

(٧) نفسه ص٧٤٠ .

(٨) نفسه ص٧٤٠ .

وموازنته إلى الحركات الموسيقية) ، وله في الحساب كتاب (الموجز المفيد في علم الحساب) صنفه للملك الأمجد صاحب بعلبك [(1)] .

٥- رضوان بن رستم الساعاتي :

رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني الساعاتي (٦٢٠هـ /١٢٢٣م) ولد ونشأ بدمشق ، أصل أسرته من خراسان ، درس الطب في مجاس الطبيب البارع رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحبي بدمشق ، ولازمه ملازمة تامة حتى أتقن علم الطب ، وكان ممن قرأ على الطبيب فخر الدين الماريديني البغدادي لما قدم الشام ، برع في الأدب واللغة وكان شيخه العلامة اللغوي تاج الدين الكندي [(2)] ، يقول ياقوت الحموي : ((لقيته بدمشق ، وحضرت مجالسه غير مرة وبلغتنا وفاته سنة ثمان عشرة وستمائة)) [(3)] جمع مع الطب علم الهندسة والميكانيكا – الحيل – وبرع في صناعة الساعات ، المائية [(4)] ، وهو من صنع الساعات التي على باب جامع دمشق ، أيام الملك العادل نور الدين محمود ، وبقي طيلة حياته يعمل على صناعة هذه الساعات والملازمة لها والعناية بها وله مقابل ذلك الرواتب والجرايات ، وكان حريصاً على هذه الساعات وبقائها تعمل بدقة وكفاءة وقد صنف كتابه (علم الساعات والعمل بها) من أجل ذلك وهو من أنفس الكتب في هذا الفن صنفه ليكون مصدراً أولياً لمن يقوم بعمل صيانة الساعات لتسلم من العطل والخراب [(5)] ، كما مهر في الطب وصنف فيه وكان يقدر كلام ابن سينا في الطب ويميل

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٠ .

(٢) نفسه ص٦٦١ ، ٦٦٢ .

(٣) معجم الأدباء ج٣ ص٣٣٧ .

(٤) طبع حققه محمد أحمد دهمان سنة ١٩٨١م .

(٥) علم الساعات والعمل بها ص١ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٤ .

إليه صنف كتابين هما (تكميل كتاب القولنج لابن سيناء) وكتاب(حواشي علـى كتاب القانون لابن سيناء)[1] من لطيف شعر[2] .

يحـسدني قـومي علـى صـعتى لأننـي بيـنهم فـارس
سـهرت فـي ليلـي واستنعـسوا لـن يـستوي الـدارس والنـاعس

٦- الطبيب : شمس الدين ابن اللبودي :

محمد بن عبدان بن عبد الواحد ، المعروف بابن اللبودي ، أبو عبد ا ، الطبيب ، كان علامة وقته في فنه ، ولد بدمشق سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) ، و توفي بها سنة (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) . سافر إلى بلاد العجم وأقام زمناً يشتغل بالعلوم الحكمية والطب على أكابر علماء العجم وأعيانهم . واشتهر بقوة الجـدل وحسن المناظرة وبعد عودته إلى الشام اتصل بالملك الظاهر (صاحب حلـب) ، وقام عنده حتى توفي الملك الظاهر سنة (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) ، فترك مجلسه الذي كان يعلم فيه صناعة الطب هناك ، ورحل إلى دمشق وتولى الطبابـة فـي البيمارستان النوري الكبير [3] ، وصنف كتباً في الطب وغيـره منهـا (الـرأي المعتبر في معرفة القضاء والقدر) و (رسالة في وجع المفاصل) و (شرح كتاب الملخص لإمام فخر الدين الرازي) و (شرح فصول بقراط) و (شـرح كتـاب المسائل لحنين بن إسحاق) [4] وغيرها .

٧- الطبيب : صدقة بن منجا :

صدقة بن منجا بن صدقة السامري (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) أحـد أكـابر الأطباء بالشام ، ومن المتميزين فيه ، عرف بكثرة الاشتغال والبحث والنظـر ،

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦١ ، ٦٦٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦١ ، ٦٦٢ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٣ ص٣٧٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٢ ، وتاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٦٧ ، ٦٨ .

(٤) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٣ ص٢٠٢ .

اتصف بالفهم ووفرة العلم ، كان من المعروفين بالفلسفة المتضلعين فيها ، جلس لتدريس الطب وكان له طلبة يترددون إليه [1] ، رحل في صحبة الملك العادل أبي بكر بن أيوب إلى الشرق وخدمه هناك ، وخدم ولده الأشرف موسى بعـد ذلـك وكانوا يعتمدون عليه في صناعة الطب ، وتقدم عندهم وكانوا يصلونه بـالأموال والهبات حتى اغتنى ، وقد وافته المنية في مدينة حران [2] ، ترك عـدداً مـن المصنفات في الطب والفلسفة منها : كتاب (شرح كتاب الفصول لابقـراط ولـم يتمه) و (مقالة في أسامي الأدوية المفردة) و (تعاليق في الطـب ذكـر فيهـا الأمراض وعلاماتها) و (مقالة عن مسائل طبية سأله عنهـا الطبيـب الأسـعد المحلي اليهودي) [3] .

٨- الطبيب : محمد بن إبراهيم الكلي :

محمـد بـن إبـراهيم بـن أبـي المحاسـن شـمس الـدين الكلـي (٦٢٢هـ/١٢٢٨م) أصله من أهل المغرب ، وفد على دمشق وأقام بها ، وهـو من جملة الطلبة الذين تتلمذوا على الطبيب عبد الرحيم بن علي الدخوار ولازموه [4] ، قرأ عليه كثيراً من الكتب العلمية ، ((أتقن حفظ ما ينبغي أن يحفـظ مـن الكتب الأوائل التي يحفظها المشتغلون في الطب)) ، كان يسمى بالكلي لما عرف عنه أنه كان يحفظ الكتاب الأول من القانون لابن سيناء وهو الكليـات حفظـاً لا مزيد عليه ، زاول أعمال الصناعة الطبية ومارسها داخل البيمارستان النـوري مع الأطباء ، كانت له همة لا تفتر عن القراءة والاشتغال بالعلم ، خـدم بطبـه الملك الأشرف موسى لما كان بدمشق ولم يغادرها إلى حين وفاته [5].

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧١٧ ، ٧١٨ ، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ص١١٢ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٣٩٥ ، ٣٩٦ ، حران : مدينة عظيمة مشهورة من أرض الجزيرة على طريق الموصل والشام والروم ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٢٣٥،٢٣٦

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧١٧ ، ٧١٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٦ ص٣٠ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٥ .

(٥) نفسه ص٧٥٥ .

٩- الطبيب : يعقوب بن سقلاب :

موفق الدين يعقوب بن سقلاب (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) من نصارى دمشق [(١)] ينعته ابن أبي أصيبعة بقوله : (كان من أتم الناس عقلاً ، وأسدهم رأياً ، وأكثرهم سكينة) [(٢)] ولد بالقدس وبها قرأ شيئاً من الحكمة والطب على الفيلسوف الأنطاكي[(٣)] ، وكان من شيوخه في الطب بالقدس أبي منصور النصراني الطبيب الذي استفاد منه في مباشرة المرضى داخل البيمارستان [(٤)] ، كان من أعلام الأطباء بكتب جالينوس وأقدرهم على فهمها واستظهارها وشرح غوامضها ، والقدرة على فهم معانيها [(٥)] ، أقام بالقدس سنين كثيرة يباشر البيمارستان الذي بها [(٦)] ، ثم رحل بعدها إلى دمشق في صحبة الملك المعظم عيسى ، فكان يعتمد عليه في المعالجة ، بل أراد أن يوليه بعض المناصب في الدولة فامتنع وبقي يصطحبه معه في الأسفار حتى مات المعظم عيسى ، فلازم صحبة ولده فأكرمه وأحسن إليه وأجرى له ما كان له في عهد والده من الأعطيات ، توفي ابن سقلاب بدمشق بعدما دهمته الشيخوخة [(٧)] .

١٠- الطبيب : أبو الحسن بن غزال :

أمين الدولة أبو الحسن بن غزال بن أبي سعيد (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) أحد أعلام الأطباء بالشام ومن المتقدمين في صناعة الطب ، وبلغ فيه منزلة رفيعة ، علت منزلته لدى الملك الأمجد بهرام شاه ابن عز الدين فرشاه بن أيوب وكان يعتمد عليه في الصناعة الطبية ، ولي منصب الوزارة في دولة الملك

---

(١) القفطي : أخبار العلماء ص٢٤٨ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٨ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٥٢١ .

(٣) هو رجل نزل القدس وكانت له معرفة بعلوم الأوائل استوطن القدس وجعل داره بها شكل كنيسة وتبتل للعبادة وأقرأ العلوم إلى حدود سنة ثمانين وخمسمائة وقرأ عليه يعقوب هذا شيئاً من أوائل هذه الصناعة . القفطي : أخبار العلماء ص٣٤٨ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٨ .

(٥) نفسه ص٦٩٨ .

(٦) القفطي : أخبار العلماء ص٦٤٨ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٩ .

الصالح إسماعيل وساءت سيرته في وزارته ، كـان شـغوفاً بتحـصيل الكتـب واستنساخها وجمعها في سائر العلوم ، يستخدم النساخ ينسخون له ما أراد منها ، وإليه تنسب المدرسة الأمينية بحاب [1] للفقهاء ، صنف فـي الطـب كتـاب (المنهج الواضح في الطب) استوعب فيه قوانين صناعة الطب كلياتها وجزئياته ، وقسمه إلى خمسة كتب هي :

الكتاب الأول **: ذكر فيه الأمور الطبيعية والحالات الثلاق للأبدان وأجناس الأمراض وعلامات الأمزجة المعتدلة والطبيعية ، والصحية للأعضاء الرئيـسية وما يقرب منها ولأمور غيرها شديدة النفع يصلح أن تذكر فـي هـذا الموضـع ويتبعها بالنبض والبول والبراز والجران .**

الكتاب الثاني **: في الأدوية المفردة وقواها .**

الكتاب الثالث **: في الأدوية المركبة ومنافعها .**

الكتاب الرابع **: في تدبير الأصحاء وعلاج الأمراض الظـاهرة وأسـبابها وعلاماتها وما يحتاج إليه من عمل اليد فيها وفي أكثر المواضع يذكر فيه أيضاً تدبير الزينة وتدبير السموم .**

الكتاب الخامس **: في ذكر الأمراض الباطنية وأسبابها وعلاماتها وعلاجها وما تحتاج إليه من عمل اليد [2] .**

يقول ابن أبي أصيبعة : ((وهو من أجل الكتـب المـصنفة فـي الـصناعة الطبية))[3]

١١- الطبيب : عبد الرحيم بن علي الدخوار :

مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد الدخوار (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)، الطبيب البارع شيخ الأطباء بالشام ومصر في زمنه [4] ، من أسـرة عرفـت

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ .

(٣) نفسه ص٧٢٨ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١/٦٣٠) ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٣٨٣ ، ٣٨٤ .

بدأ ابن الدخوار حياته [1] مشهورين ، كان أبوه وأخوه كحالين ، بالطب والكحالة الطبية بممارسة الكحالة مع المواظبة على طلب العلم وقراءة كتب الطب ، قـرأ العربية والأدب على تاج الدين الكندي كعادة الأطباء بالشام في الحرص على تعلم الأدب والعربية ، وكان يلازم مشائخ الطب في عـصره ويقـرأ علـيهم الكتـب المقررة للدراسة لديهم [2] فكان من شيوخه في الشام الطبيبان البارعان موفـق الدين ابن المطران ورضي الدين الرحبي ، ويبدو أن لهذين الطبيبين أثـر فـي حياته العلمية ومهارته الطبية التي عرفت عنه [3]، وكان من شيوخه الوافـدين على الشام الطبيب البغدادي فخر الدين الماريديني الذي لازمه وقرأ عليه القانون لابن سيناء ، وبقي يلازمه ويستفيد منه حتى غادر الماريديني دمشق ولـم يـتم معه قراءة القانون فعرض عليه بن الدخوار البقاء في دمشق مقابل أن يدفع له مبلغاً من المال حتى يتم معه قراءة القانون ،فغضب الماريديني من ذلك وقال له:((العلم لا يباع أصلاً))[4] .

وبعد أن مهر في الطب خدم في البيمارستان النوري مع الأطبـاء وذاعت شهرته ، وجعل له الوزير صفي الدين أن شكر علـى خدمتـه بالطـب جامكية ورواتب يأخذها مقابل عمله في البيمارستان[5] ، كما خدم الملك العـادل أبي بكر بن أيوب وعمل في علاج العساكر السلطانية ، وله على ذلك الرواتـب العالية والأموال الطائلة والهدايا والأعطيات من خلال خدمة الـسلطان وقيامـه بعلاجه لما مرض[6] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٢٩٣

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٢٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ، الذهبي : تاريخ الإسـلام حـوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٠ ، ٧٣١ ، الذهبي : تاريخ الإسـلام حـوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٠ ، ٧٣١ .

وكان السلطان العادل أبي بكر بن أيوب قد ولاه رياسة الطب في الشام ومصر وجعل له حق امتحان الأطباء والكحالين والإذن لمن كان يرتضيه منهم في هذه الصناعة ويكتب له إجازة بذلك [1]

وبعد استقراره بدمشق جعل له مجلساً لتعاليم الطب ، يقرأ الأطباء والمتطببين مع ملازمة الخدمة في البيمارستان النوري فكان يجتمع بالطلاب في الدرس النظري في بيته ثم يلتقي بهم في الدرس العملي داخل البيمارستان ، وقد أخذ عنه الطب عدد غير قليل من الأطباء ، عدوا بعد ذلك من مشاهير أطباء الشام[2] ، وكان من أجلّ صفاته العلمية أنه كان يلازمه القراءة والإطلاع طوال وقته ولا يفتر عن ذلك [3] ، وكان مغرماً بالكتب وجمعها [4] وله اهتمام كبير بعلم الهيئة فقد جمع من آلاتها واقتنى منها أشياء كثيرة ، ولعل من أجلّ أعماله إنشاؤه مدرسة للطب وجعل بيته مقراً لها بعد مماته [5] ويبدو أن هذه الطريقة في حد ذاتها مبتكرة في جعل مدرسة مستقلة لتدريس الطب نظرياً قد بدت لها أهميتها بعد أن لاحظ الجو التعليمي لهذه المهنة الذي يتطلب إنشاء مثل هذه المرفق التعليمي ، وترك من الكتب ما يلي : كتاب (الجنينة في الطب) و (تعاليق ومسائل في الطب وشكوك طبية والجواب عليها) و (مقالة في الاستفراغ) وكتاب (مختصر الحاوي للرازي) [6] وكتاب (ما يقع في الأدوية المفردة من التصحيف) [7]وكتاب (الرد على شرح ابن صادق لمسائل حنين بن إسحاق) و (

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٠ ، ٧٣١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٣٨٣ ، ٣٨٥

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠٢ ، ٦٣٦ ، ٦٧١ ، ٦٧٦ .

(٣) نفسه ص٧٢٩ ، ٧٣٠ .

(٤) نفسه ص٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣١ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ ص٦٧٢ ، أبو شامة : ذيل مرآة الزمان ص١٥٩ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٣٨٣ ، ٣٨٥ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٨ ص٣٨٣ ، ٣٨٥ .

(٧) منه نسخة مخطوطة في استنبول – حكيم أوغلي برقم (٥٧٤) وقد راسلت المكتبة عن طريق مركز الملك فيصل بالرياض ولكن دون جدوى .

مقالة يرد فيها على رسالة أبي الحجاج يوسف الإسرائيلي في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها)[1] وكتاب (شرح تقدمة المعرفة لأبقراط)[2] .

١٢- الطبيب : عبد اللطيف البغدادي :

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعيد الموصلي البغدادي (٦٢٩هـ / ١٢٣١م)[3] الملقب بابن اللباد[4] الأديب النحوي اللغوي الطبيب المتكلم ، أحد الأذكياء المتضلعين في الطب وعلوم الأوائل[5] ولد ببغداد سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م)[6] ، نشأ في بيت علم[7] ، وبدأ حياته العلمية في بغداد بسماع الحديث فدرس على كبار علماء عصره[8] . قال ابن الدبيثي : ((غلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما))[9] .

وقد نقل ابن أبي أصيبعة من كلام الموفق قصة رحلته في طلب العلم ورحلاته العلمية من بداياته الأولى إلى أن صار عالماً موسوعياً مشهوراً ، يقول عن بداياته في التعليم : ((وتربيت في حجر الشيخ أبي النجيب لا أعرف اللعب واللهو، وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث ، وأخذت لي إجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر ... وكنت في أثناء ذلك أتعلم الخط ،

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٣٦ .

(٢) طبع بتحقيق ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية ضمن إصدارات مركز التراث القومي والمخطوطات كلية الآداب جامعة الإسكندرية .

(٣) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج٣ ص٢٩٨ ، القفطي : إنباه الرواة ج٢ ص١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات ج٢ ص٣٨٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٣٢٤ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣١٣ ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج٣ ص٢٩٨ .

(٦) الذهبي :تاريخ الإسلام حوادث حوادث(٦٢١/٦٣٠) ص٣٢٤، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ج٢ ص١٨٠

(٧) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج٣ ص٢٩٨ .

(٨) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣١٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٣٢٤ ، القفطي : إنباه الرواة ج٢ ص١٩٤ .

(٩) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٢١ / ٦٣٠) ص٣٢٦ .

وأتحفظ القرآن والفصيح ، والمقامات ، وديوان المتنبي [1] ونحو ذلك ، ومختصراً في الفقه ، ومختصر في النحو ...)) [2] ثم حمله أبوه بعد أن ترعرع إلى أحد مشايخ بغداد فدفع به ذلك الشيخ إلى أحد تلاميذه ممن يجيد تعليم الصبيان [3] يقول عبد اللطيف : ((.. وكان رجلاً أعمى من أهل الثروة والمروءة فأخذني بكلتي يديه ، وجعل يعلمني من أول النهار إلى أخره بوجوه كثيرة من التلطف ، وكنت أحضر حلقته بمسجد الظفرية ، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها ..)) [4] وهو يذكر ما كان عليه من صبر وجلد في حفظ المتون وقراءة الشروح الكثيرة في اللغة والنحو ، ومذاكرة ذلك مع شيوخه في حرص تام ودأب ومثابرة في طلب العلوم ، من فقه وحديث وفرائض وغيرها [5] ثم ذكر قصة بداية طلبه للطب والعلوم الطبيعية و الكتب التي قراءها على كثرتها ، كل ذلك كان في بغداد [6] .

ولعل ابن أبي أصيبعة في ذكره لهذه الترجمة المطولة يريد أن ينقل لنا تجربة علمية لعالم تفوق في كثير من العلوم [7] يفيدنا من خلالها بأسلوب من أساليب التعليم الذاتي أو الفردي كان متبعاً عند أهل بغداد .

ويحدثنا أيضاً أنه عزم بعدما أن حاز كثيراً من العلوم على الرحلة في طلب العلم فقصد الموصل ولقي بها الكمال بن يونس ، ودرّس بها سنة كاملة ثم قدم الشام قاصداً دمشق مجمع العلماء آن ذاك ، فجالس علمائها وناظرهم في متون العلم واللغة والنحو والكيمياء [8] .

---

(1) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي المتنبي الشاعر المشهور البليغ عاش في بلاط سيف الدولة الحمداني ومدحه ومدح كافور الأخشيدي وهجاه ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٣٣٦ ، ٣٤٦

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٣ ، ٦٨٤ .

(3) نفسه ص٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(4) نفسه ص٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(5) ننفسه ص٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(6) نفسه ص٦٨٥ .

(7) نفسه ص٦٨٥ .

(8) نفسه ص٦٨٦ ، ٦٨٧ .

وكان موقفه من الكيمياء مشهوراً بالشام [1] ، فكان يناظر المشتغلين بها بدمشق [2] ، وقد عكف على كتب القدماء وخصوصاً كتب ابن سـينا وأظهـر موقفه منها بقوله : ((وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سيناء زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها ، ومن وضعها وتكذّب بها ، وما كان قصده في ذلك ، وخلـصت مـن ظلالـين عظيمين موبقين وتضاعف شكري سبحانه على ذلك ، فإن أكثر الناس إنمـا يهلكون بكتب ابن سيناء وبالكيمياء [3] ، وقد صنف فـي ذلـك كتبـاً منهـا : (النصيحتين للأطباء والحكماء) و (المحاكمة بـين الحكـيم والكيميـائي) و (رسالة في المعادن وإبطال الكيمياء) [4] .

وكانت رحلته إلى مصر يقصد منها لقاء بعض العلماء هناك ويخص منهم من كان مشتغلاً بالكيمياء فالتقى بهم وناظرهم وظهر له ضعفهم [5] ، وقد بقـي بمصر يعلم الطب وعلوم الحديث وغيرها في حلقات علمية ، كثر فيهـا طلابـه وانتفع الناس به [6] ، وقد رصد خلال إقامته بمصر ما حدث فيها من المجاعـة الكبرى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) (٥٩٨هـ/١٢٠١م) ودوّن ذلك بدقة تامة في كتابه المشهور(الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)[7] ، وبعدما خرج من مصر قصد بلاد المشرق في أرض الروم وكان ذلك

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٦ ، ٦٨٧ .

(٢) أمثال الشيخ عبد ا ابن النائلي الذي كان مقيماً في الجامع الأموي بدمشق وله طلبـة يـشتغلون عليـه بالكيمياء وقد شنع عليه الفقهاء وكتبوا به إلى السلطان صلاح الدين فخرج يشكوهم والسلطان في حصار عكا ، فلما مات النائلي أخذت كتبه شحنة دمشق ، ابن أبي أصيبعة : عيون النباء ص٦٨٦ ، ٦٨٧ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٧ ، ٦٨٨ .

(٤) هذا الموقف كان ضد الكيمياء الممزوجة بالفلسفة وعلم السيمياء والشعوذة ، وهو عند غيره من أهل الشام انظر النبداري : سنا البرق الشامي ص١٢٠ تحقيق رمضان ششن ، سبط ابن الجوزي : مـرآة الزمـان ج٨ ص٧٣٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج٤ ص٢١٥ ، ٢١٦ .

(٥) منهم ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي أبو القاسم الشارعي ابن أبي أصيبعة : عيـون الأنباء ص٦٨٧ ، ٦٨٨ .

(٦) نفسه ص٦٨٨ ، ٦٨٩ .

(٧) مطبوع وله تحقيقات منها تحقيق أحمد غسان سيانو دار قتيبة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) [١] **عاد بعدها إلى الشام وبقي مقيماً بدمشق حتى عزم على الحج ولكن بعد العود إلى بغداد ، فمرض هناك وأدركته الوفاة بعد غياب دام خمس وأربعين سنة** [٢] **.**

له مصنفات في كثيرٍ من فنون العلم سنذكر بعضاً من مصنفاته في الطب فقط [٣] **ومنها : (اختصار منافع الأعضاء لجالينوس) و (شرح مسائل حنين ابن إسحاق)** [٤] **و (مقالة في المبادئ بصناعة الطب) و (مقالة في حد الطب) و (مقالة في آلات الطب والتنفس وأفعالها)** [٥] **و (مقالة في الحواس ومدركاتها ومراتبها ونسب بعضها إلى بعض)** [٦] **وموضوع هذه المقالة ، الحواس الخمس وخلاصة ما جاء فيها أنها تدور حول تقليل وتحليل وتصنيف مدركات الحواس بأسلوب تعليلي وتحليلي فلسفي** [٧] **ومقالة في مرض (ديابيطس** [٨] **والأدوية النافعة منه)** [٩] **.**

١٣- الطبيب : يوسف بن حيدرة الرحبي :

يوسف بن حيدرة بن حسن الرحبي (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) شيخ الأطباء بالشام ، وأحد أكبار أطبائها [١٠] **يصفه ابن أبي أصيبعة بقوله : ((كان كبير النفس، عالي الهمة كثير التحقق حسن السيرة محباً للخير وأهله ، شديد**

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٠ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣١٣ ، القفطي : إنباه الرواة ج٢ ص١٩٦ ، اليونيني : ذيل مرآة الرزمان ج٢ ص١٨٠ .

(٣) قد أشرنا إلى بعض مصنفاته في الطب في بعض فصول الرسالة .

(٤) نسخة منها في مكتبة برلين برقم (٨٨١) .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٤ ، ٦٩٥ .

(٦) حققها فيصل دبدوب فيبحث نشر في جلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول المجلد الخامس والأربعون سنة ١٣٨٩هـ وهي ص٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠

(٧) نفسه ص٣٣٣ .

(٨) وهو مرض السكري انظر كمال السامرائي ج٢ ص١٠٧ ، ١٠٨ .

(٩) منها نسخة حققها بول غليونجي وسعيد عيدو إصدار وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٢م .

(١٠) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ / ٦٤٠) ص٧٦ ، ٧٧ .

الاجتهاد في مداواة المرضى ،رؤوفاً بالخلق ، طاهر اللسان))[1]أصل أسرته من بلادة الرحبة[2]، وولد في جزيرة ابن عمر[3] ونشأ بها ،أقام مع أسرته بنـصيبين والرحبة مدة ثم رحل إلى بغداد واشتغل بالطب ومهر فيه ، ثم سافر إلى الـديار المصرية وقابل الطبيب المصري ابن جميع [4]واستفاد منه ،ورحل عنهـا إلـى دمشق سنة (555هـ/١١١٠م) واستقر بها وجعل له دكان يعالج من يأتيه مـن المرضى مع دأب في طلب العلم ونسخ الكتب ،ذاع صـيته فـي الطـب فطلبـه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعلـه ملازمـاً للقلعـة والبيمارسـتان النوري وأجرى عليه ثلاثين ديناراً وبقي على هذا الأمر مدة حكم الملك العـادل أبي بكر بن أيوب وابنه المعظم عيسى الذي أعطاه بدلاً من ثلاثين ديناراً خمسة عشر ديناراً [5] .

وكان لرضي الدين الرحبي أسلوبه المختلـف وطريقتـه المتميـزة فـي منهجيته التعليمية وعاداته الصحية التي كان يلتزمها في حياته ويوصـي بهـا مرضاه ، لعل ذلك يبرز في نقاط عدة منها :

أولاً : **أنه من الأطباء الذين لم يدخلوا الشام إلا وقد مهروا في الطـب ، وجالس مشايخ الطب بالشام بعدها فأشادوا به كمهذب الدين ابن النقاش وابـن المطران وغيرهما [6] .**

ثانياً : **أنه كان يعطي مهنة الطب حقها من الرياسة والتعظيم [7] .**

ثالثاً : **أنه كان لا يقرئُ الطب إلا من عرف عنه تميزه من طلبة الطب [8]**

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٢ ، النعيمي : الدارس ج٢ ص١٢٨ .

(٢) قرية من قرى دمشق ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٣ ص٣٣ .

(٣) بلدة فوق الموصل يحيط بها نهر دجلة ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص١٣٨ .

(٤) هبة ا بن زين بن حسن بن افرائيم بن جميع الإسرائيلي من أطباء مصر المشهورين خدم بطبه الملـك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ودرس الطب وقرأ عليه الطلبة وله كتب في الطب ، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص٥٧٦ ، ٥٧٧ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٢ ، النعيمي : الدراس ج٢ ص١٢٨ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٣ .

(٧) نفسه ص٦٧٣ .

رابعاً : أنه كان يرى عدم تعليم أهل الذمة الطب [1] .

خامساً : أن أكثر من درس على يديه الطب من أهل الشام وغيرها نبع وتميز وهذا يشهد بتميز طريقته وأساليبه في التعليم الطبي [2] .

سادساً : ومن ذلك أنه كان يراعي مزاجه ويعتني بحفظ صحته يقول القفطي : ((أنه كان يلزم في أموره قوانين حفظ الصحة الموجودة قال : ولقد بلغني أنه كان يقتني أجود الطباخات ، ويتقدم إليها بإحكام ما يغلب على ظنه الانتفاع باستعماله في نهاره ذلك بما باشره من نفسه ، وما غلب عليه من الأخلاط في يومه ، فإذا أنجزته وأعلمته بذلك طلب من يؤاكله من مؤانسيه ، فإذا حضر منهم من حضر استأذنته في إحضار الطعام فيقول لها أخريه فإن الشهوة لم تصدقه بعد فتؤخره إلى أن يستدعيه ، فيقول أعجلي فتأتيه به ويتناول منه . فقال له بعض أصحابه يوماً ما المراد بهذا ؟ فقال : الأكل مع الشهوة هو المندوب إليه لحفظ الصحة فإن الأعضاء إذا احتاجت إلى تعويض ما تحال منها استدعت ذلك من المعدة فتستدعيه المعدة من خارج . فقال له : وما ثمرة هذا ؟ قال : أن يعيش الإنسان العمر الطبيعي . فقال له : إنك قد بلغت من السن ما لم يبق بينك وبين العمر الطبيعي إلا القليل ، فأي الحاجة إلى هذا التكلف ؟ فقال له : لأبقي ذلك القليل فوق الأرض استنشق الهواء وأجرع الماء ، ولا أكون تحتها بسوء التدبير ولم يزل على حالته تلك إلى أن أتاه أجله)) [3] .

ومن عاداته الصحية التي كان يلتزمها في حياته أيضاً أنه كان يجعل يوم السبت يوم راحة وتنزه يخرج فيه إلى البساتين ، كما لا يدخل الحمام إلا يوماً واحداً في الأسبوع هو يوم الخميس ، وكان يحرص كثيراً أنه لا يصعد في سلم ، ولذا كان لا يعود المرضى الذين يتطلب الوصول إليهم الصعود في سلم لأنه كان

---

(٨) نفسه ص٦٧٣ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٣، الذهبي: تاريخ الإسلام(٦٣١/ ٦٤) ص٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٣ .

(٣) نفسه ص٦٧٣ ، لم أجد هذا الكلام عن الرحبي في أخبار العلماء للقفطي الذي وصل إلينا مما يدل على أنها نسخة ناقصة في كثير من تراجمها .

يقول السلام منشار العمر [1] وله طرائق في العلاج تدل على قوته في الطب وتقدمه فيه [2]. وعلى مكانته العلمية لم يترك سوى كتابين هما : (تهذيب شرح ابن الطبيب لكتاب الفصول لابقراط) [3] . (اختصار المسائل لحنين ابن إسحاق ولم يتمه) [4].

١٤- الطبيب : محمود بن عمر الحانوي بن رقيقة :

محمود بن عمر ابن محمد بن إبراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) يعرف بابن رقيقة [5]، كان من المتميزين في طب العيون خصوصاً [6]، يذكر ابن أبي أصيبعة أن شيخه في الطب هو فخر الدين محمد بن عبد السلام الماريديني البغدادي وذلك لما جال في بلاد الشام فكان لقاءه به في بلادة حيني[7]، فلازمه هناك حق الملازمة ودرس عليه واستفاد منه في الطب وغيره من العلوم ،ولم يغادر الماريديني حتى كان ابن رقيقة هو المعتمد عليه في الطب في هذه المدينة [8] .

تميز هذا الطبيب ببراعته في اللغة والشعر وقدرته على نظم الكتب الطبية وله في ذلك مصنفات [9] كما اشتغل بالتنجيم وعلم الحيل ، وكانت له عناية

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٣١ / ٦٤٠) ص٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٥ .

(٣) نفسه ص٦٧٥ .

(٤) نفسه ص٦٧٥ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣ .

(٧) بلادة في ديار بكر يجاب منها الحديد ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٣٣٣ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٥ .

(٩) نفسه ص٧٠٥ ، ٧١٧ .

بسماع الحديث ، روى عنه ابن أبي أصيبعة من سماعه حديث الأعرابي الذي جاء يستسقي[1].

كان ابن رقيقة من البارعين في طب العيون ، وله خبرة في الكحل والجراحة وأعمال الحديد فيما يخص العين ، وقد صنع لنفسه مقدحاً خاصاً لقدح العين يداوي به مرضاه [2] ، له شعر كثير منه قصيدة تحدث فيها عن العلوم التي أتقنها يقول فيها[3] :.

تقربت بالإطراء بالشعر مدة ... إليكم وبالتنجيم والنحو والطب

وأبدعت آلات النجوم وغيرها ... وأعربت عما اعتاص من لغة العرب

وحدثت أخبار النبي وما أتى ... به الحكماء القدام قبلي في الكتب

وعاملتكم بالصدق فيما أقوله ... ولم آل جهداً في النصيحة والحب

فلم أكتسب شيئاً سوى البؤس والعنا ... وإنفاق عمري بئس ذلك من كسب

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... إلا أن بعد الدار خير من القرب

ألا إن بعد الدار ليس بضائر ... إذا كان من تغشاه ليس بذي لب

ويقول شعراً في وصية طبية تعتبر من الأساليب في نشر الثقافة الصحية في مجتمعه ومنها [4]

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٤ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٤ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧١٦ .

(٤) نفسه ص٧١٣ ، ٧١٤ ، نكمل باقي القصيدة لطرافتها

وفصد العرق نكب عنه إلا ... لذي مرض رطيب الطبع حامي

ولا تتحركن عقيب أكل ... وصير ذاك بعد الانهضام

لئلا ينزل الكيلوس فجا ... فيلحج في المنافذ والمسام

ولا تدم السكون فإن منه ... تولد كل خلط فيك خام

وقلل ما استطعت الماء بعد ... الرياضة واجتنب شرب المدام

وعدل مزج كأسك فهي تبقى ... الحرارة فيك دائمة الضرام

وخل السكر وأهجره مليا ... فإن السكر من فعل الطغام

وأحسن صون نفسك عن هواها ... تفز بالخلد في دار السلام

تـوق الامـتلاء وعـد عنـه وإدخـال الطعـام علـى الطعـام
وإكثـار الجمـاع فـإن فيـه لمـن والاه داعيـه الـشقام
ولا تـشرب عقيـب الأكـل مـاء فتـسلم مـن مـضرات عظـام
ولا عند الخـوى والجـوع حتـى تلهـن باليـسير مـن الإدام
وخـذ منـه القليـل ففيـه نفـع لـذي العطـش المبـرح والأوام
وهـضمك فأصـلحنه فهـو أصـل وأسـهل بالأبـارج كـل عـام

كان يتنقل بين المدن في الشام والجزيرة في خدمة الملوك من بني أيوب حتى استقر به الحال في دمشق ، فواظب على التطبيب في البيمارستان النوري ، وكان يتردد إلى الدور السلطانية والقلعة وله على ذلك الجرايات والجامكيـة [1] لم يصل إلينا شيء من مصنفات في الطب والصيدلة وهي في أغلبها نظم لبعض الكتب الطبية نذكر منها : (نظم لطف السائل وتحف المسائل) يعنـي مسائل حنين بن إسحاق و (ارجوزة في كليات قانون ابن سينا) و (أرجوزة في الفصد) و (الفريدة الشاهية) و (القصيدة الباهية) نظمها في ميافا رقين وديار بكر سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م) ، باسم الملك الأشـرف شـاه أرمـن موسى بن العادل الأيوبي ، ومنها كتاب (موضحة الاشتباه في أدوية الباه) و (مقالة في مسائل وأجوبتها في الحميات) و (الغرض المطلوب فـي تـدبير المأكول والمشروب) وكتاب (الحكماء وفردوس الشرفاء) [2] .

١٥- الطبيب : عمران بن صدقة الإسرائيلي :

عمران بن صدقة الإسرائيلي (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) كان أبوه طبيباً مشهوراً ، وقرأ هو على رضي الدين الرحبي وتميز وذاعت شهرته بين العامة والملـوك وخدمهم بالطب وحاز منهم الأموال الكثيرة ، وكان يميل إلى الاستقرار ولذا كان يأبى مصاحبة الملوك الأيوبيين في السفر فكانوا يستدعونه لعلاجهم فيجيبهم إلى

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٦ .
(٢) نفسه ص٧١٧ .

ذلك ، جمع عدداً كبيراً من كتب الطب النادرة مما اشتراه من مكتبة ابن المطران وخدم في قلعة بدمشق ، وطبب في الدور السلطانية وباشر البيمارستان النوري ، وعالج المرضى ، وتميز في ذلك بطرق ووسائل في الكشف والمداواة لم تكـن عند غيره [1] ، يذكر ابن أبي أصيبعة أنه تتلمذ علـى يديـه فـي البيمارسـتان النوري وشاهد معه شيئاً من طرائقه في العلاج والمداواة والأدوية ممـا يثيـر العجب ، [2] لم تذكر المصادر من مصنفاته إلا كتاب في (تركيب بعض الأدويـة النافعة) [3] برغم غزارة مكتبته الطبية .

١٦- الطبيب : شمس الدين أحمد بن سعادة الخُويي :

أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيـسى ، الخـويي ، (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ، برع في علم بالكلام ، وتميز في الطـب والحكمـة ، وكان بصيراً بالعربية نحواً وصرفاً وشعراً وولي القضاء بدمشق ، كان مولده في خوي (بأذربيجان) [4]سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ، وتعلم بها وبخراسان ، [5] .

درس علم الكلام على الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري [6] ، درس عليه بالشام جماعة من العلماء في المدرسة العادلية التي كانت محلاً لإقامتـه ، [7] وهو أحد شيوخ ابن أبي أصيبعة في الفلسفة [8].

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٦ .

(٢) نفسه ص٦٩٧ .

(٣) نفسه ص٦٩٧ .

(٤) إقليم واسع يتبع له عدة مدن كبيرة مثل تبريز ، وخويّ وسلماس ، وأرمية وغيرها ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص١٢٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ ، إقليم واسع يتبع له العديد من القرى والمدن في المشرق مثل نيسابور وهراة ومرو وغيرها ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٣٠٠ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٧) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث ٦٣١ / ٦٤٠) ، ابن كثير : طبقات الشافعية ج٢ ص٨٢٩ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٦ .

له من الكتب كتاب (علم الأصول) و (التبصرة) وهو يشتمل على رموز حكمية صنفه للسلطان الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب ، و (الـسفينة النوحية) في النفس والروح ، ذكر في مقدمته أنه كان يزمع شرح كتاب الفخـر الرازي فأحجم عنه إلى تأليف هذا الكتاب المختصر ، فضم فيه مـا يغنـي عـن التطويل ، وله أيضاً كتاب في (العروض) وآخر في (النحو) ، وانكـب علـى التأليف إلى أن توفي – رحمه الله – وهو في سن الشباب بمرض حمى الدق [1].

قال فيه أبو شامة شعراً [2]

أحمـد بـن الخليـل أرشـده الله   لمـا أرشـد الخليـل بـن أحمـد

ذاك مـستخرج العـروض وهـذا   مظهر الـسر منـه والعـود أحمـد

١٧- الطبيب : رشيد الدين ابن أبي الفضل الصوري :

أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري (٦٣٩هـ ـ / ١٢٣١م) ولد ونشأ بمدينة صور ، واشتهر بالطب والصيدلة ، وجمع بين العلمين بقـدرة كبيرة ، وتمرس في الأدوية المفردة ومعرفـة خواصـها وماهيتهـا ومنافعهـا وأسمائها وصفاتها، كان شيخه في الطب موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي [3] و موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، أما في الأدوية فقد صحب الشيخ أبا العباس الجياني [4]وانتفع بعلمه في معرفـة الأدويـة المفـردة لتقدمه فيها [5] ، عمل في البيمارستان ببيت المقدس ورحل به السلطان العـادل أبي بكر بن أيوب إلى الديار المصرية فخدمه حتى مات ، ثم خدم ابنـه المعظـم عيسى ، ثم خدم ولده الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، وولاه رياسة الطب

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٣٧٦ ، ابن كثير : طبقات الشافعية ج٢ ص٨٢٩ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٣٧٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٩ ، ٧٠٠ .

(٤) لعله أبو العباس أحمد بن محمد النباتي ابن الرومية الذي دخل بلاد الشام ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٣٨ ، ابن فرجون : الديباج المذهب ص١٠٧ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٠ .

بالشام حتى ترك دمشق، يعد الصوري من أوائل الأطباء المسلمين والعشابين الذين درسوا النبات في بيئته الطبيعية ، فكان يصور أشكالها ويرسم صورتها فيميز كل نبات عن غيره [1] ، كتب في الطب والصيدلة كتباً نافعة فريدة منها : كتاب (الكافي في طب العيون) و(تذكرة الكحالين في طب العيون) [2]وكتاب (الرد على كتاب للغاوي في الأدوية المفردة) [3] .

١٨- الطبيب : عبد العزيز بن عبد الواحد الجيلي :

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي بن محمد الجيلي (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) بارع في العلوم الطبيعية والطب ، امتاز بفصاحة لسانه ، وكثرة حرصه على طلب العلم [4] قال الذهبي :((كان فقيهاً فاضلاً مناظراً متكلماً متفلسفاً رديئ العقيدة مغتراً)) [5] بارعاً في المعقولات ، كان يعلّم الطب في درس خاص به ، عده ابن أبي أصيبعة من شيوخه ، وولي التدريس بالمدرسة العذراوية[6] ،كما تولى منصب الوزارة في دولة الملك الصالح إسماعيل[7] وصنف في الفلسفة والطب كتباً منها (شرح الإرشادات والتنبيهات) صنفه للمظفر تقي الدين عمر بن الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وله أيضاً (اختصار الكليات من كتاب القانون لابن سيناء) [8] .

---

(١) حميدان : أعلام الحضارة العربية الإسلامية ج٣ ص٢٣٥ .

(٢) هو كتاب مفقود إلا بعض الأوراق في الظاهرية دمشق برقم (٢١٤٣ / طب – قديم /٢٨ /ج) وصورة منه بمعهد التراث بحلب برقم (١٥٠) حميدان : أعلام الحضارة الإسلامية ج٣ ص٣٣٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٠٣ .

(٤) نفسه ص٦٤٧ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام حوادث (٦٤١ / ٦٥٠) ص٥٤ ، العبر : ج٣ ص٢٤٣

(٦) تنسب إلى الست عذراء بنت أخي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من مدارس الشافعية ، النعيمي : الدارس ج١ ص٣٧٣ ، ٣٨٢ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٧ ، النعيمي : الدارس ج١ ص١٨٨ ، ١٨٩ .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٨ .

١٩- الطبيب : سديد الدين ابن سقلاب :

سديد الدين بن يعقوب بن سقلاب (٦٤٤هـ / ١٢٢٦م) مـن أفاضـل الأطباء الشاميين وأميزهم في الطب ، شيخه في الطب الطبيب الفيلسوف شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي أقام مدة بالكرك لخدمة الملك الناصـر صـلاح الدين داود بن المعظم عيسى وكانت وفاته بدمشق ، لم يذكر له ابن أبي أصيبعة شيء من المصنفات [١].

٢٠- الطبيب : إبراهيم بن عبد العزيز السلمي :

إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار السلمي (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) فقيه بارع وطبيب حاذق مع ورع ودين وصلاح [٢]أتقن علوم الطب وتفنن فيها ، يقول ابن أبي أصيبعة : « أحكم كليـات أصـولها ،وأتقـن جزئيـات أنواعهـا وفصولها» [٣] خدم الملك الأشرف موسى وحاز منه على الـصلات والهبـات ، وكان حظياً عنده مكيناً في دولته ، رحل في صحبة الملـك الناصـر داود إلـى دمشق وبقي بها يتولى رياسة الطب ومباشرة العمل في البيمارستان النوري [٤] ، وعقد مجلساً عاماً لتدريس الطب بدمشق [٥] كما تولى عمارة المدرسة الحنبلية بدمشق [٦] .

٢١- الطبيب : موفق الدين عبد السلام :

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٩ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٤٨ .

(٣) عيون الأنباء ص٦٧١ .

(٤) نفسه ص٦٧١ .

(٥) نفسه ص٦٧٢ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون ألأنباء ص٦٧٢ ، والصفدي : يقول أنه تولى عمارة المدرسة الجوزية بدمشق انظر في هاتين المدرستين النعيمي : الدارس ج٢ ص٢٩ ، ٣٦ ، ٦٤ ، ٧٣ .

ومنهم موفق الدين عبد السلام كان حياً سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) نعته ابن أبي أصيبعة فقال عنه : ((لقد جمع الصناعة الطبية ، والعلـوم الحكميـة ، والأخلاق الحميدة ، والآراء السديدة)) [٧] أصله من حماة ، كان شيخه بالطـب الطبيب البارع مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار ، وسافر طلبـاً للعلـم وارتحل لأجله ، اعتمد عليه صاحب حلب الملك الناصر يوسف بن محمـد بـن غازي في الطب ، وانتقل إلى صحبة الملك الناصر صلاح الدين يوسف الثاني لما ملك دمشق ، وتنقل بعدها بين مصر والشام وبقي لدى الملك المنـصور بحمـاة ومكث عنده ولقي منه من الإكرام والإنعام [١] كانت بينه وبين ابن أبي أصـيبعة ألفة ومودة فمدحه بقصيدة وهو يتشوق فيها العود إلى دمشق لما كان بـصرخد يقول فيها [٢].

لعـل زمانـاً قـد تقـضى بجلـق	**يعود وتـدنو الـدار بعـد التفـرق**
وإن تسمح الأيام من بعـد جورهـا	**بعـدل وإنـي بالأحبـة نلتقـي**
فكم إلـى أطلالهـا مـن تـشوف	**وكم لي إلى سكانها مـن تـشوق**
....	**...... ....**
دمشق هي القصوى لمن كان قصده	**يرى كل حسن في الـبلاد وينتقـي**
فصفها إذا ما كنت بالعقـل حاكمـاً	**فوصف سواها من قبيـل التحمـق**
....	**......... ....**
يمر نـسيم الـريح فـي جنباتهـا	**لطيفاً كجس النبض مـن مترفـق**
فمن كان يرجـوا للـسلامة ملجـأ	**يجده لدى عبـد الـسلام الموفـق**
حكـيم علـيهم فاضـل متفـضل	**إلى ذروة العلياء والمجـد مرتقـي**

٢٢- الطبيب العشاب عبد ا بن أحمد بن البيطار الأندلسي :

---

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٦ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٦ .

(٢) نفسه ص٧٥٦ ، ٧٥٧ .

ضياء الدين أبو محمد عبد ا بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن البيطـار الأندلسي (٦٤٦هـ / ١٢٤٨هـ) ينتمي إلى أسرة علمية [٣] ،اتجه فـي أول حياته العلمية لدراسة النباتات والأعشاب في بلاد الأندلس وكـان مـن أشـهر شيوخه هناك الطبيب العشاب أبـي العبـاس أحمـد بـن الروميـة الاشـبيلي (٦١٣هـ/١٢١٨م)[١] ودرس على غيره وقرأ كتب النباتـات المـشهورة بـين الأطباء هناك وأتقنها ، وقام بدراسة ميدانية للنباتات والأعشاب فـي بـلاده [٢] خرج في رحلة علمية طاف فيها بلاد المغرب وشمال إفريقيـا ودرس نباتاتهـا وأعشابها ، وواصل رحلته إلى المشرق ودخل مصر [٣] وذاع صيته بها وعرفه الأطباء ، فاستدعاه الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وأكرمه وأحسن إليه وعينه رئيس العشابين بمصر[٤] ، ثم رحل إلى الشام في صـحبة ولـده الملـك الصالح نجم الدين أيوب وأقام بدمشق [٥]، أثنى ابن أبي أصـيبعة علـى ذكائـه وحفظه قال : ((وأتقن دراية كتاب دياسقوريدس إتقاناً بلغ فيه إلـى أن لا يكـاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه ، وذلك أنني وجدت عنده مـن الـذكاء والفطنـة والدراية في النبات في نقل ما ذكره دياسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب فيه)) [٦] .

اجتمع به ابن أبي أصيبعة قبل وفاته بثلاث سـنوات ودرس عليـه فـي النبات من كتاب تفسير الأسماء لدياسقوريدس وقد قام معه برحلة علمية ميدانية

---

(٣) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ج١ ص٣٧٢ .

(١) أحمد بن محمد بن مفرح ابن الرومية الأندلسي الاشبيلي صيدلاني كبير قام برحلة إلى المشرق ولقي علمائها انظر في ترجمته ، المقري : نفح الطيب ج١ ص٦٣٤ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٣٨

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠١ ، المقري : نفح الطيب ج٢ ص٤٤ ، ٤٥ .

(٣) له رحلة علمية قام بها إلى بلاد الروم والأرجح أنه قام بها لما كان بالشام وهي الرحلة التي صحح فيها نسخة كتاب دياسقريودس، السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي ج٢ ص٥٨، حاشية رقم (٣)

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠١ ، المقري : نفح الطيب ج٢ ص٤٤ ، ٤٥ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠١ .

(٦) نفسه ص٦٠١ .

إلى خارج دمشق لدراسة نباتاتها في مواضعها [٧]ويصف ابن أبي أصيبعة وهو أحد تلاميذه منهجيته وطريقته في أدائه لدرسه وترتيبه لكتبه التي يعلـم منهـا طلابه ، فهو يجمع أمامه أفضل ما صنف فـي الأدويـة المفـردة مثـل كتـاب دياسقوريدس وجالينوس والغافقي[١]، ثم يبدأ بذكر كلام دياسقوريدس وما يقوله في كل دواء وصفته وأفعاله ،ثم كلام جالينوس ،ثم بعد ذلك يأتي إلى كلام وأقوال المتأخرين من الأطباء والعشابين ويذكر ما اختلفوا فيه ،وما وقعـوا فيـه مـن الأغلاط بدقة تامة[٢] .

والأمر المستغرب لابن أبي أصيبعة يترجم أن ابن البيطار ضـمن أطبـاء مصر ومن والواضح أنه عاش أكثر فتراته بالشام ومات بها فلا ندري لم ذكـره ابن أبي أصيبعة ضمن الأطباء المصريين [٣] .

ترك جملة من الكتب في الأدوية المفردة [٤] منها كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) [٥] وكتاب (تفـسير كتـاب دياسـقوريدس) [٦] و (الإبانـة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) [٧] وكتاب (ميزان الطبيـب) [٨] وكتاب (الأفعال الغريبة والخواص العجيبة) [٩] .

٢٣- الطبيب : أحمد بن أسعد بن المنفاخ :

---

(٧) نفسه ص٦٠١ .

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن سيد الغافقي (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) طبيب صيدلاني عالم بالأدوية المفردة وخواصها له كتب في الأدوية المفردة فريدة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٠٠ ، ٥٠١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠١ .

(٣) نفسه ص٦٠١ .

(٤) قدم إبراهيم مراد دراسة وافية على جملة كتب ابن البيطار الأصيلة والمنسوبة إليه في مقدمة تحقيقه لكتاب دياسقوريدس ص١٧ ، ٥٥ .

(٥) طبع الكتاب عدة طبعات .

(٦) طبع بتحقيق إبراهيم مراد دار العرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

(٧) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٣١) طب .

(٨) منه نسخة مخطوطة مصورة في قسم التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، فهرس المخطوطات الطبية المصورة ص٢٣٧ .

(٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٠٢.

أحمد بن أسعد بن حلوان بن المنفاخ المعروف بابن العالمة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) كانت أمه من عالمات دمشق ولذا عرف بها ، ولد سنة (٥٩٣هـ/١٢٩٦م) ، وصف بالذكاء وحدة الذهن وفصاحة اللسان ، تتلمذ في الطب على عبد الرحيم بن علي الدخوار [١] ، وبرع في المنطق والأدب [٢] حظي عند الملك المسعود صاحب آمد [٣] وخدمه بالطب وأخذ الوزارة مدة ، ثم نقم عليه وأخذ كل ما أعطاه ، فعاد إلى دمشق وجلس لتدريس الطب ، وفي آخر عمره طب للملك المنصور صاحب حمص [٤] ، ومن الغريب أن هذا الطبيب لم تذكر المصادر أنه خدم في البيمارستان النوري كأكثر الأطباء بدمشق ، وصف بجودة التأليف والتصنيف [5]من كتبه (تعليق على فصول أبقراط) [٦]وكتاب (التدقيق في الجمع والتفريق) (ذكر فيه الأمراض وما تتشابه فيه والتفرقة بين كل واحد منها وبين الآخر مما تشابه في أكثر الأمر)[٧] وكتاب (هتك الأستار في تمويه الدخوار) وهي تعاليق ما حصل له من التجارب [٨] وكتاب (الإرشادات المرشدة في الأدوية المفردة) وكتاب (كفاية الطبيب في الطب) وكتاب (المهملات في كتاب الكليات) وكتاب (العلل والأمراض) وكتاب (شرح أحاديث نبوية تتعلق بالطب) [٩] .

٢٤- الطبيب : عبد الحميد بن عيسى الخُسرو شاهي :

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٨ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص٢٤٧ .

(٣) بلد حصين هي أعظم ديار بكر وأجلها وأشهرها ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص٥٦ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٨ .

(5) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٨ .

(٦) منه نسخة استنبول – حكيم أوغلي مجموع برقم (٥٧٤) من الورقة (١٢٤ب – ١٥٥ب) وفي باريس المكتبة الوطنية برقم (٢٨٤١) .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٨ .

(٨) نفسه ص٧٥٨ رد فيه على شيخه .

(٩) نفسه ص٧٥٨ .

شمس الدين عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يونس بن خليل بن عبد ا بن يونس (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، الفقيه الأصولي ، كان بارع في الفلسفة المعقولات وعلم الكلام نسبته إلى خسروشاه من قرى تبريز [١٠]ومولده فيها سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) تقدم في علم الأصول ،والعلوم الحكمية ،له معرفة بالأصول الطبية[١]، كان عالماً بالفقه والحديث وغيرها من العلوم الشرعية ،أقام بدمشق ثم الكرك عند الملك الناصر داود سنين كثيرة[٢]. ترك من الكتب في الفقه والفلسفة ما يلي(اختصار المهذب) في فقه الشافعية و(اختصار الشفاء) لابن سيناء و (تلخيص الآيات البينات) للفخر الرازي [٣] شيخه في الفلسفة [٤].

٢٥- الطبيب : جمال الدين بن حيدرة الرحبي :

هو جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي (٦٥٨هـ /١٢٥٩م) نشأ بدمشق ، ودرس الطب على والده ، وعلى غيره ، وأتقن علم الطب ، وصف بحسن المعالجة وجودة ، المداواة وكان من الأطباء الذين يعتمد عليهم في الطب ، هو ممن خدم بطبه في البيمارستان النوري بدمشق مع جملة الأطباء فيه ، ومع شغفه بالطب كان يتعانى التجارة ويسافر من أجلها إلى مصر وغيرها ، وقد اضطره دخول التتار الشام الرحيل إلى القاهرة فأقام فيها إلى أن وافته المنية بها[٥]

٢٦- الطبيب : نجم الدين يحيى بن عبد الواحد اللبودي :

---

(١٠) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٤٨، تبريز :أشهر مدن أذربيجان وهي مدينة عامرة ذات أسوار محكمة وفي وسطها الأنهار وبها البساتين الجميلة المحيطة بها ،ياقوت الحموي :معجم البلدان ج٢ ص١٣.

(١) السبكي : طباق الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١ .

(٢) ابن كثير : طبقات الفقهاء الشافعية ج٢ ص٨٧١ .

(٣) عيون الأنباء ص٦٤٨، ٦٤٩، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص١٦١،طبقات الفقهاء الشافعيين ج٢ ص٨٧١

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٦٤٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٢ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ص٢٢١ .

هو نجم الدين أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد ا   بـن عبـد الواحـد اللبودي (٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) وصفه ابن أبي أصيبعة بحدة ذكائه وعلو همـة في طلب العلوم الحكمية [٧]، كان معتنياً بالأدب وفنونه له شعر متميـز [٨] ولـد بمدينة حلب في أوائل القرن السابع الهجري ، وقدم مـع والـده إلـى دمـشق وظهرت فيه علامات النجابة منذ أن اشتغل بالطب على مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار ، فبرع وتميز [١] ، كان من خواص الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص خدمه بالطـب ، وكـان لا يفارقه في أسفاره ، وولي الوزارة عنده ، وتقدم في دولته ، وبعد موته خـرج إلى الديار المصرية في صحبة الملك الصالح نجم الدين أيوب فأكرمـه وأحـسن إليه وأجزل عليه في العطاء[٢]، عمل ناظراً على الديوان بالإسكندرية ، ثم بعـد مغادرته مصر تولى نظر الديوان في البلاد الشامية [٣] ، كان من أعظم أعمالـه

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٣ .

(٧) من شعره في مدح الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٤ .

هـذي المهابـة والجـلال الهائـل ... بهـراً فمـاذا أن يقـول القائـل

لـو أن قـساً حاضـراً متمـثلاً ... يومـاً لـديك حـسبته هـو باقـل

هـل تقـدر الفـصحاء يومـاً أن يـروا ... وبيـانهم عـن ذي الجـلال يناضـل

وبـك اقتـدى جـل النبيـين الأولـى ... ولـديك أضـحت حجـة ودلائـل

أظهـرت إبـراهيم أسـباب الهـدى ... والخيـر والمعـروف أنـت العامـل

شـيدت أركـان الـشريعة معلنـاً ... ومقـرراً أن الإلـه الفاعـل

مـا زال بيتـك مهـبط الـوحي الـذي ... لجلالـه مقفـر ربعـك آهـل

وبهـرت فـي كـل الأمـور بمعجـز ... مـا أن يخـالف فيـه يومـاً عاقـل

وكفـاك يـوم الفخـر أن محمـداً ... يـوم التناسـب فـي النجـار مواصـل

مـا زالـت تنقـل للنبـوة سـرها ... حتـى غـدا لمحمـد هـو حاصـل

فعليكمـا صـلوات رب لـم يـزل ... يأتيكمـا منـه ثنـاً وفواضـل

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٤ .

(٢) نفسه ص٦٦٤ .

(٣) نفسه ص٦٦٣ ، ٦٦٤ .

وفضائله إنشاء المدرسة المشهورة بتعليم الطب ، وهي من آثـاره الحميـدة . وأعماله الجليلة التي خدم بها الحركة العلمية وطلبة الطب بالشام [٤] ترك العديد من المصنفات في الطب والرياضيات والفلسفة والتنجيم منها : (مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سيناء) و(مختصر عيون الحكمـة لابـن سـيناء) و (مختصر كتاب الملخص لابن خطيب الـري) و (مختـصر كتـاب الإرشـادات والتنبيهات لابن سيناء) و (مختصر كتاب المسائل لحنـين بـن إسـحاق) و (مختصر مصادرات أوقليدس) وكتاب (اللمعات في الحكمـة) و كتـاب (آفـاق الأشراق في الحكمة) وكتاب (المناهج القدسية في العلوم الحكميـة) وكتـاب (كافية الحساب) وكتاب (غايات الغايات في المحتاج إليه أوقليدس والمتوسطات) وكتاب (تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية على طريق مـسائل خلاف الفقهاء) [١] و (غاية الإحكام في صناعة الأحكام) و (الرسالة السنية في شرح المقدمة المطرزية) و (الأنوار الساطعات في شرح الآيات البينات) وكتاب (نزهة الناظر في المثل السائر) وكتاب (الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة) و (رسالة المنصورية في الأعداد الوقفية) و (الزاهي في اختـصار المقرب المبني على الرصد المجرب) [٢] .

٢٧- الطبيب : أبو الحسن علي بن يوسف الرحبي :

أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبـي (٦٦٧هـ ـ / ١٢٦٨م) شيخ الأطباء في وقته ، سار على طريقة والده في الطاب والاشتغال حتى برع في الطب ، وكانت له همة في قراءة الكتب والبحـث والتـدقيق فـي المسائل [٣] ، اشتغل بالطب على أبيه ، وعلى موفق الدين عبـد اللطيـف بـن يوسف البغدادي وأخذ عليه كثيراً من العلوم وخصوصاً في تصانيفه ، أمـا فـي

---

(٤) النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(١) هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من كتب هذا الطبيب منه نسخة في الأسكوريال برقم (٨٩٢) وفي فهرس غزيري برقم (٨٨٧) .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٦٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ص .

الأدب والعربية فعلى الشيخ علم الدين السخاوي [٤] وغيره ، كان يقضي معظم وقته في القراءة وملازمة الكتب وآثر العزلة والاختلاط بالملوك ، اشتغل بممارسة الطب في البيمارستان النوري كعادة الأطباء ، وهو أول شيخ يتولى التدريس في المدرسة الدخوارية برسم الواقف ، له شعر جيد ، ومراسلات مع ابن أبي أصيبعة يذمه على البقاء بصرخد ويرغبه بالعودة إلى دمشق بلدة العلماء ومجمع الأطباء منها [١] :

موفق الدين ماذا السهو منك على ... ما نلت من رتبة في العلم والأدب

أبعت نفسك بالنزر الحقير لقد ... أرخصتها بعد طول الجد والدأب

أقمت في بلد يزري بساكنه ... لا يرتضيه لبيب من ذوي الرتب

ناء عن الخير ذي جدب فليس به ... سوى صخور وحر منه ملتهب

مضيعاً فيه عمراً ما له عوض ... إذا تصرم وقت منه لم يؤب

أتحسب العمر مردوداً تصومه ... هيهات أن يرجع الماضي من الحقب

....

فعد إلى جنة الدنيا فقد برزت ... لمجتلي الحسن في أثوابها القشب

ولا تقم بسواها مع حصول غنى ... فالعمر فيما سواها غير محتسب

....

فالرأي ما قلته فاعمل به عجلاً ... ولا تصغ نحو قدم غير ذي حدب

فغفلة المرء مع علم ومعرفة ... عن واضح بيّن من أعجب العجب [٢]

---

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي الشافعي (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) من علماء القراءات الكبار والمشاهير بها برع في علوم اللغة والأدب وأخذ عليه عدد كبير من الطلاب وصنف في القراءات والتفسير واللغة عاش حياته بالشام ، الذهبي : معرفة القراء الكبار ص٣٤٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٣٤٠ ، ٣٤١ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٧٦ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص٢٠٧ .

(٢) وقد رد عليه ابن أبي أصيبعة بقصيدة طويله منها

له من الكتب الطبية كتاب (خلق الإنسان وهيئة أعضائه ومنفعتها) يقول ابن أبي أصيبعة : لم يسبق إلى مثله [١] وكتاب (حواش على كتاب القانون لابن سيناء) وكتاب (حواش على شرح أن صادق لمسائل حنين ابن إسحاق) [٢] .

٢٨- الطبيب : أحمد ابن القاسم ابن أبي أصيبعة :

مولاي يا شرف الدين الذي بلغت ... أدنى مساعيه أعلى رتبة الأدب
ومن سمت في سماء المجد همته ... فأدركت في المعالي أرفع الرتب
قد فاق بقراط في علم وفي حكم ... وفاق سحبانه في شعر وفي خطب
له التصانيف في كل العلوم ولا ... شيء يماثلها من سائر الكتب

....

وإنني بعد ما جد الفراق بنا ... والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
وكيف يلتذ عيشاً من أتاح به ... هذا الزمان إلى قوم من الحطب
لم يعرفوا قدر ذي علم لجهلهم ... وليس ذلك في الجهال بالعجب
أتيت من ضاع فضلي في فناه وهل ... غباوة العجم تدري فطنة العرب
وإن أقمت به أقوم على خطأ ... متى وقد مر بعض العمر في نصب
فقد أقام سميي قبل في نفر ... بأرض نجلة يشكو حادث النوب
وهي الأمور التي تأتي مقدرة ... وليس شيء من الدنيا بلا سبب

....

وقد رأيت صواباً ما أمرت به ... وما نصحت بلا شك ولا ريب
وليس ينكر شيئاً أنت قائله ... من النصيحة والآراء غير غبي
وأن لي همة تسمو السماك وما ... إلا الفضائل والعلياء مطّلبي
وسوف أقصد أرضاً قد نشأت بها ... والقرب من كل ذي فضل وذي أدب
وأجعل العزم في علم أحصله ... فالعلم في كل حال خير مكتسب

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٨٢ .

(٢) نفسه ص٦٨٢ .

أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعـروف بـابن أبـي أصـيبعة (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) [٣] ولد في دمشق [٤] وكان أبوه وعمه طبيبان وكـالان مشهوران بالشام[١] ولا شك أنه بدأ حياته العلمية بالأخـذ عنهمـا فـي الطـب والكحالة [٢] . كان أديباً شاعراً [٣] وقد ذكر ابن أبي أصيبعة بعض شيوخه الذين أخذ عنهم الطب بالشام أمثال القاضي رفيع الدين عبد العزيز بن عبـد الواحـد الجيلي [٤] والطبيب عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي ، وعمران بن صـدقة الإسرائيلي ، قرأ عليه في كتب الطب وشاهد معه المرضـى فـي البيمارسـتان النوري [٥] والطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علـي الـدخوار ، قـرأ عليـه ومارس المهنة معه وشاهد معه المرضى مع جملة الطلبـة [٦] ورضـي الـدين يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي[٧] وفي الفلسفة أخذ عن الطبيب الفيلسوف شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخوي[٨] وسيف الدين علـي بـن علـي الآمدي [٩] .

والناظر إلى حياة ابن أبي أصيبعة من خلال كتابه عيون الأنباء يلاحظ أن حياته العلمية كانت حافلة بالجد والمثابرة في أخذ العلوم وملازمة مشائخ الطـب وجمع الكتب والتأليف وتتبع الأحداث مما ينم عن شخصية علمية فذة كان يتمتع

---

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٢ ، عيسى بك : معجم الأطباء ص١١٤ .

(٤) هناك خلل في الروايات حول سنة مولده بين من يذكر أنه ولد سنة ٥٧٨هـ أو سنة ٥٩٥هـ أو سنة ٦٠٠هـ وقد ناقشها ماهر عبد القادر مناقشة جيدة انظر كتابه الطب العربي رؤية استمولوجية دار المعرفة الجامعية ١٩٩٩م ص١٤١ ، ١٤٣ .

(١) عيون الأنباء ص٦٣٦ ، ٦٥٠ .

(٢) نفسه ٦٣٦ ، ٦٥٠ .

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٧ ص٢٩٥ .

(٤) عيون الأنباء ص٦٤٧ .

(٥) نفسه ص٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(٦) نفسه ٧٣٢ .

(٧) نفسه ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ .

(٨) نفسه ص٦٤٦ .

(٩) نفسه ٦٥٠ .

بها ابن أبي أصيبعة فهو يشير إلى رحلاته العلمية التي كان يقوم بها إلى مصر ويتردد فيها على الأطباء المصريين ويلتقي بهم ، فهو يذكر أنـه لازم الطبيـب المصري سديد الدين أبو الفضل داود ابن أبي البيـان سـليمان وشـاهد معـه المرضى داخل البيمارستان الناصري بالقاهرة ووصف ((حسن تأنيـه لمعرفـة الأمراض وتحقيقها وذكر مداواتها)) [١٠]، وذكر أنه قرأ بعضاً من الكليات مـن القانون لابن سيناء على الطبيب أفضل الدين أبو عبد ا محمـد بـن نامـاوار الخونجي في رحلته إلى مصر سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) [١] واجتمـع أيـضاً برشيد الدين أبو الحسن بن الفارس أبي الخير بن أبي سليمان داود بـن المنـى واستفاد منه [٢] وقرأ أيضاً بدمشق على الطبيب أسعد الدين عبد العزيز بن أبـي الحسن بن علي لما وفد إلى دمشق ، وقرأ عليه في القاهرة لما رحل إليها سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) لأنه كانت تربطه به علاقة ومودة[٣] وذكر أن من شيوخه في النبات الطبيب النباتي أبو عبد ا أحمد بن البيطار درس عليه وشاهد معـه النباتات الشامية واستفاد منه [٤] وكانت المدة التي يقضيها في دمشق يقـضيها في ممارسة الطب وتعليمه وتصنيف الكتب [٥] حتى خرج منها إلى صرخد وبقي بها إلى حين وفاته [٦] .

صنف في الطب كتباً منها : كتاب (حكايات الأطباء في علاجات الأدواء) وكتاب (إصابات المنجمـين) وكتـاب(معـالم الأمـم)[٧] وكتـاب (التجـارب والفوائد)[٨] وكتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) [٩]

(١٠) نفسه ص٥٨٤ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٥٨٦ .

(٢) نفسه ص٥٩٠ .

(٣) نفسه ٦٠٠ .

(٤) نفسه ص٦٠١ .

(٥) نفسه ص٧٢٥ ، ٧٣٢ ، ٧٦٨ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٢ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج٧ ص٢٩٥ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٦٩٧ .

(٨) حميدان : أعلام الحضارة العربية الإسلامية ج٣ ص٦٢ ، ٦٣ .

٢٩- الطبيب : المظفر بن عبد الرحمن البعلبكي :

بدر الدين المظفر بن عبد الرحمن بن إبـراهيم ابـن قاضـي بعلبـك (٦٧٥هـ / ١٢٧٦م) نشأ بدمشق في رعاية والـده الـذي وجهـه للاشـتغال بصناعة الطب لما رأى فيه من صفات النجابة والذكاء ، لازم شيخ الأطباء فـي دمشق مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار وقرأ عليه في العلم والعمل فبز أقرانه وتفوق عليهم بما عرف عنه من مداومة الإطلاع والقـراءة مـع الفهـم والحفظ ، وقد لفت سرعة حفظه وتفوقه شيخه الدخوار فأعجب به [(١)] يقول ابن أبي أصيبعة منوهاً بذلك : ((أن الشيخ مهذب عبد الرحيم بن علي كـان قـد صنف مقالة في الاستفراغ ، وقرأها عليه كل واحد من تلامذته ، وأما هو فإنـه شرع في حفظها ، وقرأها عليه من خاطره غائباً من أولها إلى آخرها فأعجـب الشيخ مهذب الدين بذلك)) [(٢)] .

رحل بدر الدين المظفر مع شيخه مهذب الدين الدخوار لمـا سـافر إلـى الشرق في خدمة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ، ولازم الدرس والقراءة عليه [(٣)] ، قضى مدة من حياته في مدينة الرقة وخدم فـي بيمارسـتانها وبهـا صنف مقالته عن مزاج الرقة وأحوالها وأهويتها [(٤)] ، عاد بعدها إلـى دمـشق فأصدر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود بن الملك العادل منشوراً بتولية بدر الدين المظفر رياسة الأطباء والكحالين والجراحين كان ذلـك في سنة سبع وثلاثين وستمائة ، فكانت آثاره محمودة وشـاهدة علـى حـسن رياسته يقول ابن أبي أصيبعة : ((فجدد من محاسن الطب ما درس وأعاد مـن

---

(٩) لهذا الكتاب عدة طبعات محققة قديمة وحديثة آخرها النسخة التي حققها عامر النجار في أربع مجلدات الهيئة المصرية للكتاب الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥١ .

(٢) نفسه ص٧٥١ .

(٣) نفسه ص٧٥١ .

(٤) نفسه ص٧٥١ .

الفضائل ما ذكر)) [5] فمن أعماله المذكورة التجديد والزيادات التي أدخلها على البيمارستان النوري بما بذله من جهده وماله [6] .

خدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ، والدور السلطانية بالقلعة ، وقد أعيد في أيامه تجديد كتابه المنشور بالرياسة على الأطباء بالشام سنة خمس وأربعين وستمائة ، وخدم من جاء بعده وله على ذلك الجرايات والرواتب[7] تولى التدريس بمدرسة شيخه الدخوار خلفاً لشرف الدين الرحبي وبقي بها مدة [8]، كانت له همة في تحصيل العلوم الشرعية ففرّغ نفسه لعلم الفقه ، فقرأ كتب فقه الشافعية في المدرسة الفلجية [1]، وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم القراءات والتفسير على الشيخ أبي شامة المقدسي ، مع ما عرف عنه من العبادة والدين والنفع للمسلمين [2] .

ومن مصنفاته كتاب (مزاج الرقة) وهو مقالة بليغة في المعنى الذي صنفت فيه [3] وكتاب (مفرح النفس) استقصى فيه ذكر الأدوية والأشياء القلبية على اختلافها [4] وتنوعها و (ملح في الطب) فيه أشياء حسنة وفوائد من كتب جالينوس وغيرها [5] .

٣٠- الطبيب : يعقوب بن إسماعيل السامرائي :

---

(5) نفسه ص٧٥١ .

(٦) نفسه ص٧٥١ ، انظر الفصل الثاني البيمارستان النوري

(٧) نفسه ص٧٥٢ .

(٨) نفسه ص٦٧٦ ، ٧٣٤ .

(١) بناها مجاهد الدين ابن قليج محمدبن شمس الدين محمود ولي التدريس عدد من مشائخ الفقه الشافعي في القرن السابع الهجري ، النعيمي : الدارس ج١ ص٤٣٤ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٢ .

(٣) نفسه ص٧٥٥ .

(٤) نفسه ص٧٥٥ .

(5) نفسه ص٧٥٥ .

يعقوب بن إسماعيل بن غانم السامري (٦٨١هـ / ١٢٨٢م)[٦] ولـد ونشأ بدمشق ، وبرع في الطب وتميز ، كانت له حلقة اشتغال وتدريس للطب ، وانتفع به كثير ممن درس عليه[٧] .

ترك جملة من المصنفات أثنى عليها ابن أبي أصـيبعة[١] منهـا كتـاب (شرح كليات القانون لابن سيناء)[٢] ضمنه بعض الشروح المهمـة ، وحـل شكوك نجم الدين بن المنفاخ على كتاب الكليات (كنـاش) فـي الطـب[٣] و (المدخل إلى علم المنطق الطبيعي والإلهي)[٤] .

٣١- الطبيب : عماد الدين محمد بن عباس الدنيسري :

هو عماد الدين أبو عبد ا محمد بن القاضي تقي الدين عباس بن أحمد بن عبيد الربعي الدنيسري (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) ولد بمدينة دنيـسر[٥] فـي سنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) وعرف بذكائه وغزارة علمه بدأ تعلـم

---

(٦) ذكر هذا التاريخ في كل النسخ المحققة لعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، واللافت للنظر في هذا ، أن وفاة ابن أبي أصيبعة كانت قبل وفاة السامري بسبع وعشرين سنة ، فلعل ذلك من زيادات النساخ واسـتدراكاتهم ، أو أن السامري توفي قبل وفاة ابن أبي أصيبعة وإنما ذلك غلط من الناسخ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٧ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٧ .

(٢) منه نسخة مخطوطة في أحمد الثالث برقم (١٩٤٦ / ف / ٦٤٢) منها نسخة مصورة بمعهد التراث بحلب برقم (٩٨١) .

(٣) منه نسخة في الهند رامبور برقم (١ / ٤٩٣)

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦٧ .

(٥) بلدة عظيمة مشهورة من أرض الجزيرة قرب ماردين ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ ص٤٧٨ .

الطب في بلده دنيسر فبرع فيه [٦] ، رحل إلى مصر وسمع الحديث عن جماعة من أصحاب أبي طاهر السلفي [٧] وغيره ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي وبرز فيه [٨] صحب هناك الشاعر البهاء زهير [٩] واستفاد منه في الأدب والشعر ، وله شعر جميل في الغزل[١٠] .

رحل إلى دمشق وأقام بها [١] يقول ابن أبي أصيبعة : ((وكان اجتماعي به بدمشق سنة سبع وستين وستمائة)) [٢] ويذكر اليونيني أنه كان يجتمع به مراراً وسمع من شعره [٣]خدم بطبه في الدور السلطانية وقلعة دمشق والبيمارستان النوري الكبير [٤] له من المصنفات في الطب كتاب (المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة) وكتاب (نظم الترياق الفاروق) ، وكتاب (تقدمة المعرفة لابقراط) وديوان شعر [٥] .

٣٢- الطبيب : علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي ابن النفيس : [٦]

---

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦١ .

(٧) الإمام العلامة الحافظ المحدث أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني الجرواني كان يقصده العلماء من أرجاء الدنيا استوطن الإسكندرية وتوفي (٥٧٦هـ / ١١٨٠م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢١ ص٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص١٥٠ .

(٨) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج٤ ص٣٢٩ .

(٩) زهير بن محمد بن أحمد المهلبي شاعر مصري اتصل بخدمة السلاطين الأيوبيين بمصر شعره أكثره في الغزل توفي سنة ٦٥٩هـ الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٤ ص٢٣١ ، ٢٤٢ .

(١٠) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦١ .

(٥) نفسه ص٧٦١ .

(١٠) ذيل مرآة الزمان ج٢ ص٣٢٩ .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٦١ .

(٢) نفسه ص٧٦١ .

(٦) حظي هذا الطبيب بعناية الباحثين وكتبت فيه دراسات وبحوث كثيرة جداً باللغة العربية والإنجليزية . انظر فيما كتب عنه زهير حميدان : أعلام الحضارة الغربية الإسلامية ج٤ ص١٠٦ ، ١١٢ .

علا الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) أحد أعلام الطب في الإسلام ، ولد ونشأ بدمـشق [٧] ، ودرس الطـب على يد عبد الرحيم بن علي الدخوار [٨] والطبيب عمران الإسرائيلي حتى بـرع فيه [٩]، إلى جانب ذلك كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي له فيه مصنف [١٠] ومجيداً لعلم أصول الحديث وله فيه مصنف [١١] ، عـالم بالأصـول والمنطـق والعربية [١٢] ويبدوا أنه قد أخذ هذه العلوم وأتقنها قبل ارتحالـه إلـى الـديار المصرية سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) [١] استوطن القاهرة وكان يمارس الطب في البيمارستان الصلاحي ويتولى رياسة الأطباء والكحالين [٢] ، وذاعـت شهرته وعلت منزلته وقرأ عليه الأطباء وكان له تلاميذ يترددون إليه ويأخذون عنه الطب فنبع كثير منهم [٣] يقول السبكي : ((أما الطب فلم يكن علـى وجـه الأرض مثله ، قيل : ولا جاء بعد ابن سيناء مثله ، قالوا : كان في العلاج أعظم من ابن سيناء)) [٤] توفي بالقاهرة عن عمر يناهز الثمانين عاماً بعد أن جعـل كتبه وأملاكه وقفاً على البيمارستان النوري [٥] .

---

(٧) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج٧ ص٣٣١ ، غليونجي : ابن النفيس ص٨٠ .

(٨) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣٠٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٤ ص٢٠٧ .

(٩) غليونجي : ابن النفيس ص٨١ .

(١٠) شرح كتاب (التنبيه) للشيرازي في الفقه الشافعي وهو أحد أهم الكتب المعتمدة في الفقه الشافعي .

(١١) له فيه كتاب المختصر في علم أصول الحديث النبوي طبع بتحقيق يوسف زيدان الدار المصرية اللبنانية ط١ ١٤١٢هـ .

(١٢) عيسى بك : معجم الأطباء ص٢٩٣ .

(١) عيسى بك : معجم الأطباء ص٢٩٣ ، نظرت الكتب التي ترجمت لابن النفيس إلى الجـزء الثـاني مـن حياته ولذا عد طبيباً مصرياً على الرغم من أنه ولد ونشأ وتعلم الطب وغيره من العلوم بدمشق ثم رحل إلـى مصر وقضى بها بقية حياته وتوفي بها ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣٠٥ ، اليافعي : مـرآة الجنان ج٤ ص٢٠٧ .

(٢) العيني :عقد الجمان حوادث (٦٥٦/٦٨٥) ص٣٧٤، العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٣ ص٤٠١،٤٠٢.

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٧٤ ، ٣٧٥ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٣٠١ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣٠٥ .

(٥) نفسه ج٨ ص٣٠٦ .

ترك ابن النفيس كماً كبيراً من المصنفات المهمة في علوم الطب وفروعه منها [٦] : (رسالة الأعضاء) [٧] و (شرح تشريح القانون) [٨] وكتاب (الموجز في الطب)[٩]، وكتاب (شرح فصول أبقراط)[١٠]وكتاب(المختار في الأغذية)[١١] في طب العيون و (المهذب في الكحل المجرب) [١٢] وكتاب (مفتـاح الـشفاء فيطب العين) [١] والكتاب (الموسوعي الشامل) [٢] يقول السبكي : ((قيل لو تم لكان ثلاثمائة مجلدة تم منه ثمانون مجلدة)) [٣] وكتاب (شرح كليات القـانون) [٤] و (شرح تقدمة المعرفة) [٥] و (شرح كتاب أبيديميا) [٦] وغيرها .

لقد ترك ابن النفيس كتباً عظيمة القدر وتراثاً ضخماً ومتنوعاً في فنـون الطب بين شروح وتلاخيص ومؤلفات مبتكرة [٧] تشهد بقدرته العلمية ومكانتـه

---

(٦) قدم يوسف زيدان دراسة موسعة على مصنفات ابن النفيس المخطوط والمطبوع والمفقود والمنحول إليـه في أول تحقيقه لكتاب (المختصر في علم أصول الحديث النبوي) ص٩ ، ٨٢ .

(٧) حققها يوسف زيدان الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .

(٨) حققه سليمان قطايه الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م .

(٩) حققه عبد الكريم عزباوي الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(١٠) حققه يوسف زيدان وماهر عبد القادر الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

(١١) حققه يوسف زيدان الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(١٢) حققه محمد ظافر الوفائي الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

(١) منه صورة بمعهد التراث العلمي بحلب برقم (٨١٣) .

(٢) حقق منه يوسف زيدان أجزاء في المجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٨ ص٣٠٥ ، الذهبي : العبر ص ، النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣١ .

(٤) منه نسخة بمكتبة برلين برقم ٦٢٧٣ وأخرى ميكرو فيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقـاهرة بـرقم ٥٥٩ / طب مؤرخة بسنة ٦٨٢هـ .

(٥) منه نسخة بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٥٤٧٦ / طب .

(٦) نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٥٨٣ طب / طلعت .

(٧) شحادة : ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي العدد الثاني ص٣٨٦ .

الطبية ومنهجه الفريد في التأليف دونّ خلالها منهجه ونظرياته ومكتشفاته التي تفرد بها وخالف فيها سابقيه من الأطباء .[8]

٣٣- الطبيب إبراهيم بن محمد السويدي :

إبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الأنصاري الدمشقي السويدي (٦٩٠هـ / ١٢٩١م)[1] **ولد بدمشق في سنة ستمائة ونشأ بها ، وكان من أقران ابن أبي أصيبعة وقرأ معه في المكتب**[2] **اشتغل بالطب على مشاهير الأطباء بالشام فأتقنه وبز فيها أقرانه وتفوق**[3] **يمدحه ابن أبي أصيبعة فيقول : ((واشتغل بصناعة الطب حتى أتقنها إتقاناً لا مزيد عليه ، ولم يصل أحد من أربابها إلى ما وصل ، قد حصل كلياتها ، واشتمل على جزئياتها))**[4] **كان أبرز شيوخه في الطب عبد الرحيم بن علي الدخوار ، و خدم بالطب في البيمارستانات**

---

(٨) أشهرها هو اكتشافه الدورة الدموية الصغرى وهي من أشهر المكتشفات التي قدمها ابن النفيس لعالم الطب وإن كانت قد نسبت إلى الطبيب الألماني (وليم هرفي) انظر حول هذه القضية عبد الكريم شحادة ، عكاوي : ابن النفيس (جالينوس العرب) دار الفكر العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م ص١١٢ ، ١١٩ ، علي القيم : ابن النفيس الدمشقي دار المعرفة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ص٤٨ ، ٦٣ ، الدفاع : علي بن عبد ا : أعلام العرب والمسلمين في الطب ص٢٠٠ ، ٢١٥ ، قطاية : الطبيب العربي ابن النفيس المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٤م ، محمد علي : مقدمة في تاريخ الطب العربي دار العلوم العربية الطبية الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ص٩٣ ، ١٣٣ ، شحادة : ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية أبحاث المؤتمر العالمي .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ ، ويبدو أن أحمد عيسى في معجم الأطباء قد وهم في هذا الطبيب فذكر على انه طبيب آخر غير السويدي انظر ص٥٩ ترجمة (إبراهيم بن محمد من ولد سعد بن معاذ ...) .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٦ ص١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ .

(٤) نفسه ص٧٥٩ .

الدمشقية النوري وبيمارستان البريد و جلس للتدريس في المدرسة الدخوارية [5] برع في الأدب واللغة وأخذها عن أكابر الأدباء والنحاة في الشام آنذاك كان ابن معطي ، خزعل النحوي [6] وغيرهما ، ويبدو أن ابن السويدي كان واحداً من التلاميذ الذين درسوا في الدخوارية على يد مؤسسها ثم كان له شرف التدريس بها بعد ذلك ، عرف بهمته العالية وحبه للكتب ونسخها وخصوصاً كتب الطب وقد تميز بجودة خطه ونسخه[7] أما عن مصنفاته فمنها : كتاب (الباهر في الجواهر) [8] وكتاب (التذكرة الهادية والذخيرة الكافية في الطب) [1] وكتاب (خواص الأحجار من اليواقيت والجواهر) [2] و(مختصر مفردات ابن البيطار الكبير) [3] (والسمات في أسماء النبات) [4] (وقلائد المرجان في طب الأبدان) [5].

٣٤- الطبيب : عبد الوهاب بن أحمد التنوخي :

عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) [6] محدث وطبيب وشاعر ، درس في المدرسة الدماغية [7]بدمشق ،

---

(٥) نفسه ص٧٥٩ .

(٦) خزعل بن عسكر بن خليل المصري (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) من أعلام النحاة كان يدرس اللغة والنحو في الجامع الأموي رحل إلى مصر والعراق في طلب العلم ، القفطي : إنباه الرواة ج١ ص٣٨٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٣ ص٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص٧٥٩ .

(٨) منه ثلاث نسخ خطية الأولى في دار الكتب المصرية برقم (٧ /١٨٤) والثانية برلين المكتبة الوطنية برقم (٦٢١٥) والثالثة بودليان برقم (١ / ٥١٠) وثانية برقم (٢ / ٨٨٣) .

(١) لها العديد من النسخ في مكتبات العالم وقد طبع مختصرها عدة طبعات منها بشرح وتعليق محسن عقيل الطبعة الأولى منه ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، وهير حميدان : أعلام الحضارة الإسلامية ج٣ ص٢٣ .

(٢) منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (١٢/طب) من عام ٩٨٩هـ .

(٣) منه نسخة في الأحمدية بحلب رقم (١٧٣٢ / شرقية) عام ١٢٤٦هـ .

(٤) منها نسخة في باريس برقم (٣٠٠٤) .

(٥) منها نسخة في الهند بتنه برقم (١ / ٢٥١) وباريس برقم (٢ / ١ / ٣٠٠١) .

(٦) الكتبي : الوافي بالوفيات ج٢ ص ٢٠ .

وخطيب جامع النيرب وكان من أطباء البيمارستان الذي بالجبل له كتاب سماه « مفرح النفس في الطب » [(8)] .

٣٥- الطبيب : أحمد بن عبد الله الدمشقي :

أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) المعروف بالمحقق من الأطباء الذين مارسوا مهنة الطب مع تضلعه في العلوم الشرعية [(9)] ، كان ممن برع في الفقه الشافعي وأعاد في مدارسها وأفتى ، تولى مشيخة المدرسة الدخوارية ومارس الطب في البيمارستان النوري مع جملة الأطباء [(1)] لم تذكر المصادر مصنفات له في الطب أو غيره من العلوم .

٣٦- الطبيب : إبراهيم بن رشيد بن أبي خليفة :

إبراهيم بن الرشيد بن أبي الوحش بن أبي خليفة (٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) كان رئيس الأطباء بالشام ومصر ، خدم بالطب الملك الظاهر بيبرس وكان ذلك بعد إسلامه ، يقول العماد الحنبلي : « وهو أول من ركب شراب الورد ولم يكن معروفاً بدمشق قبل ذلك » كانت وفاته بالقاهرة [(2)] .

٣٧- الطبيب : القاسم بن مظفر بن عساكر الدمشقي :

القاسم بن مظفر بن محمود بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) المحدث العلامة مسند الشام ولد بدمشق في

---

(٧)تنسب إلى فارس الدين بن الدماغ زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي هي إحدى مدارس الشافعية التي بنيت في القرن السابع الهجري عمل بها عدد من الفقهاء الشافعية في دمشق وبقيت تؤدي دورها العلمي حتى منتصف القرن الثامن ، النعيمي : الدارس ج١ ص٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٨) الكتبي : الوافي بالوفيات ج٢ ص٢٠ .

(٩) ابن كثير : البداية والنهاية ج٦ ص٣٦٣ .

(١) النعيمي : الدارس ج١ ص١٧٢ ، ١٧٣ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص١٠٩ .

(٢) المقريزي : السلوك ج١ ص١٠٦٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج١ ص٧٥ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٢٩١ .

عام (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) [٣] **وعمر طويلاً كان من الأطباء المحدثين درّس الحديث والطب ، وكان يعالج المرضى بدون أجر احتساباً ، ذاعت شهرته في الحديث برغم براعته في الطب ، وكان يحسن إلى طلابه ويخصهم بشيء من بره وقف في آخر حياته داره دارا للحديث** [٤] **.**

٣٨- الطبيب : علي بن طرخان الحموي :

علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) يقول الصفدي : ((كان شكلاً حسناً أحمر الوجه منور الشيبة كان يعرف بعلاء الدين الكحال رأيته غير مرة بصفد)) [٥] **له جملة من الكتب الطبية وصل إلينا منها كتابه (الأحكام النبوية في الصناعة الطبية)**[١]**ومن كتبه (القانون في أمراض العين) وكتاب(في الكحل) وله كتاب سماه(في مطالع النجوم في شرف العلماء والعلوم)**[٢]

٣٩- الطبيب : إسماعيل بن شاهنشاه الأيوبي :

إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ابن أيوب (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ولد بدمشق سنة (٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) طبيب ومؤرخ والشاعر [٣] **يقول ابن كثير : ((كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة من الفقه والهيئة والطب))** [٤] **تولى حكم مدينة حماة نيابة** [٥] **وكان**

---

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص١١٢ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج٣ ص٣٢٣ ، ٣٢٤ ، النعيمي : الدارس ج٢ ص١٣٧ .

(٥) الوافي بالوفيات ج٢ ص٢٦٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ص .

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد ا المنشاوي مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة الطبعة الأولى انظر الدراسة عنه في المبحث الأول الفصل الخامس .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ج٢١ ص٢٦٦ ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ص٣١٠ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكانة ج١ ص٣٩٨ .

(٤) ابن كثير :البداية والنهاية ج٧ ص١٦٦ ، ابن الوردي : تاريخ الوردي ج٢ ص٢٩٧ .

(٥) الكتبي : فوات الوفيات ج١ ص١٦ ، ١٩ .

يحب أهل العلم ويكرمهم ويصلهم وله مشاركات في فنون كثيرة يـذكر ابـن حجر قصة تدل على معرفته بالطب فيقول ((.. قدم أبو الفـداء مـرة إلـى القاهرة ومعه ولده فمرض ، فأمر السلطان جمال الدين المغربي [6] رئـيس الأطباء بالقاهرة بملازمته ، فحكى أنه لازمه بكرة وعشية ، فكـان المؤيـد يبحث معه في تشخيص ذلك المرض ، ويقدر معه الدواء ويباشر طبخه بيده ، حتى كان ابن المغربي يقول : وا لولا أمر السلطان ما لازمتـه فإنـه لا يحتاج إليّ ثم عوفي الولد فأفرط المؤيد في الإحسان لابن المغربـي ..)) [7] من أهم مصنفاته [8] في الطب كتاب (نكت تتعلق بسياسة الخيل وعلاجهـا) في الطب البيطري [1] جاء في أوله : ((.. هذه نكت مستحسنة وجدت فـي تعاليق بخط السلطان المؤيد المجاهد قدس ا سره ..)) وفي أخره : ((فـي ذكر طرف من حال البهائم ، كالبقر الإنسية والجواميس الوحشية ..)) [2] و (كتاب في الطب) [3] .

---

(٦) له ترجمة وافيه عنه الصفدي : الوافي بالوفيات ج٥ ص٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ .

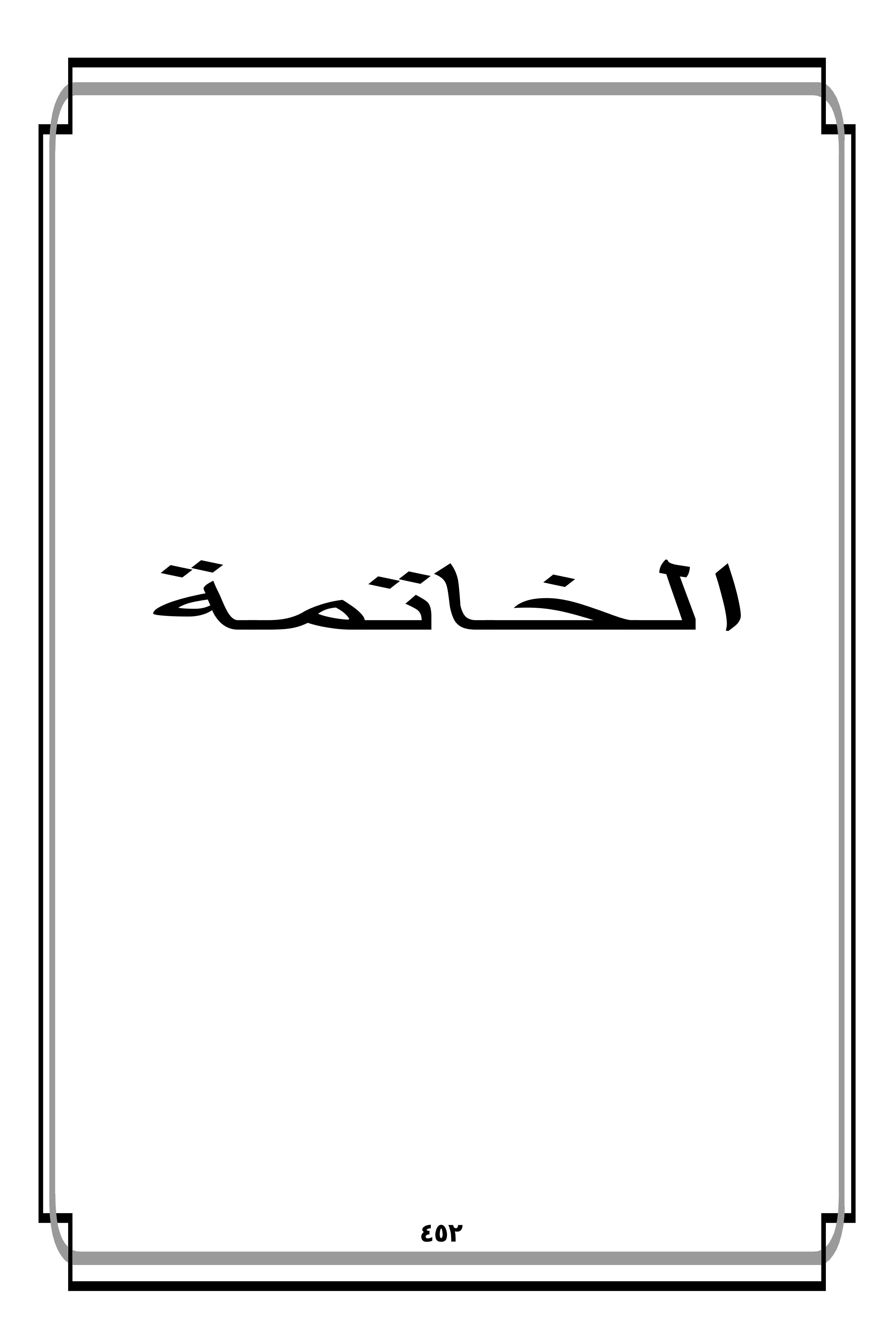
(٧) الدرر الكامنة ج١ ص٣٩٨ ، ٣٩٩ .

(٨) له كتاب في التاريخ هو المختصر في أخبار البشر مطبوع ، وكتاب في تقويم البلدان .

(١) نسخها الخطية في تونس بخزانة حسن حسني ضمن مجموعة برقم (١٨١٠٢) من الورقة (٦٧ ، ٧٤) زهير حميدان : أعلام الحضارة ج٣ ص١٥٨ .

(٢) نفسه ج٣ ص١٥٨ .

(٣) منه قطعة في مغنيسيا بتركيا ضمن مجموعة برقم (١٨٣٦/٢) من ورقة (٣٨أ / ٥٩أ) أعلام الحضارة ج٣ ص١٥٩ .



الخاتمة

الخاتمة

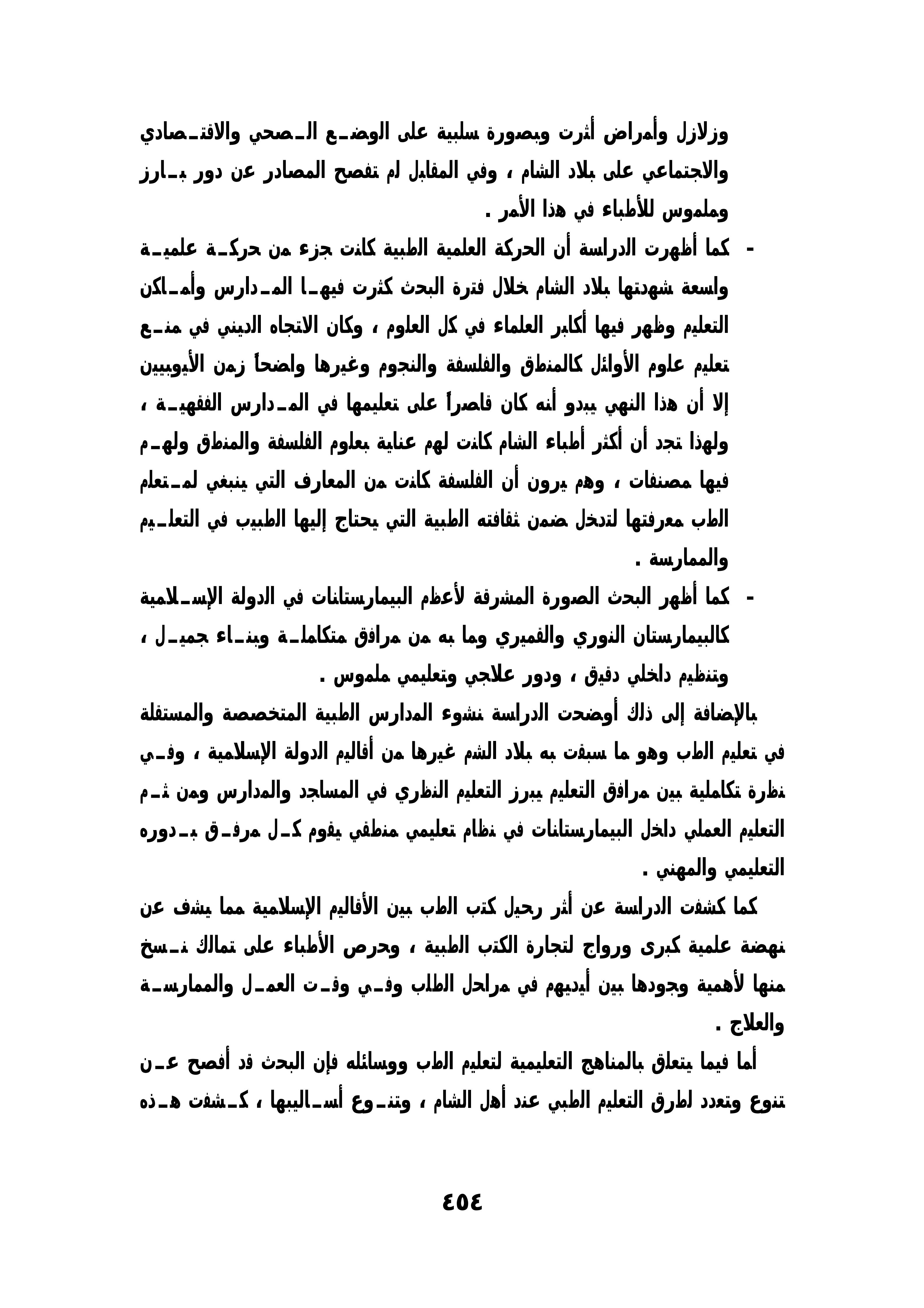
الحمد على عونه وتوفيقه والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم رسله محمد بن عبد ا صلى ا عليه وسلم وبعد .

فإن الحياة العلمية الطبية من أبرز مظاهر الحضارة التـي تميـزت بهاالأمـة الإسلامية ، وكان للعلماء المسلمون الدور الرائد في تقدمها ورقيها ، فعلم الطب علم إنساني نشأ مع نشأة الإنسان ، وأسهمت كل شعوب العالم فيه ، ولقد أولـى الإسـلام هذا الجانب عناية كبيرة وأسهم المسلمون فيه بإسهامات عظيمة ، بل من الحق القول أن ما قدمه الأطباء في ظل الدولة الإسلامية في مجال الدراسات الطبية يعادل ثلثي ما قدمته الأمم الأخرى في هذا الميدان .

ولقد سلطت الضوء في هذه الدراسة على الحركة العلمية في بلاد الشام زمـن الحروب الصليبية ، وهذه الفترة من تاريخ الطب بالشام تمثل العصر الذهبي لهذا العلم ، على الرغم من كون بلاد الشام قد شهدت خلال القرنين الـسادس والـسابع أطـول وأعنف حرب في تاريخ المسلمين سواء من جانب الفرنج أو المغول ، ومع ذلك فقـد قامت خلالها حركة علمية نشطة في جميع فنون العلم ، وظهر دور الـسلاطين فـي تنشيط ودعم الحركة العلمية بوجه عام .

وقد خرج البحث بجملة من النتائج نجملها فيما يلي :.

- فمن خلال السرد التاريخي وتتبع الأوضاع السياسية خلال فترة البحث يتبـين أن الحركة العلمية لم تتأثر سلباً ، بالأحداث الحربية بل كانـت هنـاك فتـرات استقرار أثمرت في نمو الحركة العلمية وتطورها .
- كما ظهر جلياً دور السلاطين والملوك في الحركة العلمية بشكل واضـح مـن خلال بناء المساجد والمدارس والبيمارسـتانات وتقريـب العلمـاء والأطبـاء وإكرامهم وبذل الأعطيات والأموال لهم ، ووقف الأوقاف الـدارة علـى تلـك المرافق ، مما كان حافزاً على الإنتاج العلمي والتدريس وتصنيف الكتب .
- إضافة إلى ذلك فإن بلاد الشام كانت تعيش حالة من الانتعاش الاقتصادي لمـا كانت تتمتع به من مقومات اقتصادية وموارد زراعية وصناعية وموقع تجاري ، أكسبها أهمية اقتصادية كبيرة ، ورغّبت العلماء في الرحيل إليها والرغبة في سكناها . ومما يجب الإشارة إليه أن بلاد الشام قد تعرضت لكـوارث طبيعيـة



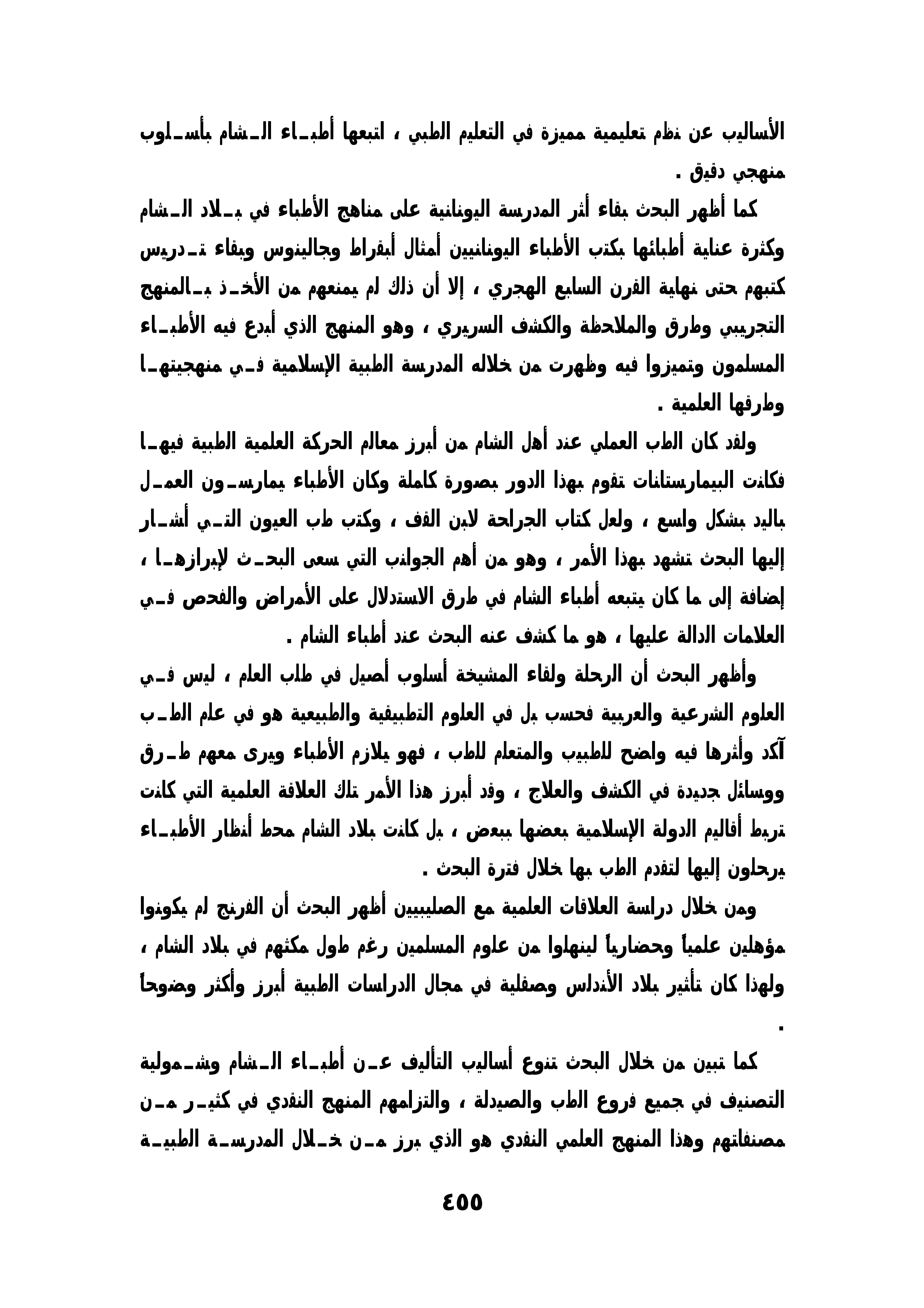
وزلازل وأمراض أثرت وبصورة سلبية على الوضـع الـصحي والاقتـصادي والاجتماعي على بلاد الشام ، وفي المقابل لم تفصح المصادر عن دور بـارز وملموس للأطباء في هذا الأمر .

- كما أظهرت الدراسة أن الحركة العلمية الطبية كانت جزء من حركـة علميـة واسعة شهدتها بلاد الشام خلال فترة البحث كثرت فيهـا المـدارس وأمـاكن التعليم وظهر فيها أكابر العلماء في كل العلوم ، وكان الاتجاه الديني في منـع تعليم علوم الأوائل كالمنطق والفلسفة والنجوم وغيرها واضحاً زمن الأيوبيين إلا أن هذا النهي يبدو أنه كان قاصراً على تعليمها في المـدارس الفقهيـة ، ولهذا تجد أن أكثر أطباء الشام كانت لهم عناية بعلوم الفلسفة والمنطق ولهـم فيها مصنفات ، وهم يرون أن الفلسفة كانت من المعارف التي ينبغي لمـتعلم الطب معرفتها لتدخل ضمن ثقافته الطبية التي يحتاج إليها الطبيب في التعلـيم والممارسة .
- كما أظهر البحث الصورة المشرقة لأعظم البيمارستانات في الدولة الإسـلامية كالبيمارستان النوري والقميري وما به من مرافق متكاملـة وبنـاء جميـل ، وتنظيم داخلي دقيق ، ودور علاجي وتعليمي ملموس .

بالإضافة إلى ذلك أوضحت الدراسة نشوء المدارس الطبية المتخصصة والمستقلة في تعليم الطب وهو ما سبقت به بلاد الشم غيرها من أقاليم الدولة الإسلامية ، وفـي نظرة تكاملية بين مرافق التعليم يبرز التعليم النظري في المساجد والمدارس ومن ثـم التعليم العملي داخل البيمارستانات في نظام تعليمي منطقي يقوم كـل مرفـق بـدوره التعليمي والمهني .

كما كشفت الدراسة عن أثر رحيل كتب الطب بين الأقاليم الإسلامية مما يشف عن نهضة علمية كبرى ورواج لتجارة الكتب الطبية ، وحرص الأطباء على تمالك نـسخ منها لأهمية وجودها بين أيديهم في مراحل الطلب وفـي وقـت العمـل والممارسـة والعلاج .

أما فيما يتعلق بالمناهج التعليمية لتعليم الطب ووسائله فإن البحث قد أفصح عـن تنوع وتعدد لطرق التعليم الطبي عند أهل الشام ، وتنـوع أسـاليبها ، كـشفت هـذه


الأساليب عن نظم تعليمية مميزة في التعليم الطبي ، اتبعها أطباء الشام بأسلوب منهجي دقيق .

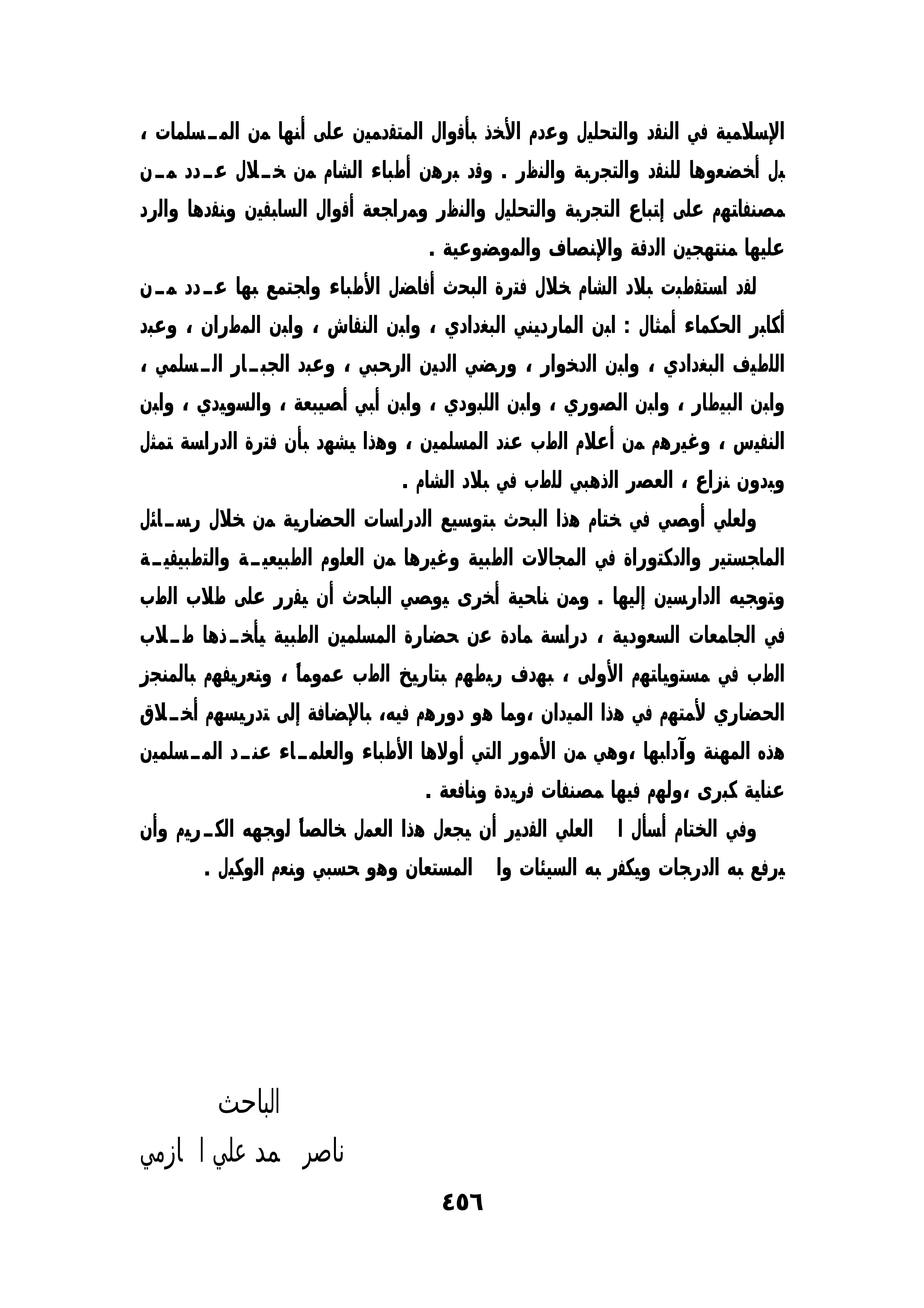
كما أظهر البحث بقاء أثر المدرسة اليونانية على مناهج الأطباء في بلاد الشام وكثرة عناية أطبائها بكتب الأطباء اليونانيين أمثال أبقراط وجالينوس وبقاء تدريس كتبهم حتى نهاية القرن السابع الهجري ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من الأخذ بالمنهج التجريبي وطرق والملاحظة والكشف السريري ، وهو المنهج الذي أبدع فيه الأطباء المسلمون وتميزوا فيه وظهرت من خلاله المدرسة الطبية الإسلامية في منهجيتها وطرقها العلمية .

ولقد كان الطب العملي عند أهل الشام من أبرز معالم الحركة العلمية الطبية فيها فكانت البيمارستانات تقوم بهذا الدور بصورة كاملة وكان الأطباء يمارسون العمل باليد بشكل واسع ، ولعل كتاب الجراحة لابن القف ، وكتب طب العيون التي أشار إليها البحث تشهد بهذا الأمر ، وهو من أهم الجوانب التي سعى البحث لإبرازها ، إضافة إلى ما كان يتبعه أطباء الشام في طرق الاستدلال على الأمراض والفحص في العلامات الدالة عليها ، هو ما كشف عنه البحث عند أطباء الشام .

وأظهر البحث أن الرحلة ولقاء المشيخة أسلوب أصيل في طلب العلم ، ليس في العلوم الشرعية والعربية فحسب بل في العلوم التطبيقية والطبيعية هو في علم الطب آكد وأثرها فيه واضح للطبيب والمتعلم للطب ، فهو يلازم الأطباء ويرى معهم طرق ووسائل جديدة في الكشف والعلاج ، وقد أبرز هذا الأمر تلك العلاقة العلمية التي كانت تربط أقاليم الدولة الإسلامية بعضها ببعض ، بل كانت بلاد الشام محط أنظار الأطباء يرحلون إليها لتقدم الطب بها خلال فترة البحث .

ومن خلال دراسة العلاقات العلمية مع الصليبيين أظهر البحث أن الفرنج لم يكونوا مؤهلين علمياً وحضارياً لينهلوا من علوم المسلمين رغم طول مكثهم في بلاد الشام ، ولهذا كان تأثير بلاد الأندلس وصقلية في مجال الدراسات الطبية أبرز وأكثر وضوحاً .

كما تبين من خلال البحث تنوع أساليب التأليف عن أطباء الشام وشمولية التصنيف في جميع فروع الطب والصيدلة ، والتزامهم المنهج النقدي في كثير من مصنفاتهم وهذا المنهج العلمي النقدي هو الذي برز من خلال المدرسة الطبية



الإسلامية في النقد والتحليل وعدم الأخذ بأقوال المتقدمين على أنها من المسلمات ، بل أخضعوها للنقد والتجربة والنظر . وقد برهن أطباء الشام من خلال عدد من مصنفاتهم على إتباع التجربة والتحليل والنظر ومراجعة أقوال السابقين ونقدها والرد عليها منتهجين الدقة والإنصاف والموضوعية .

لقد استقطبت بلاد الشام خلال فترة البحث أفاضل الأطباء واجتمع بها عدد من أكابر الحكماء أمثال : ابن الماردينى البغدادي ، وابن النقاش ، وابن المطران ، وعبد اللطيف البغدادي ، وابن الدخوار ، ورضي الدين الرحبي ، وعبد الجبار السلمي ، وابن البيطار ، وابن الصوري ، وابن اللبودي ، وابن أبي أصيبعة ، والسويدي ، وابن النفيس ، وغيرهم من أعلام الطب عند المسلمين ، وهذا يشهد بأن فترة الدراسة تمثل وبدون نزاع ، العصر الذهبي للطب في بلاد الشام .

ولعلي أوصي في ختام هذا البحث بتوسيع الدراسات الحضارية من خلال رسائل الماجستير والدكتوراة في المجالات الطبية وغيرها من العلوم الطبيعية والتطبيقية وتوجيه الدارسين إليها . ومن ناحية أخرى يوصي الباحث أن يقرر على طلاب الطب في الجامعات السعودية ، دراسة مادة عن حضارة المسلمين الطبية يأخذها طلاب الطب في مستوياتهم الأولى ، بهدف ربطهم بتاريخ الطب عموماً ، وتعريفهم بالمنجز الحضاري لأمتهم في هذا الميدان ،وما هو دورهم فيه، بالإضافة إلى تدريسهم أخلاق هذه المهنة وآدابها ،وهي من الأمور التي أولاها الأطباء والعلماء عند المسلمين عناية كبرى ،ولهم فيها مصنفات فريدة ونافعة .

وفي الختام أسأل ا العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يرفع به الدرجات ويكفر به السيئات وا المستعان وهو حسبي ونعم الوكيل .

الباحث

ناصر مد علي ا ازمي



المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً = القرآن الكريم
ثانياً = صحيح البخاري
= صحيح مسلم

ثالثاً = المخطوطات

١- **ابـن أبـي الدم/ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد ا الحموي (٦٤٢هـ/١٢٤٤م).**

- **التاريخ المظفري منه صور بمعهد البحوث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحـت رقم ١١٣١.**

٢- **البـغدادي / عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (٦٢٩هـ/١٢٣١م) .**

- **شرح تقدمة المعرفة لأبقراط منه نـسة مـصورة بمعهـد التـراث بحلـب بـرقم (١٠/٣٤٨مجموع)**

٣- **ابـن البـيطار /ضـياء الـدين عبـد ا بـن احمـد الأندلـسي المـالقي (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)**

- **الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام منه نسخة مخطوطـة بمعهـد البحوث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة تحت رقم (٧٨) طب مصور عن مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١/٣٦ .**

٤- **الخوبي / أحمد بن خليل بن سعادة الخوي (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) .**

- **ينابيع العلوم في السبعة فنون ، منه نسخة مصورة في معهد البحوث والدراسـات الإسلامية بجامعة أم القرى برقم (٣١) .**

5- ابـن عنبـة .

- **إنسان العيون في مشاهير سادس القرون ، منه صورة بمعهد البحوث بجامعـة أم القرى تحت رقم ١٣١٠تراجم عن مصورة مكتبة جامعة بغداد برقم (٢٤٨) .**

٦- اللبـودي / يحيى بن محمد بن عبدان اللبودي (٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) .

- **تحقيق المباحث الطبية في تدقيق المسائل الخلافية ، منه نسخة في الأسكريال برقم (٨٩٢) .**

٧- **ابن المطران** / موفق الدين اسعد بن أبي الفتح بن جرجس ابن المطران (٥٨٧هـ/١١٩١م)

- بستان الأطباء وروضة الألباء ، منه نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة فلم رقم (٢٦٧٢) .

- المقالة الناصرية في تدبير الصحة منها نسخة في أحمد الثالث استنبول برقم ٣١٢٤/ف ٩٩٩ ونسخة مصورة بمركز التراث بحلب برقم (١٠٧١) .

٨- **المقدسي** /ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) .

- إتباع السنن واجتناب البدع والدف والشبابة مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١١٢٢

٩- **الموصلي** / داود بن ناصر الأغبري الموصلي (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) .

- روضة الألباء في تاريخ الأطباء ، منه نسخة في برلين برقم (١٠٦٨) .

١٠- **اليافعي** / حسن بن إبراهيم بن محمد اليافعي ، ذكر أنه كان حيا إلى سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) .

- جامع التواريخ المصرية في ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية منه صورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى تحت رقم ١١٤٢ .

رابعاً : مصادر :

= **الآمدي : علي بن يوسف سيف الدين الآمدي (٦٣١هـ / ١٣٣١م) .**
- المبين في شرع معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، تحقيق حسن محمود الشافعي ، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .
= **ابن أبي أصيبعة** : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (٦٦٨هـ/١٢٦٩م).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٥م ، تحقيق نزار رضا طبعة مصر تحقيق النجار .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، الهيئة المصرية للكتاب، تحقيق عامر النجار ٤ أجزاء
= **ابن الأثير الجزري**: عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .
- الكامل في التاريخ ، الطبعة السادسة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، دار الكتاب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد
= **الإدريسي** : أبي عبد ا محمد بن محمد بن عبد ا من علماء القرن السادس الهجري .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب .
= **الاصطخري** : أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي .

- المسالك والممالك تحقيق محمد شفيق غربال القاهرة ١٩٦١م .

= **ابن أيبك الدواداري** : أبو بكر عبد ا أيبك (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .

ـ كنز الدرر وجامع الغرر ج٧ الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م .

= **ابن بطوطة** : محمد بن عبد ا بن محمد بن إبراهيم بن محمد اللواتي الطنجي (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .

ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، الطبعة الثانية ، دار إحياء العلوم بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان

= **ابن البيطار** : ضياء الدين أحمد الأندلسي المالقي (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٢هـ/١٩٩٤م .

- تفسير كتاب دياسقوريدس ، تحقيق إبراهيم مراد ،دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٩م

= **ابن تغري بردي** : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين .

ـ المنهل الصافي والمتوني بعد الوافي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي

ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي ، مطبوعات معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، بدون تاريخ .

= **ابن جبير** :أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي (٦١٤هـ/١٢١٧م) .

ـ تذكرة بالأخبار ، عن اتفاقات الأسفار (رحلة بن جبير) ، دار صادر ، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

= **ابن الجزري** : شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) .

ـ غاية النهاية في طبقات القراء ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، عني بنشره ج. برجستراسر

= **ابن جلجل : سليمان بن حسان الأندلسي .**

- طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م .

= **ابن جماعة** : بدر الدين إبراهيم بن عبد الله ابن جماعة الكناني (٧٣٣هـ/١٣٣٢م) .

ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ .

= **ابن الجوزي** : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) .

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، الدكن (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)

= **ابن الحاج** : أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) .

ـ المدخل ،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ضبطه :توفيق حمدان .

= **ابن حجر العسقلاني** : شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ،دار الكتب الحديثة ،سوريا ،تحقيق :محمد سيد جاد الحق

= **ابن حزم** : أبي محمد علي بن أحمد الظاهري (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الجيل ، بيروت ، تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر ، د/ عبد الرحمن عميرة .

= **أبي العلاء : صاعد ابن الحسن الطبيب (٤٦٤هـ / ١٠٧١م) .**

- التشويق الطبي ، حققه مريزن سعيد مريزن عسيري ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج الرياض (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) .

= **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .

ـ ـ مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، تحقيق : درويش الجويدي .

= **ابن الحوراني** : عثمان بن أحمد السويدي الدمشقي (١١١٧هـ/١٧٠٥م) .

ـ الإشارات إلى أماكن الزيارات ـ المسمى زيارات الشام ، الطبعة الأولى ، مكتبة الغزالي ، دمشق محمد ١٩٨١م ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي

= **ابن خلكان** : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، تحقيق د/إحسان عباس

= **ابن دقماق** : إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) .

ـ نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، تحقيق : سمير طباره

= **ابن رجب** : عبد الرحمن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلي(٧٩٥هـ/م١٣٩٢) .

ـ الذيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

= **ابن رضوان** : علي بن رضوان بن علي بن جعفر .

- رسالة في الحلية في دفع مضار الأبدان بأرض ، تحقيق رمزية محمد الأطرفجي ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ببغداد .

- النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، حققه كمال السامرائي طبعة جامعة بغداد ١٩٨٦ .

= **سبط ابن الجوزي** : شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزوغلي التركي تـوفي (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) .

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثامن من (٤٩٥ – ٥٨٩) الطبعة الأولـى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الهند – القسم الثاني حققه مسفر بن سالم الغامدي من سنة (٤٨١ – ٥١٧) مركز إحياء التراث مكة المكرمة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

= **ابن سعيد** : أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

ـ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة ، الطبعة الرابعـة ، تحقيـق : إبراهيم الأبياري .

= **ابن شاكر الكتبي** : محمـد بـن شـاكر بـن أحمـد بـن عبـد الـرحمن (٧٦٤هـ/١٣٦٣م) .

ـ فوات الوفيات والذيل عليه ، دار صادر بيروت ، تحقيق : د/ إحسان عباس

= **ابن شداد** : عـز الـدين أبـي عبـد ا محمـد بـن علـي بـن إبـراهيم (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) .

ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة القسم الأول (حلـب) تحقيـق : الدمنيك سرديل ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٩٥٣م .

- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة القسم الثاني (دمشق) تحقيـق : سامي الدهان المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

= **ابن شداد** : القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) .

ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثامنة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) تحقيق د / جمال الدين الشيال .

= **ابن طولون** : شـمس الـدين محمـد بـن طولـون الـصالحي الدمـشقي (٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصوالحية ، تحقيق محمد أحد دهمان ، الطبعة الثامنة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

- نقد الطالب لزغل المناصب ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، تحقيق / محمد احمد دهمان ، خالد محمد دهمان .
- تاريخ المزة وآثارها ، الطبعة الأولى ، دار قتيبة ، دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، تحقيق محمد عمر حمادة .
= **ابن عبد الهادي** : يوسف بن الحسن بن أحمد عبد الهادي (٩٠٩هـ/١٥٠٣م) .
- ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، مكتبة لبنان ، مطبوعات المكتب الفرنسي ، دمشق ١٩٧٥م
= **ابن عساكر** : الإمام الحافظ المؤرخ ثقي الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة ا الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ/١١٧٥م) .
- تاريخ دمشق الكبير، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م تهذيب : عبد القادر بدران .
- تبيين كذب المفتري فيما انتسب إلى أبي الحسن الأشعري ، دار الفكر دمشق ١٣٩٩هـ .
= **ابن عماد الحنبلي** : عبد الحي احمد بن محمد بن العماد (١٠٨٩هـ/١٧٧٥م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان بدون تاريخ .
= **ابن فرحون** : القاضي إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي (٧٩٩هـ/١٣٩١م) .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان .
= **ابن فضل الله العمري** : شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل ا (٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
- التعريف بالمصطلح الشريف ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الحادي والعشرون خاص بالأعشاب ، تحقيق نور حمودي القيس ، محمد نايف الديمي ، عالم الكتب بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

= **ابن الفوطي** : كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)

ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة ، دار الفكر الحديث ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

= **ابن قاضي شهبة** : أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي (٨٥١هـ/١٤٤٧م) .

ـ طبقات الشافعية ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، أربعة أجزاء ١٤٠٧هـ ، اعتنى به : د / الحافظ عبد العليم خان .

ـ طبقات النحاة واللغويين ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، تحقيق : د/ محسن غياص ، بدون تاريخ .

= **ابن قدامة** : شيخ الإسلام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م).

ـ ذم ما عليه مدعو التصوف ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، تحقيق زهير شاويش

= **ابن القلانسي**: حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (٥٠٥هـ/١١٦٠م) .

ـ تاريخ دمشق (٣٦٠هـ/٥٥٥هـ) ، الطبعة الأولى ، دار حسان ، دمشق ١٩٨٣م /١٤٠٣هـ تحقيق د/ سهيل زكار .

= **ابن القيم الجوزيه** : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (٧٥١هـ/م).

ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ، الطبعة السابعة والعشرون ، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

= **ابن كثير** : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ/١٣٥٠م) .

ـ البداية والنهاية ، الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ج٦٧، تحقيق د: أحمد أبو ملحم ، د: علي نجيب عطوي وزملاءهم .

ـ طبقات الفقهاء الشافعيين ، مكتبة الثقافة الدينية ١٩٩٣م /١٤١٣هـ ، تحقيـق : د/ أحمد عمر هاشم ، د/ محمد زينهم محمد غرب ، جزءان .
= **ابـن كنـان** : محمد عيسى كنان (١١٥٣هـ/١٧٤٠م) .
ـ المروج السندسية الفسيحة ، دمشق ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، تحقيق : محمد احمد دهمان
= **ابـن مفلح : محمد بـن مفلح المقدسي** .
- الآداب الشرعية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)

= **ابـن الملقن** : سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأندلسي (٨٠٤هـ/١٤٠١م) .
ـ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ، الطبعة الأولـى ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، لبنان ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، تحقيق : ايمن نصر الأزهري .
= **ابـن منظور** : جمال الدين بن محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي (٧١١هـ/١٣١١م) .
ـ لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ودار الصادر ، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
= **ابـن منـقذ : أسامة بـن مرشد الكنـاني الشيـزري** .
- كتاب الاعتبار،حرره فيليب حتى د. ف،مكتبة الثقافـة الدينيـة ،الطبعـة الأولـى (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) .
= **ابـن نـاصر الـدين الدمشقي** : شمس الدين محمد عبد ا بـن محمـد القيـسي الدمشقي (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) .
ـ توضيح المشتبه (في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم) ، الطبعـة الأولى، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، تحقيق / محمد نعيم العرقسوسي .
= **ابـن النـديم** : أبو الفرج محمد بن أبي يعقـوب إسـحاق المعـروف بـالوراق (٣٨٥هـ/٩٩٥م)
ـ الفهرست ، الطبعة الثالثة ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٨م .

= **ابن النفيس** : علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي (٦٨٧هـ/١٢٨٨م).
الشامل في الصناعة الطبية (الأدوية والأغذية) المجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .
- شرح تشريح القانون ، تحقيق سلمان قطايه ، مراجعة بول غليونجي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م) .
- شرح فصول أبقراط ، تحقيق يوسف زيدان ، ماهر عبد القادر ، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى (١٤١١هـ / ١٩٩١م) .
- المهذب في الكحل المجرب ، تحقيق محمد ظافر الوفائي ، محمد رواس قلعة جي الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- رسالة الأعضاء ، تحقيق يوسف زيدان ، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٤م .
- المختصر،الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ١٤١٢هـ/١٩٩١م ،تحقيق د يوسف زيدان:
- الموجز في الطب ، تحقيق عبد الكريم العزباوي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، وزارة الأوقاف المصرية الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
= **ابن واصل** : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (٦٩٧هـ/١٢٩٨م) .
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق د/ جمال الدين الشيال من ١-٣ القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .
= **ابن الوردي** : زين الدين عمر بن مظفر ابن أبي الفوارس ابن الوردي (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
- تتمة المختصر في أخبار البشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ج ٢
= **أبو شامة** : شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)
- الروضتين في أخبار الدولتين ، دار الجيل ، الجزء الأول والثاني، بدون تاريخ ،
- الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، دار الجيل ، بيروت، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري .

- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصالحية ، وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ١٩٩١م ، تحقيق : أحمد البيسومي .

= **أبو الفداء** : إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (٧٣٢هـ/١٣٣١م)

- المختصر في أخبار البشر ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت

= **أبو مخرمة** : الإمام أبي عبد ا الطيب بن عبد ا بن أحمد (٩٤٧هـ/١٥٤٠م)

- تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها ، الطبعة الثانية ، دار الجيل بيروت ، دار عمار عمان ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

= **الأدفوي** : أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

- الطالع السعيد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تحقيق : سعد محمد حسن

= **الأربلي** : الحسن بن أحمد بن زفر الأربلي (٧٢٦هـ/١٦١٧م) .

- مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، تحقيق / محمد احمد دهمان

= **الأسنوي** : جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي (٧٧٢هـ/١٦٦١م) .

- طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

= **الأصفهاني** : أبي علي المرزوقي (٤٥٣هـ/١٠٦١م) .

- الأزمنة والأمكنة ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة

= **الأصفهاني** :عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الكاتب (٥٩٧هـ/١٢٠١م) .

ـ البرق الشامي ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ، مؤسسة عبد الحميد شومان ١٩٨٧م تحقيق : د/ فالح صالح حسين .

ـ الفتح القسي في الفتح المقدسي ، القاهرة ١٩٦٥م تحقيق محمد محمود صبح

= **البدري** : أبي البقاء عبد ا البدري ، من علماء القرن التاسع الهجري.

ـ نزهة الأنام في محاسن الشام ، الطبعة الأولى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٨٠م

= **البغدادي** : عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (٦٢٩هـ / ١٢٣١م)

- الطب في الكتاب والسنة ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعة جي ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).

- مقالة في الحواس ، تحقيق فيصل دبدوب ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج١ المجلد ٤٥ سنة ١٣٨٦هـ من ص٣٣٣ ، ٣٤١ .

= **البغدادي** : عبد المؤمن بن عبد الحق (١٣٣٨/٧٣٩م).

ـ مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد بخاري ، القاهرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٩٥٤/١٣٧٣م

= **البغدادي** : محمد بن الحسن بن محمد الكاتب .

- كتاب الطبيخ ، أعاد نشره ، فخري البارودي ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الأولى ١٩٦٤م .

= **البصروي** : شمس الدين علاء الدين علي بن يوسف البصروي (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) .

ـ تاريخ البصروي أو تحفة الأنام في فضائل الشام ، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك ، الطبعة الأولى ، دار المأمون للتراث ، تحقيق : أكرم حسن العلبي.

= **البنداري** : قوام الدين الفتح بن علي محمد البنداري (٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

ـ سنا البرق الشامي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ١٩٧١م، تحقيق : د/ رمضان ششن

ـ سنا البرق الشامي ، اختصار من كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني ، مكتبـة الخانجي بمصر ١٩٧٩م ، تحقيق : فتحية النبراوي

= **البيهقي** : ظهير الدين أبي الحسن علي بن زيد (٥٦٥هـ/١١٧٠م) .

ـ تاريخ حكماء الإسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، تحقيق : ممدوح حسن محمد .

= **التطيلي**: بنيامين بن يونه التطيلي البناري الأندلسي .

- رحلة بن يامين ، ترجمها عزار حداد ، طبع في المطبعة الشرقية ، الطبعة الأولى ، بغداد (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) .

= **التميمي** : محمد بن أحمد المقدسي

- مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والحرز من ضرر الأوباء ، تحقيـق ودراسـة يحيى شعار ، معهـد المخطوطـات العربيـة ، القـاهرة ١٩٩٩م الطبعـة الأولـى (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م)

= **التهانوي** : محمد علي الفاروقي ، من علماء القرن الثاني عشر الهجري .

ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق : لطفـي عبد البديع، عبد النعيم محمد حسنين .

= **الجرجاني** : الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ / ١٤١٣م)

- التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

= **الجوبري** : عبد الرحيم بن عمر الدمشقي .

- المختار في كشف الأسرار ، بدون تاريخ ، ودار طباعة .

= **ابن جميع** : هبة ا بن زين بن حسن بن جميع تـ (٥٩٤هـ / ١١٩٨م) .

- طبع الإسكندرية ، تحقيق مريزن سعيد عسيري و سعد بن عبد ا البشري ، مركز البحوث وإحياء التراث جامعة أم القرى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

= **حاجي خليفة** : المولى مصطفى بـن عبـد ا القـسطنطيني الرومـي الحنفـي (١٠١٧هـ/١٦٠٨م).

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيـروت ، لبنان ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

= الحريري : أحمد بن علي بن أحمد الحريري ذكر أنه كان حيا سنة (٩٢٦)

- الأعلام والتبيين ، الطبعة الأولى ، دار الدعوة ، الإسكندرية ١٤٠٦هـ ـ/١٩٨٦م ، تحقيق / د: مهدي رزق ا أحمد

= الحلبي : خليفة بن أبي المحاسن .

- الكافي في الكحل ، تحقيق ، محمد ظافر الوفائي ، محمد رواس قلعجي ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو الطبعـة الأولـى(١٤١٠هـ ـ/ ١٩٩٠م) .

= الحموي : أبي الحسن علي بن عبد الكريم بن طرفـان بـن الحمـوي (٧٢٠هـ ـ/ ١٣٢٠م)

- الأحكام النبوية في الصناعات الطبية ، تحقيق عبد ا المنشاوي ، مكتبة جزيـرة الورد بالمنصورة ، الطبعة الأولى .

= الحموي : صلاح الدين بن يوسف الكحال (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) .

- نور العيون وجامع الفنون ، تحقيق ، محمد ظافر الوفائي ، محمد رواس قلعجي ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

= الحموي : أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي يذكر أنه كان حيا سـنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)

ـ التاريخ المنصوري ، مطبعة الحجاز ، دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، تحقيق : د/ أبو العيد دودو

= الحموي : أبي عبد ا ياقوت بن عبد ا الرومي الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

ـ معجم البلدان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٥م .

- معجم الأدباء ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩١م .

= الحنبلي : أحمد بن إبراهيم ابن نصر الكناني العسقلاني (٨٧٦هـ/١٤٧١م).

ـ شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مكتبة الثقافـة الدينيـة ، تحقيـق مديحـه الشرقاوي ١٤١٥هـ/١٩٩٦م .

= ابن حوقل : أبي القاسم ابن حوقل النصيبي
- صورة الأرض ، دار صادر بيروت طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٩٢٨م .
= الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
ـ الرحلة في طلب الحديث ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ ـ/١٩٧٥م، تحقيق : نور الدين عتر
= الخوارزمي : أبي عبد ا محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (٣٨٧هـ/٩٩٧م)
ـ مفاتيح العلوم ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، تحقيق : نهى النجار.
= ابن الدخوار : عبد الرحيم بن علي الدخوار تـ (٦٢٨هـ /١٢٣٠م)
- شرح تقدمة المعرفة ، تحقيق عبد القادر محمد دار المعرفة الجامعية .
= الدمشقي : شمس الدين أبي عبد ا محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي شيخ الربوة .
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في مدينة بطربورغ مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية سنة ١٨٦٥م ١٢٨١هـ .
= الذهبي : أبو عبد ا شمس الدين محمد الذهبي (٧٤٨هـ/١٣٤٨م)
ـ تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان بدون تاريخ
ـ العبر في خبر من غبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، حققه / أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول .
ـ ـ معجم الشيوخ / المعجم الكبير ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصديق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، تحقيق : د/ محمد الحبيب الهيلة ، جزءان
ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ن بيروت، لبنان ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، تحقيق / محمد حسن بن إسماعيل الشافعي
ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ ، دار الكتاب العربي ١٤١٧هـ تحقيق : بشار عواد معروف ن شعيب الأرنؤوط ، صالح مهدي عباس ، عمر عبد السلام تدمري .
ـ سير أعلام النبلاء، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م تحقيق : د/ بشار عواد معروف

ـ المعجم المختص بالمحدثين ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصديق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة

ـ المختار من تاريخ ابن الجزري ، المسمى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

= **الرازي** : فخر الدين أبي عبد ا محمد بن عمر بن الحسين (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) .

- أساس التقديس في علم الكلام ،الطبعة الأولى مؤسسة الكتاب والثقافة بيروت ١٤١٥ ، ١٩٩٥م

= **الرهاوي** : إسحاق بن علي الرهاوي توفي الربع الأول من القرن الرابع الهجري .

- أدب الطبيب ، تحقيق مريزن سعيد عسيري ، الطبعة الأولى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

= **الزبيدي** : محمد بن مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

ـ ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، حققه واستدرك عليه د/ صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣م

ـ تاج العروس في جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق / علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

= **الساعاتي** : رضوان بن محمد علي بن دستم كان حيا سنة (٦١٧هـ)

ـ علم الساعات والعمل بها ، تحقيق / محمد أحمد دهمان ، ت / حوالي ٦١٧هـ

= **السبكي**: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٧١هـ/١٣٦٩م)

ـ طبقات الشافعية الكبرى ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى الحلبي تحقيق : محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو .

ـ معيد النعم ومبيد النقم ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي بمصر ، تحقيق : محمد علي النجار ، أبو زيد ، محمد أبو العيون ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م

= **السبكي** : أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)

ـ فتاوى السبكي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .

= **إسحاق** : حنين .

- المسائل في الطب للمتعلمين ، تحقيق محمد علي أبو ريان ورفاقه ، دار الجامعات العربية ١٩٧٨م .

= **السخاوي** : علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الواحد (٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

ـ جمال القراء وكمال الإقراء ، الطبعة الأولى ، تحقيق : علي حسين البواب ، مكتبة التراث ـ مكة المكرمة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م

= **السلمي** : عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام (٦٦٠هـ/١٢٦١م)

ـ ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ، الطبعة الأولى ، تحقيق / محمد مشكور بن محمود الحاجي ، مكتبة المنار ـ الأردن ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

= **السمرقندي** : نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي (٦١٩هـ ـ / ١٢٢٢م) .

- أصول تركيب الأدوية ، تحقيق نجلاء قاسم عياس ، مركز إحياء التراث العلمي العربي بغداد ١٤٠٥هـ .

= **السمعاني** : أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي (٥٦٣هـ/١١٦٧م)

ـ أدب الإملاء والإستملاء ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

ـ الأنساب ، الطبعة الأولى ، تحقيق / عبد ا عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ـ لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

= **السويدي** :

- تذكرة السويدي ، أو التذكرة الهادية ، اختصره عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المصري الشعراني ت/٩٧٣ ، شرح وتعليق ، محمد عقيل ، دار المجتبي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

= **السيوطي** : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (٨٤٩هـ/٩١١م)

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الطبعة الأولى ، جزأن ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه .

ـ طبقات الحفاظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنـان ١٤١٤هـ ـ /١٩٩٤م .

- كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

= **ابن الشحنة** : أبو الفضل محب الدين الحلبي (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)

- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، نشر يوسف بن إلياس سركيس دار الكتـاب العربي دمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

= **الشعراني** : عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري (٩٧٣هـ/١٥٦٥م)

ـ الطبقات الكبرى ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

= **الشيزاري** : محمد بن مسعود بن مصلح الفارسي (٧١٠هـ / ١٣١١م) .

- في بيان الحاجة إلى الطب والأطباء ووصاياهم ، تحقيق / محمد فـؤاد الـذاكري ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

= **الشيزري** : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الرحمن (٥٨٩هـ/١١٩٣م) .

ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، الطبعة الثانية ، تحقيق / د: السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

= **الشهرستاني**: أبي الفـتح محمـد بـن عبـد الكـريم بـن أبـي بكـر أحمـد (٥٤٨هـ/١١٥٣م) .

ـ الملل والنحل ، الطبعة الثانية ، تحقيق / محمد سيد كيلاني دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

= **صاعد** : أبو العلاء صاعد بن الحسن الطبيب .

- التشويق الطبي ، تحقيق مريزن سعيد عسيري الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

= **الصفدي** : صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .

ـ الوافي بالوفيات ، دار النشر فرانز شتايز شتوتغارت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م
ـ أمراء دمشق في الإسلام ، الطبعة الثانية ، حققه / صـلاح الـدين المنجـد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
ـ تحفة ذوي الألباب ، تحقيق / إحسان بنـت سـعيد خلوصـي ، زهيـر حميـدان الصمصام ، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩١م .
د/ محمد زينهم محمد عرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق مازن عبد القادر المبارك دار الفكر بيـروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
= **العبـادي** : حنين بن إسحاق .
- كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين تحقيق وتعليق محمد سليم سليم ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م .
= **ابـن العبـري** : أبي الفرج جمال الدين ابن العبري .
- تاريخ الزمان ، دار المشرق بيروت نقله إلى العربية إسحاق أرملة .
= **ابـن العـديم** : كمال الدين أبو القاسم عمر بـن أحمـد هبـة ا (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) .
- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .
= **العلموي** : عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي الشافعي (٩٨١هـ/١٤٧٦م) .
ـ مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م
= **العليـمي** : أبي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (٩٢٨هـ/١٥٢١م) .
ـ المنهج الأحمد ، الطبعة الثانية ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميـد ، عـالم الفكر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمود عودة الكعابنة مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
= **العينـي** : بدر الدين محمود أحمد بن موسى أحمد (٨٥٥هـ/١٤٥١م) .

ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : د/ محمد محمـد أمـين ، المطبعـة المصرية العامة للكتاب ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

= **الغزالي** : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي .

- فاتحة العلوم ، خرج أحاديثه وشرح مفرداته عدنان أبو سامه ، مكتبة دار الفجر .

= **الفاسي** : تقي الدين محمد بن أحمد تـ (٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) .

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري الطبعـة الأولـى بيروت دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

= **ابن قاضي شهبة** :محمد بن أبي بكـر بـن أحمـد بـن بـدر الـدين الدمـشقي تـ(٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)

- الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايـد ، بيـروت دار الكتـاب الجديد ١٩٧١م

= **القرشي** : محي الدين عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر ا ابن أبي الوفاء (٧٥٥هـ/١٣٧٣م) .

ـ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، الطبعة الثانية ، تحقيق / عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر ودار العلوم ، الرياض ١٤١٣هـ /١٩٩٣م .

= **القزويني** : زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

= **ابن القف** : يعقوب بن إسحاق بن القف الكركي (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .

- جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض ، تحقيق سامي خلف الحمارنة ، منشورات الجامعة الأردنية عمان (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) .

- العمدة في الجراحة ، الطبعة الأولى مجلس دائرة المعارف العثمانيـة الكائنـة بحيدر أباد الدكن .

= **القفطي** : جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المثنى ببغداد، ومؤسسة الخانجي بمصر

ـ أنباه الرواة على أنباه النحاة ، الطبعة الأولى ، أربعة أجزاء ت / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي القاهرة ، ومؤسسة الكتب الثقافية بيـروت ١٤٠٦هـ ـ / ١٩٨٦م

= **القلانسي** : بدر الدين محمد بن بهرام (٥٦٠هـ / ١١٩٥م) .

- اقرباذين القلانسي ، تحقيق ، محمد زهير البابا جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

= **القلقشندي** : أبي العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ / ١٤١٨م) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،دار الكتب العلميـة بيـروت الطبعـة الأولـى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م .

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج عالم الكتب .

= **القمري** : لأبي منصور الحسن بن نوح (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) .

- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية ، تحقيق وفاء تقي الدين ، مطبوعات مجمـع اللغة العربية بدمشق مطبعة الصباح .

= **القوصوني** : مدين بن عبد الرحمن المصري .

- قاموس الأطباء وناموس الألبـاء ، أوفـست دار الفكـر ١٣٩٩هـ ـ / ١٩٧٩م ، مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

= **اللكنوي** : محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري (١٢٦٤هـ/١٣٠٤م)

ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية ، تحقيق / محمد بدر الدين ، أبو فراس النعماني ، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة .

= **ابن اللمش** : أبي حفص عمر بن الخضر (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) تقريباً

- تاريخ دنيسر ، تحقيق إبراهيم صالح دار البشائر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

.

= **المقدسي** : أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي من علماء القرن السادس الهجري

.

ـ الإشارة إلى محاسن النجارة وغشوش المدلسين فيها ، الطبعة الأولى ، تحقيق /

محمد الأرناؤوط ، دار صادر ـ بيروت ١٩٩٩م .

= المقدسي : شمس الدين أبو عبد ا محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري

تـ (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) .

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع في مدينة ليدن مطبعة بريل ١٩٠٩م .

= **المقدسي** : ضـياء الـدين محمـد بـن عبـد الواحـد بـن أحمـد المقدسـي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م)

ـ النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، الطبعة الأولى ، تحقيق/ عبد

الرحمن بن عبد ا التركي ، مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ/١٩٩٤م

ـ الأمراض والكفارات والطب والرقيات ، الطبعة الأولى ، دار ابن عفان ـ المملكة

العربية السعودية ـ الخبر ١٤١٥هـ

= **المقريزي** : أحمد بن علي بن عبد القادر (٨٤٥هـ/١٤٤١م) .
ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، الطبعة الثانية ، صححه ووضع حواشيه / محمد مصطفى زيادة ، الجزء الأول ، القسم الأول ـ القسم الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

= **المنذري** : زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)
ـ التكملة لوفيات النقلة ، الطبعة الثانية ، تحقيق : د/ بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

= **النعيمي** : عبد القادر بن محمد عمر بن محمد بن يوسف (٩٢٧هـ/١٥٢٠م)
ـ دور القرآن في دمشق ، الطبعة الثالثة ، صححه وعلق عليه وذيله د / صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ـ لبنان ١٩٨٢م .

ـ الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : جعفر الحسيني ، مكتبة الثقافة الدينية جزأن .

= **النويري** : شهاب الدين أحمد بن عب الوهاب تـ(٧٢٢هـ / ١٣٢٢م) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار المكتبةالمصرية ١٩٢٣م .

= **الهاروني** : أبي المنى داود بن أبي النصر العطار .

- منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان ، مكتبـة جزيرة الورد بالمنصورة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

= **الهروي** : أبي الحسن علي بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

ـ الإشارات إلى معرفة الزيارات ، عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل طومين ، دمشق ١٩٥٣م

= **اليافعي** : أبو محمد عبد ا بن أسعد بن علي بن سليمان (٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

= **اليماني** : إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، الطبعة الأولى ، تحقيق / عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني توفي سنة (٧٤٣هـ / ١٣٤٤م) ، تحقيق د/ عبد المجيد دياب ، لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م

= **اليونيني** : قطب الدين موسى بن محمد (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)

ـ ذيل مرآة الزمان ، الطبعة الثانية ، بعناية وزارة التحقيقـات الحكميـة والأمـور الثقافية للحكومة الهندية ٤ أجـزاء ، الناشـر / دار الكتـاب الإسـلامي ، القـاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

= **ابن هندو** : علي بن الحسين (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) .

- مفتاح الطب ومنهاج الطلاب ، تحقيق علي المنصوري ، مؤسسة الـبلاغ بيـروت لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) .

الملاحق والصور

ملحق رقم (١)

منشور بتعيين أحد الأطباء على رياسة الأطباء بالشام

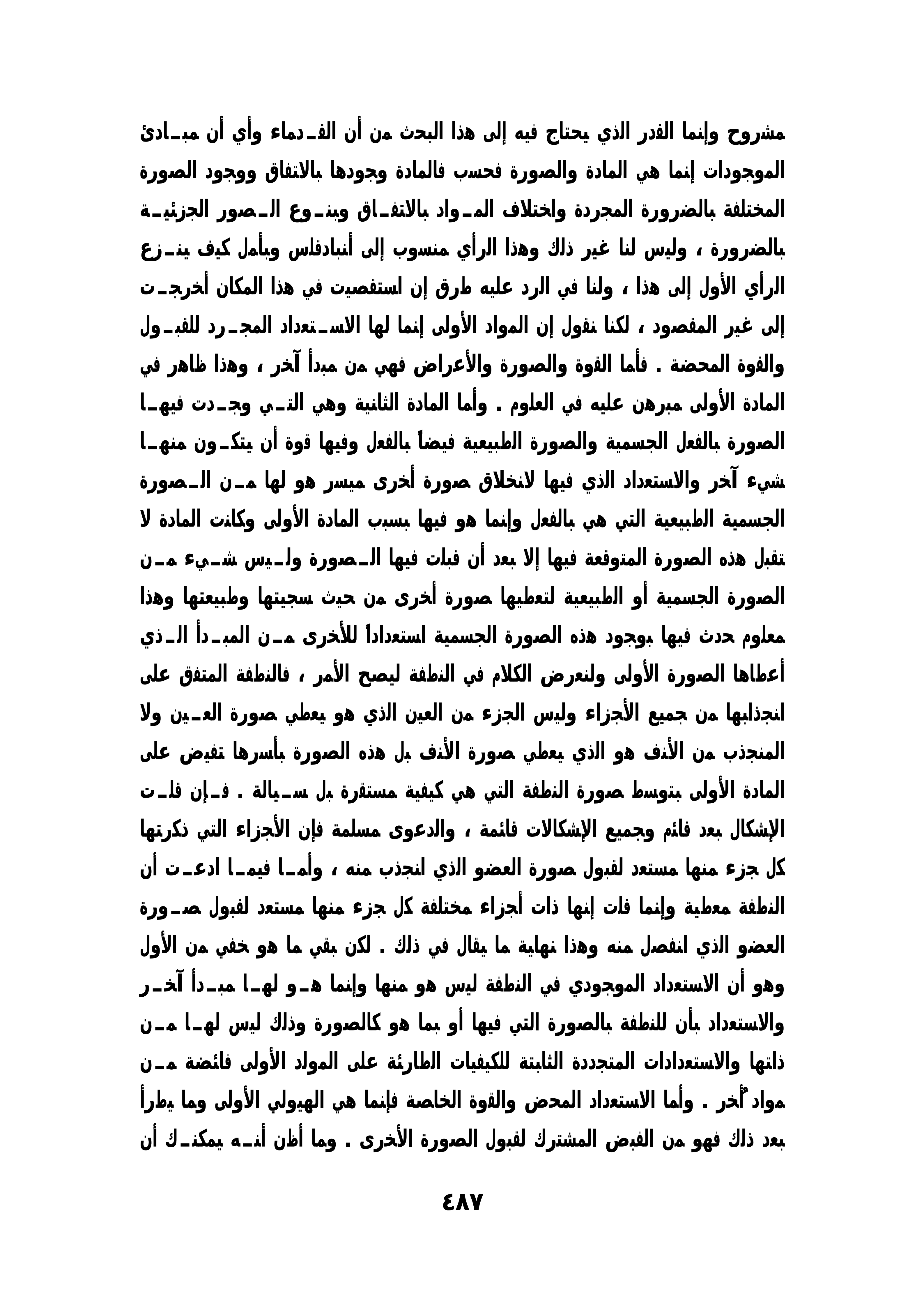
لما كان الحكيم فلان حرسه ا متفرداً بصناعة الطب متوحاً في عمله ، منطلقاً في تدبيره بدرايته وفهمه ، مجرباً لمداواة الأمراض ومداراتها ، واقفاً على أدلتها في مبادئها وغاياتها ، عارفاً بإماراتها ، ماهراً في تشريح الأعضاء وحالاتها ، عالماً بالعناصر الأربعة واستقصاءاتها ومتفطناً على الأمزجة على اختلافها ، في أوقات انحرافها واعتدالها ، متمرناً بالوقوف على ما يجب وينبغي لها في حفظ صحتها وإماطة اعتلالها ، فارقاً بين الطبائع الغريزية والغريبة ، ناظراً في القوى الآتية منها والمجيبة ، متوسلاً في تسقيم السقيم وتقسيم الأدوية بحسب العوارض على القانون المستقيم ، وحماية الناقة بإنقائه بالحمية حتى يعود بوفور حصة الصحة حالي البهجة بهيج الحلية ، ذا دراية بالجواهر وأعراضها والأجسام وأمراضها ، صناعة طبية اكتسبها بتجريبه ، ومهر فيها بحسن تدبيره وترتيبه . وأمرناه بأن يواظب على الخدمة بقلعة حلب المحروسة لمداواة أهل البلاد / على حسب ما يكون فيه من ١٠١ أ الجاد ، لمن لا بد من ملازمته ، ولمن تتوفر الرغبات على حفظ صحته . وقد قرر له ما يعينه على استثمار صناعته ، ويغنيه عن سواه بمواظبته . فيتولّ هذه الخدمة متوفراً على حفظ الصحة حاصلة ، واسترجاعها بمشيئة زائلة ، مقابلاً كل مرض بوزانه من قوة الدواء ، مستقلاً بمعرفة الأدوية المركبة والمفردة على تغاير الأدواء ، صائغاً في تركيبها ودفع ضرر بعضها ببعض ، فارقاً بين السريع والمتواتر والمتخاف والمنتظم في النبض ، مشفقاً على الأعضاء الرئيسة والأجزاء النفيسة بإمالة الخالط عنها قبل استفراغه ، والإضافة إلى الدواء ما يعين على إيصاله وإبلاغه ، وترجيح الأمر في العرض الهائج هل يستفرغ أو يبدّل مزاجه ، والفرق بين ما يداوى فلا يحرك ساكنه وبين ما يبادر فيعاجل علاجه ، ومعرفة الدواء الذي تنحل قوته بالطبخ أو الدق وما يصلح كيفيته بالتوصيل والسحق ، والإطلاع على ما يسهل ويمسك أو يؤخذ أو يترك ، والنظر في زيادة الخاط على مقداره الذي ينبغي بتنقص ضده عما ينبغي بفطنته وذكائه ، والاجتهاد في ملاطفة أخلاق المريض في دوائه وغذائه ، مؤدياً لأمانته في كفايته موفياً بالمحافظة على القوانين الصحيحة حق صناعته .

ملحق رقم (٣)

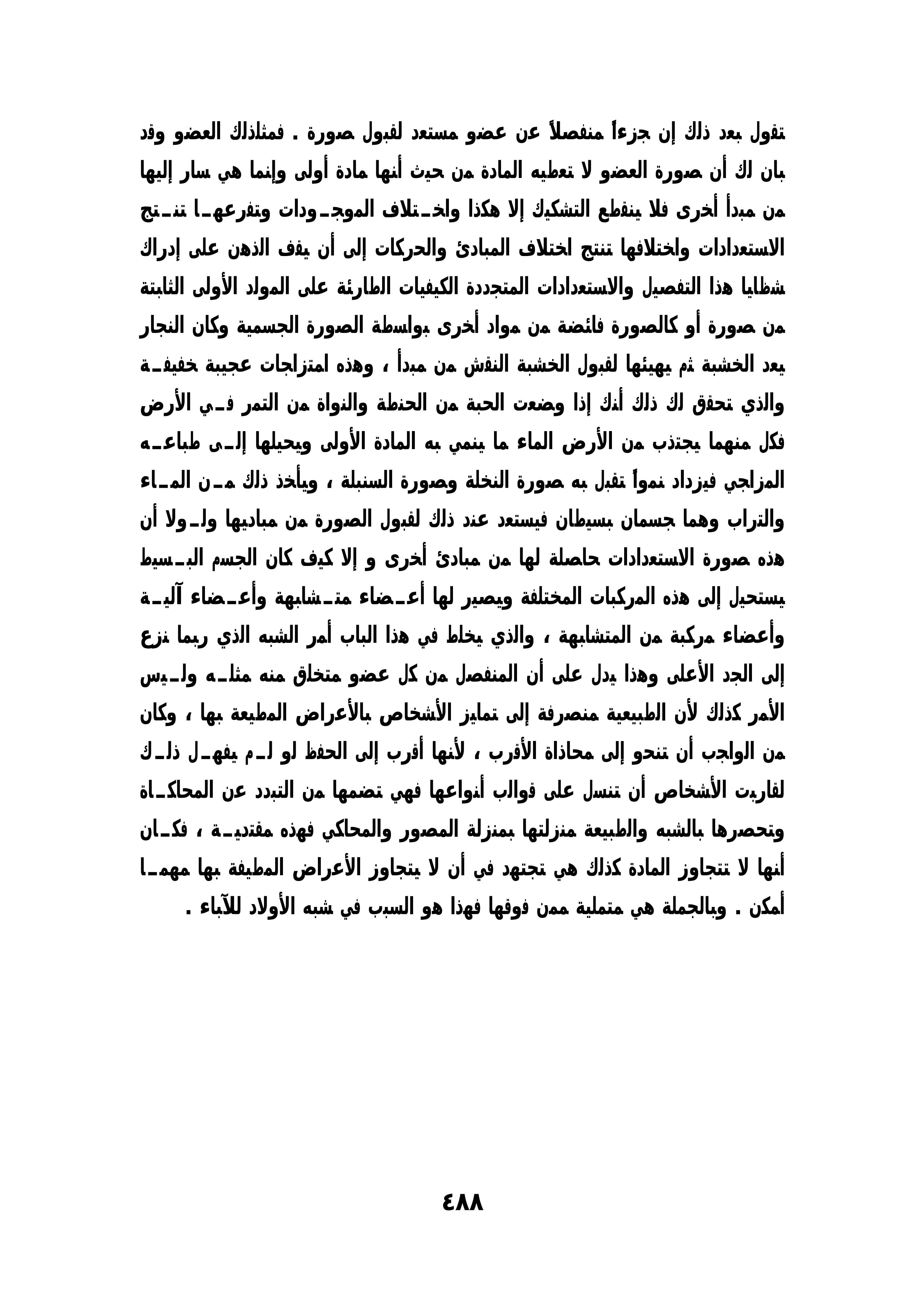
نص الحوار بين الأطباء حول قضية (النطفة وتخلق الجنين)

ورأي ابن المطران في المسألة ونقده لأقوالهم

من كلام القاضي شمس الدين بن الفراش أدام ا تأييده قال جرى الكلام يوماً مع بعض الأفاضل في النطفة وتخلق الجنين منها وذكر خلاف الأقدمين في ذلك وأن منهم من ذهب إلى أن النطفة منجذبة من جميع الأعضاء وكل عضو متكون من الجنين فمن جزء من النطفة المنجذب من العضو الشبيه به . فالعينان يتكونان من العضو المنجذب من العينين والأذن كذلك إلى جميع الأعضاء . ولأجل هذه العلة وجد الشبه في الأبناء والأمهات حتى أن الجزء المنجذب من العين لا يمكن أن يخلق من الأنف ، ولا المنجذب به الأنف أن يتخلق عنه عين . وإنما يتكون كل واحد ما يشبهه . فالنطفة وإن كانت متشابهة الأجزاء عند الحِس فهي مختلفة الأجزاء عند التكوين . ومنهم من ذهب إلى أن النطفة وإن انجذبت من جميع الأعضاء تجذب الشهوة لها وترددت في المجاري المعدة لها واستقرت في الأوعية التي تنضج فيها ، وجرت في مصبها إلى قرارها لكنها لا يتميز فيها هذه الأجزاء ولا تكون مختلفة بها ، بل إنما صارت مزاجاً قد استقرت له كيفية واحدة فيها قوة أن يتخلق منها الأعضاء المختلفة من غير تمايز الأشياء والشبه إنما كان في الجنين لأن المزاج كما علمت كيفية قد استقرت بعد تفاعل الكيفيات مختلفة متضادة . وذلك لا يبطل بل جميع صفات البسائط الحاملة لتلك الكيفيات المتضادة والمتفاعلة . فإن الحرارة والرطوبة واليبوسة لا تبطل في المركبات المستقرة فالشبه الموجود في الجنين لنوع مزاج النطفة إلى بسائطه المتلقاة من أعضاء الأبوين والشبه في الولد كالحرارة والبرودة في المركب لأن تلك الأجزاء اجتمعت من أجزاء مختلفة ، فيكون كل عضو منها مثل العضو المنجذب من النطفة . فالنطفة لها مزاج له كيفية واحدة ترددت واستقرت لأنها أجزاء اجتمعت وكان الفاضل الذي جرت المذاكرة معه يميل إلى تصحيح الرأي وينصره . وأن المذهبين يفتقران إلى تحرير وتقرير والاشتغال بتصحيح أحدهما وإبطال الآخر قبل شرح الحال فيه قصور فنقول أولاً إنما نشرح في أمرين لم يكن لنا ضرورة ولكن لنا فيه منفعة مطلوبة كما أن الضرورة غير مردودة ولا بد من الإيماء إلى مبادئ الوجود على وجه مختصر ، وأن اختلاف الناس في المبادئ كثير ، وتحرير الصحيح منها



مشروح وإنما القدر الذي يحتاج فيه إلى هذا البحث من أن القـدماء وأي أن مبـادئ الموجودات إنما هي المادة والصورة فحسب فالمادة وجودها بالاتفاق ووجود الصورة المختلفة بالضرورة المجردة واختلاف المـواد بالاتفـاق وبنـوع الـصور الجزئيـة بالضرورة ، وليس لنا غير ذلك وهذا الرأي منسوب إلى أنبادقلس وبأمل كيف ينـزع الرأي الأول إلى هذا ، ولنا في الرد عليه طرق إن استقصيت في هذا المكان أخرجـت إلى غير المقصود ، لكنا نقول إن المواد الأولى إنما لها الاسـتعداد المجـرد للقبـول والقوة المحضة . فأما القوة والصورة والأعراض فهي من مبدأ آخر ، وهذا ظاهر في المادة الأولى مبرهن عليه في العلوم . وأما المادة الثانية وهي التـي وجـدت فيهـا الصورة بالفعل الجسمية والصورة الطبيعية فيضاً بالفعل وفيها قوة أن يتكـون منهـا شيء آخر والاستعداد الذي فيها لانخلاق صورة أخرى ميسر هو لها مـن الـصورة الجسمية الطبيعية التي هي بالفعل وإنما هو فيها بسبب المادة الأولى وكانت المادة لا تقبل هذه الصورة المتوقعة فيها إلا بعد أن قبلت فيها الـصورة ولـيس شـيء مـن الصورة الجسمية أو الطبيعية لتعطيها صورة أخرى من حيث سجيتها وطبيعتها وهذا معلوم حدث فيها بوجود هذه الصورة الجسمية استعداداً للأخرى مـن المبـدأ الـذي أعطاها الصورة الأولى ولنعرض الكلام في النطفة ليصح الأمر ، فالنطفة المتفق على انجذابها من جميع الأجزاء وليس الجزء من العين الذي هو يعطي صورة العـين ولا المنجذب من الأنف هو الذي يعطي صورة الأنف بل هذه الصورة بأسرها تفيض على المادة الأولى بتوسط صورة النطفة التي هي كيفية مستقرة بل سـيالة . فـإن قلـت الإشكال بعد قائم وجميع الإشكالات قائمة ، والدعوى مسلمة فإن الأجزاء التي ذكرتها كل جزء منها مستعد لقبول صورة العضو الذي انجذب منه ، وأمـا فيمـا ادعـت أن النطفة معطية وإنما قلت إنها ذات أجزاء مختلفة كل جزء منها مستعد لقبول صـورة العضو الذي انفصل منه وهذا نهاية ما يقال في ذلك . لكن بقي ما هو خفي من الأول وهو أن الاستعداد الموجودي في النطفة ليس هو منها وإنما هـو لهـا مبـدأ آخـر والاستعداد بأن للنطفة بالصورة التي فيها أو بما هو كالصورة وذلك ليس لهـا مـن ذاتها والاستعدادات المتجددة الثابتة للكيفيات الطارئة على المولد الأولى فائضة مـن مواد أُخر . وأما الاستعداد المحض والقوة الخاصة فإنما هي الهيولي الأولى وما يطرأ بعد ذلك فهو من الفيض المشترك لقبول الصورة الأخرى . وما أظن أنـه يمكنـك أن



تقول بعد ذلك إن جزءاً منفصلاً عن عضو مستعد لقبول صورة . فمثلذلك العضو وقد بان لك أن صورة العضو لا تعطيه المادة من حيث أنها مادة أولى وإنما هي سار إليها من مبدأ أخرى فلا ينقطع التشكيك إلا هكذا واخـتلاف الموجـودات وتفرعهـا تنـتج الاستعدادات واختلافها تنتج اختلاف المبادئ والحركات إلى أن يقف الذهن على إدراك شظايا هذا التفصيل والاستعدادات المتجددة الكيفيات الطارئة على المولد الأولى الثابتة من صورة أو كالصورة فائضة من مواد أخرى بواسطة الصورة الجسمية وكان النجار يعد الخشبة ثم يهيئها لقبول الخشبة النقش من مبدأ ، وهذه امتزاجات عجيبة خفيفـة والذي تحقق لك ذلك أنك إذا وضعت الحبة من الحنطة والنواة من التمر فـي الأرض فكل منهما يجتذب من الأرض الماء ما ينمي به المادة الأولى ويحيلها إلـى طباعـه المزاجي فيزداد نمواً تقبل به صورة النخلة وصورة السنبلة ، ويأخذ ذلك مـن المـاء والتراب وهما جسمان بسيطان فيستعد عند ذلك لقبول الصورة من مباديها ولـولا أن هذه صورة الاستعدادات حاصلة لها من مبادئ أخرى و إلا كيف كان الجسم البـسيط يستحيل إلى هذه المركبات المختلفة ويصير لها أعـضاء متـشابهة وأعـضاء آليـة وأعضاء مركبة من المتشابهة ، والذي يخلط في هذا الباب أمر الشبه الذي ربما نزع إلى الجد الأعلى وهذا يدل على أن المنفصل من كل عضو متخلق منه مثلـه ولـيس الأمر كذلك لأن الطبيعية منصرفة إلى تمايز الأشخاص بالأعراض المطيعة بها ، وكان من الواجب أن تنحو إلى محاذاة الأقرب ، لأنها أقرب إلى الحفظ لو لـم يفهـل ذلـك لقاربت الأشخاص أن تنسل على قوالب أنواعها فهي تضمها من التبدد عن المحاكـاة وتحصرها بالشبه والطبيعة منزلتها بمنزلة المصور والمحاكي فهذه مقتديـة ، فكـان أنها لا تتجاوز المادة كذلك هي تجتهد في أن لا يتجاوز الأعراض المطيفة بها مهمـا أمكن . وبالجملة هي متملية ممن فوقها فهذا هو السبب في شبه الأولاد للآباء .

ملحق رقم (٣)



صورة أدوات جراحة العين من كتاب الكافي في الكحل للحلبي

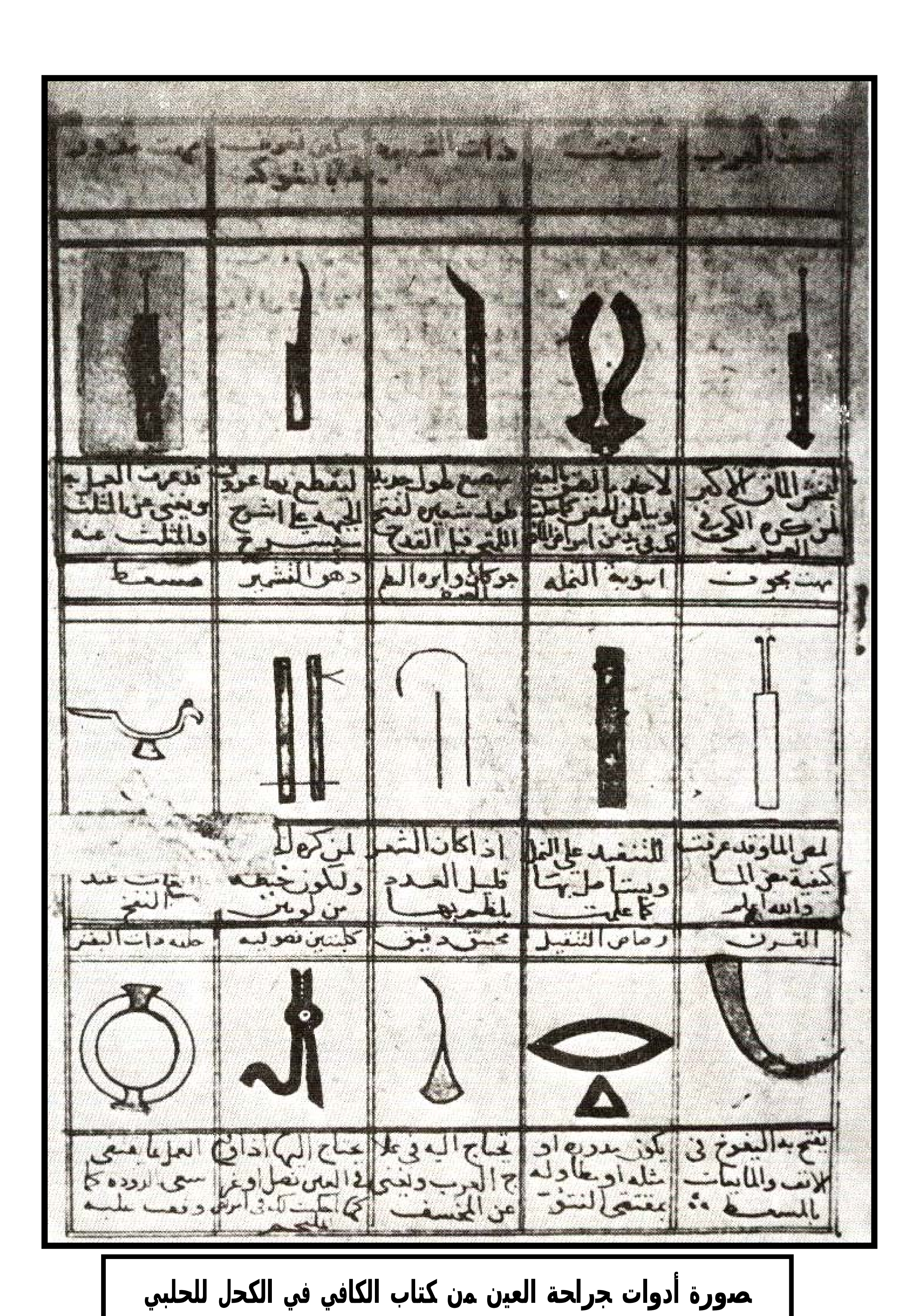
صورة رقم (١)

غريب عن اكثر الصناع على نظام وان كان ما احضرنا جميعها وتخلف من
العدة ما لا استعمال ولا كيفية العمل فلمنعه زفي ذلك اذ قد تقدم
القول ان لبيس وضع الكتاب بادعا البراعة في هذه الصناعة
وتمام العدة ربما كان تخلف منها فالتمسه من الاسنه فان لهم في اعمال
اليد والخبرة بها وبالالات ما يخفى عن كثير من غيرهم شوان في وضعها
معنى ثاني وذلك انه ربما افتقر الصانع في عمل من الاعمال الى بعض
الالات المخصوصة بذلك العمل وان لم تكن تلك الالة حاضرة وقته
ذاك ولم تحضره ايضا صانع يعينه بعملها كما لنا في مقامنا بالصحرا
[illegible] من نحن في خدمتهم زاد الله تعالى ملكهم نصرا وتاييدا ببعض
الاوقات تكون مقام لم يتاتى لنا فيه المراد ولو باقل الامور
واسهلها فاذن الماهر في هذه الصناعة يتعوض ببعض الالات
عن بعضها لانا نكتب عند كل الة لما تصلح من الامراض وباي شيء
تعوض اذا لم تحضر والصانع بعد ذلك يتاتى له بحسب مهارته في
العمل بالحديد ويقيم بعضها مقام بعض والله تعالى هو الموفق
وهو خير معين في الغربة وفي الوطن امين



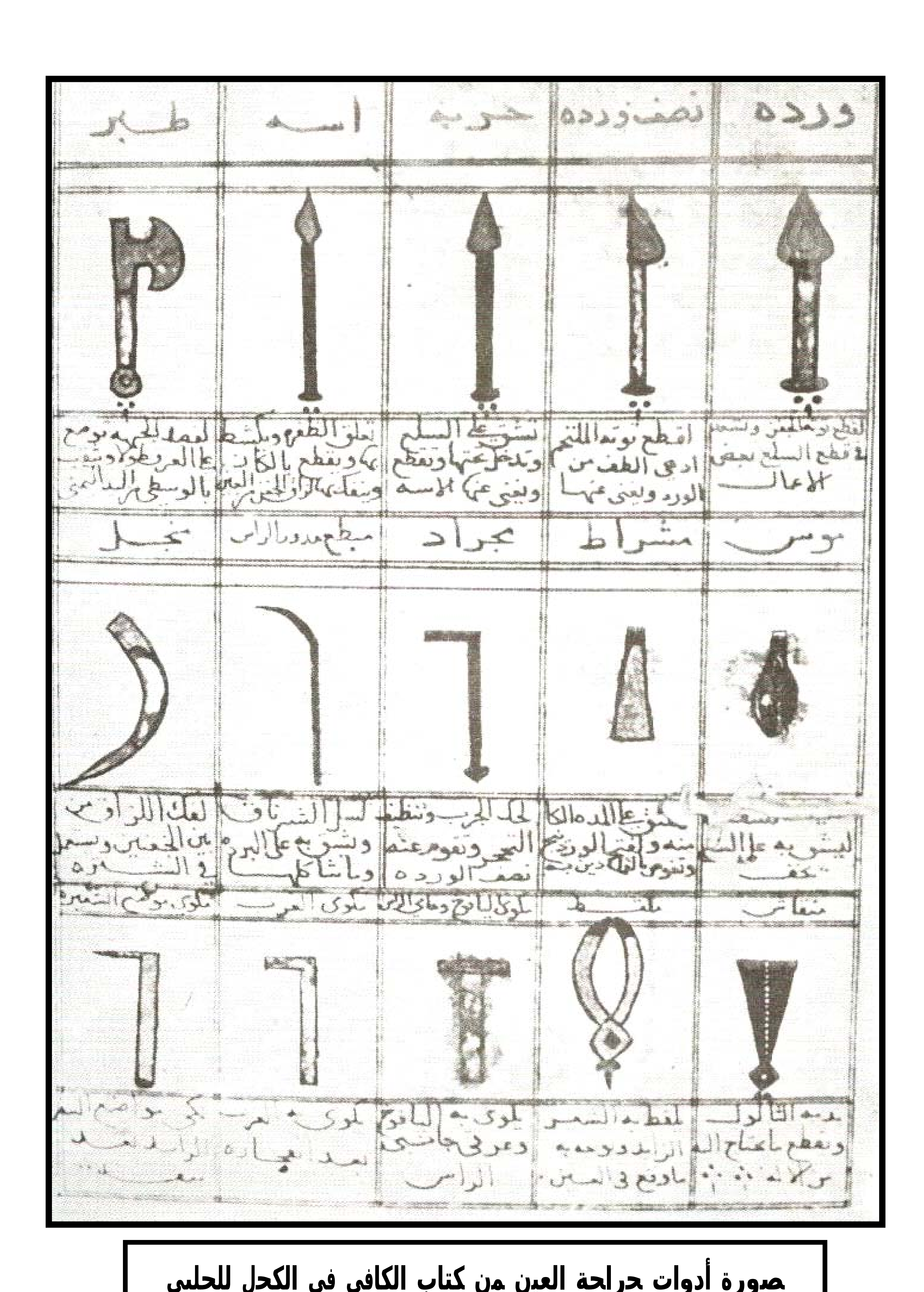
صورة أدوات جراحة العين من كتاب الكافي في الكحل للحلبي

صورة رقم (٢)



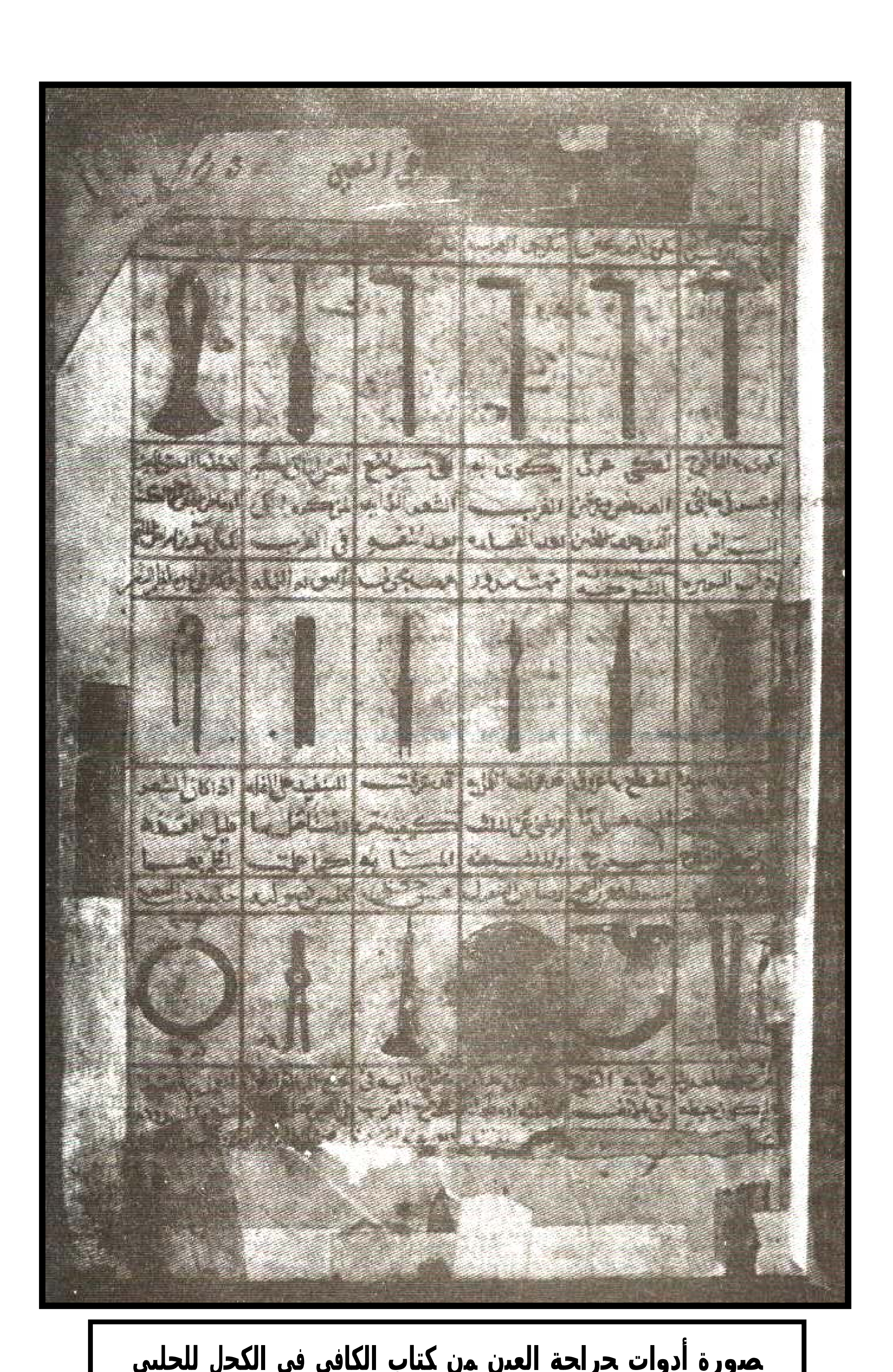
صورة أدوات جراحة العين من كتاب الكافي في الكحل للحلبي

صورة رقم (٣)



صورة أدوات جراحة العين من كتاب الكافي في الكحل للحلبي

صورة رقم (٤)



صورة أدوات جراحة العين من كتاب الكافي في الكحل للحلبي

صورة رقم (٥)

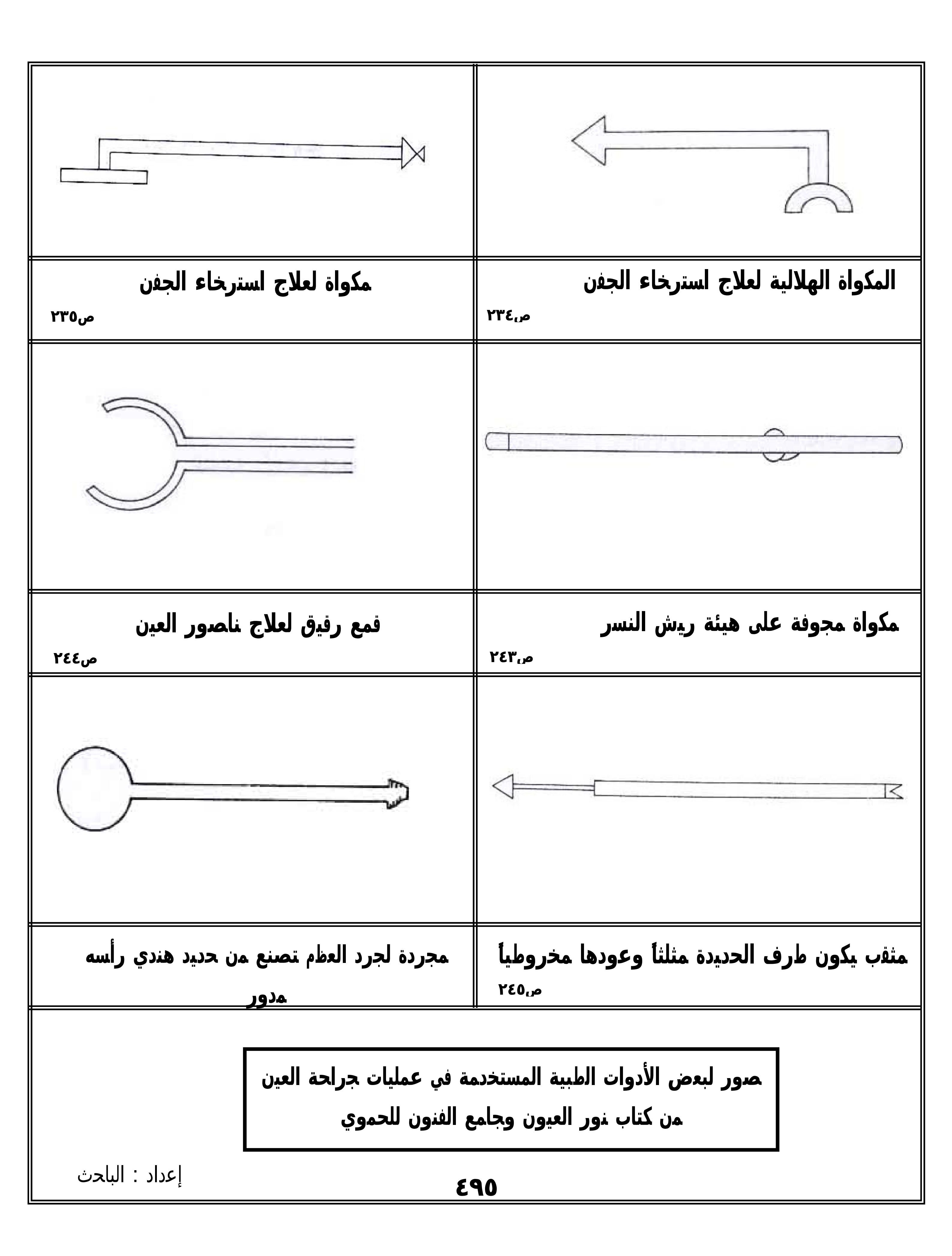
ملحق رقم (٤)

الوردة : وهي مبضع عريض مكتوم ص١٦١	الفأس ص١٧٥
إبرة للكي من ذهب ص١٧٩	مكواة لتقصير الجفن وتشميره ص١٨٠
صنانير : لتقصير الجفن وتشميره ص١٨٢	القصبتين : لتقصير الجفن وتشميره ص١٨٣

صور لبعض الأدوات الطبية المستخدمة في عمليات جراحة العين

من كتاب نور العيون وجامع الفنون للحموي

إعداد : الباحث



المكواة الهلالية لعلاج استرخاء الجفن
ص٢٣٤

مكواة لعلاج استرخاء الجفن
ص٢٣٥

مكواة مجوفة على هيئة ريش النسر
ص٢٤٣

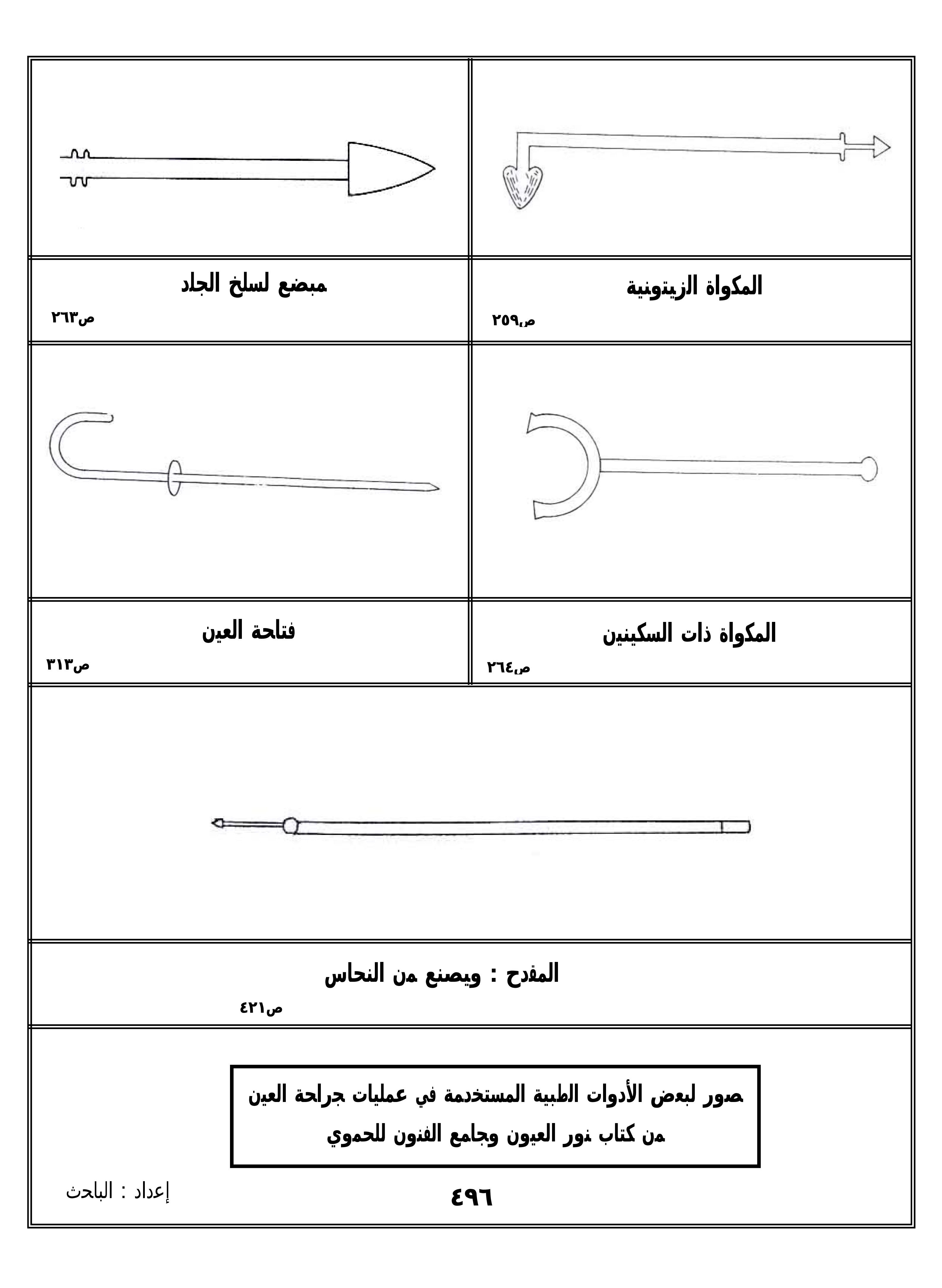
قمع رفيق لعلاج ناصور العين
ص٢٤٤

مثقب يكون طرف الحديدة مثلثاً وعودها مخروطياً
ص٢٤٥

مجردة لجرد العظم تصنع من حديد هندي رأسه مدور

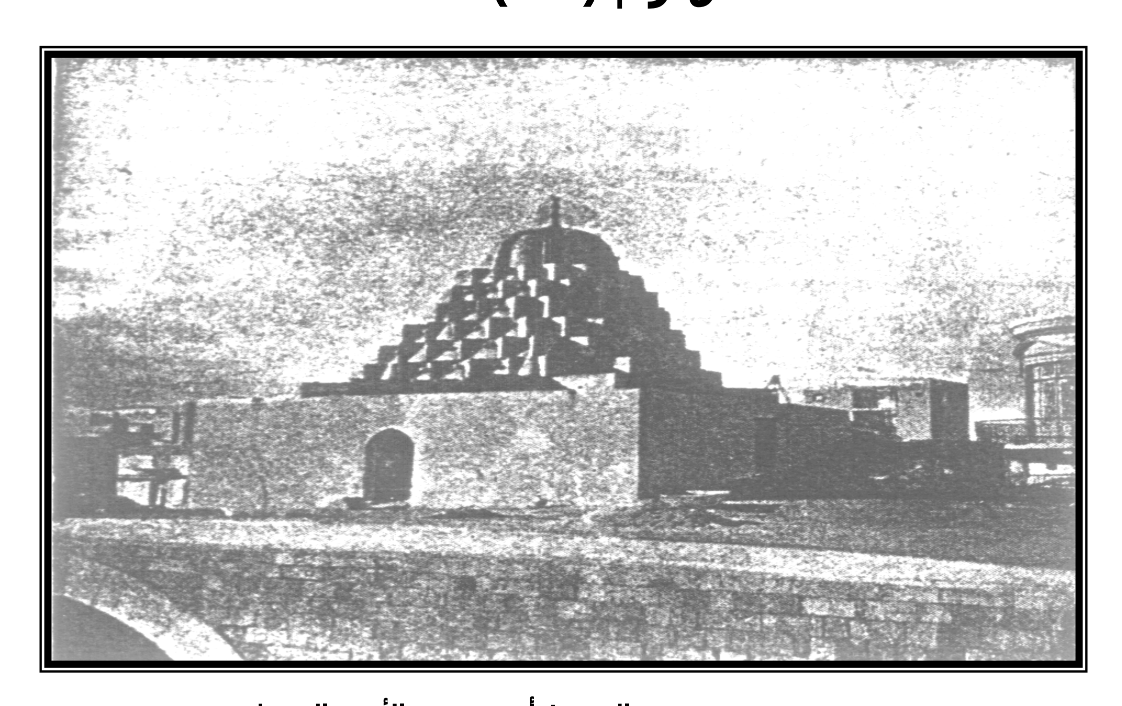
صور لبعض الأدوات الطبية المستخدمة في عمليات جراحة العين
من كتاب نور العيون وجامع الفنون للحموي

إعداد : الباحث



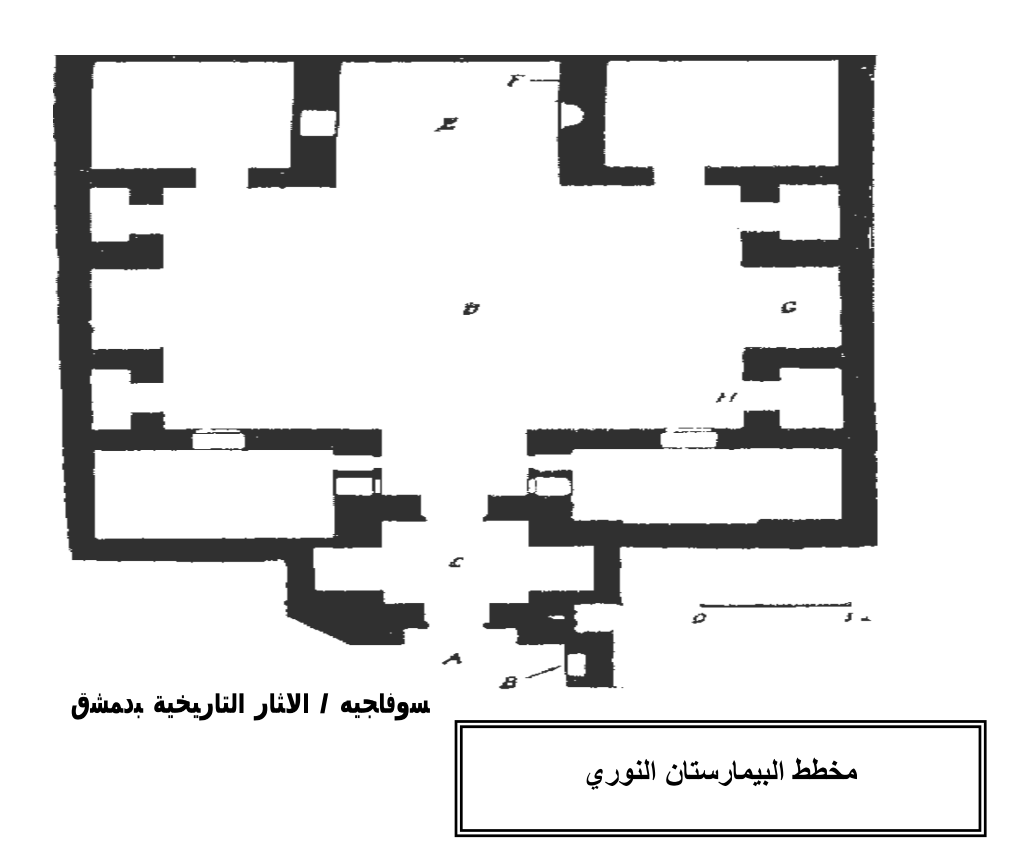
المكواة الزيتونية
ص٢٥٩
مبضع لسلخ الجلد
ص٢٦٣
المكواة ذات السكينين
ص٢٦٤
فتاحة العين
ص٣١٣
المقدح : ويصنع من النحاس
ص٤٢١
صور لبعض الأدوات الطبية المستخدمة في عمليات جراحة العين
من كتاب نور العيون وجامع الفنون للحموي
إعداد : الباحث

ملحق رقم (٥)



المنجد / أبنية دمشق الأثرية المسجلة

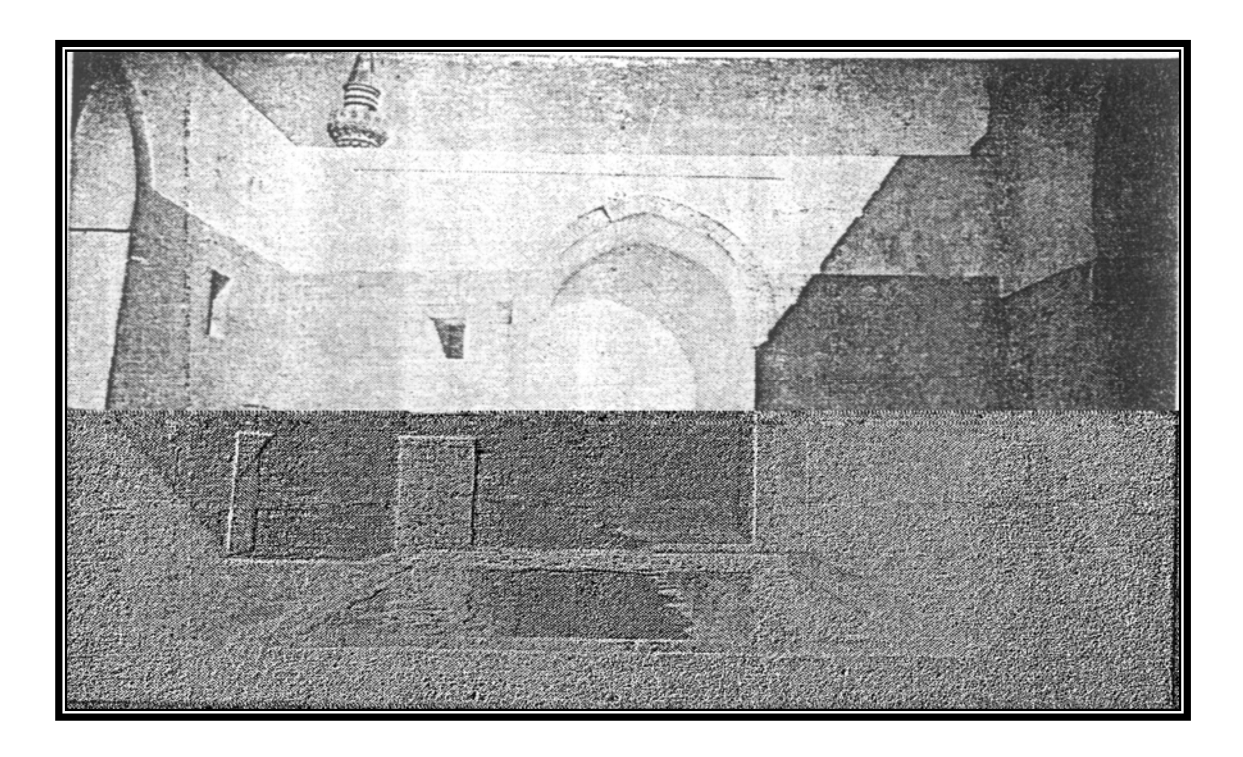
بيمارستان نور الدين

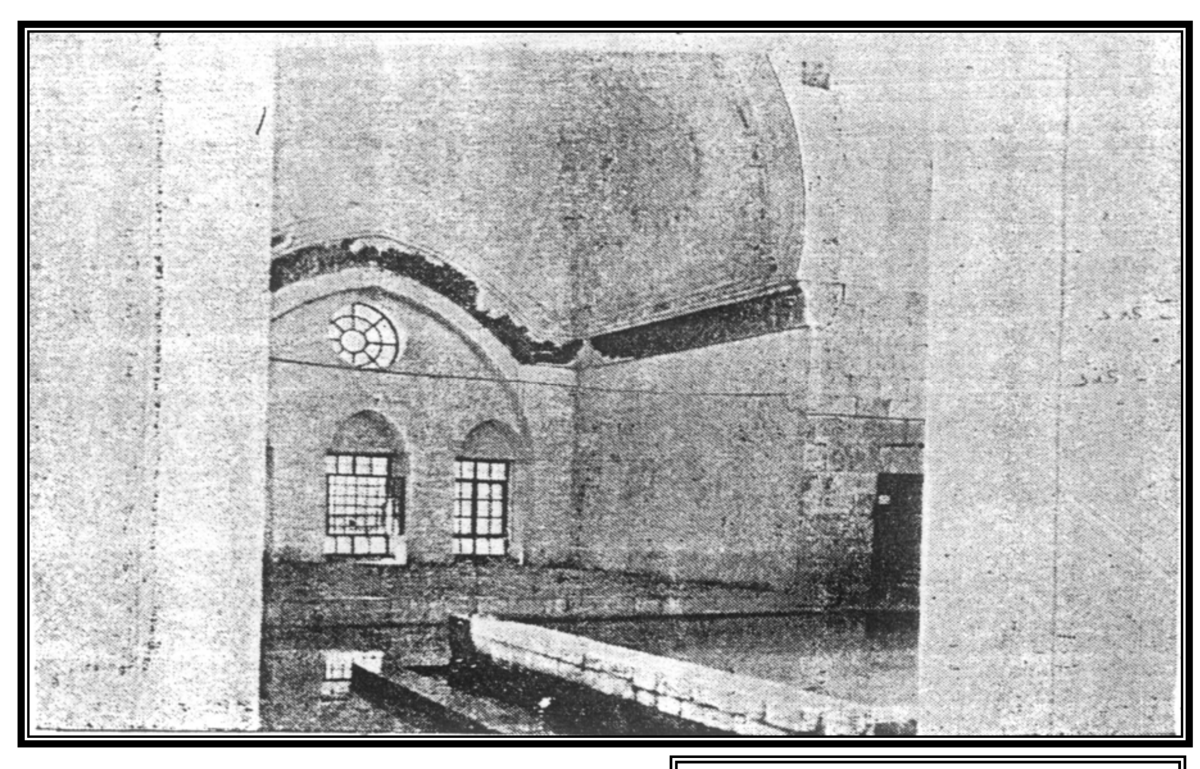


سوفاجيه / الاثار التاريخية بدمشق

مخطط البيمارستان النوري

ملحق رقم (٦)





البيمارستان القميري

سليم عادل عبد الحق / مشاهد دمشق الأثرية

خامساً :المراجع :

= أبـو زهرة : الإمام محمد

ـ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المـذاهب الفقهيـة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٩م

= أحمد : د/ علي

ـ الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي ، دار شـمأل ، دمـشق ١٩٩٥م

= الباشا : د / حسن

ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ١٩٧٨م

= باشا : د/ عمر موسى

ـ الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، الطبعة الأولى ، دار الفكر دمشق ، سورية

= بـدران : الشيخ عبد القادر أحمد

ـ ـ منادمـة الأطـلال ، الطبعـة الثانيـة ، المكتـب الإسـلامي ، بيـروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

= بـدوي : د/ أحمد أحمد

ـ مأمون بني أيوب (المعظم عيسى) ، مكتبة الأنجلو المصرية

ـ الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

ـ الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، مطبعة نهضة مـصر ، القاهرة ١٩٧٩م

= بـدوي : د/ عبد المجيد أبو الفتوح

ـ ـ التـاريخ الـسياسي والفكـري ، الطبعـة الأولـى ، عـالم المعرفـة ، جـدة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

= بـراور : يوشع

-الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس ، ترجمة عبد الحافظ عبد الخالق البنا ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م

= براون : إدوارد ج

- الطب العربي ، ترجمة أحمد شوقي حسن ، مؤسسة سجل العرب ١٩٦٦م .

= البقلي : محمد قنديل

- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م .

= بشور : حنا توفيق

- طب الجلد عند العرب ، دار المستقل دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

= بك : د/ أحمد عيسى

- تاريخ النبات عند العرب ، دار الفضيلة بدون تاريخ

- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب ، مطبعة مصر بدون تاريخ .

- معجم الأطباء (ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة) دار الرائد العربي بيروت الطبعة الأولى ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م .

= بهنسي : د/ عفيف

- الشام لمحات آثارية وفنية ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م

= البيطار : د/ أمينة البيطار

- تاريخ العصر الأيوبي ، دار الطباعة الحديثة ، دمشق ١٩٨١م/١٤٠١هـ

= جب : السرها ملتون آ . ر . جب

- صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي ، حررها يوسف أيبش ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

= جميعان : ميخائيل

- المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة من خلال الحروب الصليبية .

= الحافظ: محمد مطيع

- المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها أبي عمر محمد بن أحمد المقدسي الصالحي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، دار الفكر دمشق سورية ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

= حداد : فريد سامي

- فهرس المخطوطات الطبية العربية في مكتبة سامي حداد ، منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٤م .

= حربي : خالد أحمد

- الأسس الإيستمولوجية لتاريخ الطب العربي رؤية معرفية في تاريخ الحضارات ، دار الثقافة العلمية الإسكندرية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .

= حسين : حسن عبد الوهاب

- دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام ومصر ١٠٩٥هـ / ١٢٩١م دار المعرفة الجامعية .

= حمارنه : سامي خلف

- دليل الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين ، معهد التراث العلمي العربي ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- تاريخ الصيدلة والطب العربي منذ نشأته حتى العصور الحديثة ، القاهرة ، مطبعة دار التجليد الفني ١٩٦٧م .
- مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) دمشق ١٣٨٩هـ / ١٩٩٩م .

= حمارنه : نشأت

- تاريخ أطباء العيون العرب ، منشورات وزارة الثقافة السورية الطبعة الرابعة ١٩٩٧م .

= حمادة : محمد ماهر

- المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .

= الحموي : محمد ياسين
- دمشق في العصر الأيوبي ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٥٦هـ/١٣٤٦م ، مكتبة النشر العربي بدمشق .
= حميدان : زهير
- أعلام الحضارة العربية الإسلامية ، منشورات وزارة الثقافة السورية ١٩٩٦م بدون طبعة .

= حيدر : د/ كامل
- العمادة العربية الإسلامية (نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي) ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ١٩٩٥م
= الخطابي : محمد العربي
- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة وتراجم ونصوص ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
= الخطيب : د/ محمد محمد عبد القادر
- دراسات تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، كطبعة الحسين الإسلامية ١٤١١هـ/١٩٩١م .
= خليل : د/ عماد الدين
- المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي ، مكتبة المعارف ، الرياض بدون تاريخ .
- نور الدين محمود الرجل والتجربة ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
= الخيمي : صلاح محمد .
فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ١٤٠١هـ/١٩٨١م دمشق .
= خير الله : أمين أسعد
- الطب العربي مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به ، المطبعة الأميركانية بيروت ١٩٤٦م .

= الدفاع : د / علي عبد ا

- إسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

- أعلام العرب والمسلمين في الطب ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

= الدمشقي : محمد حسين العطار

- علم المياه الجارية في مدينة دمشق ، الطبعة الأولى ، دار قتيبة ، دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

= دهمان : محمد أحمد

- في رحاب دمشق ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- قاموس الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي .

= رمضان : د/ عبد العظيم

- تاريخ المدارس في مصر الإسلامية (أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية التي أعدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة وعقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية من ٢٢-٢٥ أبريل ١٩٩١م) ، النهضة المصرية لصناعة الكتاب ١٩٩٢م

= الريحاوي : عبد القادر

- مدينة دمشق ، دمشق ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

= الزركلي : خير الدين .

- الأعلام ، الطبعة الثامنة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان تموز يوليو ١٩٨٩م

= الزرو : د/ خليل داود .

- الحياة العلمية في الشام ، الطبعة الأولى ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ١٩٧١م

= زعرور : د / إبراهيم .

- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمماليك ، دمشق ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

= زيـان : د/ حامد زيان غانم

ـ الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

= الزيتـون : د/ عادل سليمان

ـ ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي واتصالهم في القطر العربي السوري ، المجلد الثاني .

= زيـود : د / محمد أحمد

ـ حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني وحتى نهاية العهد الفاطمي ، دار الفكر

= الساعاتي : د/ يحيى محمود

ـ الوقف وبنية المكتبة العربية اسـتبطان للمـوروث الثقـافي ، الطبعـة الأولـى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مركز الملك فيصل بن عبد العزيز للبحوث والدراسات الإسلامية .

= سالم : السيد عبد العزيز :

- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر .

= السامرائي : كمال

- مختصر تاريخ الطب العربي ، دار النضال بيروت ، الطبعـة الأولـى ١٤٠٩هـ ـ/١٩٨٩م.

= سبانـو : د/أحمد غسان

ـ مملكة حماة الأيوبية ، مطبعة خالد بن الوليد ، دار قتيبة ، دمشق ١٩٨٤م

ـ دمـشق فـي كتابـات أحمـد وصـفي زكريـا ، الطبعـة الأولـى ، دار قتيبـة ١٩٩٠م/١٤١٠هـ

ـ دمشق مقالات مجموعة ، الجزء الأول ، دار قتيبة ، سلسلة دراسـات وثائقيـة ، دمشق الشام (5) ١٩٨٥م .

= سعد الدين : د/ محمد منير

- المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

= **السعيد** : عبد ا عبد الرزاق مسعود .

- المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني ، دار الضياء للنشر والتوزيع عمان الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

- نشأة الطب ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن ١٩٨٥م .

- الطب ورائداته المسلمات ، مكتبة المنار الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م .

- من رواد الطب عند المسلمين والعرب في القرن الأول الهجري وفي الأردن وفلسطين ، مكتبة الأقصى عمان الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٤م .

= **سوفاجيه** : جان

- دمشق الشام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦م .

= **السيد** : علي أحمد

- الخليل والحرم الإبراهيمي في الحروب الصليبية (٤٩٢هـ / ٥٨٣) دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

= **شبارو** : د/ عصام محمد

- السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري السلاجقة الأيوبيون (٤٤٧/٦٤٨هـ - ١٠٥٥/١٢٥٠م) ، دار النهضة العربية ، بيروت

= **شحادة** : محمد كمال

- تاريخ التعليم الطبي في البلاد العربية ، منشورات جامعة حلب ، معد التراث العلمي العربي ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

= **الشطي** : أحمد شوكت

- تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، مطبعة طربين ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .

= **شلبي** : د/ أحمد

ـ التربية الإسلامية ـ نظمها ، فلسفتها ، تاريخهـا ، الطبعـة الـسادسة ، مكتبـة النهضة المصرية ١٩٧٨م .

= شميساني : د / حسن

ـ مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، الطبعة الأولى ، دار الآفاق الجديدة ، بيـروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

= الشهابي : د / قتيبة

ـ معالم دمشق التاريخية ، منشورات وزارة الثقافة

ـ أبواب دمشق وأحداثها التاريخية ، وزارة الثقافة ، سوريا ، دمشق ١٩٩٦م

= الشيخ : محمد محمد موسى

- الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

= صالحيه : د/ محمد عيسى

ـ المعجم الشامل للتراث العربـي المطبـوع ، الجـزء الأول (أ – ث)، القـاهرة ١٩٩٢م

= طلس : د/ محمد اسعد

ـ ذيل ثمار المقاصد ، مطبوعات المعهد الفرنسي ١٩٧٥م

= الطراونة : طه شلجي

- مملكة صفد في عهد المماليك ، منشورات دار الآفاق الجديـدة بيـروت ، الطبعـة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

= طقوش : محمد سهيل

- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

= الطنطاوي : علي

ـ الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ ، الطبعة الأولى ، دار المنـارة ، جـده ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

= العابد : برهان .

- مختارات من تاريخ الطب ، مطبعة الاتحاد دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

= عاشور : د/ سعيد عبد الفتاح

ـ الحركة الصليبية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م

ـ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربيـة ، القـاهرة ١٩٩٢م

ـ مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية .

= عانـوتـي : أسامة .

- ابن أبي أصيبعة تعريف وتقويم ، دار النفائس بيروت بدون تاريخ طبع .

= عبـد الحق : د/ سليم عادل

ـ مشاهد دمشق الأثرية ، مطبوعات مديرية الآثار العامة فـي سـورية ، مطبعـة الترقي بدمشق ١٣٦٩هـ .

= عامر : فاطمة مصطفى

- تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠م .

= عامر : هناء فوزي .

- مناهج الأطباء العرب ، دار سعاد الصباح الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

= عبـد العال : د/ حسن إبراهيم

ـ فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة ، مكتبـة التربيـة العربيـة لـدول الخلـيج ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

= عبـد المولى : د/ محمد أحمد

ـ العيارون والشطار البغاددة في التاريخ العباسي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة شـباب الجامعة ، الإسكندرية

= عبـد المهدي : د/ عبد الجليل

ـ المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركـة الفكرية ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية ن مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ١٩٨١م .

- الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي ، مكتبـة الأقصى عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

= **العريني** : د/ السيد الباز

ـ تاريخ الحروب الصليبية ، الطبعة الأولى ن دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ١٩٦٨م .

- الأيوبيون

= **عسيري** : د/ مريزن سعيد مريزن

ـ الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالـب الجامعي ، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

ـ علم الطب وأهميته وشرفه ومعاييره الأخلاقية والعلمية عند المسلمين ، سلـسلة بحوث الدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤١٦هـ

ـ تعليم الطب في المشرق الإسلامي (نظمه ومناهجه) حتى نهاية القـرن الـسابع الهجري ، سلسلة البحوث الإسلامية ، معهد البحوث والدراسات الإسلامية جامعـة أم القرى ١٤١٢هـ

= **العسيلي** : د/ كامل جميل .

ـ معاهد العلم في بيت المقدس ، عمان ١٩٨١م .

= **العش** : د/ يوسف محمد

ـ دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومـصر فـي العـصر الوسيط ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م

= **عطية** : جميل عبد المجيد

- تنظيم صنعة الطب خلال عصور الحضارة العربية الإسـلامية ، مكتبـة العبيكـان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

= **عكاوي** : رحاب خضر

- الموجز في تاريخ الطب عند العرب ، دار المناهل بيروت لبنان .

- ابن النفيس (جالينوس العرب) دار الفكر العربي بيـروت الطبعـة الأولـى ١٩٩٦م .
- موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة ، دار الفكر العربي بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

= **العلبـي** : أكرم حسن

- خطط دمشق ، الطبعة الأولى ، دار الطباع ، دمشق ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

= **علي** : السيد علي

- القدس في العصر المملوكي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م

= **عمارة** : محمد

- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ، دار الـشروق بيـروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

= **عوض** : د/ محمد مؤنس

- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الـصليبية ، الطبعـة الأولى ، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٩٩٥م .
- الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ، الشروق للدعاية والإعـلان الطبعـة الأولى ١٩٩٩م
- العلاقات بين الشرق والغرب في عصر الحروب الصليبية ، مكتبة سعيد رأفت .

= **عواد** : كوركيس

- مصادر النباتات الطبية عند العرب ، مطبعة المجمع العلمي العراقـي ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

= **الغامدي** : د/ عبد ا سعيد محمد

- صلاح الدين الأيوبي والصليبيون (استرداد بيت المقدس) ، المكتبـة الفيـصلية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

= **الغامدي** : د/ مسفر بن سالم عريج

ـ الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، الطبعة الأولـى ، دار المطبوعـات الحديثة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

= غنيمة : د/ محمد عبد الرحيم

ـ تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، دار الطباعة المغربية ، تطوان

= غني : د/ قاسم

ـ تاريخ التصوف في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، جامعـة الـدول العربيـة الإدارة الثقافية

= غوانمه : يوسف درويش

- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، دار الحياة عمان الأردن .

- تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى ، منـشورات وزارة الثقافـة والشباب الأردنية ١٩٧٩م .

- الزلازل في بلاد الشام في العصر الإسلامي وأثرها على المعـالم العمرانيـة ، دار الفكر١٩٩٠م

ـ ـ إمـارة الكـرك الأيوبيـة ، الطبعـة الثانيـة ، دار الفكـر ، عمـان ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

= فهمي : نعيم زكي

- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العـصور الوسـطى) المكتبة العربية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

= فكري : د / أحمد

ـ مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، مصر

= قاري : لطف ا

إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية ، مطبوعات مكتبة الملك فهـد الوطنيـة الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

= القاسمي : محمد سعيد وأصحابه

- قاموس الصناعات الشامية ، تحقيـق ظـافر القاسـمي ، دار طـلاس للدراسـات والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

= **قطايه** : سلمان

- ابن النفيس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

= **قنواتي** : جورج شحاته

- تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ، مطبعة أوراق شـرقية الأولى ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

= **القيم**: علي

- ابن النفيس الدمشقي ، دار المعرفة دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

= **كحالة** : عمر رضا

ـ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

= **كرد علي** : محمد كرد علي

ـ غوطة دمشق ، الطبعة الثانية ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ـ خطط الشام ، الطبعة الثانية ، مكتبة النوري ، دمشق ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

= **الكندري** : عبد ا

- فهرس المخطوطات الطبية في المنظمة الإسـلامية للعلـوم الطبيـة ، مطبوعـات المنظمة العربية للعلوم الطبية ٢٠٠٣م .

= **كيلاني** : د/ محمد سيد

ـ الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ، الطبعة الثانية ، دار الفرجاني ، القاهرة ، طرابلس ، لندن ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

= **الليث** : رضوان أحمد مصلح

- الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة صنعاء ١٤٢٥هـ .

= **محاسنة** : محمد حسين

- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي ، الأوائل للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

= **محمد** : د/ أحمد رمضان احمد

- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، طبعة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

= محمد : ماهر عبد القادر

- الطب العربي رؤية ابستمولوجية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م .

- دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، الطبعة الأولى .

- مقدمة في تاريخ الطب العربي دار العلوم العربية الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

= محمد : محمود الحاج قاسم

- تاريخ طب الأطفال عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

= مراد : إبراهيم

- بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

= المزيني : إبراهيم بن محمد الحمد المزيني

- الحياة العلمية في العهد الزنكي ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

-إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين الطبعة الأولى١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م

= مصطفى : د/ شاكر

- آل قدامة والصالحية ، حوليات كلية الآداب ، الحولية الثالثة ، الكويت ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ

= معروف : ناجي

- مدارس قبل النظامية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

= المقدسي : جورج

ـ نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب ، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجده

= مكي : أحمد محمد طه

- الطب الإسلامي ، بدون طبعة وتاريخ .

= منتصر : عبد الحليم

- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة .

= **المنجد** : د/ صلاح الدين

ـ معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

ـ مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٧

ـ ولاة دمشق في العهد السلجوقي للحافظ ابن عساكر، الطبعة الثانية ،دار الكتاب الجديد، بيروت

= موسى : جلال محمد عبد الحميد

- منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ١٩٨٨م .

= **النباهين** : د/ علي سالم

ـ نظام التربية الإسلامية في عصر المماليك في مصر ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ١٩٨١م

= النجار : عامر

- في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م .

= **النجار** : د/ محمد رجب

ـ الشطار والعيارين في التراث العربي ، الطبعة الثانية ، ذات السلاسل ١٩٨٩م

= **النشار** : د/ السيد محمد محمد

ـ تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

= **النشار** : علي سامي
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، دار المعارف ١٩٦٦م .
= **النقيب** : عبد الرحمن عبد الرحمن
- الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
= **نلينو** : كارلو
- علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، مطبعة الثقافة الدينية بدون طبع وتاريخ .
= **النملة** : د/ علي بن إبراهيم
- الوراقة وأشهر أعلام الوراقين دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات ، طبعة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
= **هونكة** : زيغريد
- شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربا) ، نقله إلى العربية فاروق بيضون ،كمال دسوق ، الطبعة الثانية، دار الجيل ، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
= **الهوني** : فرج محمد
- تاريخ الطب في الحضارة الإسلامية ، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان .

= **يوسف** : عبد القادر أحمد
- علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٦٩م .

سادساً : المقالات :

= **أبيض** : ملكة .

- تنظيم التعليم في المسجد الجامع بدمشق قبل نشوء المدارس مجلـة التـراث العربي العدد ٢٢ جمادي الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م السنة السادسة ص١٩٨ ، ٢١٠ .

= البـابـا : محمد زهير

- جالينوس حياته ، مؤلفاته ، مخطوطاته الطبية العربية في المكتبة الوطنية بباريس ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الحادي والثلاثون الجزء الأول ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

- المخطوطات الطبية في المكتبة الوطنية بباريس ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد التاسع والعشرون الجزء الثاني ١٤٠٥هـ / ١٤٠٦هـ .

= بـاشـا : أحمد فؤاد

- البيمارستان في عصر الحضارة الإسلامية مجلـة زهـرة الجـزء الأول المحـرم ١٤١٦هـ

الطب الإسلامي أساس العلوم الطبية المعاصرة دراسة تأصيلية ، مجلة تراثيات مجلـة حكمية يصدرها مركز تحقيق التراث العدد الثالث ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

= البـدري : عبد اللطيف

- تعليم الطب عند العرب بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عنـد العـرب مركز إحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد الجزء الأول مطبعـة الراشـد بغـداد ١٩٨٩م .

= بـن عبـد الله : عبد العزيز

- تعليم الطب بالمغرب والعالم الإسلامي ، مجلة أكاديمية المملكة المغربيـة العـدد ٥ ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

= تـدمري : عمر عبد السلام

- دار العلم طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري عالم الكتب / مجلة دوريـة تصدر عن وزارة الإعلام في الكويت ١٩٨١ .

= تكريتي : راجي .

- الأمانة العلمية عند ابن البيطار دراسات تراثية علمية وزارة التعليم والبحث العلمي جامعة بغداد مركز إحياء التراث العلمي العربي

= الثبيتي : محمد رضا .

- بستان الأطباء وروضة الألباء أو دمشق في عصرها الذهبي الجزء الأول م/٣ ١٤ جمادي الأولى ١٣٣٤هـ مجلة المجمع العلمي العربي .

= الجاسم : عبد العزيز خضر عباس

- الطب في العصر العباسي في القرن السادس الهجري ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعية الماجد للثقافة والتـراث ، السنة التاسعة ، العدد الرابع والثلاثون ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

= الجليلي : محمود

- تأثير الطب العربي في الحضارة الأوربية ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي الكويت ١٤٠٥هـ .

= حريتاني : محمود

- البيمارستان في حلب ودوره في تقدم العلوم الطبية عند العرب ، أبحـاث المـؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعـة حلـب ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .

= حمارنه : سامي خلف

- الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيين ، المؤتمر الدولي الثالـث لتاريخ بلاد الشام « فلسطين » المجلد الثاني ، مطابع الجمعية العلمي الملكية عمـان الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

- التقنية وصناعة الحيل النافعة الطبية في كتاب الجراحة لابن القف ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي ، العدد الأول ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

= السامرائي : كمال

- تعلم الطب في العصور الإسلامية ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول ، عـن الطب الإسلامي ، العدد الأول ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
= شحادة : عبد الكريم
- ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية ، الأبحاث وأعمـال المـؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي ، العدد الثاني ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
= شحادة : كامل
- من مآثر نور الدين زنكي العمرانية في حماة ((البيمارسـتان النـوري)) ، مجلـة الهوليك الأثرية العربية السورية ، تـصدرها المديريـة العامـة للآثـار والمتـاحف الجمهورية السورية ، المجلد السابع عشر الجزءان الأول والثاني ١٩٦٧م .
= الطبـاع : ياسر
- العمارة الزنكية والأيوبية في سورية والجزيرة الفن العربي الإسلامي (العمـارة) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٩٥م .
= عاشور : سعيد عبد الفتاح
الطب الإسلامي في الجامعات الأوربية في فجر عصر النهـضة ، الأبحـاث وأعمـال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي الكويت ١٤٠٥هـ .
= عسيري: د/ مريزن سعيد مريزن
- امتحان الأطباء في الشرق الإسلامي حتى نهاية القـرن الـسابع الهجريـة مجلـة العصور المجلد الخامس الجزء الأول ١٤١٠هـ –١٩٩٠م ص ١٤٣- ١٥٩ .
= علي : داود سليمان .
- ممارسة مهنة الطب عند العرب بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عنـد العرب مركز إحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد الجزء الأول مطبعـة الرشـاد بغداد ١٩٨٩ .
= غانـم: د/ عماد الدين
-المدرسة الطبية الدمشقية إحدى مظاهر السياسة الثقافية مجلة البحـوث التاريخيـة السنة السابعة العدد الأول ١٩٨٥م .

= غني : قاسم
- من تاريخ الطب الإسلام مجلة الرسالة مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون العدد ٧٨٢ القاهرة ١٣٦٧هـ السنة السادسة عشرة .
= كامل: د/ عباس حلمي
- المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز ١٣٢١٥ .
= كرزون : محمد شحادة
- قضايا وإعداد الأطباء حتى القرن السابع الهجري في دمشق والقاهرة ، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث عشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في طرطوس ١٩٨٩م ، منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
= كنون : عبد ا
- كتاب الأربعين الطبية ، المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها عمل تلميذه محمد بن يوسف البرزالي ، تحقيق عبد ا كنون مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثامن عشر الجزء الأول ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
= محمد : محمود الحاج قاسم
- معابر الطب العربي إلى الغرب مجلة تاريخ العرب والعالم ، مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي العددان ٧١ ، ٧٢ السنة السادسة ١٤٠٤هـ / ١٤٠٥هـ .
- تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى والنهضة الأوربية ، مجلة المجمع العلمي العربي العراقي مجلد ٣٢ ج ٣ ، ٤ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- السلوك الطبي للأطباء العرب والمسلمين مجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الأول المجلد الرابع والثلاثون ة ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ص ١٤٣-١٧٤
= مراد / إبراهيم .
- من مظاهر تطور الطب في بلاد الشام في القرن السادس والسابع الهجريين مجلة التراث العربي العدد (١٩) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م السنة الخامسة ص٩٥/١١٠ .

= **المرزوقي / منصف**

- الطب الإسلامي وجالينوس ، الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عـن الطـب الإسلامي ، العدد الأول ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

= **المهدي / عبد الجليل**

- المؤسسات التعليمية والثقافية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي مجلة مآب المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية الجزء الثاني

= **هريدي / عبد المنعم أحمد**

- مظاهر النهضة العلمية في مصر للقرنين السادس والسابع من الهجرة النبوية مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعـة الملـك عبـد العزيـز الـسنة الثانيـة ١٣٩٦هـ/١٣٩٧هـ العدد الثاني

سابعاً : الرسائل الجامعية

= **أبو دمعة / أمين**

- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأيوبي

الماجستير جامعة دمشق ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م

= **حجازي / فايزة عبد الرحمن**

- أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي

رسالة ماجستير جامعة اليرموك ١٤١٢١هـ - ١٩٩٢م

= **الحمود / رنا سعد عوض**

- حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي

رسالة ماجستير جامعة اليرموك ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

= **خصاونـة / حسين أحمد سعيد**

-طبقات المجتمع في بلاد الشام في العصر المملوكي

رسالة بكالوريوس جامعة اليرموك ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م

= **الزربا / فريال بدوي يوسف**
- **الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي**
رسالة ماجستير الجامعة الأردنية ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م
= **سليمان / حسين محمد**
- **مدينة دمشق من سقوط الخلافة الأموية حتى زوال السيادة الفاطمية عنها ٦٦٧/١٣٢ ، رسالة دكتوراة في التاريخ الإسلامي كلية الآداب جامعة القاهرة .**
= **عشري / عثمان عبد الحميد محمد**
- **الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (٦٩١/٤٩١) (١٠٩٧م/ ١٢٩١م)، رسالة دكتوراة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٣٩٥هـ .**
= **علي / عبد الحفيظ محمد**
- **الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى في القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير في الأدب جامعة القاهرة ١٩٧٥م .**
= **المقابلة / معن علي أحمد**
- **المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام في العصر المملوكي**
- **رسالة ماجستير جامعة اليرموك ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م**

ثامناً : الموسوعات

= **جهامي / جيرار**
- **موسوعة مصطلحات العلوم عند العرب مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .**
= **الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الجزء الثامن والعشرون ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .**
= **الموسوعة العربية الميسرة** ، **دار نهضة لبنان للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .**
= **نكري : عبد النبي بن عبد الرسول**

- موسوعة مصطلحات جامع العلوم الملقب (بدستور العلماء) مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى ١٩٩٧م .